الكِفايـة

في التَّفسيرِ بالمأثورِ والدِّراية

تأليف الفقير إلى رحمة ربه
عبدالله خضر حمد
باحث عراقي

الجزء الثامن والثلاثون

[سورة التكوير، الآية: ١]- [سورة الليل، الآية: ٤]

منشور إلكترونياً
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

حقوق النسخ والطبع والنشر مسموح بها لكل مسلم

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع التفسير من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفا وتكرما- على البريد الالكتروني الآتي، وذلك لإرسال التفسير بأحدث نسخة إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإيَّاكم لما يرضيه برحمته، آمين.

abdulla.khdhir@gmail.com

{بسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «التكوير»

«سورة التكوير» هي السورة الحادية والثمانون بحسب الرسم القرآني وهي السورة الثالثة من المجموعة التاسعة من قسم المفصل، وهي معدودة السابعة في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة «الفاتحة» وقبل سورة «الأعلى»[١]، وآياتها تسع وعشرون في عد الجميع، وثمان في عد أبى جعفر، أسقط أبو جعفر: {فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ} [التكوير : ٢٦]، وكلماتها مائة وأربعون. وحروفها خمسمائة وثلاث وثلاثون. فواصل آياتها: «تسنم»[٢].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- أسماؤها التوقيفية:**

١- «سورة التكوير»:

أكثر التفاسير يسمونها «سورة التكوير»[٣]، وكذلك تسميتها في المصاحف وهو اختصار لمدلول «كورت»، ولم يعدها في «الإتقان» مع السور التي لها أكثر من اسم.

٢-«سورة إذا الشمس كورت»:

وردت هذه التسمية عند النبي-صلى الله عليه وسلم-[٤]، والصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-[٥]، وبهذا الاسم عنون لها الطبري في "تفسيره"[٦]، كما ترجم لها البخاري في "صحيحه"[٧]، والترمذي في "جامعه"[٨]، والحاكم في "مستدركه"[٩]، وسميت بهذا الاسم تسمية لها بأول آية افتتحت بها السورة، وهي قوله تعالى: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} [التكوير : ١].

ثانيا:- اسمها الاجتهادي: «سورة كورت»:

وردت هذه التسمية في بعض كتب التفسير وعلوم القرآن[١٠]، وتسمى «سورة كورت» تسمية بحكاية لفظ وقع فيها، وهذه التسمية من اجتهاد العلماء، لم يرد عن النبي-صلى الله عليه وسلم- ما يثبتها كاسم توقيفي.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس قال: " نزلت سورة {إذا الشمس كورت} بمكة"[١١]. وروي عن عائشة[١٢]، وابن الزبير[١] مثله.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: ١٣٩/٣٠.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠١/١.

(٣) انظر: مثلا: بحر العلوم "تفسير السمرقندي": ٥٥٠/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٠٠/٥، والكشف والبيان للثعلبي: ١٣٦/١٠، والنكت والعيون: ٢١١/٦، والوسيط للواحدي: ٤٢٧/٤، وتفسير البغوي: ٣٤٢/٨، والكشاف: ٧٠٦/٤، والمحرر الوجيز: ٧١٢/٤، وزاد المسير: ٤٠٥/٤، ومفاتيح الغيب: ٦٣/٣١، وتفسير القرطبي: ٢٢٦/١٩، وغيرها.

(٤) انظر: فضائل السورة.

(٥) انظر: الأثر في مكان نزول السورة.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٥/٢٤.

(٧) انظر: صحيح البخاري: كتاب التفسير: ٣٩١/٦.

(٨) انظر: سنن الترمذي: كتاب التفسير: ٤٣٣/٥.

(٩) انظر: المستدرك على الصحيحين: كتاب التفسير: ٥٦٠/٢.

(١٠) انظر مثلا: السبعة في القراءات: ٦٧٣/١، وتأويلات أهل السنة: ٤٣٠/١٠، وياقوتة الصراط: ٥٥٧، ومعاني القرآن للأزهري: ١٢٣/٣، والحجم للقراء السبعة: ٦٩/٧، والمبسوط في القراءات العشر: ٤٦٣، والمحتسب: ٣٥٣/٢، والهداية غلى بلوغ النهاية: ٨٠٧٣/١٢، والوجيز في شرح قراءات القراء الثمانية: ٣٧٤، وتفسير السمعاني: ١٦٤/٦، وإعراب القرآن للأصبهاني: ٥٠٠، وجمال القراء: ٣١٣/١، والبصائر: ٥٠٣/١، وتفسير المظهري: ٧/١٠، وروح المعاني: ٢٥٣/١٥، والتحرير والتنوير: ١٣٩/٣٠ .

(١١) انظر: الدر المنثور: ٤٢٥/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(١٢) انظر: الدر المنثور: ٤٢٥/٨، وعزاه ابن مردويه.

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من المتأولين"[٢].
قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[٣].
قال ابن عاشور:" هي مكية بالاتفاق"[٤].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها -لما قبلها- أن كلتيهما تشرح أحوال يوم القيامة وأهوالها[٥].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

١- اشتملت السورة على تحقيق الجزاء صريحا، وعلى إثبات البعث وابتدئ بوصف الأهوال التي تتقدمه وانتقل إلى وصف أهوال تقع عقبه.
٢- التنويه بشأن القرآن الذي كذبوا به لأنه أوعدهم بالبعث زيادة لتحقيق وقوع البحث إذا رموا النبيء صلى الله عليه وسلم بالجنون والقرآن بأنه يأتيه به شيطان.

قال الفيروزآبادي:" مقصود السورة: بيان أحوال القيامة، وأهوالها، وذكر القسم بأن جبريل أمين على الوحى، مكين عند ربه، وأن محمدا - صلى الله عليه وسلم - لأمتهم ولا بخيل بقول الحق، وبيان حقيقة المشيئة والإرادة في قوله: {إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير : ٢٩]"[٦].

- **الناسخ والمنسوخ:**

المنسوخ فيها آية واحدة: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ} [التكوير : ٢٨] نسخها الله تعالى بما يليها وهو قوله تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير : ٢٩][٧].

- **فضائل السورة:**

- عن ابن عمر قال: "من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: «إذا الشمس كورت»، و«إذا السماء انفطرت»، و«إذا السماء انشقت»"[٨].
- عن ابن عباس قال: قال أبو بكر الصدِّيق - رضي الله عنه -: يا رسول الله قد شِبتَ! قال: قال رسول الله: "«شيبتني «هود»، و«الواقعة»، و«المرسلات»، و«عم يتساءلون»، و«إذا الشمس كورت»"[٩].
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ إذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ أعاذه الله سبحانه وتعالى أن يفضحه حين تنشر صحيفته» [١٠].[موضوع]

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٤٢٥/٨، وعزاه ابن مردويه.
(٢) المحرر الوجيز: ٤٤١/٥.
(٣) زاد المسير: ٤٠٥/٤.
(٤) التحرير والتنوير: ١٣٩/٣٠.
(٥) انظر: تفسير المراغي: ٥٢/٣٠.
(٦)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٣/١.
(٧) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ١٩٥، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠١/١.
(٨) مسند احمد(٤٩٣٤):ص٥٢٨/٨، وسنن الترمذي(٣٣٣٣):ص٢٩٠/٥، والمستدرك للحاكم(٣٩٠٠)، وقال: " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".
وفي رواية أحمد:" وأحسبه قال: «وسورة هود»".
(٩)أخرجه الترمذي وحسنه فى (كتاب التفسير - سورة الواقعة) والحاكم فى المستدرك (٢/ ٣٤٣) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي فى الدلائل (١/ ٣٥٧) والبغوي فى شرح السنة (١٤/ ٣٧٢) وفى التفسير، كلهم من حديث ابن عباس رضى الله عنه.
ورواه أيضا الطبراني في الكبير (١٠٠٩١)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في "زوائد الزهد" (٩)، والمروزي في "مسند أبي بكر" (٣٠ - ٣٢)، وابن سعد في الطبقات (١/ ٤٣٦)، وابن عساكر (٤/ ١٧٢،١٧٣) والحديث غير ثابت وعلله أكثر الأئمة، وانظر علل الدارقطني (١/ ١٩٣ - ٢١١)، والنكت على ابن الصلاح لابن حجر (٢/ ٧٧٤ - ٧٧٦)، وصحح الحديث الشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله - في السلسلة الصحيحة (٩٥٥).
(١٠) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٣٦/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٢٧٣/١٠. [والحديث

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

موضوع].

القرآن

{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ (١٤)}
[التكوير: ١-١٤]

التفسير:

إذا الشمس لُفَّت وذهب ضَوْءُها، وإذا النجوم تناثرت، فذهب نورها، وإذا الجبال سيِّرت عن وجه الأرض فصارت هباءً منبثًا، وإذا النوق الحوامل تُركت وأهملت، وإذا الحيوانات الوحشية جُمعت واختلطت؛ ليقتصَّ الله من بعضها لبعض، وإذا البحار أوقدت، فصارت على عِظَمها نارًا تتوقد، وإذا النفوس قُرنت بأمثالها ونظائرها، وإذا الطفلة المدفونة حية سُئلت يوم القيامة سؤالَ تطييب لها وتبكيت لوائدها: بأيِّ ذنب كان دفنها؟ وإذا صحف الأعمال عُرضت، وإذا السماء قُلعت وأزيلت من مكانها، وإذا النار أوقدت فأضرمت، وإذا الجنة دار النعيم قُرِّبت من أهلها المتقين، إذا وقع ذلك، تيقنتْ ووجدتْ كلُّ نفس ما قدَّمت من خير أو شر.

قوله تعالى:{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} [التكوير: ١]، أي:" إذا الشمس لُفَّت وذهب ضَوْءُها"[١].

وفي قوله تعالى:{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} [التكوير: ١]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: أظلمت، قاله ابن عباس[٢]، وأبيّ بن كعب[٣]، والحسن[٤]، ومجاهد[٥]، وقتادة[٦]، والضحاك[٧]، وبه قال الفراء[٨].

عن ابن عباس: "{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}، يقول: أظلمت"[٩].

قال مجاهد:" تكور حتى يذهب ضوءها فلا يبقى لها ضوء"[١٠].

قال قتادة:" ذهب ضوءها فلا ضوء لها"[١١].

قال الضحاك:" أما تكوير الشمس: فذهابها"[١٢].

عن أبي العالية، قال: ثني أبيّ بن كعب، قال: "ستّ آيات قبل يوم القيامة: بينا الناس في أسواقهم، إذ ذهب ضوء الشمس، فبينما هم كذلك، إذ تناثرت النجوم، فبينما هم كذلك، إذ وقعت الجبال على وجه الأرض، فتحرّكت واضطربت واحترقت، وفزعت الجنّ إلى الإنس، والإنس إلى الجنّ، واختلطت الدوابّ والطير والوحش، وماجوا بعضهم في بعض، {وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ}، قال: اختلطت، {وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ}، قال: أهملها أهلها، {وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ}ـ قال: قالت الجنّ للإنس: نحن نأتيكم بالخبر، قال: فانطلقوا إلى البحار، فإذا هي نار تأجج؛ قال: فبينما

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٧/٢٤،و تفسير ابن أبي حاتم(١٩١٣٩):ص٣٤٠٢/١٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٧/٢٤.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: ٩٨/٥. حكاه عنه وقال:" {كورت}، حقيقته: جمع ضوؤها، ومن كلامهم: كرت العمامة على رأسي أكورها وكورتها أكورها إذا لففتها. وهو الذي أراد الحسن".

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٧/٢٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٧/٢٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٨/٢٤.

(٨) انظر: معاني القرآن: ٢٣٩/٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٣٧/٢٤.

(١٠) تفسير مجاهد: ٧٠٧.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٣٧/٢٤.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٣٨/٢٤.

هم كذلك إذ تصدّعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى، وإلى السماء السابعة العليا، قال: فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم"[١].

الثاني : يعني: ذهبت. رواه عطية عن ابن عباس[٢].

وقال مجاهد:" اضمحلت وذهبت"[٣].

الثالث: غُوِّرَت، روي ذلك عن ابن عباس[٤]، وسعيد بن جبير[٥]، وابن الأنباري[٦].

وهو بالفارسية: «كور تكور»[٧]، قاله سعيد بن جبير[٨].

وقال سعيد بن جبير:" كوّرت: «كورا»، بالفارسية"[٩].

قال ابن الجوزي:" وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: هو بالفارسيّة: «كور بور»[١٠].

الرابع : أنها تكوّر مثل العمامة، فتلفُّ وتمحى، قاله أبو عبيد[١١].

قال أبو عبيدة:" مثل تكوير العمامة، تلفّ فتمحى"[١٢].

قال الزجاج:" معنى :{كُوِّرَتْ}، جمع ضوءها ولُفَّتْ كما تلف العمامة، يقال: كرتُ العِمَامَةَ على رأسِي أكوِّرُها، وكوَّرْتُها أكوِّرها إذا لَفَفْتَها"[١٣].

قال ابن عطية:" «تكوير الشمس» : هو أن تدار ويذهب بها إلى حيث شاء الله كما يدار كور العمامة، وعبر المفسرون عن ذلك بعبارات"[١٤].

قال النحاس:" يقال: كوّر الشيء وكبّر الشيء، إذا لفّ ورمي به، وفي الحديث: «نعوذ بك من الحور بعد الكون»[١٥]، أي: من الرجوع بعد أن كان أمرنا ملتئما، ويروى: «بعد الكور»"[١٦].

الخامس : نُكِّست، قاله أبو صالح[١٧].

السادس : رُمِي بها. وهو قول الربيع بن خُثَيم[١٨].

وروي عن أبي صالح-أيضا- قال:" أُلقيت"[١٩].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٣٧/٢٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٧/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٣٧/٢٤.
(٤) انظر: زاد المسير: ٤٠٦/٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٨/٢٤.
(٦) انظر: زاد المسير: ٤٠٦/٤.
(٧) في اللسان: ٤٧٢/٦ - ٤٧٣ "«كورْ بكِرْ»، وفي غريب القرآن لابن قتيبة:٤" كور بكرد"، وفي رواية ابن أبي حاتم(١٩١٤٠):ص٣٤٠٢/١٠، والدر المنثور: ٤٢٦/٩« كور يهود»، وفي النكت والعيون: ٢١١/٦« كوبكرد»، وفي الكشف والبيان: ١٣٦/١٠«كوريكرد».
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٨/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٣٨/٢٤.
(١٠) زاد المسير: ٤٠٦/٤.
(١١) انظر: مجاز القرآن: ٢٨٧/٢.
(١٢) مجاز القرآن: ٢٨٧/٢.
(١٣) معاني القرآن: ٢٨٩/٥.
(١٤) المحرر الوجيز: ٤٤١/٥.
(١٥)أخرجه ابن ماجة في سننه الباب ٢٠ الحديث رقم (٣٨٨٨) ، والدارمي في سننه ٢/ ٨٧، والترمذي، الدعاء ١/ ٥٢٦.
(١٦) إعراب القرآن: ٩٨/٥.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٨/٢٤.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٨/٢٤.
(١٩) أخرجه الطبري: ٢٣٨/٢٤.

عن شيخ من بَجِيلة، عن ابن عباس :"{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} قال : يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر، ويبعث الله ريحا دبورًا فتضرمها نارا"[١].

عن ابن يزيد بن أبي مريم، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قول الله :{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} قال : "كورت في جهنم"[٢].

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم : "الشمس والقمر يكوران يوم القيامة"[٣].

عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن الشمس والقمر نوران في النار يوم القيامة". فقال الحسن : وما ذنبهما ؟ فقال : أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول : أحسبه قال : وما ذنبهما"[٤].

عن يزيد الرقاشي، حدثنا أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الشمس والقمر ثوران عقيران في النار"[٥].

قال الطبري:" الصواب من القول في ذلك عندنا: أن يقال: {كُوِّرَتْ}، كما قال الله جل ثناؤه، والتكوير في كلام العرب: جمع بعض الشيء إلى بعض، وذلك كتكوير العمامة، وهو لفها على الرأس، وكتكوير الكارة، وهي جمع الثياب بعضها إلى بعض، ولفها، وكذلك قوله: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}، إنما معناه: جمع بعضها إلى بعض، ثم لفت فَرُمِي بها، وإذا فعل ذلك بها ذهب ضوءها فعلى التأويل الذي تأوّلناه وبيَّناه لكلا القولين اللَّذين ذكرت عن أهل التأويل وجه صحيح، وذلك أنها إذا كُوِّرت ورُمي بها، ذهب ضوءها"[٦].

قوله تعالى:{وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ} [التكوير: ٢]، أي:" وإذا النجوم تناثرت، فذهب نورها"[٧].

وفي قوله تعالى:{وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ} [التكوير: ٢]، وجوه من التفسير:

أحدها : تناثرت، قاله الربيع بن خيثم[٨]، ومجاهد[٩]، وأبو صالح[١٠].

قال ابن كثير:" أي : انتثرت، كما قال تعالى :{وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ} [الانفطار : ٢]، وأصل الانكدار : الانصباب"[١١].

الثاني : تغيرت فلم يبق لها ضوء ، قاله ابن عباس[١٢].

الثالث : تساقطت وتهافتت، قاله قتادة[١٣]، ومنه قول العجاج[١٤]:

أبصَرَ خرْبان فضاء فانكَدَرْ ... تَقضِّيَ البازي إذا البازي كَسَر

---

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير" :٣٢٩/٨.

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٣٢٩/٨، ورواه الديلمي في مسنده، كما في الدر المنثور للسيوطي (٤٢٦/٨).

(٣)صحيح البخاري برقم (٣٢٠٠).

(٤) رواه البزاز، كما في تفسير ابن كثير: ٣٢٩/٨.

(٥) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير" :٣٢٩/٨. قال ابن كثير:" هذا حديث ضعيف ؛ لأن يزيد الرقاشي ضعيف".

(٦) تفسير الطبري: ٢٣٨/٢٤-٢٣٩.

(٧) التفسير الميسر: ٥٨٦.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٩/٢٤.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٩/٢٤.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٩/٢٤.

(١١) تفسير ابن كثير: ٣٢٩/٨.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٩/٢٤-٢٤٠.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٩/٢٤.

(١٤)ديوانه" ص ١٧، "تفسير الطبري" ١٥٧/١٢، "الإغفال" ٥٤١، "المحتسب" ١/ ١٥٧، "سمط اللآلي" ٢/ ٧١٠، "شرح ابن يعيش" ١٠/ ٢٥، "اللسان" (قضض، ضبر) وتقضي: بمعنى: انقض وتقضض على التحويل، وكسر الطائر يكسر كسرًا وكسورًا، إذا ضم جناحيه حتى ينقض.

وقال ابن زيد:" رُمِي بها من السماء إلى الأرض"[١].

قوله تعالى:{وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ} [التكوير: ٣]، أي:" وإذا الجبال سيِّرت عن وجه الأرض فصارت هباءً منبثًا"[٢].

قال الطبري:" يقول: وإذا الجبال سيرها الله، فكانت سرابا، وهباء منبثا"[٣].

قال ابن كثير:" أي : زالت عن أماكنها ونُسِفت، فتركت الأرض قاعا صفصفا"[٤].

عن مجاهد: "{وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ}، قال: ذهبت"[٥].

عن الربيع بن خُثَيْم، "{وإذا الجِبالُ سُيِّرَتْ}، قال: سارَتْ"[٦].

قوله تعالى:{وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ} [التكوير: ٤]، أي:" وإذا النوق الحوامل تُركت وأهملت"[٧].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ} [التكوير: ٤]، أقوال:

أحدها: أن «العشار»: جمع «عشراء»، وهي الناقة إذا صار لحملها عشرة أشهر، وهي أنفس أموالهم عندهم، وهذا قول أبيّ بن كعب[٨]، والحسن[٩]، ومجاهد[١٠]، وقتادة[١١]، والضحاك[١٢]، والربيع خثيم[١٣]، ومقاتل[١٤]، والأصمعي[١٥]، والفراء[١٦]، وأبي عبيدة[١٧]، والزجاج[١٨]، وحكاه وحكاه القرطبي عن الأكثرين[١٩]، ومنه قول الأعشى[٢٠]:

هُوَ الواهِبُ المِئَةَ المُصْطفاةَ، ... إمَّا مِخاضاً وإمَّا عِشَارا

فتعطل العشار لاشتغالهم بأنفسهم من شدة خوفهم.

قال الأصمعي: "العشراء: النّاقة إذا أتى عليها من حملها عشرة أشهر"[٢١].

وقال أبو عبيدة: "الناقة إذا أتى عليها من حملها ستة أشهر إلى أن تضع وبعد ذلك وهم يتفقدونها وتعزّ عليهم"[٢٢].

قال الفراء:" العشار: لقح الإبل عطلها أهلها لاشتغالهم بأنفسهم"[٢٣].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٣٩/٢٤.
(٢) التفسير الميسر: ٥٨٦.
(٣) تفسير الطبري: ٢٤٠/٢٤.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٣٠/٨.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢٤.
(٦)عزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر.
(٧) التفسير الميسر: ٥٨٦.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٠/٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٠/٢٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٠/٢٤.
(١١)انظر: تفسير الطبري: ٢٤١/٢٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٤١/٢٤.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٠/٢٤.
(١٤)انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١٤٤):ص٣٤٠٣/١٠.
(١٥) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ٩٨/٥.
(١٦) انظر: معاني القرآن: ٢٣٩/٣.
(١٧) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ٩٨/٥.
(١٨) انظر: معاني القرآن: ٢٨٩/٥.
(١٩) انظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة :٢١٢، ٢١٣. قال ابن كثير: ٣٣٠/٨-٣٣١:" حكى هذه الأقوال كلها الإمام أبو عبد الله القرطبي في كتابه "التذكرة"، ورجح أنها الإبل، وعزاه إلى أكثر الناس، قلت : بل لا يعرف عن السلف والأئمة سواه".
(٢٠)البيت في ديوانه (٤٠)، والإيضاح (١٠٥)، تحقيق د. هنداوي.
(٢١) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ٩٨/٥.
(٢٢) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ٩٨/٥.
(٢٣) معاني القرآن: ٢٣٩/٣.

قال الزجاج:" {الْعِشَارُ}: النوق الحوامل التي في بطونها أولاها، والواحِدَةُ عُشَراء، وإنما قيل لها عشار لأنها إذا أتت عليها عَشَرةُ أشهُرٍ - وهي تضع إذا وضعت لِتَمام في سنة - فَهِيَ عُشَراء، أحسن ما يكون في الحملُ، فليس يعطلها أهلها إلا في حال القيامة، وخوطبت العرب بأمر العِشار لأن مالها وَعَيْشَها أكثرهُ من الِإبل"[١].

عن مجاهد: {وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ}، قال: عشار الإبل"[٢].

قال مجاهد:" العشار: هي الإبل عطلها أربابها"[٣].

قال قتادة:" عشار الإبل سيبت"[٤].

قال قتادة:" سيبها أهلوها أتاهم ما شغلهم عنها، فلم تصر ولم تحلب، ولم يكن في الدنيا مال أعجب إليهم منها"[٥].

قال مقاتل:" يعني: وإذا النوق الحوامل أهملت، يعني: الناقة الحاملة نسيها أربابها، وذلك أنه ليس شيء أحب إلى الأعراب من الناقة الحاملة، يقول: أهملها أربابها للأمر الذي عاينوه"[٦].

وعن الليث بن سعد-من طريق ابن وهب- قال: "كان بعض مَن مضى يقول في قول الله: {وإذا العِشارُ عُطِّلَتْ}: العِشار: اللقاح عُطِّلتْ"[٧].

وفي «عطلت» وجهان من التفسير:

أحدهما : أُهملت، قاله أبيّ بن كعب[٨]. وهو معنى قول عن مجاهد[٩]، وقتادة[١٠]، والضحاك[١١].

عن أبيّ بن كعب: "{وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ}، قال: إذا أهملها أهلها"[١٢].

قال مجاهد:" سُيِّبت: تُركت"[١٣]. وروي عن قتادة نحوه[١٤].

وقال الضحاك:" يقول: لا راعي لها"[١٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وإذا هذه الحوامل التي يَتَنافس أهلها فيها أُهملت فتركت، من شدة الهول النازل بهم فكيف بغيرها؟!"[١٦].

الثاني : لم تحلب ولم تدر ، قاله الحسن[١٧]، والربيع بن خثيم[١٨]، ويحيى بن سلام[١٩].

قال الربيع:" خلا منها أهلها لم تُحْلب ولم تُصرّ"[٢٠]. وفي لفظ:" لم تحلب ولم تصر، وتخلَّى منها أربابها"[١].

---

(١) معاني القرآن: ٢٨٩/٥.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢٤.
(٣) تفسير مجاهد: ٧٠٧.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٤١/٢٤.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٤٤):ص٣٤٠٣/١٠.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠١/٤.
(٧)أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع -تفسير القرآن ٢/ ١٥٧ (٣٢٤).
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٠/٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٠/٢٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٤١/٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٤١/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢٤.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٤١/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٢٤١/٢٤.
(١٦) تفسير الطبري: ٢٤٠/٢٤.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٠/٢٤.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٠/٢٤.
(١٩) انظر: النكت والعيون: ٢١٢/٦.
(٢٠) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢٤.

قال الحسن:" سيبها أهلها فلم تصر، ولم تحلب، ولم يكن في الدنيا مال أعجب إليهم منها"[٢].

قال السمعاني:" الْمعْنَى: أن كل إِنْسَان يشْتَغل بِنَفسِهِ عَن كل شَيْء، وَإِن كَانَ عَزِيزًا عِنْده"[٣].

قال ابن كثير:" المعنى في هذا كله متقارب. والمقصود أن العشار من الإبل - وهي : خيارها والحوامل منها التي قد وَصَلت في حملها إلى الشهر العاشر - واحدها : عُشَراء، ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع - قد اشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها، بعد ما كانوا أرغب شيء فيها، بما دَهَمهم من الأمر العظيم المُفظع الهائل، وهو أمر القيامة وانعقاد أسبابها، ووقوع مقدماتها"[٤].

قال الرازي:" الغرض من ذلك ذهاب الأموال وبطلان الأملاك، واشتغال الناس بأنفسهم كما قال: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: ٨٨، ٨٩] وقال: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادى كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الأنعام: ٩٤]"[٥].

القول الثاني: أن «العشار»:السحاب، تعطلت عما فيها من الماء، فلا تمطر. حكاه الماوردي[٦].

قال ابن كثير:" وقد قيل في العشار : إنها السحاب يُعطَّل عن المسير بين السماء والأرض، لخراب الدنيا "[٧].

الثالث : أنها الأرض التي يعشر زرعها فتصير للواحد عُشراً، تعطل فلا تزرع. أفاده الماوردي[٨].

وقرأت في "ياقوتة الصراط" لغلام ثعلب:" {وَإذا العشار عطلت} أي: الدور مات أهلها، فتعطلت"[٩].

قوله تعالى:{وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ} [التكوير: ٥]، أي:" وإذا الحيوانات الوحشية جُمعت واختلطت؛ ليقتصَّ الله من بعضها لبعض"[١٠].

قال الواحدي:" كل شيء من دواب الأرض مما لا يستأنس فهو وَحْشٌ، والجمع: وحوش"[١١].

وفي قوله تعالى:{وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ} [التكوير: ٥]، وجهان من التفسير:

أحدهما : أن حشرها: إحياؤها يوم القيامة ليقتص لبعضها من بعض. قاله ابن عباس[١٢]، وقتادة[١٣]، والربيع[١٤]، والسدي[١٥]، مقاتل[١٦]، وحكاه الواحدي عن أكثر المفسرين[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢٤.
(٣) تفسير السمعاني: ١٦٥/٦.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٣٠/٨.
(٥) مفاتيح الغيب: ٦٤/٣١.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٢١٢/٦، ومفاتيح الغيب: ٦٤/٣١، وتفسير ابن كثير: ٣٣٠/٨.
(٧) تفسير ابن كثير: ٣٣٠/٨.
(٨) انظر: النكت والعيون: ٢١٢/٦. وكأننا اليوم نعيش هذا العشار، حيث أن الزرع «الحنطة والشعير» إذ لا تصير للواحد أكثر من العشر إلا إذا استخدم صاحب الزرع وسائط من السماد الكيمياوي واستخدام آلة مرشة الماء الاصطناعي. سبحان الله.
(٩)ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن: ٥٥٨.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٨٦.
(١١) التفسير البسيط: ٢٥٣/٢٣، وانظر: تهذيب اللغة" ٥/ ١٤٣: (وحش).
(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١٤٨):ص٣٤٠٤/١٠.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٢/٢٤.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ٢١٢/٦.
(١٥) انظر: النكت والعيون: ٢١٣/٦، وزاد المسير: ٤٠٦/٤.
(١٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠١/٤.

قال ابن عباس:" تحشر الوحوش كلها حَتَّى الدُّبَابُ يُحْشَرُ للقصاص"[٢].
قال أُبيّ بن كعب:" اختلطت، فصارت بين الناس"[٣].
قال ابن فورك:" أي: تغيرت الأمور حتى صارت الوحوش التي تشرد تجتمع مع الناس"[٤].
قال قتادة:" هذه الخلائق موافية يوم القيامة، فيقضي الله فيها ما يشاء"[٥].
قال السدي:" حشرت إلى القيامة للقضاء، فيقتص للجمّاء[٦] من القرناء"[٧].
وفي رواية عن الربيع خيثم:" أتى عليها أمر الله"[٨].
قال الزجاج:" قيل: تحشر الوحوش كلها حَتَّى الدُّبَابُ يُحْشَرُ للقصاص"[٩].
قال النحاس:" حشرت يوم القيامة ليعوّضها الله مما لحقها من الألم في الدنيا"[١٠].
قال ابن أبي زمنين:" جمعت؛ ليقتص لبعضها من بعض ثم يقال لها: كوني ترابا"[١١].
قال القشيري:" أحييت، وجمعت في القيامة ليقتصّ لبعضها من بعض فيقتصّ للجمّاء من القرناء، وهذا على جهة ضرب المثل إذ لا تكليف عليها"[١٢].
الثاني : أن حشرها: بموتها ، قاله ابن عباس-أيضا- [١٣]، وعكرمة[١٤].
قال ابن عباس:" حَشْرُ البهائم: موتها، وحشر كل شيء: الموت، غير الجنّ والإنس، فإنهما يوقفان يوم القيامة"[١٥].
قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى حشرت: جمعت، فأميتت، لأن المعروف في كلام العرب من معنى الحشر: الجمع، ومنه قول الله: {وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً}، يعني: مجموعة. وقوله: {فَحَشَرَ فَنَادَى}، وإنما يحمل تأويل القرآن على الأغلب الظاهر من تأويله، لا على الأنكر المجهول"[١٦].
قال تاج القراء:" الغريب: تحشر في الدنيا، فتجتمع الوحوش المتعادية فلا يضر بعضها بعضاً لهول ذلك اليوم، العجيب: قول من قال: القصاص ساقط عنها، وإنما تحشر للتعويض عما نالها من الآلام والشدائد، ثم تصير تراباً. ومنهم من قال: يخلق الله لها رياضا فترعى فيها. ومنهم من قال: ما كان في لقائها أو صوتها أنس يدخل الجنة، ويفنى ما سواها"[١٧].
قوله تعالى:{وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ} [التكوير: ٦]، أي:" وإذا البحار أوقدت، فصارت على عِظَمها نارًا تتوقد"[١٨].
وفي قوله تعالى:{وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ} [التكوير: ٦]، وجوه من التفسير:

---

(١) انظر: التفسير البسيط: ٢٥٤/٢٣. قال السمعاني١٦٥/٦: وهو الأظهر".
(٢)أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٤٨):ص٣٤٠٤/١٠.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٤١/٢٤.
(٤) تفسير ابن فورك: ١٥٧/٣.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٤٢/٢٤.
(٦) الجماء: ما ليس لها قرن، وفي أمثالهم «عند النطاح يغلب الكبش الأجم».
(٧) انظر: النكت والعيون: ٢١٣/٦.
(٨) .
(٩) معاني القرآن: ٢٨٩/٥.
(١٠) إعراب القرآن: ٩٨/٥.
(١١) تفسير ابن أبي زمنين: ٩٩/٥.
(١٢) لطائف الإشارات: ٦٩٢/٣.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٤١/٢٤.
(١٤) رواه الفراء في "معاني القرآن": ٢٣٩/٣.
(١٥) أخرجه الطبري: ٢٤١/٢٤.
(١٦) تفسير الطبري: ٢٤٢/٢٤.
(١٧) غريب التفسير وعجائب التأويل: ١٣١٢/٢.
(١٨) التفسير الميسر: ٥٨٦.

أحدها : يبست، قاله الحسن[١]، وقتادة[٢].

قال قتادة:" غار ماؤها فذهب"[٣].

وعن المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن الحسين، في هذا الحرف :"{وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ}، قال: يبست"[٤].

الثاني : فاضت ، قاله الربيع بن خيثم[٥]، والحسن[٦].

الثالث : ملئت، أرسل عذبها على مالحها، ومالحها على عذبها حتى امتلأت، قاله أبو الحجاج[٧]، والكلبي[٨].

قال ابن أبي زمنين:" «سجرت» حقيقته: ملئت، فيفضي بعضها إلى بعض فتصير شيئا واحدا"[٩].

عن الكلبي، في قوله: "{وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ}، قال: مُلئت، ألا ترى أنه قال: {وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ}"[١٠].

قال النحاس:" معروف في اللغة أن يقال: سجرت الشيء، ملأته. كما قال[١١]:

فَتَوَسَّطا عُرْضَ السَّرِيّ وَصَدَّعا ... مَسْجُورَةٌ مُتَجاوِرًا قُلامُها

وقال[١٢]:

إذا شاء طالَعَ مَسْجُورَةً ... تَرَى حَوْلَهَا النَّبْعَ والسَّاسَمَا

أي: مملوءة"[١٣].

قال أبو عبيدة:"{الْبَحْرِ الْمَسْجُور}: بعضه في بعض من الماء"[١٤]. ثم استشهد بالبيت السابق للنّمر بن تولب[١٥].

الرابع : فُجِّرت فصارت بحراً واحداً ، قاله الضحاك[١٦].

قال الفراء:" أفضى بعضها إلى بعض، فصارت بحرا واحدا"[١٧].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٣/٢٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٣/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٤٣/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٤٣/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٣/٢٤.
(٦) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: ٩٩/٥.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٢١٣/٦.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٣/٢٤.
(٩) تفسير ابن أبي زمنين: ٩٩/٥.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٤٣/٢٤.
(١١)الشاهد للبيد في ديوانه ٣٠٧، وشرح القصائد العشر للتبريزي ص ١٧٦، وجمهرة أشعار العرب" ص ٦٨، و"المُحتسب" ٢/ ٣٧١، ولسان العرب (سجر) و (عرض) و (صدع) ، و (قلم) ، وتهذيب اللغة ٩/ ١٨١، وجمهرة اللغة ٧٤٧، وتاج العروس (عرض) و (صدع) ، وكتاب العين ١/ ٢٧٦، ومقاييس اللغة ٤/ ٢٧٥، ومجمل اللغة ٣/ ٤٧٠، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٤٥٧.
وقوله: (قُلاَمُهَا) ضرب من شجر الحمض، ويروى (أقلامها) وهو قصب اليراع. والسَّرِيُّ: النهر الصغير والجمع الأسرية.
والبيت في وصف العير والأتان، وقد توسطا جانب النهر الصغير وشقا عينًا مملوءة ماء، قد كثر نبتها.
(١٢)الشاهد للنمر بن تولب في "ديوانه" ص ١٦٥، "الخزانة" ١١/ ٩٥، "مجاز القرآن" ٢/ ٢٣٠، "تفسير غريب القرآن" ص ٤٢٤ والنبع: شجر أصفر العود رزينة ثقيلة في اليد، إذا تقادم احمر.
والساسم: قيل هو جمع سِمْسِمِ، وقد يكون من الخشب يشبه الأبنوس. "اللسان" ١/ ٥٦٩ (نبع) ٢/ ١٤٢ (سسم).
(١٣) إعراب القرآن: ٩٩/٥.
(١٤) مجاز القرآن: ٢٣٠/٢.
(١٥)إذا شاء طالَعَ مَسْجُورَةً ... تَرَى حَوْلَهَا النَّبْعَ والسَّاسَمَا، سبق تخريجه في قول النحاس أعلاه.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٣/٢٤.
(١٧) معاني القرآن: ٢٣٩/٣.

الخامس : فتحت وسيرت كما سيرت الجبال ، قاله السدي[١].
السادس : هو حمرة مائها حتى تصير كالدم ، مأخوذ من قولهم: عين سجراء، أي: حمراء. حكاه الماوردي[٢].

وقال العلاء بن بدر: "إنما سمي: البحر المسجور، لأنه لا يشرب منه ماء، ولا يسقى به زرع، وكذلك البحار يوم القيامة"[٣].

السابع : جُعِلَتْ مياهها نيراناً بها يعذّب أهل النَّار. حكاه الزجاج[٤].

قال النحاس:" وقيل: هذه بحار في جهنم إذا كان يوم القيامة. سجّرت أي: ملئت بأنواع العذاب"[٥].

الثامن : يعني: أوقدت فانقلبت ناراً ، قاله عليّ -رضي الله عنه-[٦]، وابن عباس[٧]، وأُبي بن كعب[٨]، وعكرمة[٩]،ومجاهد[١٠]، وسفيان[١١]، وابن زيد[١٢]، وشمر بن عطية[١٣]، ووهب بن منبه[١٤].

عن سفيان: "{وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ}، قال: أوقدت"[١٥].

قال مجاهد:" يقول: أوقدت"[١٦].

قال ابن عباس:" كوّر الله الشمس والقمر والنجوم في البحر، فيبعث عليها ريحا دبورا، فتنفخه حتى يصير نارا، فذلك قوله: {وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ}"[١٧].

قال ابن عباس:" تسجر حتى تصير نارا"[١٨].

قال أبيّ بن كعب:" قالت الجنّ للإنس: نحن نأتيكم بالخبر، فانطلقوا إلى البحار، فإذا هي تأجج نارا"[١٩].

عن سعيد بن المسيب، قال: "قال عليّ رضي الله عنه لرجل من اليهود: أين جهنم؟ فقال: البحر، فقال: ما أراه إلا صادقا: {وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ}، {وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ}، مخففة"[٢٠].

عن شمر بن عطية، قوله: "{وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ}، قال: بمنزلة التنور المسجور {وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ}، مثله"[٢١].

قال ابن زيد:" إنها توقد يوم القيامة، زعموا ذلك التسجير في كلام العرب"[١].

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١٤٩):٣٤٠٤/١٠، والنكت والعيون: ٢١٣/٦.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٢١٣/٦.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٦٧٩):ص٣٣١٥/١٠.
(٤) انظر: معاني القرآن: ٢٩٠/٥، وحكاه الماوردي: ٢١٣/٦ عن ابن عيسى..
(٥) إعراب القرآن: ٩٩/٥.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٢/٢٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٢/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٢/٢٤.
(٩) انظر: تفسير مجاهد: ٧٠٧.
(١٠) انظر: تفسير مجاهد: ٧٠٧.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٣/٢٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٢/٢٤.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٢/٢٤.
(١٤) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٥٠٣):ص٣٩٥/٣.
(١٥) أخرجه الطبري: ٢٤٣/٢٤.
(١٦) تفسير مجاهد: ٧٠٧.
(١٧) أخرجه الطبري: ٢٤٢/٢٤.
(١٨) تفسير مجاهد: ٧٠٧.
(١٩) أخرجه الطبري: ٢٤٢/٢٤.
(٢٠) أخرجه الطبري: ٢٤٢/٢٤.
(٢١) أخرجه الطبري: ٢٤٢/٢٤.

عن بن سليمان أبو سليمان النفاط - شيخٌ صَالِح يُشبهُ مالكَ بن أنس - عن معاوية بن سعيد قال : "إن هذا البحر بركة - يعني بحر الرُّوم - وسط الأرض، والأنهار كلها تصب فيه، والبحر الكبير يصب فيه، وأسفله آبار مطبقة بالنحاس، فإذا كان يوم القيامة أسجر"[٢].

وفي سنن أبي داود : "لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز، فإن تحت البحر نارا، وتحت النار بحرا" الحديث[٣].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: مُلئت حتى فاضت، فانفجرت وسالت كما وصفها الله به في الموضع الآخر، فقال: " وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ " والعرب تقول للنهر أو للرَّكيّ المملوء: ماء مسجور؛ ومنه قول لبيد[٤]:

فَتَوَسَّطا عُرْضَ السَّرِيّ وَصَدَّعا ... مَسْجُورَةً مُتَجاوِرًا قُلامُها

ويعني بالمسجورة: المملوءة ماء"[٥].

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتخفيف «سجرت»، إخباراً عن حالها مرة واحدة ، وقرأ الباقون بالتشديد، إخباراً عن حالها في تكرار ذلك منها مرة بعد أخرى[٦].

قوله تعالى:{وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ} [التكوير: ٧]، أي:" وإذا النفوس قُرنت بأمثالها ونظائرها"[٧].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ} [التكوير: ٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : أُلحِقَ كلُّ إنسان بشكله، وقُرِنَ بين الضُّرَباءِ والأمثال. وهذا قول عمر بن الخطاب[٨]، والحسن[٩]، ومجاهد[١٠]، وقتادة[١١]، والربيع بن خثيم[١٢]. واختاره الطبري[١٣]، وابن كثير[١٤].

قال ابن قتيبة:" قُرنتْ بأشكالها في الجنة والنار"[١٥].

قال ابن عطية:" وفي الآية على هذا حض على خليل الخبر، فقد قال عليه السلام: «المرء مع من أحب»[١٦]، وقال: «فلينظر أحدكم من يخالل»[١]، وقال الله تعالى:

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٤٢/٢٤.

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٣٣١/٨. قال ابن كثير:"هذا أثر غريب عجيب".

(٣)سنن أبي داود برقم (٢٤٨٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٤)في ديوانه ٣٠٧، وشرح القصائد العشر للتبريزي ص ١٧٦. وسبق تخريجه في كلام النحاس ضمن القول الثالث.

(٥) تفسير الطبري: ٢٤٣/٢٤-٢٤٤.

(٦) انظر: السبعة في القراءات: ٦٧٣، وتفسير الطبري: ٢٤٤/٢٤، والنكت والعيون: ٢١٣/٦.

(٧) التفسير الميسر: ٥٨٦.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٥/٢٤.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٥/٢٤.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٥/٢٤.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٥/٢٤.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٥/٢٤.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٦/٢٤.

(١٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٣٣/٨.

(١٥) غريب القرآن: ٥١٦.

(١٦)حديث أنس: أخرجه ابن أبى شيبة (٥٠٣/٧، رقم ٣٧٥٦١) ، وأحمد (١٠٤/٣، رقم ١٢٠٣٢) ، والبخارى (٢٢٨٣/٥، رقم ٥٨١٩) ، ومسلم (٢٠٣٢/٤، رقم ٢٦٣٩) ، وأبو داود (٣٣٣/٤، رقم ٥١٢٧) ، والترمذى (٥٩٥/٤، رقم ٢٣٨٥) وقال: صحيح. وأخرجه أيضا: عبد بن حميد (ص ٣٧٧، رقم ١٢٦٥) ، وأبو يعلى (٢٧٠/٥، رقم ٢٨٨٨) ، وابن حبان (٣٠٨/١، رقم ١٠٥) ، والطبرانى فى الأوسط (٢٦٧/٧، رقم ٧٤٦٥) ، وفى الصغير (١٠٩/١، رقم ١٥٤) .

حديث عبد الله بن مسعود: أخرجه البخارى (٢٢٨٣/٥، رقم ٥٨١٦) ، ومسلم (٢٠٣٤/٤، رقم ٢٦٤٠) . وأخرجه أيضا: الطبرانى (١٢/١٠، رقم ٩٧٨١) .

حديث أبى ذر: أخرجه أيضا: الدارمى (٤١٤/٢، رقم ٢٧٨٧) .

الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ [الزخرف: ٦٧]"[٢].

قال عمر-رضي الله عنه-:"يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة، وبين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار"[٣].

عن سماك، عن النعمان بن بشير، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، والنعمان عن عمرو قال: "{وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ}، قال: الضرباء كلّ رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله، وذلك أن الله يقول: {وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ}، قال: هم الضرباء"[٤].

قال عمر-رضي الله عنه-:" أُلحِقَ كلُّ إنسان بشكله، وقُرِنَ بين الضُّرَباءِ والأمثال"[٥].

وفي لفظ:" هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة، وقال: {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ}، قال: ضرباءَهم"[٦].

قال النعمان بن بشير: "سمعت عمر بن الخطاب وهو يخطب، قال: {وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ}، ثم قال: {وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ}، قال: أزواج في الجنة، وأزواج في النار"[٧].

عن ابن عباس، قوله: "{وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ}، قال: ذلك حين يكون الناس أزواجا ثلاثة"[٨].

قال الحسن:" ألحق كلّ امرئ بشيعته"[٩].

حديث جابر: أخرجه عبد بن حميد (ص ٣٢١، رقم ١٠٥٤) . وأخرجه أيضا: الحارث كما فى بغية الباحث (٩٩٠/٢، رقم ١١٠٦) .

حديث أبى موسى: أخرجه أحمد (٣٩٥/٤، رقم ١٩٥٤٤) ، والبخارى (٢٢٨٣/٥، رقم ٥٨١٨) . وأخرجه أيضا: ابن حبان (٣١٦/٢، رقم ٥٥٧) ، والطبرانى فى الأوسط (٩١/٦، رقم ٥٨٩٣).

حديث عروة بن مضرس: أخرجه الطبرانى (١٥٤/١٧، رقم ٣٩٥) . وأخرجه أيضا: ابن قانع (٢٦٤/٢) ، والطبرانى فى الأوسط (٣٥٢/٢، رقم ٢٢٠٦) ، وفى الصغير (٥٧/١، رقم ٥٩) . قال الهيثمى (٢٨١/١٠) : رجاله رجال الصحيح غير زيد بن الحريش وهو ثقة.

حديث صفوان بن عسال: أخرجه الطيالسى (ص ١٦٠، رقم ١١٦٧) ، وأحمد (٢٣٩/٤، رقم ١٨١١٦) ، والترمذى (٥٩٦/٤، رقم ٢٣٨٧) وقال: حسن صحيح. والطبرانى (٥٨/٨، رقم ٧٣٥٨) ، والضياء (٣٣/٨، رقم ٢٦) . وأخرجه أيضا: النسائى فى الكبرى (٣٤٤/٦، رقم ١١١٧٨) ، والطبرانى فى الأوسط (٤٢/٤، رقم ٣٥٦٣) .

حديث صفوان بن قدامة: أخرجه ابن قانع (١٥/٢) ، والطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٢٨١/١٠) قال الهيثمى: فيه مسلم بن كيسان الملائى، وهو ضعيف. والضياء (٤٨/٨، رقم ٣٩).

حديث عبد الرحمن بن صفوان: أخرجه الطبرانى فى الكبير كما فى مجمع الزوائد (٢٨١/١٠) . وأخرجه أيضا: في الأوسط (٢٨٦/٢، رقم ٢٠٠١) ، وفى الصغير (٩٨/١، رقم ١٣٣) . قال الهيثمى (٢٨١/١٠) : فيه موسى بن ميمون المرائى وهو ضعيف.

حديث معاذ: أخرجه الطبرانى (٧٤/٢٠، رقم ١٣٨) قال الهيثمى (٢٨١/١٠) : فيه الخصيب بن جحدر وهو كذاب.

(١) الحديث:«الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل».
أخرجه أبو داود (٢٥٩/٤، رقم ٤٨٣٣) ، والترمذى (٥٨٩/٤، رقم ٢٣٧٨) وقال: حسن غريب. وأخرجه أيضا: عبد بن حميد (ص ٤١٨، رقم ١٤٣١).

(٢) المحرر الوجيز: ٤٤٢/٥.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٤٥/٢٤.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٤٤/٢٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٤٤/٢٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٤٤/٢٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٤٤/٢٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٤٥/٢٤.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٤٥/٢٤.

قال قتادة:" لحق كلُّ إنسان بشيعته، اليهود باليهود، والنصارى بالنصارى"[١].
قال مجاهد:" الأمثال من الناس جُمِع بينهم"[٢].
قال الربيع بن خثيم:" يحشر المرء مع صاحب عمله"[٣]. وفي لفظ:" يجيء المرء مع صاحب عمله"[٤].
الثاني: أن الأرواح ردّت إلى الأجساد فزوّجت بها، أي: جعلت لها زوجا. قاله ابن عباس[٥]، وأبو العالية[٦]، وعكرمة[٧]، وسعيد بن جبير[٨]، والشعبي[٩]، والحسن البصري[١٠].
قال عكرمة:" الأرواح ترجع إلى الأجساد"[١١]. وفي لفظ:" ردّت الأرواح في الأجساد"[١٢].
قال الشعبيّ:" زوّجت الأجساد فردّت الأرواح في الأجساد"[١٣].
روي عن أبي العالية في قوله: "{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}، قال: سيأتي أوّلها والناس ينظرون، وسيأتي آخرها إذا النفوس زوّجت"[١٤].
روي سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال : "يسيل واد من أصل العرش من ماء فيما بين الصيحتين، ومقدار ما بينهما أربعون عاما، فينبت منه كل خلق بلي، من الإنسان أو طير أو دابة، ولو مر عليهم مار قد عرفهم قبل ذلك لعرفهم على الأرض. قد نبتوا، ثم تُرسَل الأرواح فتزوج الأجساد، فذلك قول الله تعالى :{وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ}"[١٥].
الثالث: زوج المؤمنون بالحور العين، وزوج الكافرون بالشياطين. قاله عطاء[١٦]، ومقاتل[١٧]، وحكاه القرطبي في "التذكرة"[١٨].
قال مقاتل:" أزوجت أنفس المؤمنين مع الحور العين، وأزوجت أنفس الكافرين مع الشياطين يعني ابن آدم وشيطانه مقرونا في السلسلة الواحدة زوجان، نظيرها في سورة الصافات قوله- عز وجل-: {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ} [الصافات : ٢٢]، يعنى: قرناءهم"[١٩].
قال سهل:" قيل: زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين، وزوجت نفوس الكفار بالشياطين، قد قرن بين الكافر والشيطان في سلسلة واحدة. وفي الآية تحذير من قرناء السوء.

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٤٥/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٤٥/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٤٥/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٤٥/٢٤.
(٥) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٣٣٣/٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٦/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٤٦/٢٤.
(٨) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٣٣/٨.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٤٦/٢٤.
(١٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٣٣/٨.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٤٦/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٤٦/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٤٦/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٢٤٦/٢٤.
(١٥) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٣٣٣/٨.
(١٦) انظر: زاد المسير: ٤٠٦/٤.
(١٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠١/٤.
(١٨) انظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة : ٢١٣.
(١٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠١/٤.

قرن بين نفس الطبع ونفس الروح، فامتزجا في نعيم الجنة، كما كانا في الدنيا مؤتلفين على إدامة الذكر وإقامة الشكر"[١].

قال الطبري:" وأولى التأويلين في ذلك بالصحة، الذي تأوّله عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعلة التي اعتلّ بها، وذلك قول الله تعالى ذكره: {وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً}، وقوله: {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ}، وذلك لا شكّ الأمثال والأشكال في الخير والشرّ، وكذلك قوله: {وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ} بالقرناء والأمثال في الخير والشرّ"[٢].

قوله تعالى:{وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} [التكوير: ٨]، أي:" وإذا الطفلة المدفونة حية سُئلت يوم القيامة سؤالَ تطييب لها وتبكيت لوائدها: بأيِّ ذنب كان دفنها؟"[٣].

قال ابن قتيبة:" {الْمَوْءُودَةُ} البنت تُدْفَنُ حيَّةً"[٤].

قال الماوردي:" كان الرجل في الجاهلية إذا ولدت امرأته بنتاً دفنها حية ، إما خوفاً من السبي والاسترقاق ، وإما خشية الفقر والإملاق ، وكان ذوو الشرف منهم يمتنعون من هذا ويمنعون منه حتى افتخر الفرزدق، فقال[٥]:

ومِنَّا الذي مَنَعَ الوائِداتِ ... فأحْيا الوَئِيدَ فلم تُوأدِ

وسميت «موءودة»، للثقل الذي عليها من التراب ، ومنه قوله تعالى : { وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا } [البقرة : ٢٥٥]، أي: لا يثقله ، وقال متمم بن نويرة [٦]:

وموءودةٍ مقبورة في مفازةٍ ... بآمتها موسودة لم تُمهّدِ"[٧].

وروي أنّ أول قبيلة وأدت من العرب ربيعة، حيث أن بنتا لأمير لهم وقعت أسيرة في أيدي قبيلة أغارت عليها، فلما عقد الصلح، لم تشأ البنت العودة إلى بيت أبيها، واختارت بيت آسرها، فغضب وسن لقومه الوأد، وقلدته بقية العرب. ويذكر أن الوأد كان مستعملاً في قبائل العرب قاطبة فكان يستعمله واحد، ويتركه عشرة، فجاء الإسلام، وقد قل ذلك فيها إلا من بني تميم، فإنهم تزايد فيهم ذلك قبيل الإسلام[٨].

واختلف هل «الْمَوْءُودَةُ»، هي السائلة أو المسئولة، على قولين [٩]:

أحدهما : -وهو قول الأكثرين- [١٠] أنها هي المسئولة : {بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ}، فتقول : لا ذنب لي، فيكون ذلك أبلغ في توبيخ قاتلها وزجره.

قال صاحب التسهيل: " «الموءودة»:هي البنت التي كان بعض العرب يدفنها حية، من كراهته لها أو غيرته عليها، فتسأل يوم القيامة بأي ذنب قتلت؟ على وجه التوبيخ"[١١].

---

(١) تفسير التستري: ١٨٧.
(٢) تفسير الطبري: ٢٤٦/٢٤.
(٣) التفسير الميسر: ٥٨٦.
(٤) غريب القرآن: ٥١٦.
(٥)البيت في الديوان (ط صادر) ١/ ١٧٣. ورواية اللسان«وأد»:
" وجَدّي الَّذِي مَنَعَ الوائداتِ ... وأحْيا الوئيدَ فَلَمْ يُوأدِ".
(٦) كذا روى البيت ونسب إلى متمم بن نويرة في تفسير القرطبي: ٢٣٢/١٩، ونسبه في اللسان وشرح القاموس مادة (عوز): إلى حسان رضى الله عنه وروى فيهما:
ومَوْءُودَةٍ مَقْرُورَةٍ فِي مَعاوِزٍ ... بِآمَتِها مَرْمُوسَةٍ لم تُوَسَّدِ
والآمة: ما يعلق بسرة المولود إذا سقط من بطن أمه. والمعاوز: خرق يلف بها الصبي.
(٧) النكت والعيون: ٢١٤/٦.
(٨)انظر: بلوغ الأرب للألوسي ٣/ ٤٢ - ٤٣، وتاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ٥/ ٢٩٩.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٦/٢٤، والنكت والعيون: ٢١٤/٦.
(١٠) حكاه الماوردي عن الأكثرين.[انظر: النكت والعيون: ٢١٤/٦].
(١١)التسهيل لعلوم التنزيل لابن الكلبي ٤/ ٣٤٦.

قال ابن كثير:" «الموءودة»: هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية البنات، فيوم القيامة تسأل الموءودة على أي ذنب قتلت، ليكون ذلك تهديدا لقاتلها، فإذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذا ؟!"[١].

الثاني : أنها هي السائلة لقاتلها لم قتلت، فلا يكون له عذر، قاله ابن عباس[٢]، وكان يقرأ : «وإذا الموءودة سألتْ»[٣].

قال مقاتل:" سئل قاتلها بأي ذنب قتلها وهي حية لم تذنب قط"[٤].

عن مسلم، في قوله: "«وَإِذَا المَوْءُودَةُ سألتْ»، قال: طلبت بدمائها"[٥].

قال أبو الضحى :"«وَإِذَا المَوْءُودَةُ سألتْ»: سألت قَتَلَتها"[٦].

قال الحسن:" {بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} أراد الله أن يُوَبِّخ قاتلها؛ لأنها قُتلتْ بغير ذنب"[٧].

عن قتادة: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ}، هي في بعض القراءات: «سألتْ بِأَيِّ ذَنْب قُتلَتْ»، لا بذنب، كان أهل الجاهلية يقتل أحدهم ابنته، ويغذو كلبه، فعاب الله ذلك عليهم"[٨].

قال الربيع بن خقيم:" كانت العرب من أفعل الناس لذلك"[٩].

قال ابن زيد في قوله: "{وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ}، قال: البنات التي كانت طوائف العرب يقتلونهنّ، وقرأ: {بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ}"[١٠].

عن قتادة، قال: "جاء قيس بن عاصم التميمي إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: إني وأدت ثماني بنات في الجاهلية، قال:«فأَعْتِقْ عَنْ كُلّ وَاحِدَةٍ بَدَنَةً»"[١١].

عن عمر بن الخطاب في قوله :{وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ [بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ}، قال : "جاء قيس بن عاصم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله، إني وأدت بنات لي في الجاهلية، فقال : "أعتق عن كل واحدة منهن رقبة". قال : يا رسول الله، إني صاحب إبل ؟ قال : "فانحر عن كل واحدة منهن بدنة"[١٢].

عن خليفة بن حُصَين قال : "قدم قيس بن عاصم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله، إني وأدتُ اثنتي عشرة ابنَة لي في الجاهلية - أو : ثلاث عشرة - قال: " أعتق عددهن نَسِما". قال : فأعتق عددهن نسما، فلما كان في العام المقبل جاء بمائة ناقة، فقال : يا رسول الله، هذه صدقة قومي على أثر ما صنعت بالمسلمين. قال علي بن أبي طالب : فكنا نريحها، ونسميها القيسية"[١٣].

عن مسرة بن معبد من بني الحارث بن أبي الحرام من لخم، عن الوضين: "أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنا كنا أهل جاهلية وعبادة أوثان، فكنا نقتل الأولاد، وكانت عندي بنت لي فلما أجابت، وكانت مسرورة بدعائي إذا دعوتها، فدعوتها يوما،

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٣٣/٨.
(٢) النكت والعيون: ٢١٤/٦.
(٣) النكت والعيون: ٢١٤/٦.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٢/٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٤٦/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٤٦/٢٤.
(٧)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٩٩ -.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٤٨/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٤٨/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٤٨/٢٤-٢٤٩.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٤٨/٢٤.
(١٢) رواه عبدالرزاق كما في "تفسير ابن كثير": ٣٣٤/٨، و قال الحافظ أبو بكر البزار : خولف فيه عبد الرزاق، ولم نكتبه إلا عن الحسين بن مهدي، عنه.[مسند البزار برقم (٢٢٨٠) "كشف الأستار"]
(١٣) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٣٣٥/٨، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٣٨/١٨) من طريق يحيى الحماني، عن قيس بن الربيع به نحوه، والحماني ضعيف لكنه توبع هنا.

فاتبعتني فمررت حتى أتيت بئرا من أهلي غير بعيد، فأخذت بيدها فرديت بها في البئر، وكان آخر عهدي بها أن تقول: يا أبتاه يا أبتاه!! فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وكف دمع عينيه، فقال له رجل من جلساء رسول الله صلى الله عليه وسلم، أحزنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: «كف فإنه يسأل عما أهمه» ثم قال له: " أعد علي حديثك فأعاده، فبكى حتى وكف الدمع من عينيه على لحيته، ثم قال له: «إن الله قد وضع عن الجاهلية ما عملوا، فاستأنف عملك» [١].

عن عائشة، عن جُدَامة بنت وهب - أخت عكاشة – قالت:" حضرتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في ناس وهو يقول : " لقد هممت أن أنهى عن الغيلة، فنظرت في الروم وفارس فإذا هم يُغيلُونَ أولادهم، ولا يضر أولادهم ذلك شيئا". ثم سألوه عن العزل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ذلك الوأد الخفي، وهو الموءودة سئلت"[٢].

عن سلمة بن يزيد الجُعْفي قال : انطلقتُ أنا وأخي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا : يا رسول الله، إن أمنا مليكة كانت تَصل الرحم وتقري الضيف، وتفعل وتفعل هلكت في الجاهلية، فهل ذلك نافعها شيئا ؟ قال : "لا". قلنا : فإنها كانت وأدت أختا لنا في الجاهلية، فهل ذلك نافعُها شيئا ؟ قال : "الوائدةُ والموءودةُ في النار، إلا أن يدركَ الوائدةَ الإسلامُ، فيعفو الله عنها"[٣].

عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الوائدة والموءودة في النار"[٤].

عن حسناء ابنة معاوية الصُّرَيمية، عن عمها قال : قلت : يا رسول الله، من في الجنة ؟ قال : "النبي في الجنة والشهيد في الجنة والمولود في الجنة والموءودة في الجنة"[٥].

عن عكرمة قال : قال ابن عباس : "أطفال المشركين في الجنة، فمن زعم أنهم في النار فقد كذب، يقول الله عز وجل :{وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ}، قال ابن عباس : هي المدفونة"[٦].

قال الشَّافِعِي -رحمه الله-: "كان بعض العرب تقتل الإناث من ولدها صغاراً خوف العَيلَةِ عليهم، والعار بهم، فلما نهى الله عز ذكره عن ذلك من أولاد المشركين دل على تثبيت النهي عن قتل أطفال المشركين في دار الحرب، وكذلك دلت عليه السنة مع ما دل عليه الكتاب، من تحريم القتل بغير حق"[٧].

قوله تعالى:{وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ} [التكوير: ١٠]، أي:" وإذا صحف الأعمال عُرضت"[٨].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وإذا صحف أعمال العباد نُشرت لهم بعد أن كانت مطوية على ما فيها مكتوب من الحسنات والسيئات"[٩].

---

(١) سنن الدارمي(٢):ص١٥٣/١. [تعليق المحقق]: إسناده رجاله ثقات غير أنه مرسل وقد تفرد بروايته الدارمي

(٢)المسند (٤٣٤/٦)، وصحيح مسلم برقم (١٤٤٢)، وسنن ابن ماجة برقم (٢٠١١).

(٣)المسند (٤٧٨/٣) وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٦٤٩).

(٤) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٣٣٤/٨، و ورواه أبو داود في السنن برقم (٤٧١٧) من طريق أبي إسحاق، عن عامر، عن علقمة، عن ابن مسعود به، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١١٤/١٠) من طريق أبي إسحاق، عن الشعبي عن علقمة، عن ابن مسعود، به.

(٥)المسند (٥٨/٥).

(٦) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٣٣٤/٨.

(٧) تفسير الإمام الشافعي: ١٤٢٥/٣.

(٨) التفسير الميسر: ٥٨٦.

(٩) تفسير الطبري: ٢٤٩/٢٤.

قال مقاتل:" وذلك أن المرء إذا مات طويت صحيفته، فإذا كان يوم القيامة نشرت للجن والإنس فيعطون كتبهم، فتعطيهم الحفظة منشورا بأيمانهم وشمائلهم"[١].

قال الزجاج:" نشرت الصحف وأعطى كل إنسان كتابه بيمينه أو بشماله على قدر عمله"[٢].

قال قتادة:" صحيفتك يا ابن آدم تملى ما فيها، ثم تُطوى، ثم تُنشر عليك يوم القيامة"[٣].

قال ابن جريج:" إذا مات الإنسان طُويتْ صحيفته، ثم تُنشر يوم القيامة، فيُحاسب بما فيها"[٤].

قوله تعالى:{وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ} [التكوير: ١١]، أي:" وإذا السماء قُلعت وأزيلت من مكانه"[٥].

قال الفراء:" نزعت وطويت"[٦].

قال السمعاني:" أي: قلعت، وقيل: نزعت"[٧].

قال ابن أبي زمنين:" يقال: كشطت السقف، أي: قلعته، فكأن المعنى: قلعت فطويت"[٨].

قال ابن قتيبة:" أي: نزعتْ فطويتْ كما يقشطُ الغِطاءُ عن الشيء"[٩].

وحكي الماوردي عن الضحاك:" يعني: ذهبت، وعن السدي: كسفت، وعن يحيي بن سلام:"طويت، كما قال تعالى : {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُب} [الأنبياء : ١٠٤]،الآية"[١٠].

قراءة عبد الله: «قشطت» بالقاف، وهما لغتان[١١].

قوله تعالى:{وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ} [التكوير: ١٢]، أي:" وإذا النار أوقدت فأضرمت"[١٢].

وفي قوله تعالى:{وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ} [التكوير: ١٢]، ثلاثة وجوه:

أحدها : أحميت ، قاله السدي[١٣].

الثاني : أُوقدت، قاله معمر عن قتادة[١٤].

قال مقاتل:" يعنى: أوقدت لأعدائه"[١٥].

قال ابن أبي زمنين:" وهي توقد منذ خلقت السموات والأرض في الستة الأيام"[١٦].

قال الزجاج:" أوقدت مرة بعد مرة"[١٧].

الثالث : سعّرها غضب الله وخطايا بني آدم ، قاله سعيد عن قتادة[١٨].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٢/٤.
(٢) معاني القرآن: ٢٩١/٥.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٤٩/٢٤.
(٤)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر .
(٥) التفسير الميسر: ٥٨٦.
(٦) معاني القرآن: ٢٤١/٣.
(٧) تفسير السمعاني: ١٦٨/٦.
(٨) تفسير ابن أبي زمنين: ١٠٠/٥.
(٩) غريب القرآن: ٥١٦.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٢١٤/٦. ولم اقف على مصادر الأقوال.
(١١) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٤١/٣.
(١٢) التفسير الميسر: ٥٨٦.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٢١٤/٦.
(١٤) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٥١٠):ص٣٩٧/٣، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩١٤٤):ص٣٤٠٣/١٠.
(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٢/٤.
(١٦) تفسير ابن أبي زمنين: ١٠٠/٥.
(١٧) معاني القرآن: ٢٩١/٥.
(١٨) انظر: النكت والعيون: ٢١٤/٦.

قوله تعالى:{وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ} [التكوير: ١٣]، أي:" وإذا الجنة دار النعيم قُرِّبت من أهلها المتقين"[١].

قال أبو عبيدة:" أدنيت"[٢].

قال الفراء:" قربت"[٣].

قال ابن أبي زمنين:" قربت من أهلها يوم القيامة"[٤].

قال مقاتل:" يعني: قربت لأوليائه"[٥].

قال الزجاج:" أي: قربت من المتقين"[٦].

عن قتادة: "{وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ}، قال: قربت"[٧].

عن الربيع بن خُثَيْم: "{وإذا الجَنَّةُ أُزْلِفَتْ}، قال: قُرِّبتْ، إلى هنا انتهى الحديث، فريق في الجنة وفريق في السعير"[٨].

قوله تعالى:{عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ} [التكوير: ١٤]، أي:" إذا وقع ذلك، تيقنتْ ووجدتْ كلُّ نفس ما قدَّمت من خير أو شر"[٩].

قال مقاتل:" يعني: علمت ما عملت فاستيقنت من خير أو شر تجزى به كل هذا يوم القيامة"[١٠].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: علمت نفس عند ذلك ما أحضرت من خير، فتصير به إلى الجنة، أو شرّ فتصير به إلى النار، يقول: يتبين له عند ذاك ما كان جاهلا به، وما الذي كان فيه صلاحه من غيره"[١١].

قال القشيري:" أيقنت كل نفس أن ما اجتهدت فيه لا يصلح لذلك المشهد، وأن من أكرم بخلع الفضل نجا، ومن قرن بجزاء أعماله خاب"[١٢].

قال الزجاج:" أي: إذا كانت هذه الأشياء التي هي في يوم القيامة، علمت في ذلك الوقت كل نفس ما أَحْضَرَتْ، أي مِنْ عَمَل، فأثيبت عَلَى قَدْرِ عَمَلِها"[١٣].

قال النحاس:" قيل: معناه: ما وجدته حاضرا، كما تقول: أحمدت فلانا، أي: أصبته محمودا"[١٤].

عن قتادة: "{عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ} : من عمل"[١٥].

قال القشيري:" هو جواب لهذه الأشياء، وهذه الأشياء تحصل عند قيام القيامة"[١٦].

قال عمر بن الخطاب : «لهذا جرى الحديث»[١٧].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٦.

(٢) مجاز القرآن: ٢٨٧/٢.

(٣) معاني القرآن: ٢٤١/٣.

(٤) تفسير ابن أبي زمنين: ١٦١/٣.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٢/٤.

(٦) معاني القرآن: ٢٩١/٥.

(٧) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٣٥١٠):ص٣٩٧/٣.

(٨)أخرجه ابن جرير ٢٤/ ٢٥٠. كما أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٥٠ - ٣٥١ من طريق سفيان، عن أبيه، عن الربيع. وعزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٩) التفسير الميسر: ٥٨٦.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٢/٤.

(١١) تفسير الطبري: ٢٥٠/٢٤.

(١٢) تفسير التستري: ١٨٧.

(١٣) معاني القرآن: ٢٩١/٥.

(١٤) إعراب القرآن: ١٠٠/٥.

(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٤٤):ص٣٤٠٣/١٠.

(١٦) لطائف الإشارات: ٦٩٣/٣. وانظر: معاني القرآن للزجاج: ٢٩١/٥.

(١٧) أخرج ابن أبي حاتم(١٩١٥٠):ص٣٤٠٤/١٠ من طريق زيد بن أسلم عن أبيه قال: لما نزلت: {إذا

قال ابن كثير:" قوله :{عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ} هذا هو الجواب، أي : إذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت وأحضر ذلك لها، كما قال تعالى :{يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا} [آل عمران : ٣٠]. وقال تعالى :{يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ} [القيامة : ١٣]"[١].

وقال الحسن : "{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} [التكوير : ١] قسم وقع على قوله: {عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ} [التكوير : ١٤][٢].

علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -، أن عمر - رضي الله عنه - كان يقرأ في خطبته يوم الجمعة: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}، حتى يبلغ: {عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ}، ثم يقطع السورة، الحديث"[٣].

فوائد الآيات:[١-١٤]:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢- بيان مفصل عن مبادىء القيامة, وخواتيمها وفي حديث الترمذي الحسن الذي قال فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «من سره أن ينظر إلي يوم القيامة فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انشقت»[٤].

٣- شنع القرآن الكريم على الذين يئدون البنات، وقبح فعلهم المبني على الظلم والجور والجهل، قال تعالى: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ(٨) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ} [التكوير: ٨ - ٩]، وقال تعالى: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ} [النحل: ٥٨ - ٥٩].

والحق أن البنت نعمة من النعم، وقد تكون البنت خيراً من الذكر، وأفضل وأصلح وأحسن وأبر، وكذلك قد تكون أنفع للإنسان من الذكر، ثم إذا احتسب ورباها وأنفق عليها وعلمها وأدبها يعظم له الأجر مما لو قام على ابنه، فكان بعضهم يئدون البنات خوفاً من العار، وبعضهم كان يقتل حتى الذكور خوفاً من الفقر إذا كثروا، وهذه قد أصبح الكفار ينشرونها بين المسلمين، وهي سنة الجاهلية السابقة أصبح الكفار من اليهود والنصارى أعداء الله وأعداء دينه ينشرونها في بلاد المسلمين، ويروجون أن كثرة الأولاد لا تنبغي، وينبغي أن الإنسان يرتب نسله خوفاً من أنه لا يستطيع التربية، ولا يستطيع تعليمهم، ولا يستطيع القيام بحقوقهم، وأن الأرض سوف تضيق بهم، وأن الأرزاق سوف تقل ثم يأتي الجوع فيموت الناس جوعاً فيقولون: بعد كذا سنة سوف يموت كذا وكذا من الآلاف أو من الملايين جوعاً. ويتصرفون في ملك الله، ويظنون أن الأمور بأيديهم، وكل هذا أريد به السوء للمسلمين فقط، أما الكفار فلا يوجد هذا عندهم، بل في بعض دول الكفر يجعلون مكافأة لمن يكون له مولود، وكلما ولد له مولود آخر أوجدوا له مكافأة ووظيفة، فهم يشجعون كثرة المواليد، فكيف يوجهون المسلمين وهم يقتلونهم؟! والأوضاع الحاضرة لا تخفى، فالمسلمون يقتلون في كل مكان كتقتيل الأنعام، وليس لهم قيمة عند هؤلاء الكفار، وكل ذلك لأن المسلمين في الواقع تركوا أمر الله وصاروا غثاء كغثاء السيل، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها. قالوا: أمن قلة نحن يا رسول الله؟! قال: لا، أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، تنزع المهابة من قلوبكم ويقذف في قلوبكم الوهن.

الشمس كورت}، قال عمر: لما بلغ علمت نفس ما أحضرت قال: لهذا أجري الحديث".

(١) تفسير ابن كثير: ٣٣٥/٨.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٢١٥/٦.

(٣) رواه الشافعي في "التفسير": ١٤٢٤/٣.

(٤) سبق تخريجه في فضائل السورة.

قيل: يا رسول! وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت»[١]، وهذا هو الداء الذي وقع فيه كثير من المسلمين اليوم، وهذا خلاف ما كان عليه السلف الصالح وما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم[٢].

٤- ومن فوائد الآيات: الترغيب في الإيمان والعمل الصالح إذ بهما المصير إلى الجنة.

٥- الترهيب من الشرك والمعاصي إذ بهما المصير إلى النار.

القرآن

{فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١)} [التكوير: ١٥-٢١]

التفسير:

أقسم الله تعالى بالنجوم المختفية أنوارها نهارًا، الجارية والمستترة في أبراجها، والليل إذا أقبل بظلامه، والصبح إذا ظهر ضياؤه، إن القرآن لتبليغ رسول كريم -هو جبريل عليه السلام-، ذِي قوة في تنفيذ ما يؤمر به، صاحبِ مكانة رفيعة عند الله، تطيعه الملائكة، مؤتمن على الوحي الذي ينزل به.

قوله تعالى:{فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ} [التكوير: ١٥-١٦]، أي:" فأقسم بالنجوم المختفية أنوارها نهارًا، الجارية والمستترة في أبراجها"[٣].

قال الزجاج:" المعنى: فأقسم، و «لا» مؤكدة"[٤].

قال النحاس:" «لا» زائدة للتوكيد، أي: فأقسم بالخنس"[٥].

وفي تفسير قوله تعالى :{فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ} [التكوير: ١٥-١٦]، أقوال:

أحدها : أنها النجوم على الإطلاق، قاله علي-رضي الله عنه-[٦]، وابن عباس[٧]، والحسن[٨]، ومجاهد[٩]، وقتادة[١٠]، وبكر بن عبد الله المزني[١١]، والسدي[١٢]، وابن زيد[١٣]، وبه قال أبو عبيدة[١٤].

قال مجاهد:" هي النجوم"[١٥].

---

(١)أخرجه: أحمد (٥/ ٢٧٨) وأبو داود (٤/ ٤٢٩٧/٤٨٣) وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٢/ ٩٥٨/٦٤٧).

(٢) انظر: شرح الفتح المجيد للغنيمان: [٧/٦ دروس صوتية مرقم آليا].

(٣) التفسير الميسر: ٥٨٦.

(٤) معاني القرآن: ٢٩١/٥.

(٥) إعراب القرآن: ١٠٠/٥.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٥١/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩١٧١):ص٣٤٠٧/١٠.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١٥٣):ص٣٤٠٤/١٠، وتفسير ابن كثير: ٣٣٦/٨.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٢/٢٤.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٥١/٢٤.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٢/٢٤.

(١١) انظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٠١/٥.

(١٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٣٦/٨.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٢/٢٤.

(١٤) انظر: مجاز القرآن: ٢٨٧/٢.

(١٥) أخرجه الطبري: ٢٥١/٢٤.

قال قتادة:" هي النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار"[١].
قال الحسن:" هي النجوم تخنس بالنهار، و{الْجوَارِ الْكُنَّسِ}: سيرهنّ إذا غبن"[٢].
قال علي-رضي الله عنه-:" هي النجوم تخنس بالنهار، وتكنس بالليل"[٣].
وفي لفظ عن علي-رضي الله عنه-، قال:" النجوم"[٤].
قال علي-رضي الله عنه-:"هل تدرون ما الخنس؟ هي النجوم تجري بالليل، وتخنس بالنهار"[٥].
قال علي-رضي الله عنه-:"يعني النجوم تكنس بالنهار، وتبدو بالليل"[٦].
قال ابن عباس:" الخنس: نجوم تجري، يقطعن المجرة كما يقطع الفرس"[٧].
قال ابن زيد:" الخنس والجواري الكنس: النجوم الخنس، إنها تخنس تتأخر عن مطلعها، هي تتأخر كلّ عام لها في كلّ عام تأخر عن تعجيل ذلك الطلوع تخنس عنه. والكنس: تكنس بالنهار فلا تُرَى. قال: والجواري تجري بعد، فهذا الخنس الجواري الكنس"[٨].
قال الواحدي:" أكثر المفسرين على أن المراد بها النجوم"[٩].
قال ابن الجوزي:" الأكثرون على أنها النجوم"[١٠].
قال الزجاج:" الخنس: -ههنا- أكثر التفسير يعنى بها: النجوم، لأنها تَخْنِس، أي: تَغِيبُ، لأن مَعَنى: {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨)} [التكوير: ١٧-١٧][١١]. وَمَعَنَى «الخُنَس»، و«الكُنْس» في النجوم أنها تطلع جارية، وكذلك تخْنسُ، أي تغيب، وكذلك تكنس تدخل في كناسها، أي تغيب في المواضع التي تغيب فيها"[١٢].
الثاني : أنها خمسة أنجم تَخْنُس بالنهار فلا تُرى، وهي: زُحَل، وعُطَارد، والمشتري، والمرّيخ. فتستتر في بيوتها كما تكنس الظباء في المغار، قاله عليّ[١٣]، وبه قال مقاتل[١٤]، والفراء[١٥]، وابن قتيبة[١٦].
قال مقاتل:" هي خمس من الكواكب، بهرام، والزهرة، وزحل، والبرجهس يعني: المشترى، وعطارد، والخنس: التي خنست بالنهار فلا ترى، وظهرت بالليل فترى"[١٧].
قال الفراء:" هي النجوم الخمسة تخنس في مجراها، ترجع وتكنس: تستتر كما تكنس الظباء في المغار، وهو الكناس. والخمسة: بهرام، وزحل، وعطارد، والزهرة، والمشترى"[١٨].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٥٢/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٥٢/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٥١/٢٤. قال النحاس:" فظاهر هذا القول عام لجميع النجوم". [إعراب القرآن: ١٠١/٥].
(٤) أخرجه الطبري: ٢٥١/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩١٧١):ص٣٤٠٧/١٠. قال ابن كثير: ٣٣٦/٨:" وهذا إسناد جيد صحيح إلى خالد بن عرعرة، وهو السهمي الكوفي، قال أبو حاتم الرازي : روي عن علي، وروى عنه سماك والقاسم بن عوف الشيباني ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا".
(٥) أخرجه الطبري: ٢٥١/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٥٢/٢٤.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٥٣):ص٣٤٠٤/١٠.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٥٢/٢٤.
(٩) التفسير البسيط: ٢٦٣/٢٣.
(١٠) زاد المسير: ٤٠٧/٤.
(١١) أي: لذكر الليل والصبح بعد هذا.
(١٢) معاني القرآن: ٢٩١/٥-٢٩٢.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٥١/٢٤.
(١٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٢/٤.
(١٥) انظر: معاني القرآن: ٢٤٢/٣.
(١٦) انظر: غريب القرآن: ٥١٧.
(١٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٢/٤.
(١٨) معاني القرآن: ٢٤٢/٣. ثم قال:" وقال الكلبي: البرجيس: يعني: المشترى".

قال ابن قتيبة:" النجوم الخمسة الكبار؛ لأنها تَخْنِس – أي: ترجع في مجراها - وتَكْنِسُ –أي: تستتر - كما تكنس الظِّباء في المَغار؛ وهو: الكِناسُ"[١].

قال علي-رضي الله عنه-:" هي الكواكب"[٢].

قال علي-رضي الله عنه-:" هي الكواكب، تكنس بالليل وتخنس بالنهار فلا ترى"[٣].

قال عبدالله:" هي النجوم الدراريّ، التي تجري تستقبل المشرق"[٤].

وفي تخصيصها بالذكر وجهان :

أحدهما : لأنها لا تستقبل الشمس، قاله بكر بن عبد الله المزني[٥].

الثاني : لأنها تقطع المجرة ، قاله ابن عباس[٦].

القول الثالث : أن «الخنس»: بقر الوحش، قاله ابن مسعود[٧]، وعمر بن شرحبيل[٨]، وابن عباس-أيضا-[٩]، وسعيد بن جبير[١٠]، وجابر بن زيد[١١]، وإبراهيم النخعي[١٢]، وابن وهب[١٣].

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس :"{الْجَوَارِي الْكُنَّس} قال : البقر الوحش، تكنس إلى الظل"[١٤].

عن عبد الله بن مسعود:" أنه قال لأبي ميسرة: ما الجواري الكنس؟ قال: فقال بقر الوحش، قال: فقال: وأنا أرى ذلك"[١٥].

عن عمرو ابن شرحبيل، قال: "قال ابن مسعود: يا عمرو ما الجواري الكنس، أو ما تراها؟ قال عمرو: أراها البقر، قال عبد الله: وأنا أراها البقر"[١٦].

عن أبي ميسرة، عن عبد الله، في قوله: "{الْجَوَارِ الْكُنَّس}: قال: بقر الوحش"[١٧].

عن إبراهيم، قوله: "{الْجَوَارِ الْكُنَّس}، قال: هي بقر الوحش"[١٨].

عن الحجاج بن المنذر، قال: سألت أبا الشَعثاء جابر بن زيد عن {الْجَوَارِ الْكُنَّس}، قال: هي البقر إذا كَنَست كوانسها"[١٩]. قال ابن وهب: "يريد بالكنس إذا انفرت من الذباب"[٢٠].

---

(١) غريب القرآن: ٥١٧.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٥١/٢٤.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٥٢):ص٣٤٠٤/١٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٥١/٢٤.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٢١٦/٦.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١٥٣):ص٣٤٠٤/١٠.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٢/٢٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٢/٢٤، وتفسير مجاهد: ٧٠٨.

عمرو بن شرحبيل: الهمداني أبو ميسرة الكوفي، ذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان من العبّاد وكانت ركبته كركبة البعير من كثرة الصلاة، وقال في التقريب: ثقة عابد مخضرم، مات سنة ثلاث وستين. (التهذيب ٨/ ٤٧ - التقريب ٢/ ٧٢)

(٩) رواه أبو داود كما في "تفسير ابن كثير": ٣٣٧/٨.

(١٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٣٧/٨.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٢/٢٤-٢٥٣، وإعراب القرآن للنحاس: ١٠١/٥. وحكي ابن كثير عنه:" هي الظباء والبقر". [تفسير ابن كثير: ٣٣٧/٨]

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٢/٢٤-٢٥٣، وإعراب القرآن للنحاس: ١٠١/٥.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٣/٢٤.

(١٤) رواه أبو داود كما في "تفسير ابن كثير": ٣٣٧/٨.

(١٥) أخرجه الطبري: ٢٥٢/٢٤.

(١٦) أخرجه الطبري: ٢٥٢/٢٤.

(١٧) أخرجه الطبري: ٢٥٢/٢٤.

(١٨) أخرجه الطبري: ٢٥٢/٢٤-٢٥٣.

(١٩) أخرجه الطبري: ٢٥٢/٢٤-٢٥٣، وانظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٦٠):ص٨٥/٢.

(٢٠) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٦٠):ص٨٥/٢.

قال عبد الله بن وهب: "هي البقر إذا فرّت من الذئاب، فذلك الذي أراد بقوله: كنست كوانسها"[١].

عن مغيرة، قال: "سُئل مجاهد ونحن عند إبراهيم، عن قوله: {الْجَوَارِ الْكُنَّسِ}، قال: لا أدري، فانتهره إبراهيم وقال: لِمَ لا تدري؟ فقال: إنهم يروُون عن عليّ رضي الله عنه: وكنا نسمع أنها البقر، فقال إبراهيم: هي البقر، الجواري الكنس: حِجَرة بقر الوحش التي تأوي إليها، والخنس الجوارى: البقر"[٢].

عن المغيرة، قال: سُئل مجاهد عن الجواري الكنس قال: لا أدري يزعمون أنها البقر؛ قال: فقال إبراهيم: ما لا تدري هي البقر، قال: يذكرون عن عليّ رضي الله عنه أنها النجوم، قال: يكذبون على عليّ عليه السلام"[٣].

عن مغيرة، عن إبراهيم ومجاهد:" أنهما تذاكرا هذه الآية: {فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ}، فقال إبراهيم لمجاهد: قل فيها ما سمعت، قال: فقال مجاهد: كنا نسمع فيها شيئا، وناس يقولون: إنها النجوم، قال: فقال إبراهيم: إنهم يكذبون على عليّ رضي الله عنه، هذا كما رَوَوْا عن علي رضي الله عنه، أنه ضمَّن الأسفل الأعلى، والأعلى الأسفل"[٤].

الرابع : أنها الظباء ، رواه العوفي عن ابن عباس [٥]، وبه قال ابن جبير[٦]، والضحاك[٧]، قال أوس بن حَجَر[٨]:

أَلَمْ تَرَ أنَّ اللهَ أنزلَ مُزْنَةً ... وعُفْرُ الظِّباءِ في الكِناسِ تَقَمَّعُ

قال الزجاج:" وقيل: الخنس –ههنا- يعني: بَقَر الْوَحْشِ وظباء الوحش، ومعنى خُنس جمع خَانِسٍ والظباء خنسٌ والبَقَر خُنسٌ. والخَنَسُ قِصَرُ الأنف وتأخره عَنِ الفَمِ، وإذا كان للبقر أو كان للظباء فمعنى الكنس أي: التي تكنس، أي: تدخل الكِنَاسَ وهو الغصن من أغْصَانِ الشجَر"[٩].

قال النحاس:" إذا كان التقدير: فأقسم بربّ الخنس، فالمعنى واحد إلا أن القول الأول أجلها وأعرفها، وإنما يقال لبقر الوحش والظباء: خنّس، الواحد: أخنس، وخنساء. كما قال[١٠]:

خنساء ضيّعت الغرير فلم ترم ... عرض الشّقائق طرفها ويغامها

وواحد الخنس: خانس. والجمع: خنس وخناس"[١١].

قال الطبري:" أولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بأشياء تخنس أحيانا: أي تغيب، وتجري أحيانا وتكنس أخرى، وكنوسها: أن تأوي في مكانسها، والمكانس عند العرب: هي المواضع التي تأوي إليها بقر الوحش والظباء، واحدها: مَكْنِس وكناس.. وغير مُنكر أن يستعار ذلك في المواضع التي تكون بها النجوم من السماء، فإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن في الآية دلالة على أن المراد بذلك النجوم دون البقر، ولا البقر دون

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٥٣/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٥٣/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٥٣/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٥٣/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٣/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٣/٢٤-٢٥٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٤/٢٤.
(٨)البيت لأوس بن حجر في تفسير الطبري: ٢٥٥/٢٤، ولكشف والبيان: ١٤١/١٠، والنكت والعيون: ٢١٧/٦، وبلا نسبة في تفسير القرطبي: ٢٢١/١٧، واللباب: ٤٢٤/١٨.
وتقمع: تحرك رءوسها لتطرد القمعة وهى ذباب أزرق يدخل في أنوف الدواب.
(٩) معاني القرآن: ٢٩١/٥-٢٩٢.
(١٠)الشاهد للبيد في ديوانه ٣٠٨، ولسان العرب (بغم) ، وتاج العروس (خنس) و (شفق) و (بغم) ومقاييس اللغة ٣/ ١٧٢، والمخصّص ٨/ ٤١، وبلا نسبة في كتاب العين ٤/ ١٩٩.
(١١) إعراب القرآن: ١٠١/٥.

الظباء، فالصواب أن يُعَمّ بذلك كلّ ما كانت صفته الخنوس أحيانا والجري أخرى، والكنوس بآنات على ما وصف جلّ ثناؤه من صفتها"[١].

قوله تعالى:{وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ} [التكوير: ١٧]، أي:" والليل إذا أقبل بظلامه"[٢].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ} [التكوير: ١٧]، وجوه:

أحدها : أي: أظلم ، قاله الحسن[٣]، وعطية[٤] ، قال الشاعر[٥]:

حتى إذ ما لَيْلُهُنَّ عَسْعَسا ... رَكِبْنَ مِن حَدِّ الظّلامِ حِنْدِساً

عن الحسن:" {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ}، قال: إذا غَشِيَ الناسَ"[٦].

عن عطية:" {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ}، قال: أشار بيده إلى المغرب"[٧].

قال الفراء:" وكان بعض أصحابنا يزعم أن «عسعس»: دنا من أوله وأظلم، وكان أبو البلاد النحوي ينشد فيه[٨]:

عسعس حتى لو يشاء أدنا ... كان له من ضوئه مقبس

يريد: إذ دنا"[٩].

الثاني : إذا أدبر، قاله علي-رضي الله عنه-[١٠]، وابن عباس[١١]، ومجاهد[١٢]، وقتادة[١٣]، والضحاك[١٤]، زيد بن أسلم[١٥]، وابنه عبدالرحمن[١٦].

قال الفراء:" اجتمع المفسرون: على أن معنى «عسعس» : أدبر"[١٧]. قال النحاس:" وهذا غلط. روى مجاهد عن ابن عباس «إذا عسعس»: إذا أدبر.."[١٨].

قال ابن زيد:" عسعس: تولى، وقال: تنفس الصبح من هاهنا، وأشار إلى المشرق طلاع الفجر"[١٩].

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه: {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ}، قال: إذا ذهب"[٢٠].

عن أبي ظَبيان، قال: "كنت أتبع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو خارج نحو المشرق، فاستقبل الفجر، فقرأ هذه الآية: {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ}"[٢١].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٤/٢٥٤-٢٥٥.
(٢) التفسير الميسر: ٥٨٦.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٢٥٦.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٢٥٦-٢٥٧.
(٥) بلا عزو في النكت والعيون: ٦/٢١٧، وباهر البرهان: ٣/١٦٣٧، وتفسير القرطبي: ١٩/٢٣٩.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٤/٢٥٦.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٤/٢٥٦-٢٥٧.
(٨)البيت منسوب فى تفسير القرطبي ١٩/ ٢٣٧ إلى امرئ القيس، وقد رجعت إلى ديوانه فلم أجده هناك. ورواية القرطبي: «كان لنا من ناره» مكان: «كان له من ضوئه» . ورواية اللسان متفقة هى ورواية الفراء.
(٩) معاني القرآن: ٣/٢٣٢.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٢٥٦.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٢٥٥.
(١٢) انظر: تفسير مجاهد: ٧٠٨.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٢٥٦، وتفسير عبدالرزاق(٣٥١٦):٣/٣٩٨.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٢٥٦.
(١٥) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٠):ص١/١٦.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٢٥٦.
(١٧) معاني القرآن: ٣/٢٤٢.
(١٨) إعراب القرآن: ٥/١٠١.
(١٩) أخرجه الطبري: ٢٤/٢٥٦.
(٢٠) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٠):ص١/١٦.
(٢١) أخرجه الطبري: ٢٤/٢٥٦.

عن أبي عبد الرحمن، قال: "خرج عليّ عليه السلام مما يلي باب السوق، وقد طلع الصبح أو الفجر، فقرأ: {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ}، أين السائل عن الوتر، نعم ساعة الوتر هذه"[١].

الثالث : إذا أقبل، قاله ابن عباس[٢]، ومجاهد[٣]، ومقاتل[٤]، وبه قال أبو عبيدة[٥].

عن مجاهد: {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ}، قال: إقباله، ويقال: إدباره"[٦].

قال مقاتل:" يعنى: إذا أظلم[٧].

قال السجستاني:" عسعس «الليل»: أقبل ظلامه. ويقال: أدبر ظلامه، وهو من الأضداد"[٨].

قال الطبري:" الصواب عندي قول من قال: معنى ذلك: إذا أدبر، وذلك لقوله: {وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ}، فدلّ بذلك على أن القسم بالليل مدبرًا، وبالنهار مقبلا والعرب تقول: عسعس الليل، وسَعْسَع الليل: إذا أدبر، ولم يبق منه إلا اليسير؛ ومن ذلك قول رُؤْبة بن العجاج[٩]:

يا هِنْدُ ما أسْرَعَ ما تَسَعْسَعا ... وَلَوْ رَجا تَبْعَ الصِّبا تَتَبَّعا

فهذه لغة من قال: سعسع؛ وأما لغة من قال: عسعس، فقول علقمة بن قُرْط[١٠]:

حتى إذا الصُّبْحُ لَهَا تَنَفَّسا ... وانْجابَ عَنْها لَيْلُها وَعَسْعَسا

يعني: أدبر"[١١].

قال الماوردي: "وأصله العس وهو الامتلاء ، ومنه قيل للقدح الكبير عس لامتلائه بما فيه ، فانطلق على إقبال الليل لابتداء امتلائه ، وانطلق على ظلامه لاستكمال امتلائه"[١٢].

عن عمرو بن حريث قال: "سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأ في الصبح: {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ}، قال الشَّافِعِي رحمه الله: يعني: يقرأ في الصبح: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}"[١٣].

قوله تعالى:{وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ} [التكوير: ١٨]، أي:" والصبح إذا ظهر ضياؤه"[١٤].

قال الطبري:" يقول: وضوء النهار إذا أقبل وتبين"[١٥].

عن قتادة: "{وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ}: إذا أضاء وأقبل"[١٦].

قال مقاتل:" يعني: إذا أضاء لونه"[١٧].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٥٦/٢٤.

(٢) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٥١٨):٣٩٩/٣. رواه عنه مجاهد.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٦/٢٤.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٢/٤.

(٥) حكاه عنه ابن قتيبة في "غريب القرآن": ٥١٧، وقال أبو عبيدة في "مجاز القرآن":٢٨٧/٢ " قال بعضهم: إذا أقبلت ظلماؤه، وقال بعضهم: إذا ولّى ألا تراه".

(٦) أخرجه الطبري: ٢٥٦/٢٤.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٢/٤.

(٨) غريب القرآن: ٣٤٠.

(٩)الرجز لرؤبة بن العجاج ديوانه: (٨٨)، انظر: اللسان والتاج (سعع).

(١٠)البيت لعلقمة بن قرط في ديوانه ص ٢٨، والمحتسب ١/ ١٥٧، تفسير البحر المحيط: ٨/ ٤٢٢.
وفي الأضداد لقطرب: ٢٦٦، قيل: حُرَّف الاسم فيه إلى علقمة. والبيت لعلقة في الأضداد لأبي الطيب ٤٩١.
وعلقة راجز إسلامي (الاشتقاق ١٨٦) . وحُرَّف إلى علقمة أيضاً في الأضداد لابن الأنباري ٣٣.
وهو منسوب للعجاج في شواهد الكشاف: ١٥٧.

(١١) تفسير الطبري: ٢٥٧/٢٤.

(١٢) النكت والعيون: ٦م٢١٧.

(١٣) تفسير الإمام الشافعي: ١٤٢٥/٣.

(١٤) التفسير الميسر: ٥٨٦.

(١٥) تفسير الطبري: ٢٥٧/٢٤.

(١٦) أخرجه الطبري: ٢٥٨/٢٤.

(١٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٢/٤.

عن سعيد: "{وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ}، قال: إذا نشأ"[1].
قال ابن عباس:" إذا بدا النهار حين طلوع الفجر"[2].
قال الفراء:" إذا ارتفع النهار، فهو تنفس الصبح"[3].
قال الزجاج:" إذا امتدَّ حَتَّى يصيرَ نَهَاراً بيِّناً"[4].
عن عمرو بن حُرَيث قال : "صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم الصبح، فسمعته يقرأ :{فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِي الْكُنَّسِ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ}"[5].
قوله تعالى:{إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} [التكوير: ١٩]، أي:" إن القرآن لتبليغ رسول كريم - هو جبريل عليه السلام-"[6].
قال الزجاج:" هذا جواب القسم، يعنى: أن القرآن نزل به جبريل عليه السلام"[7].
قال مقاتل:" فأقسم الله- تعالى- بهؤلاء الآيات أن هذا القرآن، {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} على الله، يعني: جبريل- عليه السلام-، هو علم محمدا- صلى الله عليه وسلم- "[8].
وفي «الرسول الكريم»، قولان :
أحدهما : جبريل-عليه السلام- ، قاله الحسن[9]، وقتادة[10]، والضحاك[11].
قال الطبري:" إن هذا القرآن لتنزيل رسول كريم؛ يعني: جبريل، نزله على محمد بن عبد الله"[12].
الثاني : النبي -صلى الله عليه وسلم-، قاله ابن عيسى[13].
قال الماوردي:" فإن كان المراد به جبريل فمعناه قول رسول لله كريم عن رب العالمين، لأن أصل القول الذي هو القرآن ليس من الرسول ، إنما الرسول فيه مبلغ على الوجه الأول ، ومبلغ إليه على الوجه الثاني"[14].
قوله تعالى:{ذِي قُوَّةٍ} [التكوير: ٢٠]، أي:" ذِي قوة في تنفيذ ما يؤمر به"[15].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ذي قوّة، يعني: جبرائيل على ما كلف من أمر غير عاجز"[16].
قال الزجاج:" قيل إنه من قوة جبريل - صلى الله عليه وسلم - أنه قَلَبَ مَدِينة قوم لُوطٍ بِقَوَادِمِ جناحه وهي قرى أربع"[17].
قال القشيري:" وقد بلغ من قوته أنه قلع قرية آل لوط وقلبها"[18].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٥٨/٢٤.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٥٦):ص٣٤٠٥/١٠.
(٣) معاني القرآن: ٢٤٢/٣.
(٤) معاني القرآن: ٢٩٢/٥.
(٥)صحيح مسلم برقم (٤٥٦)، وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٦٥١).
(٦) التفسير الميسر: ٥٨٦.
(٧) معاني القرآن: ٢٩٢/٥.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٢/٤.
(٩) انظر: النكت والعيون: ٢١٨/٦.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٨/٢٤.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٢١٨/٦.
(١٢) تفسير الطبري: ٢٥٨/٢٤.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٢١٨/٦.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ٢١٨/٦.
(١٥) التفسير الميسر: ٥٨٦.
(١٦) تفسير الطبري: ٢٥٨/٢٤.
(١٧) معاني القرآن: ٢٩٢/٥.
(١٨) لطائف الإشارات: ٦٩٤/٣.

وقال مقاتل:" يعنى: ذا بطش، وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- حين بعث، قال إبليس: من لهذا النبي الذي خرج من أرض تهامة؟ فقال شيطان- واسمه الأبيض- هو صاحب الأنبياء: أنا له، فأتى النبي- صلى الله عليه وسلم- فوجده في بيت الصفا فلما انصرف قام الأبيض في صورة جبريل- صلى الله عليه وسلم- ليوحي إليه، فنزل جبريل- عليه السلام- فقام بينه وبين النبي- صلى الله عليه وسلم- فدفعه جبريل- صلى الله عليه وسلم- بيده دفعة هينة فوقع من مكة بأقصى الهند من فرقه "[١].

قوله تعالى:{عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ} [التكوير: ٢٠]، أي:" صاحبِ مكانة رفيعة عند الله"[٢].

قال الطبري:" يقول: هو مكين عند ربّ العرش العظيم"[٣].

قال القشيري:" «مَكِينٍ» من المكانة"[٤].

قال مقاتل:" جبريل- عليه السلام- يقول: وهو وجيه عند الله- عز وجل-"[٥].

قال ابن كثير:" أي : له مكانة عند الله عز وجل ومنزلة رفيعة"[٦].

قال ابن عطية:" وذكر الله تعالى نفسه بالإضافة إلى عرشه تنبيها على عظم ملكوته"[٧].

قوله تعالى:{مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ} [التكوير: ٢١]، أي:" تطيعه الملائكة، مؤتمن على الوحي الذي ينزل به"[٨].

قال الطبري:" عني جبريل صلى الله عليه وسلم، مطاع في السماء تطيعه الملائكة، أمين عند الله على وحيه ورسالته وغير ذلك مما ائتمنه عليه"[٩].

قال ابن عطية:" أي: مقبول القول مصدق بقوله مؤتمن على ما يرسل به، ويؤدي من وحي وامتثال أمر"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : له وجاهة، وهو مسموع القول مطاع في الملأ الأعلى"[١١].

عن أبي صالح: "{مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ}، قال: جبريل عليه السلام، أمين على أن يدخل سبعين سرادقا من نور بغير إذن"[١٢]. وفي رواية:" أمين على سبعين حجابًا يدخلها بغير إذن"[١٣].

قال ميمون بن مِهْران في قوله: "{مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ}، قال: ذاكم جبريل -عليه السلام"[١٤].

عن قتادة قوله: "{ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ}، مطاع عند الله، {ثَمَّ أَمِينٍ}"[١٥].

قال قتادة :"{مُطَاعٍ ثَمَّ}، أي : في السموات"[١٦]. يعني : "ليس هو من أفناد الملائكة، بل هو من السادة والأشراف، مُعتَنى به، انتخب لهذه الرسالة العظيمة"[١٧].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٢/٤.
(٢) التفسير الميسر: ٥٨٦.
(٣) تفسير الطبري: ٢٥٨/٢٤.
(٤) لطائف الإشارات: ٦٩٤/٣.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٣/٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٣٨/٨.
(٧) المحرر الوجيز: ٤٤٤/٥.
(٨) التفسير الميسر: ٥٨٦.
(٩) تفسير الطبري: ٢٥٨/٢٤.
(١٠) المحرر الوجيز: ٤٤٤/٥.
(١١) تفسير ابن كثير: ٣٣٩/٨.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٥٩/٢٤.
(١٣) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٥٠٠). وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(١٤) أخرجه الطبري: ٢٥٩/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٢٥٩/٢٤.
(١٦) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٣٩/٨.
(١٧) تفسير ابن كثير: ٣٣٩/٨.

قال ابن عباس:" يعني: جبريل"[١].
قال الضحاك: {مُطاعٍ ثَمَّ أمِينٍ} " يعني: جبريل عليه السلام"[٢].
قال الحسن :"أمر الله أهل السماء بطاعة جبريل، كما أمر أهل الأرض أن يطيعوا محمدا"[٣].
قال النحاس:" أي: مطاع في السموات، {أمِينٍ} على وحي الله جلّ وعزّ ورسالاته، فهذا التمام"[٤].
قال مقاتل:" يسمى أمينا لما استودعه- عز وجل- من أمره في خلقه"[٥].
قال السمعاني:" في التفسير أن الملائكة يطيعونه فيما يأمرهم به. وقد قيل: إن معناه أنه قال: لرضوان خازن الجنان ليلة المعراج: افتح الباب لمحمد ففتحه. وقال لمالك خازن النار: افتح اللباب لمحمد ففتحه، وقيل في معنى «الأمانة»، أنه يرفع سبعين سرادقا من غير استئذان. وقيل: يلج سبعين حجابا من نور من غير استئذان "[٦].

القرآن

{وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٥)} [التكوير: ٢٢-٢٥]

التفسير:

وما محمد الذي تعرفونه بمجنون، ولقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل الذي يأتيه بالرسالة على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها في الأفق العظيم من ناحية المشرق بـ «مكة» ، وهي الرؤية الأولى الواقعة بـ «غار حراء» . وما محمد صلى الله عليه وسلم ببخيل في تبليغ الوحي. وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم، مطرود من رحمة الله، ولكنه كلام الله ووحيه.

قوله تعالى:{وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ} [التكوير: ٢٢]، أي:" وما محمد الذي تعرفونه بمجنون"[٧].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وما صاحبكم أيها الناس محمد بمجنون فيتكلم عن جنة، ويهذي هذيان المجانين {بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ}"[٨].
قال النحاس:" أي: ليس خطابه ولا بيانه ولا فعله فعل مجنون"[٩].
قال مقاتل:" يعني: النبي- صلى الله عليه وسلم- وذلك أن كفار مكة قالوا: إن محمدا مجنون، وإنما تقوله من تلقاء نفسه"[١٠].
عن أبي صالح:" {وما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ}، قال: محمد - صلى الله عليه وسلم –"[١١].
قال ميمون بن مهران: "{وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ}، قال: ذاكم محمد صلى الله عليه وسلم"[١٢].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٥٩/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٥٩/٢٤.
(٣) نقلا عن: تفسير ابن أبي زمنين: ١٠١/٥.
(٤) إعراب القرآن: ١٠٢/٥.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٤/٤.
(٦) تفسير السمعاني: ١٧٠/٦.
(٧) التفسير الميسر: ٥٨٦.
(٨) تفسير الطبري: ٢٥٩/٢٤.
(٩) إعراب القرآن: ١٠٢/٥.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٤/٤.
(١١)أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٥٠٠). وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٥٩/٢٤.

قال الزجاج:" هذا أيضاً جواب القسم، المعنى فأقسم بهذه الأشياء أن القرآن نزل به جبريل عليه السلام، وأقسم بهذه الأشياء {مَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ}، يعني به: النبي - صلى الله عليه وسلم - لأنهم قالوا: (يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦)}. فقال: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢)}. وقال في هذا الموضع {وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ}"[١].

قوله تعالى:{وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ} [التكوير: ٢٣]، أي:" ولقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل الذي يأتيه بالرسالة على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها في الأفق العظيم من ناحية المشرق بـ «مكة» ، وهي الرؤية الأولى الواقعة بـ «غار حراء»"[٢].

وفي الذي رآه قولان :

أحدهما : أنه رأى ربه بالأفق المبين، قاله الحسن[٣]، وهو معنى قول ابن مسعود [٤].

قال الماتريدي:" أي: عظمته وسلطانه من وجه لا يقع به تشابه، وخص بالأفق؛ لأنه من الأفق تنزل البركات وتنزل الملائكة وأنواع الخير كلها، والمراد من ذلك الأماكن كلها"[٥].

عباد بن منصور قال: "سألت عكرمة: {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} [النجم : ١١]، فقال: عكرمة: تريد أن أخبرك أنه قد رآه؟ قلت: نعم، قال: قد رآه، ثم قد رآه. قال: فسألت عنه الحسن، فقال: رأى جلاله وعظمته ورداءه"[٦].

وروي عن محمد بن كعب القرظي، عن بعض أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: قلنا يا نبيّ الله: هل رأيت ربك؟ قال: "لَمْ أرَهُ بعَيْني، ورأيتُهُ بفُؤَادي مَرَّتَيْن"، ثم تلا :{ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى}"[٧].

عن أبي ذر قال: "رآه بقلبه، ولم يره بعينه"[٨].

عن عطاء، عن ابن عباس، قال: «رآه بقلبه»[٩].

قال ابن كثير:" ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب، فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة، رضي الله عنهم، وقولُ البغوي في تفسيره : «وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، وهو قول أنس[١٠]، والحسنُ[١١]، وعكرمة[١٢]»[١٣]. فيه نظر، والله أعلم"[١٤].

الثاني : رأى جبريل بالأفق المبين على صورته التي هو عليها. قالته أم المؤمنين عائشة[١٥]، وابن مسعود[١٦]، مجاهد[١٧]، وقتادة[١٨]، وعامر[١٩]، وأبو الأحوص[١]، وابن زيد[٢].

---

(١) معاني القرآن: ٥/٢٩٢-٢٩٣.
(٢) التفسير الميسر: ٥٨٦.
(٣) انظر: تأويلات أهل السنة: ١٠/٤٣٧.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٦/٢١٨، وفتح القدير: ٥/ ٣٩٢.
(٥) تأويلات أهل السنة: ١٠/٤٣٧-٤٣٨.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٦٩٧):ص١٠/٣٣١٨-٣٣١٩.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٢/٥٠٥.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٦٩٩):ص١٠/٣٣١٩.
(٩) صحيح مسلم(١٧٦):ص١/١٥٨.
(١٠) انظر: تفسير البغوي: ٧/٤٠٣.
(١١) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٩/١٤٠.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٥٠٧.
(١٣)انظر: تفسير البغوي :٧/٤٠٣.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٧/٤٤٨.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٥١١.
(١٦) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٥٢٢):ص٣/٣٩٩.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٢٦٠، وتفسير مجاهد: ٧٠٩.
(١٨) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٥٢٠):ص٣/٣٩٩.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٢٦٠.

قلت: والذي عليه جمهور المفسرين، ورجحه الطبري[٣]، وابن عطية[٤]، وابن كثير[٥] أن الذي رآه النبي -صلى الله عليه وسلم- هو جبريل.

قال ابن عطية:" أجمع المفسرون على أن قوله: {وَما صاحِبُكُم}، يراد به محمد صلى الله عليه وسلم، والضمير في {رَآهُ}: جبريل عليه السلام، وهذه الرؤية التي كانت بعد أمر غار حراء حين رآه على كرسي بين السماء والأرض. وقيل هذه الرؤيا التي رآه عند سدرة المنتهى في الإسراء، وسمى ذلك الموضع أفقا مجازا، وقد كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رؤية ثانية بالمدينة، وليست هذه، ووصف الأفق ب الْمُبِينِ، لأنه كان بالشرق من حيث تطلع الشمس"[٦].

قال الماتريدي:" ذكر أن رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - سأل جبريل - عليه السلام - أن يراه على صورته، فقال له جبريل - عليه السلام -: " إن الأرض لا تسعني، ولكن إذا صليت الفجر، فانظر إلى أفق السماء؛ فهنالك تراني "، ففعل فرآه على صورته، ثم دنا منه، فكان قاب قوسين أو أدنى، فذكر الأفق؛ لأن الشيء من البعد لا يتهيأ أن يرى من أقطار الأرض؛ لذلك خصت الأفق؛ إذ كذلك تقع رؤية ما بعد"[٧].

عن إسحاق بن أبي الكَهْتَلَة- أظنه ذكره عن عبد الله بن مسعود-:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير جبريل في صورته إلا مرتين، أما واحدة فإنه سأله أن يراه في صورته فسد الأفق. وأما الثانية فإنه كان معه حيث صعد، فذلك قوله :{وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى}"[٨].

عن مسروق، عن عائشة، أن عائشة قالت: يا أبا عائشة من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله; قال: وكنت متكئا، فجلست، فقلت: يا أمّ المؤمنين أنظريني ولا تعجليني، أرأيت قول الله: {وَلَقَدْ رَآهُ نزلةً أُخْرَى، وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ}، قال: إنما هو جبريل رآه مرّة على خلقه وصورته التي خلق عليها، ورآه مرة أخرى حين هبط من السماء إلى الأرض سادّا عظم خلقه ما بين السماء والأرض، قالت: أنا أوّل من سأل النبيّ صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية، قال "هو جبريل عليه السلام"[٩].

قال الطبري:" {ولقد رآه}، أي: محمدٌ جبريل صلى الله عليه وسلم في صورته بالناحية التي تبين الأشياء، فترى من قبَلها، وذلك من ناحية مطلع الشمس من قِبَل المشرق"[١٠].

قال ابن كثير:" يعني : ولقد رأى محمدٌ جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن الله عز وجل على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح {بِالأُفُقِ الْمُبِينِ}، أي : البين، وهي الرؤية الأولى التي كانت بالبطحاء، وهي المذكورة في قوله :{عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى} [النجم : ٥ - ١٠]، كما تقدم تفسيرُ ذلك وتقريره. والدليلُ أن المرادَ بذلك جبريل، عليه السلام. والظاهر - والله أعلم - أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء ؛ لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤية وهي الأولى، وأما الثانية وهي المذكورة في قوله :{وَلَقَدْ رَآهُ نزلةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٠/٢٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٠/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٩/٢٤-٢٦٠.
(٤) انظر: المحرر الوجيز: ٤٤٤/٥.
(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٣٩/٨.
(٦) المحرر الوجيز: ٤٤٤/٥.
(٧) تأويلات أهل السنة: ٤٣٧/١٠-٤٣٨.
(٨) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٤٤٤/٧.
(٩) أخرجه الطبري: ٥١١/٢٢.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٥٩/٢٤-٢٦٠.

جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى} [النجم : ١٣ - ١٦]، فتلك إنما ذكرت في سورة "النجم"، وقد نزلت بعد سورة الإسراء"[١].

عن ابن مسعود: {وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ}، قال: "رأى جبريل له خمسمائة جناح , قد سد الأفق"[٢].

قال ابن مسعود:" رأى جبريل في وبر رجليه كالدرّ، مثل القطر على البقل"[٣].

قال ابن زيد:" رأى جبريل بالأفق المبين"[٤].

عن مجاهد: "{بِالأُفُقِ الْمُبِينِ}: الأعلى. قال: بالأفق من نحو:«أجياد»[٥]"[٦].

قال مجاهد:" رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه ثياب خضر قد سد الأفق"[٧].

قال قتادة:" أي: جبريل له خمسمائة جناح , قد سد الأفق"[٨].

قال قتادة:" كنا نحدَّث أن الأفق حيث تطلع الشمس"[٩].

قال قتادة:" كنا نحدَّث أنه الأفق الذي يجيء منه النهار"[١٠].

قال أبو الأحوص: "رأى جبريل له ستّ مئة جناح في صورته"[١١].

عن عامر، قال: "ما رأى جبريل النبيّ صلى الله عليه وسلم في صورته إلا مرّة واحدة، وكان يأتيه في صورة رجل يقال له: دَحْية، فأتاه يوم رآه في صورته قد سدّ الأفق كله، عليه سندس أخضر معلق الدّر، فذلك قول الله: {وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ}، وذُكر أن هذه الآية في «إذا الشمس كوّرت»: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} في جبريل، إلى قوله: {وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ}، يعني: النبيّ صلى الله عليه وسلم"[١٢].

قال مقاتل:" وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- رأى جبريل- عليه السلام- في صورته من قبل المشرق بجبال مكة قد ملأ الأفق رجلاه في الأرض، ورأسه في السماء، وجناح له من قبل المشرق، وجناح له من قبل المغرب، فغشى على النبي- صلى الله عليه وسلم- فتحول جبريل- عليه السلام- في صورة البشر، فقال: أنا جبريل، وجعل يمسح عن وجهه، ويقول: أنا أخوك أنا جبريل، حتى أفاق فقال المؤمنون: ما رأيناك منذ بعثت أحسن منك اليوم وفقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: أتاني جبريل- عليه السلام- في صورته. فعلقني هذا من حسنه"[١٣].

وروي الثعلبي بسند عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل: «إني أحبّ أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء» قال: لن تقوى على ذلك، قال: «بلى» قال: فأين تشاء أن أتخيل لك؟ قال: «بالأبطح» قال: لا يسعني قال: «فبمنى» قال: لا يسعني قال: «فبعرفات»، قال: ذاك بالحرى أن يسعني، فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم للوقت، فإذا هو بجبريل -عليه السلام- قد أقبل من جبال عرفات بخشخشه وكلكله قد ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأسه في السماء ورجله في الأرض، فلما رآه النبي صلى الله عليه

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٣٩/٨.
(٢) تفسير عبدالرزاق(٣٥٢٢):ص٣٩٩/٣.
(٣) أخرجه الطبري: ٥١١/٢٢-٥١٢.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٦٠/٢٤.
(٥)وهو مشرق مكة.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٦٠/٢٤.
(٧) تفسير مجاهد: ٧٠٩.
(٨) تفسير عبدالرزاق(٣٥٢٠):ص٣٩٩/٣.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٦٠/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٦٠/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٦٠/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٦٠/٢٤.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٤/٤.

وسلم خرّ مغشيا عليه فتحوّل جبريل في صورته فضمّه إلى صدره، وقال: يا محمد لا تخف، فكيف لو رأيت إسرافيل ورأسه من تحت العرش ورجلاه في النجوم السابعة، وإن العرش لعلى كاهله، وإنّه ليتضاءل أحيانا من مخافة الله عزّ وجل حتى يصير مثل الوضع- يعني العصفور- حتى ما يحمل عرش ربك إلّا عظمته"[١].

قوله تعالى:{وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ} [التكوير: ٢٤]، أي:" وما محمد صلى الله عليه وسلم ببخيل في تبليغ الوحي"[٢].

عن عامر: "{وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ}، يعني: النبيّ صلى الله عليه وسلم"[٣].

قرأ بـ«الظاء» ابن كثير وأبو عمرو والكسائي، وفيه وجهان[٤]:

أحدهما : وما محمد على القرآن بمتهم أن يأتي بما لم ينزل عليه، قاله ابن عباس[٥]، وسعيد بن جبير[٦]، والضحاك[٧]، وإبراهيم[٨]، وبه قال أبو عبيدة[٩]، وابن قتيبة[١٠].

قال الزمخشري: أي: "وما محمد على ما يخبر به من الغيب من رؤية جبريل والوحى إليه وغير ذلك {بِضَنِينٍ} بمتهم، من «الظنة» وهي: التهمة"[١١].

عن الضحاك عن ابن عباس، أنه قرأ: «بِظَنِينٍ»، قال: ليس بمتهم"[١٢].

عن ابن عباس، قوله: "«وَما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ»، يقول: ليس بمتهم على ما جاء به، وليس يظنّ بما أوتي"[١٣].

عن أبي المعلّى، عن سعيد بن جُبير:" أنه كان يقرأ هذا الحرف: «وَما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ»، فقلت لسعيد بن جُبير: ما الظنين؟ قال: ليس بمتهم"[١٤].

عن إبراهيم: «وَما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ»، قال: بمتهم"[١٥].

عن الضحاك: "{بِظَنِينٍ}، قال: ليس على ما أنزل الله بمتهم"[١٦].

عن زرّ: «وَما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ» قال: الغَيب: القرآن. وفي قراءتنا «بِظَنِينٍ»: متهم"[١٧].

الثاني : بضعيف عن تأديته، قاله الفراء[١٨].

---

(١) الكشف والبيان: ١٤٢/١٠.
(٢) التفسير الميسر: ٥٨٦.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٦١/٢٤.
(٤) انظر: السبعة في القراءات: ٦٧٣، والنكت والعيون: ٢١٩/٦.
وقال سفيان بن عُيَينة : «ظنين» و«ضنين»، سواء، أي : ما هو بكاذب، وما هو بفاجر". [انظر: تفسير ابن كثير: ٣٣٩/٨].
عن ابن الزبير, أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرؤها:«وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ». [تفسير عبدالرزاق(٣٥٢٤):ص٤٠٠/٣]
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٦١/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٦١/٢٤-٢٦٢.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٢/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٢/٢٤.
(٩) انظر: مجاز القرآن: ٢٨٨/٢.
(١٠) انظر: غريب القرآن: ٥١٧.
(١١) الكشاف: ٧١٣/٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٦١/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٦٢/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٢٦١/٢٤-٢٦٢.
(١٥) أخرجه الطبري: ٢٦٢/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ٢٦٢/٢٤.
(١٧) أخرجه الطبري: ٢٦٢/٢٤.
(١٨) انظر: معاني القرآن: ٢٤٣/٣.

قال الفراء:" العرب تقول للرجل الضعيف أو الشيء القليل: هو ظنون. سمعت بعض قضاعة يقول: ربما دلك على الرأي الظنون، يريد: الضعيف من الرجال"[١].

وقرأ الباقون بـ«الضاد»، وفيه وجهان[٢]:

أحدهما : وما هو بمتهم أن يؤدي ما لم يؤمر به. حكاه الماوردي[٣].

الثاني : وما هو ببخيل أن يعلّم كما تعلّم. قاله مجاهد[٤]، وقتادة[٥]، وإبراهيم[٦]، وسفيان[٧]، وابن زيد[٨].

قال ابن قتيبة :"«وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ»؛ أي: بمُتَّهَم على ما يُخبر به عن الله عز وجل. ومن قرأ: {بِضَنِينٍ}؛ أراد: ببخيل. أي: ليس ببخيل عليكم؛ يُعلّم ما غاب عنكم: مما ينفعُكم"[٩].

عن عاصم، عن زرّ :"{وَما هوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ}، قال: «الظَّنين»: المتهم. وفي قراءتكم: {بِضَنِينٍ} و«الضنين»: البخيل، والغيب: القرآن"[١٠].

عن إبراهيم، وسفيان: "{وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ}: ببخيل"[١١].

عن مجاهد: "{وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ}، قال: ما يضنّ عليكم بما يعلم"[١٢].

عن الزهري:" {وما هُوَ عَلَى الغَيْبِ بِضَنِينٍ}، قال: لا يَضِنُّ بما أُوحي إليه"[١٣].

قال قتادة:" إن هذا القرآن غيب، فأعطاه الله محمدا، فبذله وعلّمه ودعا إليه، والله ما ضنّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم"[١٤].

قال ابن زيد:" الغيب: القرآن، لم يضنّ به على أحد من الناس أدّاه وبلّغه، بعث الله به الروح الأمين جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأدّى جبريل ما استودعه الله إلى محمد، وأدّى محمد ما استودعه الله وجبريل إلى العباد، ليس أحد منهم ضَنَّ، ولا كَتَم، ولا تَخَرَّص"[١٥].

قال ابن كثير:" القراءتان كلاهما متواتر، ومعناه صحيح"[١٦].

قال سفيان بن عيينة: "تفسير «ضنين» و «ظنين» سواء، ويقول: ما هو بكاذب، وما هو بفاجر، والظنين: المُتّهم، والضنين: البخيل"[١٧].

قال الزمخشري: وإتقان الفصل بين الضاد والظاء: واجب. ومعرفة مخرجيهما مما لا بد منه للقارئ، فإنّ أكثر العجم لا يفرّقون بين الحرفين، وإن فرقوا ففرقا غير صواب، وبينهما بون بعيد، فإن مخرج الضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الأضراس من يمين اللسان أو

---

(١) معاني القرآن: ٢٤٣/٣.
(٢) انظر: السبعة في القراءات: ٦٧٣، والنكت والعيون: ٢١٩/٦.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٢١٩/٦.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٦١/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٦١/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٦١/٢٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٦١/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٦١/٢٤.
(٩) انظر: غريب القرآن: ٥١٧.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٦١/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٦١/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٦١/٢٤.
(١٣)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(١٤) أخرجه الطبري: ٢٦١/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٢٦١/٢٤.
(١٦) تفسير ابن كثير: ٣٣٩/٨.
(١٧)أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع -تفسير القرآن ٣/ ٤٦ (٩٢). وأورد قبله عن سفيان بن عيينة بسنده عن ابن عباس أنه كان يقرأها: «بظَنِينٍ».

يساره، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أضبط يعمل بكلتا يديه، وكان يخرج الضاد من جانبي لسانه، وهي أحد الأحرف الشجرية أخت الجيم والشين، وأما الظاء فمخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، وهي أحد الأحرف الذولقية أخت الذال والثاء. ولو استوى الحرفان لما ثبتت في هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة، ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب، فإن قلت: فإن وضع المصلى أحد الحرفين مكان صاحبه. قلت: هو كواضع الذال مكان الجيم، والثاء مكان الشين، لأن التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين أخواتهما"[١].

قوله تعالى:{وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ} [التكوير: ٢٥]، أي:" وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم، مطرود من رحمة الله، ولكنه كلام الله ووحيه"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وما هذا القرآن بقول شيطان ملعون مطرود، ولكنه كلام الله ووحيه"[٣].

قال الزمخشري: أي: بقول بعض المسترقة للسمع، وبوحيهم إلى أوليائهم من الكهنة"[٤].

قال ابن كثير:" أي : وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم، أي : لا يقدر على حمله، ولا يريده، ولا ينبغي له. كما قال :{وَمَا تَنزلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ} [الشعراء : ٢١٠ - ٢١٢]"[٥].

قال الكلبي: "يقول إن القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش"[٦].

قال السمعاني:" قال: هذا لأنهم كانوا يقولون أن محمدا يقول ما يقول عن الشيطان"[٧].

قال مقاتل:" وذلك أن كفار مكة قالوا إنما يجيء به الري، وهو الشيطان واسمه الري فيلقيه على لسان محمد- صلى الله عليه وسلم-"[٨].

قال قتادة:" «الرجيم»، الملعون"[٩]. وروي عن ابن جريج مثله[١٠].

عن عكرمة، قال: "إنما سمي الشيطان لأنه تشيطن"[١١].

القرآن

{فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)} [التكوير: ٢٦-٢٩]

التفسير:

فأين تذهب بكم عقولكم في التكذيب بالقرآن بعد هذه الحجج القاطعة؟ ما هو إلا موعظة من الله لجميع الناس، لمن شاء منكم أن يستقيم على الحق والإيمان، وما تشاؤون الاستقامة، ولا تقدرون على ذلك، إلا بمشيئة الله رب الخلائق أجمعين.

سبب نزول قوله تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير : ٢٩]:

---

(١) الكشاف: ٧١٣/٤.
(٢) التفسير الميسر: ٥٨٦.
(٣) تفسير الطبري: ٢٦٢/٢٤.
(٤) الكشاف: ٧١٣/٤.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٣٩/٨.
(٦) نقلا عن: تفسير البغوي: ٣٥١/٨.
(٧) تفسير السمعاني: ١٧٠/٦.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٥/٤.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٣٤٧):ص٢٢٥٩/٧.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٧٨/١٧-٧٩.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٨٧):ص٨٧/١.

سعيد بن عبد العزيز، عن سليمان بن موسى، قال: "لما نزلت: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ} [التكوير : ٢٨]، قال أبو جهل: ذلك إلينا، إن شئنا استقمنا،-وفي رواية: وإن شئنا لم نستقم- فنزلت: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير : ٢٩] "[١].[مرسل]

قوله تعالى:{فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ} [التكوير: ٢٦]، أي:" فأين تذهب بكم عقولكم في التكذيب بالقرآن بعد هذه الحجج القاطعة؟"[٢].

قال سهل:" عن كتابه بعد البيان الذي أتاكم"[٣].

قال قتادة:" يقول: فأين تعدلون عن كتابي وطاعتي"[٤].

قال الزجاج:" معناه: فأيَّ طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي بينتُ لكُم"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فأين تذهبون عن هذا القرآن وتعدلون عنه"[٦].

قال مقاتل:" يعني: أين تعجلون عن كتابي وأمري لقولهم إن محمدا مجنون"[٧].

قال السمعاني:" أي: أين تذهبون عن هذا الحق الذي ظهر بدلائله؟"[٨].

قال ابن فورك: أي:" عن الحق الذي قد ظهر أمره وبدت أعلامه إلى الضلال الذي فيه البوار والهلاك، وهو استبطاءا لهم في القعود عن اتباع النبي - صلى الله عليه وسلم - والعمل بما يوجبه القرآن"[٩].

قال ابن كثير:" أي : فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن، مع ظهوره ووضوحه، وبيان كونه جاء من عند الله عز وجل، كما قال الصديق، رضي الله عنه، لوفد بني حنيفة حين قدموا مسلمين، وأمرهم فتلوا عليه شيئا من قرآن مسيلمة الذي هو في غاية الهذيان والركاكة، فقال : ويحكم، أين يُذهَب بعقولكم ؟ والله إن هذا الكلام لم يخرج من إلٍّ، أي : من إله"[١٠].

قال الزمخشري: "{فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ} استضلال لهم، كما يقال لتارك الجادّة اعتسافا أو ذهابا في بنيات الطريق[١١]: أين تذهب، مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل"[١٢].

ذكر الفرّاء :"أن المعنى: «فإلى أين تذهبون»، وحذفت «إلى» كما يقال: ذهبت الشام وذهبت إلى الشام، وانطلقت إلى السوق وانطلقت السّوق، وخرجت الشام وإلى الشام، وحكى الكسائي: انطلق به الغور، والتقدير عنده: إلى الغور فحذفت «إلى»، ثم قال: وأنشدني بعض بني عقيل [١٣]:

تَصِيحُ بِنا حَنِيفةُ إذْ رأتنا ... وأيَّ الأرْضِ تَذْهَبُ للصَّياح

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٦٤/٢٤، وعزاه في الدر (٦/ ٣٢٢) لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.
وسليمان بن موسى: قال الحافظ في التقريب: صدوق في حديثه بعض لين وخلط قبل موته.
وسعيد بن عبد العزيز: قال الحافظ في التقريب: ثقة ولكنه اختلط في آخر عمره.
(٢) التفسير الميسر: ٥٨٦.
(٣) تفسير التستري: ١٨٧.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٦٢/٢٤-٢٦٣.
(٥) معاني القرآن: ٢٩٣/٥.
(٦) تفسير الطبري: ٢٦٢/٢٤.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٥/٤.
(٨) تفسير السمعاني: ١٧٠/٦.
(٩) تفسير ابن فورك: ١٦٤/٣.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٤٠/٨.
(١١)في الصحاح «بقيات الطريق» : هي الطرق الصحار تتشعب من الجادة.
(١٢) الكشاف: ٧١٣/٤.
(١٣)نقل القرطبي فى تفسيره، ما حكاه الفراء عن العرب هنا، ثم أورد البيت وجعل «بالصياح» مكان «للصياح» (تفسير القرطبي: ١٩/ ١٤٢).

يريد: إلى أي الأرض تذهب واستجازوا في هؤلاء الأحرف إلقاء «إلى»، لكثرة استعمالهم إياها"[١].

قوله تعالى:{إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ} [التكوير: ٢٧]، أي:" ما هو إلا موعظة من الله لجميع الناس"[٢].

قال مقاتل:" يعني: ما في القرآن إلا تذكرة وتفكر للعالمين"[٣].

قال السمعاني:" أي: تذكرة وعظة للعالمين"[٤].

قال الطبري:" قول تعالى ذكره: {إنْ} هذا القرآن، إلا تذكرة وعظة للعالمين من الجنّ والإنس"[٥].

قال ابن كثير:" أي : هذا القرآن ذكر لجميع الناس، يتذكرون به ويتعظون"[٦].

قال سهل:" ذكر هذا خصوص لمن كان من العالمين عالماً بالذكر منقاداً للشريعة"[٧].

عن ابن عباس:" {إلا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ}: موعظة للمؤمنين"[٨].

عن أبي العالية:" قال الإنس عالم والجن عالم، وسوى ذلك ثمانية عشر ألف عالم من الملائكة على الأرض والأرض أربع زوايا ففي كل زاوية منها أربعة آلاف وخمسمائة عالم، خلقهم الله لعبادته تبارك وتعالى"[٩].

قوله تعالى:{لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ} [التكوير: ٢٨]، أي:" لمن شاء منكم أن يستقيم على الحق والإيمان"[١٠].

قال الطبري:" فجعل ذلك تعالى ذكره ذكرا لمن شاء من العالمين أن يستقيم، ولم يجعله ذكرا لجميعهم، ومعنى الكلام: إن هو إلا ذكر لمن شاء منكم أن يستقيم على سبيل الحقّ فيتبعه، ويؤمن به"[١١].

قال الزجاج:" أي: الاستقامة واضحة لكم، فمن شاء أخذ في طريق الحقِّ والقصد وهو الإيمان باللَّهِ عزَّ وجلَّ ورسوله"[١٢].

قال ابن كثير:" أي : من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن، فإنه منجاةٌ له وهداية، ولا هداية فيما سواه"[١٣].

عن مجاهد: "{لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ}، قال: يتبع الحقّ"[١٤].

قال ابن أبي زمنين: أي:" على أمر الله والتذكرة"[١٥].

قوله تعالى:{وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: ٢٩]، أي:" وما تشاؤون الاستقامة، ولا تقدرون على ذلك، إلا بمشيئة الله رب الخلائق أجمعين"[١٦].

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٤٣/٣، وإعراب القرآن للنحاس: ١٠٣/٥.
(٢) التفسير الميسر: ٥٨٦.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٥/٤.
(٤) تفسير السمعاني: ١٧٠/٦.
(٥) تفسير الطبري: ٢٦٣/٢٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٤٠/٨.
(٧) تفسير التستري: ١٨٧.
(٨)تفسير البغوي ٨/ ٢٠٢.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٠٣١):ص٢٢٠٧/٧.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٨٦.
(١١) تفسير الطبري: ٢٦٣/٢٤.
(١٢) معاني القرآن: ٢٩٣/٥.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٣٤٠/٨.
(١٤) أخرجه الطبري: ٢٦٤/٢٤.
(١٥) تفسير ابن أبي زمنين: ١٠٢/٥.
(١٦) التفسير الميسر: ٥٨٦.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وما تشاءون أيها الناس الاستقامة على الحقّ، إلا أن يشاء الله ذلك"[١].

قال ابن كثير:" أي : ليست المشيئة موكولة إليكم، فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل، بل ذلك كله تابع لمشيئة الله عز وجل رب العالمين"[٢].

قال سهل:" ولا تصح لكم تلك الاستقامة في الأصل والفرع إلا بمشيئتي السابقة فيكم"[٣].

قال جعفر بن جبير بن فرقد: "سمعت رجلا سأل الحسن عن قول الله سبحانه وتعالى: {وَما تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ}، فقال الحسن: والله ما شاءت العرب الإسلام حتى شاء الله لها"[٤].

قال وهب بن منبّه: "الكتب التي أنزلها الله سبحانه على الأنبياء بضع وتسعون كتابا، قرأت منها بضعا وثمانين كتابا، فوجدت فيها: «من جعل لنفسه شيئا من المشيئة فقد كفر»"[٥].

قال الواسطي: "أعجزك في جميع أوصافك، فلا تشاء إلّا مشيئته، ولا تعمل إلّا بقوته، ولا تطيع إلّا بفضله، ولا تعصي إلّا بخذلانه، فماذا يبقى لك؟ وماذا تفتخر من أفعالك وليس من فعلك شيء؟"[٦].

قال ابن الجوزي:" زعم بعض ناقلي التفسير أنّ قوله عزّ وجلّ: {لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ} وقوله عزّ وجلّ في «عبس: {فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ} [عبس: ١٢]، وقوله عزّ وجلّ في سورة «الإنسان» وفي سورة «المزمل»: {فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا} [الإنسان: ٢٩، المزمل: ١٩] كله منسوخ بقوله عزّ وجلّ: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} [التكوير : ٢٩]، ولا أرى هذا القول صحيحاً، لأنه لو جاز وقوع مشيئتهم مع عدم مشيئته توجَّه النسخ. فأما إذ أخبر أن مشيئتهم لا تقع إلا بعد مشيئته، فليس للنّسخ وجه"[٧].

فوائد الآيات:[١٥-٢٩]:

١- مشروعية الإقسام بالله تعالى وأسمائه وصفاته.

٢- تقرير الوحي وإثبات النبوة المحمدية.

٣- بيان صفات جبريل الكمالية الأمانة، القوة، علو المكانة، الطاعة، الكرم.

٤- براءة الرسول مما اتهمه به المشركون.

٥- بيان أن مشيئة الله سابقة لمشيئة العبد. فلا يقع في ملك الله تعالى إلا ما يريد.

«آخر تفسير سورة (التكوير)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) تفسير الطبري: ٢٦٤/٢٤.

(٢) تفسير ابن كثير: ٣٤٠/٨.

(٣) تفسير التستري: ١٨٧.

(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٤٤/١٠.

(٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٤٤/١٠.

(٦) نقلا عن: "الكشف والبيان": ١٤٤/١٠.

(٧) زاد المسير: ٤٠٩/٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الانفطار»

«سورة الانفطار»: هي السورة الثانية والثمانون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة النازعات»، وآياتها تسع عشرة. وكلماتها مائة. وحروفها ثلاثمائة وتسع عشرة. فواصل آياته (مكنه) . على الهاء آخر السورة[١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- أسماؤها التوقيفية:**

٢- «سورة الانفطار»:

سميت هذه السورة «سورة الانفطار» في المصاحف ومعظم التفاسير[٢]، ووجه تسميتها بذلك لافتتاحها بقوله تعالى: {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١)} [الانفطار : ١].

٣- سورة «إذا السماء انفطرت»:

وسميت في بعض التفاسير: «سورة إذا السماء انفطرت»[٣]، ولم يعدها صاحب «الإتقان» مع السور ذات أكثر من اسم وهو «الانفطار»، ووجه التسمية وقوع جملة: {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١)} [الانفطار : ١] في أولها فعرفت بها.

ثانيا:- اسمها الاجتهادي: «سورة انفطرت»:

وسميت في قليل من التفاسير «سورة انفطرت»[٤]، وقيل: تسمى «سورة المنفطرة»[٥]، أي: السماء المنفطرة.

وهذه التسمية من اجتهاد العلماء، لم يرد عن النبي-صلى الله عليه وسلم- ما يثبتها كاسم توقيفي.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس قال: " نزلت {إذا السماء انفطرت} بمكة"[٦]. وروي عن ابن الزبير[٧] مثله.

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع"[٨].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[٩].

قال ابن عاشور:" هي مكية بالاتفاق"[١٠].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

هذه السورة الكريمة تتفق مع السورة التي قبلها وهي سورة التكوير في أن كلا منها تتحدث عمَّا يصيب الكون من تغيّر وتبدّل قبيل القيامة، ففي التكوير يأتي قوله تعالى: "إذا الشمس كورت" إلى قوله -جل شأنه-: {وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ (١٤)}

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٥/١.

(٢) انظر: مثلا: تفسير الطبري: ٢٦٥/٢٤، ومعاني القرآن للزجاج: ٢٩٥/٥، وتأويلات أهل السنة: ٤٤٢/١٠، وبحر العلوم"تفسير السمرقندي": ٥٥٤/٣..وغيرها..

(٣) انظر: مثلا: تفسير الطبري: ٢٧٣/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٤٣٠/١٠، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٠٣/٥.

(٤) وردت هذه التسمية في تفسير السمعاني: ١٧٢/٦، وتفسير النيسابوري: ٤٥٧/٦، و حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسِيرِ البَيضَاوِي، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسِيرِ البَيضَاوي: ٣٢٠/٨، وتفسير المظهري: ٨/١٠..

(٥) انظر: روح المعاني: ٦٢/٣٠.

(٦) انظر: الدر المنثور: ٤٣٧/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٧) انظر: الدر المنثور: ٤٢٥/٨، وعزاه ابن مردويه.

(٨) المحرر الوجيز: ٤٤٦/٥.

(٩) زاد المسير: ٤١٠/٤.

(١٠) التحرير والتنوير: ١٦٩/٣٠.

[التكوير : ١٣ - ١٤]، وفي سورتنا هذه يجيء قوله -عز من قائل-: {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ} [الانفطار : ١]، إلى قوله تعالى: {وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥)} [الانفطار : ٤ - ٥]، فهدف السورتين يكاد يكون متفقًا على غرض واحد: وهو بيان ما يحدث قبيل يوم القيامة من أحوال عظام وأحداث جسام[١].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

١ -تحدثت السورة في أولها عما يحدث عند قيام الساعة من انفطار السماء وتشققها، وانتشار الكواكب وتفرقها، وانتزاعها من أماكنها، وتفجير البحار وامتزاج مياهها وتفرقها في جنبات الأرض، وإزالة ما بينهما من البرازخ والحواجز، ثم بعثرة القبور وإخراج ما فيها من الأموات وقد عادت لهم الحياة، وما يعقب ذلك من حشر وحساب وجزاءٍ {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ} [الانفطار : ١]، إلى قوله تعالى: {عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ} [الانفطار : ٥].

٢ - ثم تذكر السورة الكريمة اغترار الإنسان وانخداعه بإمهال الله وترك عقابه على ما يبدر منه من شرك ومعاص حيث لا يقر له بنعمة، ولا يعرف له سبحانه حقه في إفراده بالوحدانية، بل يصير كنودًا جحودًا لنعم الله عليه: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨)} [الانفطار : ٦ - ٨]، ثم يوضح ويبين -سبحانه- سبب هذا الجحود والكفران وأنه هو التكذيب وعدم الإقرار بيوم القيامة، أو بالإسلام فيقول: {كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ} [الانفطار : ٩].

٣- ثم بعد ذلك قسمت النَّاس إلى طائعين أبرار، وإلى عاصين فجار، وبينت مآل وعاقبة كل فريق منهم: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤)} [الانفطار : ١٣ - ١٤].

٤- وكانت نهاية السورة في عرض أهوال اليوم الآخر: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨)} [الانفطار : ١٧ - ١٨]، ثم ختمت بأن الملك له وحده، وأن الأمر أمره، فليس لأحد في هذا اليوم حكم ولا أمر: {يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩)} [الانفطار : ١٩].

قال ابن عاشور:" اشتملت هذه السورة على: إثبات البعث، وذكر أهوال تتقدمه، وإيقاظ المشركين للنظر في الأمور التي صرفتهم عن الاعتراف بتوحيد الله تعالى وعن النظر في دلائل وقوع البعث والجزاء. والأعلام بأن الأعمال محصاة. وبيان جزاء الأعمال خيرها وشرها. وإنذار الناس بأن لا يحسبوا شيئا ينجيهم من جزاء الله إياهم على سيىء أعمالهم"[٢].

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: الخبر عن حال السماء ونجومها في آخر الزمان، وبيان غفلة الإنسان، وذكر الملائكة الموكلين بما يصدر من اللسان والأركان، وبيان إيجاد الحق - تعالى - الحكم يوم يحشر الإنس والجان"[٣].

- **الناسخ والمنسوخ:**

هي محكمة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ[٤].

- **فضائل السورة:**

– عن ابن عمر قال: "من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: «إذا الشمس كورت»، و«إذا السماء انفطرت»، و«إذا السماء انشقت»"[٥].

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ١٨١٢/١٠.

(٢) التحرير والتنوير: ١٦٩/٣٠-١٧٠.

(٣)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٥/١.

(٤) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ١٩٥.

(٥) مسند احمد(٤٩٣٤):ص٥٢٨/٨، وسنن الترمذي(٣٣٣٣):ص٢٩٠/٥، والمستدرك للحاكم(٣٩٠٠)، وقال: " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".
وفي رواية أحمد:" وأحسبه قال: «وسورة هود»".

- عن جابر، قال: مر رجل من الأنصار بناضحين على معاذ، وهو يصلي المغرب، فافتتح سورة البقرة، فصلى الرجل ثم ذهب، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «أفتان يا معاذ، أفتان يا معاذ، ألا قرأت بـ« سبح اسم ربك الأعلى» و«والشمس وضحاها» ونحوها»[١].
- عن معمر، عن ثابت: «كان أنس يصلي بنا الظهر والعصر فربما أسمعنا من قراءته إذا السماء انفطرت، وسبح اسم ربك الأعلى»[٢].
- عن إبراهيم قال: «كانوا يقرؤون في صلاة الفجر في السفر إذا السماء انفطرت، وهل أتاك حديث الغاشية»[٣].
- عن العلاء، قال: حدثني رجل، قال: "كنت بمكة فلما صليت العشاء إذا رجل أمامي قد أحرم في نافلة فاستفتح {إذا السماء انفطرت} [الانفطار: ١] قال: فلم يزل فيها حتى نادى منادي السحر؟ فسألت عنه فقيل لي: هو سعيد بن جبير"[٤].
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ :«إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ»، أعطاه الله سبحانه من الأجر بعدد كل قبر حسنة، وبعدد كل قطرة ماء حسنة، وأصلح الله له شأنه يوم القيامة»[٥].[موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) السنن الكبرى للنسائي(١٠٥٨):ص١٥/٢. [قال الألباني]: صحيح.
(٢) مصنف عبدالرزاق الصنعاني(٢٦٨٧):ص١٠٦/٢.
(٣) مصنف عبدالرزاق الصنعاني(٢٧٤١):ص١٢٠/٢.
(٤) فضائل القرآن للقاسم بن سلام: ١٤٨.
(٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٤٥/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٢٨٣/١٠. [والحديث موضوع].

القرآن

{إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥)} [الانفطار : ١-٥]

التفسير:

إذا السماء انشقت، واختلَّ نظامها، وإذا الكواكب تساقطت، وإذا البحار فجَّر الله بعضها في بعض، فذهب ماؤها، وإذا القبور قُلِبت ببعث مَن كان فيها، حينئذ تعلم كلُّ نفس جميع أعمالها، ما تقدَّم منها، وما تأخر، وجوزيت بها.

قوله تعالى:{إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ} [الانفطار : ١]، أي:" إذا السماء انشقت، واختلَّ نظامها"[١].

وفي تفسير قوله تعالى:{إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ} [الانفطار : ١]، وجهان:

أحدهما : انشقت. قاله السدي[٢]، والفراء[٣]، والزجاج[٤]، والطبري[٥]، وابن كثير[٦].

عن السدي:" {إذا السَّماءُ انْفَطَرَتْ}، قال: انشقّتْ"[٧].

قال الزجاج:" أي: انشقت، تتشقق السماء يومَ القيامة بالغمام، كما قال عزَّ وجلّ[٨]"[٩].

قال ابن الجوزي:" انفطارها: انشقاقها"[١٠].

الثاني : سقطت. حكاه الماوردي[١١]، وأنشد قول الشاعر[١٢]:

كانوا سعوداً سماءَ الناس فانفطرت ... فأصبح الشمل لم ترفع له عُمُد

والصحيح القول الأول، لأن معنى «الفطر» -لغة- «الشق»[١٣]. والله أعلم.

قوله تعالى:{وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ} [الانفطار : ٢]، أي:" وإذا الكواكب تساقطت"[١٤].

قال مقاتل:" يعني: تساقطت"[١٥].

قال الطبري:" وإذا كواكبها انتثرت منها فتساقطت"[١٦].

قال الزجاج:" أي: تَساقطت وتهافتت"[١٧].

قوله تعالى:{وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ} [الانفطار : ٣]، أي:" وإذا البحار فجَّر الله بعضها في بعض، فذهب ماؤها"[١٨].

وفي قوله تعالى:{وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ} [الانفطار : ٣]، أربعة وجوه:

أحدها : ذهب ماؤها ويبست. قاله الحسن[١٩].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٧.

(٢)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٣) انظر: معاني القرآن: ٢٤٣/٣.

(٤) انظر: معاني القرآن: ٢٩٥/٥.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٧/٢٤.

(٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٤١/٨.

(٧)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٨) يشي إلى قوله تعالى: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا} [الفرقان : ٢٥].

(٩) معاني القرآن: ٢٩٥/٥.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٤١٠/٤.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٢٢٠/٦.

(١٢) بلا نسبة في النكت والعيون: ٢٢٠/٦.

(١٣) انظر: "الصحاح: ٢/ ٧٨١.

(١٤) التفسير الميسر: ٥٨٧.

(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٣/٤.

(١٦) تفسير الطبري: ٢٦٧/٢٤.

(١٧) معاني القرآن: ٢٩٥/٥.

(١٨) التفسير الميسر: ٥٨٧.

(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٨/٢٤، وتفسير عبدالرزاق(٣٥٢٦):ص٤٠٢/٣.

قال الحسن:" فجر بعضها في بعض فذهب بعضها"[١].
الثاني : ملئت. راه معمر عن الكلبي[٢].
الثالث : فاضت. رواه منذر الثوري عن الربيع بن خثيم[٣].
الرابع : خلطت فصارت بحراً واحداً ، وهذا معنى قول ابن عباس[٤].
قال الطبري:" فجَّر بعضها في بعض، فملأ جميعها"[٥].
قال : "وهو سبعة أبحر فتصير بحراً واحداً"[٦].
الخامس : فُجِّر عذبها في مالحها، ومالحها في عذبها، قاله قتادة[٧]، ومقاتل[٨]، والزجاج[٩].
قال مقاتل:" يعني: العذب والمالح {فجرت} بعضها في جوف بعض، فصارت البحار بحرا واحدا، فامتلأت"[١٠].
قال الزجاج:" فُجِّرَ العَذْبُ إلى المالح"[١١].
قوله تعالى:{وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ} [الانفطار : ٤]، أي:" وإذا القبور قُلِبت ببعث مَن كان فيها"[١٢].
وفي تفسير قوله تعالى:{وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ} [الانفطار : ٤]، قولان:
القول الأول : أي: قلبت وأخرج ما فيها من أهلها أحياء. كقولك: بعثرت المتاع، قلبته ظهرا لبطن، وبعثرت الحوض وبحثرته: إذا هدمته وجعلت أسفله أعلاه، و«البحثرة»، و«البعثرة»[١٣]: إثارة الشيء بقلب باطنه إلى ظاهره. ثم –هاهنا- وجهان:
أحدهما: أن القبور تبعثر بأن يخرج ما فيها من الموتى أحياء، كما قال تعالى: {وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا} [الزلزلة : ٢]. وإلى هذا المعنى ذهب أبو عبيدة[١٤]، والمبرد[١٥]، وابن قتيبة[١٦]، والزجاج[١٧]، واختاره البغوي[١٨]، وكثير من العلماء.
قال الراغب:" أي: قلب ترابها وأثير ما فيها"[١٩].
قال البغوي:" أي: قلبت، فأخرج ما فيها"[٢٠].

---

(١) تفسير عبدالرزاق(٣٥٢٦):ص٤٠٢/٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٨/٢٤، وتفسير عبدالرزاق(٣٥٢٦):ص٤٠٢/٣.
(٣) انظر: تفسير مجاهد: ٧١٠. وقال الماوردي: ٢٢١/٦:" ويحتمل رابعاً : أي: فاضت". وإنما هو قول الربيع بن خثيم ولعله لم يصله فأفاده على حدّ قوله.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٧/٢٤-٢٦٨، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩١٧٢):ص٣٤٠٨/١٠
(٥) تفسير الطبري: ٢٦٧/٢٤.
(٦) نقلا عن: النكت والعيون: ٢٢١/٦.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٨/٢٤.
(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٣/٤.
(٩) انظر: معاني القرآن: ٢٩٥/٥.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٣/٤.
(١١) معاني القرآن: ٢٩٥/٥.
(١٢) التفسير الميسر: ٥٨٧.
(١٣)البعثرة، والبحثرة، لغتان، يقال: بعثروا متاعهم وبحثروه إذا قلبوه. انظر: (بعثر) في: "تهذيب اللغة" ٣/ ٣٠٦، "لسان العرب" ٤/ ٧٢.
(١٤) انظر: مجاز القرآن: ٢٨٨/٢.
(١٥) نقلا عن: التفسير البسيط للواحدي: ٢٩٠/٢٣.
(١٦) انظر: غريب القرآن: ٥١٨.
(١٧) انظر: معاني القرآن: ٢٩٥/٥.
(١٨) انظر: شرح السنة: ١٢٠/١٥.
(١٩) المفردات في غريب القرآن: ١٣٣.
(٢٠) شرح السنة: ١٢٠/١٥.

قال الزمخشري:" بعثر وبحثر بمعنى، وهما مركبان من البعث والبحث مع «راء» مضمومة إليهما. والمعنى: بحثت وأخرج موتاها. وقيل: لـ«براءة» :«المبعثرة»[1]، لأنها بعثرت أسرار المنافقين"[2].

قال أبو عبيدة:"{بُعْثِرَتْ}: أثيرت، يقول الرجل للرجل: بعثرت حوضى، جعلت أسفله أعلاه"[3].

قال ابن قتيبة:" قُلبتْ وأُخرج ما فيها. يقال: بعثرت المتاع وبحثرته؛ إذا جعلت أسفله أعلاه"[4].

قال ابن منظور:" بعثر: بعثرت الشيء فرَقه، وبعثر التراب والمتاع: قلبه"[5].

وقال الليث: "بعثر يبعثر بعثرة: إذا قلب التراب"[6].

قال الزجاج:" يعني: بحثرت، أي: قلب ترابها وبعث الموتى الذين فيها"[7].

قال ابن فورك:" بحثرت، إذا جعل أسفله أعلاه، وقلب باطنه إلى ظاهره"[8].

قال السجستاني:" أي: القبور، أي بحثرت وأثيرت، أي: قلبت وأخرج ما فيها"[9].

والوجه الثاني: أنها تبعثر لإخراج ما في بطنها من الذهب والفضة، وذلك لأن من أشراط الساعة أن تخرج الأرض أفلاذ كبدها من ذهبها وفضتها، ثم يكون بعد ذلك خروج الموتى. وهذا اختيار الفراء[10].

قال الفراء : "خرج ما في بطنها من الذهب والفضة، وخرج الموتى بعد ذلك، وهو من أشراط الساعة: «أن تخرج الأرض أفلاذ كبدها»[11]، من ذهبها وفضتها"[12].

ومن المعروف أن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال:« يوشك أن يحسر الفرات عن جبل من ذهب، يقتتل عليه الناس، حتى يقتل من كل عشرة تسعة، ويبقى واحد»[13].

قال القفال: "يجوز أن يكون ما ذكره الله تعالى من هذه الأشياء قبل قيام الساعة، ويجوز أن يكون بعد قيام الساعة"[14].

قال القشيري:" أي: قلب ترابها، وبعث الموتى الذين فيها، وأخرج ما فيها من كنوز وموتى"[15].

وردّ النحاس على هذا الوجه، وقال:" تأوّله الفرّاء على أنّ الأرض بحثرت فألقت ما فيها من الكنوز والموتى، واحتجّ الحديث «تلقي الأرض أفلاذ كبدها»[1]. وهذا غلط وليس في

---

(١) قال ابن العربي في أحكام القرآن: ٤٤٤/٢:" وأما تسميتها المبعثرة فمن هذا المعنى، يقال: بعثرت المتاع: إذا جعلت أعلاه أسفله، وقلبت جميعه وقلبته، ومنه: {وإذا القبور بعثرت} [الانفطار: ٤]".

(٢) الكشاف: ٧١٤/٤-٧١٥.

(٣) مجاز القرآن: ٢٨٨/٢.

(٤) غريب القرآن: ٥١٨.

(٥) لسان العرب: ٤/ ٧٢.

(٦) نقلا عن: التفسير البسيط للواحدي: ٢٩٠/٢٣. ولم أقف على مصدر قوله، وقد ورد بمثله من غير عزو في "فتح القدير" ٥/ ٣٩٥.

(٧) معاني القرآن: ٢٩٥/٥.

(٨) تفسير ابن فورك: ١٦٧/٣.

(٩) غريب القران: ١٣٠.

(١٠) انظر: معاني القرآن: ٢٤٣/٣.

(١١) صحيح مسلم(١٠١٣):ص٧٠١/٢، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تقيء الأرض أفلاذ كبدها، أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا".

(١٢) انظر: معاني القرآن: ٢٤٣/٣.

(١٣) مسند أحمد(٨٥٥٩):ص١٤/ ٢٣٢. إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(١٤) نقلا عن: تفسير السمعاني: ١٧٢/٦.

(١٥) لطائف الإشارات: ٦٩٦/٣.

القرآن وإذا الأرض وفيه خصوص القبور، «وتلقي أفلاذ كبدها» لا اختلاف بين أهل العلم أنه في آخر الزمان وليس هو يوم القيامة"[٢].

قال الفخر الرازي:" القول الأول أقرب، لأن دلالة القبور على الأول أتم"[٣].

القول الثاني: بحثرت، وذلك عند البعث بحثت عن الموتى فأخرجوا من القبور, وهذا قول ابن عباس[٤]، والكلبي[٥]، ومقاتل[٦].

عن ابن عباس: "{وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ}، يقول: بُحِثَت"[٧].

قال مقاتل:" يعني: بحثت عن من فيها من الموتى"[٨].

وحكي الماوردي عن السدي:" حركت للبعث"[٩]. أي: القبور.

وعن السدي –أيضا-: ""تُبعثر : تُحرّك فيخرج من فيها"[١٠].

قال الماتريدي:" أي: بعث مَن فيها، وتقذف القبور مَن فيها"[١١].

قوله تعالى:{عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ} [الانفطار : ٥]، أي:"حينئذ تعلم كلُّ نفس جميع أعمالها، ما تقدَّم منها، وما تأخر، وجوزيت بها"[١٢].

وفي قوله تعالى:{عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ} [الانفطار : ٥]، ثلاثة وجوه من التفسير:

أحدها: علمت كلّ نفس ما قدّمت لذلك اليوم من عمل صالح ينفعه، وأخرت وراءه من شيء سنَّه فعمل به. قاله ابن مسعود[١٣]، والقُرَظي[١٤]، وبه قال الطبري[١٥]. وحكاه النحاس عن ابن عباس[١٦].

قال النحاس:" وهو أولى، وبه يقول أصحاب الحديث، وينكره بعض أهل الأهواء"[١٧].

قال الزجاج: "وقيل: {وَأَخرَتْ} سَنَّتْ من سُنةٍ عُمِل بها بعدها"[١٨].

قال ابن مسعود:" {مَا قَدَّمَتْ} من خير، {وَأَخَّرَتْ} من سنة صالحة يعلم بها بعده، فإن له مثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا، أو سنة سيئة يعمل بها بعده، فإن عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيئا"[١٩].

الثاني : ما قدّمت من الفرائض التي أدتها، وما أخَّرت من الفرائض التي ضيعتها. قاله ابن عباس[٢٠]، وعكرمة[١]، وقتادة[٢]، وابن زيد[٣]، وبه قال الزجاج[٤].

---

(١) سبق تخريجه في قول الفراء السابق.
(٢) إعراب القرآن: ١٠٤/٥.
(٣) مفاتيح الغيب: ٧٣/٣١.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٨/٢٤.
(٥) انظر: التفسير البسيط للواحدي: ٢٣/ ٢٩١. ولم أعثر على مصدر لقوله.
(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٣/٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٦٨/٢٤.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٣/٤.
(٩) انظر: النكت والعيون: ٢٢١/٦، وتفسير ابن كثير: ٣٤١/٨.
(١٠) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٤١/٨.
(١١) تأويلات أهل السنة: ٤٤٤/١٠.
(١٢) التفسير الميسر: ٥٨٧.
(١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١٧٣):ص٣٤٠٨/١٠.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٨/٢٤.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٨/٢٤.
(١٦) انظر: إعراب القرآن: ١٠٤/٥.
(١٧) إعراب القرآن: ١٠٤/٥.
(١٨) معاني القرآن: ٢٩٥/٥.
(١٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٧٣):ص٣٤٠٨/١٠.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٨/٢٤.

قال الزجاج:" {مَا قَدَّمَتْ}: من عَمَلٍ أمرت به وما. {أَخَّرَتْ} منه فلم تعلمه"[٥].
عن عكرمة: "{عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ}، قال: ما افترض عليها، {وَأَخَّرَتْ}، قال: مما افترض عليها"[٦].
قال قتادة:" ما قدّمت من خير، وأخَّرت من حق الله عليها لم تعمل به"[٧].
قال قتادة:" ما قدمت من طاعة الله وما أخرت من حق الله"[٨].
قال ابن عباس:" تعلم ما قدّمت من طاعة الله، وما أخرت مما أُمِرَت به من حقّ لله عليه لم تعمل به"[٩].
قال ابن زيد:" ما قدّمت: عملت، وما أخرت: تركت وضيَّعت، وأخرت من العمل الصالح الذي دعاها الله إليه"[١٠].
الثالث : ما قدّمت من خير أو شرّ، وأخَّرت من خير أو شرّ. وهذا معنى قول إبراهيم التيمي[١١].
عن العوّام، عن إبراهيم التيمي، قال: "ذكروا عنده هذه الآية :{عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ}، قال: أنا مما أخَّرَ الحجاج"[١٢].
قال الطبري:" وإنما اخترنا القول، لأن كلّ ما عمل العبد من خير أو شرّ فهو مما قدّمه، وأن ما ضيَّع من حقّ الله عليه وفرّط فيه فلم يعمله، فهو مما قد قدّم من شرّ، وليس ذلك مما أخَّر من العمل، لأن العمل هو ما عمله. فأما ما لم يعمله فإنما هو سيئة قدّمها، فلذلك قلنا: ما أخر: هو ما سنه من سنة حسنة وسيئة، مما إذا عمل به العامل، كان له مثل أجر العامل بها أو وزره"[١٣].
قال الفراء:" وهذا جواب : {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ} [الانفطار : ١]"[١٤]، لأنه خبر. قال ابن كثير:" أي : إذا كان هذا حَصَل هذا"[١٥].
وجعلها الحسن قَسَماً وقعت على قوله:{عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ} [الانفطار : ٥]، الآية[١٦].
قال الماوردي: "والأظهر ما عليه الجماعة من أنه خبر وليس بقسم"[١٧].

القرآن

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٨/٢٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٨/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٨/٢٤.
(٤) انظر: معاني القرآن: ٢٩٥/٥.
(٥) معاني القرآن: ٢٩٥/٥.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٦٨/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٦٨/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٦٨/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٦٨/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٦٨/٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٩/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٦٩/٢٤.
(١٣) تفسير الطبري: ٢٦٩/٢٤.
(١٤) انظر: معاني القرآن: ٢٣٨/١.
(١٥) تفسير ابن كثير: ٣٤١/٨.
(١٦) نقلا عن: النكت والعيون: ٢٢١/٦.
(١٧) النكت والعيون: ٢٢١/٦.

{يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨)} [الانفطار : ٦-٨]

التفسير:

يا أيها الإنسان المنكر للبعث، ما الذي جعلك تغتَرُّ بربك الجواد كثير الخير الحقيق بالشكر والطاعة، أليس هو الذي خلقك فسوَّى خلقك فعَدَلك، وركَّبك لأداء وظائفك، في أيِّ صورة شاءها خلقك؟

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} [الانفطار : ٦]، أي:" يا أيها الإنسان المنكر للبعث، ما الذي جعلك تغتَرُّ بربك الجواد كثير الخير الحقيق بالشكر والطاعة"(١).

قال ابن كثير:" هذا تهديد، لا كما يتوهمه بعض الناس من أنه إرشاد إلى الجواب ؛ حيث قال :{الْكَرِيمِ} حتى يقول قائلهم : غره كرمه. بل المعنى في هذه الآية : ما غرك يا ابن آدم بربك الكريم - أي : العظيم - حتى أقدمت على معصيته، وقابلته بما لا يليق ؟ كما جاء في الحديث : «يقول الله يوم القيامة : ابن آدم، ما غرك بي ؟ ابن آدم، ماذا أجبتَ المرسلين؟»(٢)"(٣).

قال الزجاج:" أي: ما خدعك وَسَوَّلَ لكَ حتى أضعت ما وجب عليك"(٤).

قال يحيى بن سلام:" تفسير «كريم»: يتجاوز ويصفح"(٥).

قال ابن قتيبة:" الكريم: الشريف الفاضل"(٦).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٧.

(٢)عن عبد الله بن عكيم قال: سمعت عبد الله بن مسعود، بدأ باليمين قبل الحديث فقال: " ما منكم أحد إلا سيخلو به ربه كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، ثم يقول: ابن آدم، ما غرك بي؟ يا ابن آدم، ماذا عملت فيما علمت؟ يا ابن آدم، ماذا أجبت المرسلين؟".

الزهد والرقائق لابن المبارك(٣٨):ص١٣/١، وتعظيم قدر الصلاة للمروزي(٨٤٨):ص٨٤٠/٢، والسنن الكبرى للنسائي(١١٨٤٣):ص٤٠٣/١٠، المعجم الأوسط للطبراني(٤٤٩):ص١٤٢/١، والمعجم الكبير للطبراني(٨٨٩٩):ص١٨٢/٩.

وروي عن غطيف بن الحارث الكندي، قال: جلست أنا وأصحاب لي إلى عبد الله بن عمرو، قال: فسمعته يقول: " إن العبد إذا وضع في القبر كلمه فقال: يا ابن آدم، ألم تعلم أني بيت الوحدة، وبيت الظلمة، وبيت الحق، يا ابن آدم، ما غرك بي؟ قد كنت تمشي حولي فدادا "، قال: فقلت لغطيف: يا أبا أسماء، ما فدادا، قال: أحيانا، فقال له صاحبي وكان أسن مني: فإذا كان مؤمنا؟ قال: «وسع له وجعل منزله أخضر، وعرج بنفسه إلى الجنة». [مصنف ابن أبي شيبة(٣٤٧١٤):ص١٢٨/٧].

وروي عن أبي الحجاج الثمالي، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بي، ألم تعلم أني بيت الفتنة، وبيت الظلمة، وبيت الوحدة، وبيت الدود، ما غرك بي إذ كنت تمر بي فدادا، فإن كان مصلحا أجاب عنه مجيب القبر فيقول: أرأيت إن كان ممن يأمر بالمعروف ونهى عن المنكر فيقول القبر: إني إذا أعود عليه خضرا ويعود جسده نورا، يصعد بروحه إلى رب العالمين " قال ابن عائذ: يا أبا الحجاج: ما الفداد؟ قال: الذي يقدم رجلا ويؤخر أخرى، كمشيتك يا ابن أخي أحيانا، وهو يومئذ يلبس ويتهيأ ". [الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم(٢٤١٢):ص٣٧١/٤، ومسند أبي يعلى(٦٨٧٠):ص٢٨٥/١٢]

(٣) تفسير ابن كثير: ٣٤١/٨-٣٤٢.

(٤) معاني القرآن: ٢٩٥/٥.

(٥)التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٥٢.

(٦) تأويل مشكل القرآن: ٢٦٩.

قال ابن قتيبة:"

- الكريم: الشريف الفاضل، قال الله تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: ١٣] أي: أفضلكم. وقال: {وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ} [الإسراء: ٧٠] أي: شرفناهم وفضّلناهم. وقال حكاية عن إبليس: {أَرَأَيْتَكَ هذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ} [الإسراء: ٦٢] أي: فضلت. وقال: {مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ} [الفجر: ١٥]، أي: فضّله. وقال: {رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} [المؤمنون: ١١٦] أي: الشريف الفاضل. وقال: {وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيماً} [النساء: ٣١] أي: شريفا. وقال: إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتابٌ كَرِيمٌ [النمل: ٢٩] أي شريف لشرف كاتبه، ويقال: شريف بالختم.

عن سهل بن سعد الساعدي -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز اسمه كريم يحب مكارم الأخلاق ويبغض سفسافها»[١].

روي البيهقي عن عبد الله بن جعفر , قال: "علمني علي رضي الله عنه كلمات علمهن رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه يقولهن في الكرب والشيء يصيبه: «لا إله إلا الله الحليم الكريم , سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم , والحمد لله رب العالمين»"[٢].

ثم قال البيهقي:" قال الحليمي في معنى «الحليم»: إنه الذي لا يحبس إنعامه وأفضاله عن عباده لأجل ذنوبهم , ولكنه يرزق العاصي كما يرزق المطيع , ويبقيه وهو منهمك في معاصيه كما يبقي البر التقي , وقد يقيه الآفات والبلايا وهو غافل لا يذكره فضلا عن أن يدعوه كما يقيها الناسك الذي يسأله , وربما شغلته العبادة عن المسألة , قال أبو سليمان: هو ذو الصفح والأناة الذي لا يستفزه غضب , ولا يستخفه جهل جاهل ولا عصيان عاص , ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحليم , وإنما الحليم هو الصفوح مع القدرة , المتأني الذي لا يعجل بالعقوبة ومنها «الكريم» قال الله جل ثناؤه: {مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} [الانفطار: ٦]"[٣].

وفي المخاطب بقوله قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ} [الانفطار : ٦]، أقوال:

أحدها : أنه خاطب به جميع الناس. ابن زيد، وبه قال ابن قتيبة[٤].

قال ابن قتيبة:" لم يرد الله في هذا الخطاب إنسانا بعينه، وإنما خاطب به جميع الناس كما قال: {يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً} [الانشقاق: ٦]، كما يقول القائل: يا أيها الرجل، وكلكم ذلك الرجل"[٥].

عن ابن زيد قال: "الطاغوت: الشيطان هو –هاهنا- واحد، وهي جماعة، مثل قوله: {يا أيها الإنسان ما غرك}، قال: هي للناس كلهم، الذين قال لهم الناس إنما هو واحد"[٦].

روي عن محمد بن شعيب، عن محمد بن صهيب:" أنه سأل بعض علماء أهل الجزيرة بأرمينية عن قول الله عز وجل: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦]- فأخبره عن بعض علماء الجزيرة أنه كان يقول: "هذه خاصة ولم يعم , كقوله: {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا} [الأنعام: ٢٢] , {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ} [الأنعام: ١٣٠] قال: فهذه خاصة , وقد قال: جميعا". قال ابن شعيب: "فلقيت عبد الرحمن بن زيد بن أسلم , فسألته عن قول الله: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦]، وأخبرته بقول ابن صهيب عن الجزري، فقال: " هو كذلك إن الله ربما ذكر الواحد وهو لجميع الناس , وربما ذكر الناس وهو واحد , يقول الله عز وجل: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ} [آل عمران: ١٧٣] وإنما قال لهم ذلك رجل واحد، وقال: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} [الانفطار: ٦]، فهذا لجميع الناس"[٧].

– والكريم: الصّفوح، وذلك من الشرف والفضل، قال الله عز وجل: فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ [النمل: ٤٠] أي: صفوح. وقال: ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) [الانفطار: ٦] أي الصّفوح.

والكريم: الكثير الكرم، قال الله تعالى: وَرِزْقٌ كَرِيمٌ [الأنفال: ٤، والحج: ٥٠، والنور: ٢٦، وسبأ: ٤] أي: كثير.

– والكريم: الحسن، وذلك من الفضل. قال الله تعالى: أَوَلَمْ يَرَوْا إِلى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (٧) [الشعراء: ٧] أي: حسن. وكذلك قوله: مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ [الحج: ٥ وق: ٧] أي: حسن يبتهج به. وقال تعالى: وَقُلْ لَهُما قَوْلًا كَرِيماً [الإسراء: ٢٣] ، أي حسنا.

ثم قال ابن قتيبة : وهذا وإن اختلف، فأصله الشرف".

(١) أخرجه البيهقي في "الأسماء والصفات"(٨٨):ص١٤٣/١.

(٢) الأسماء والصفات: ١٤٢/١.

(٣) الأسماء والصفات: ١٤٢/١.

(٤) انظر: تأويل مشكل القرآن: ٧٠.

(٥) تأويل مشكل القرآن: ٧٠.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٣٨١):ص٣٢٤٩/١٠.

(٧) الأسماء والصفات للبيهقي(٥٨٠): ٣٣٤.

الثاني: أنه إشارة إلى كل كافر. قاله أيفع بن عبد الكلاعي[١]، وبه قال الطبري[٢].

قال الطبري:" يا أيها الإنسان الكافر، أيّ شيء غرّك بربك الكريم"[٣].

عن أيفع بن عبد الكلاعي: "أنه قال في قوله: {مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [هود : ٥٦]، قال: فيأخذ بنواصي عباده، فيلين للمؤمن حتى يكون لهم ألين من الوالد بولده، ويقال للكافر: {مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} [الانفطار : ٦]"[٤].

الثالث : أنه أبي بن خلف ، قاله عكرمة[٥].

الرابع : أنه أبو الأشد بن كلدة بن أسد الجمحي ، قاله ابن عباس[٦]، ومقاتل[٧].

قال مقاتل:" نزلت في أبي الأشدين، اسمه أسيد بن كلدة، وكان أعور شديد البطش، فقال: لئن أخذت بحلقة من باب الجنة ليدخلنها بشر كثير، ثم قتل يوم فتح مكة"[٨].

قال الماتريدي:" قيل: نزلت الآية في شأن كلدة؛ حيث ضرب النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ -؛ فلم يعاقبه اللَّه - تعالى - فأسلم حمزة حمية لقومه؛ فَهَمَّ كلدة أن يضربه ثانية؛ فنزلت الآية: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ}، حيث لم يهلكك عند تناولك رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ــ"[٩].

وفي الذي غرَّه قولان :

أحدهما : عدوه الشيطان ، قاله قتادة[١٠]، ومقاتل[١١]، وبه قال الطبري[١٢].

قال الطبري:"غرّ الإنسانَ به عدوُّه المسلَّط عليه"[١٣].

عن قتادة: "{مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} شيء ما غرّ ابن آدم هذا العدوّ الشيطان"[١٤].

الثاني : جهله، وهو قول عمر بن الخطاب[١٥]، وعمر بن ذر[١٦]، وربيع بن خثيم[١٧]، ورواه أبو بردة عن أبي موسى[١٨]، ورفعه صالح بن مسمار[١٩].

عن عمر بن الخطاب:" أنه قرأ هذه الآية: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} [الانفطار : ٦]، فقال: غرَّه والله جهلُهُ"[٢٠].

عن يحيى البكاء:" سمعت ابن عمر يقول وقرأ هذه الآية :{يَاأَيُّهَا الإنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} قال ابن عمر : غره - والله ــ جهله"[٢١].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٧٣):ص٢٠٤٧/٦.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٩/٢٤، والنكت والعيون: ٢٢١/٦.
(٣) تفسير الطبري: ٢٦٩/٢٤.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٧٣):ص٢٠٤٧/٦.
(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١٧٤):ص٣٤٠٨/١٠. وعزاه لابن منذر.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٢٢١/٦.
(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٣/٤.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٣/٤.
(٩) تأويلات أهل السنة: ٤٤٥/١٠.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٩/٢٤.
(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٣/٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٩/٢٤، والنكت والعيون: ٢٢١/٦.
(١٣) تفسير الطبري: ٢٦٩/٢٤.
(١٤) انظر: فضائل القرآن، للقاسم بن سلام: ١٥١.
(١٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١٧٤):ص٣٤٠٨/١٠.
(١٦) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأفياء: ١١٢/٥.
(١٧) انظر: مصنف ابن أبي شيبة(٣٤٨٦٤):ص١٤٨/٧.
(١٨) انظر: شعب الإيمان للبيهقي(١٨٩٨):ص٤١٥/٣.
(١٩) رواه القاسم بن سلام في "فضائل القرآن": ١٥١.
(٢٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٧٤):ص٣٤٠٨/١٠، وانظر: مسند الفاروق(١٢٢):ص٦٣/١.
(٢١) رواه ابن ابي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٣٤٢/٨.

روي عن سفيان، قال: "سمع عمر بن ذر، رجلا يقول: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} [الانفطار: ٦]، فقال عمر: الجهل"[١].

عن صالح بن مسمار، قال: "بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} [الانفطار: ٦] فقال: «جهله»"[٢].

عن أبي بردة، قال: "كان أبو موسى إذا قرأ: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} [الانفطار: ٦] قال: يعني الجهل، وإذا قرأ: {أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ} [الكهف: ٥٠] بكى"[٣].

وقال سهل بن عبدالله في الآية:" أي: ما غرك بدونه فقطعك عنه مع لطفه وكرمه. قيل له: ما القاطع؟ قال: العبد لله والله لعبده، وليس شيء أقرب إليه من قلب المؤمن، فإذا حضر الغير فيه فهو الحجاب، ومن نظر إلى الله بقلبه بَعُدَ عن كل شيء دونه، ومن طلب مرضاته أرضاه بحلمه، ومن أسلم إلى الله تعالى قلبه تولى جوارحه فاستقامت، وإنما شهدت قلوبهم على قدر ما حفظوا من الجوارح.

ثم قال: ألزموا قلوبكم، نحن مخلوقون وخالقنا معنا، ولا تملوا من أعمالكم، فإن الله شاهدكم حيثما كنتم، وأنزلوا به حاجاتكم، وموتوا على بابه، وقولوا: نحن جهال وعالمنا معنا، ونحن ضعفاء ومقوينا معنا، ونحن عاجزون وقادرنا معنا، فإن من لزمها كان الهواء والفضاء والأرض والسماء عنده سواء.

قال عمر بن واصل تلميذ سهل: إذا قرأ هذه الآية، قال: غرني الجهل بترك العصمة منك"[٤].

وقال الكلاباذي:" روي عن بعض الصحابة، أو من دونه من الكبار، أنه قرأ: {ما غرك بربك الكريم} [الانفطار: ٦]، قال: غرني عفوك يا سيدي. وقال آخر: غرتني نفسي الأمارة بالسوء، وخدعني بالأمل العدو. وقال آخر: غرني حلمك عني. فكل هذه أعذار للمؤمنين فيما كان منهم من زلاتهم، ودلالة على الله تعالى بإقالة عثراته، وينعشه عند سقطاته إذا علق له، واعتذر إليه، وأنه لا يهلك على ربه الكريم إلا لسلفه اللئيم"[٥].

---

(١) رواه أبو نعيم في "حلية الأولياء وطبقات الأفياء": ١١٢/٥.

(٢) رواه القاسم بن سلام في "فضائل القرآن": ١٥١.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٨٩٨):ص٤١٥/٣.

(٤) تفسير التستري: ١٨٨.

(٥) بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار: ٢٣٧، ذكر هذا النص من خلال شرحه لحديث:" أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: شيخ زان، وإمام كذاب، وعائل مزهو». قال الشيخ رحمه الله: خص رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة هؤلاء الثلاثة من بين كثير من الناس من مرتكبي المعاصي، ومواقعي المناهي بإعراض الله عنهم، وحرمانه إياهم رحمته التي وسعت كل شيء، فيجوز أن يكون ذلك لقلة إصرارهم في ارتكاب ما ارتكبوه، وإتيان ما أتوه، وأن ذلك كان منهم شرها فيهم، وقلة مبالاة، ورداءة طبع، إن الزنا أن يكون من غلبة الشهوة على الإنسان، ومنازعتها إياه، وضعفه عن مقاومتها في الصبر عليها، وذلك إنما يكون في حال الشباب، وحداثة السن، وقوة الطبع، وضعف العقل، ورقة الحال، وقلة العلم، فيكون أسباب المعصية قوية، وأسباب العصمة دونها، فيتغلب العبد، فيواقع المنتهى. وأما الشيخ فيكون بخلاف هذه الأحوال، ولا يكون له هذه الأغرار، وقد تم عقله، وقويت حاله، وبلغ علمه وحلمه، وسكنت حدة شهوته، وضعفت قوة طباعه، وقويت فيه دواعي العقل، وآلات الامتناع، وضعفت آلات الهوى، ودواعي الشهوات، فارتكابه في هذه الحال ما نهي عنه من الزنا، ليس إلا بسبب الاستخفاف، وقلة المبالاة، ورداءة الطبع، وقسوة القلب، وانطماس نور الهدى، وإعراضها عن رعاية حق المولى، فيجازيه في القيامة، إن لم يكن له منه الحسنى، فيعرض عنه في الآخرة كإعراضه الذي كان عنه في الدنيا. والكذب إنما يكون من الإنسان لدفع مضرة، أو لجلب منفعة فيما يخيل إليه، يخاف شيئا مما يحبه أن يفوته، أو يرجوه أن يصيبه، ويخيل إليه أن أحدا من الناس يحجزه عنه، أو يمنعه، أعني الكذب، رهبة من إنسان، أو رغبة فيه، فيكذب له، والإمام ليس فوقه من الناس أحد يرجوه، أو يخافه، فلا عذر له في كذبه، فكذبه لسوء طبعه، ورداءة حاله، واستخفافه بحق الله في الوقوف على حدوده، فيجازيه ربه يوم لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا على سوء سيرته

وروى أبو وائل عن ابن مسعود، قال: " ما منكم من أحد إلّا سيخلو الله سبحانه وتعالى به يوم القيامة فيقول: يا ابن آدم ما غرّك بي يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟"[١].

وقيل للفضيل بن عياض: " لو أقامك الله سبحانه وتعالى يوم القيامة بين يديه فقال: ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ماذا كنت تقول؟ قال: أقول غرني : سُتُورك المُرخاة"[٢].

وقال: مقاتل: "غرّه عفو الله حين لم يعجّل عليه بالعقوبة"[٣].

وتلا نصر بن مغلس هذه الآية فقال: "غرّه رفق الله به"[٤].

عن حماد بن بكر يحكي، عن بعضهم أنه قال: "لو سألني عن هذا ربي، لقلت: غرّني حلمك"[٥].

وقال يحيى بن معاذ: " لو أقامني الله سبحانه بين يديه فقال: ما غرّك بي؟ قلت: غرّني بك برّك بي سابقا وآنفا"[٦].

وقال أبو بكر الوراق: "لو قال لي: ما غرك بربك الكريم؟ لقلت: غرّني كرم الكريم"[٧].

، قال منصور بن عمار:" لو قيل: ما غرّك بي؟ قلت: يا رب ما غرّني إلّا ما علمته من فضلك على عبادك وصفحك عنهم"[٨].

حين ملكه الله، ومكنه من دفع كثير من المضار عن نفسه، وجلب المنافع إليها بما خوله من نعمه، وآتاه من سلطانه. والزهو هو الترفع والتكبر والإزراء ممن دونه، والاستخفاف بعباد الله، ودواعي هذه الأسباب الاستغناء، وقلة الحاجة، والإمكان من بلوغ ما يتمناه، ونيل ما يشتهيه، وحاجة الناس إليه، ورغبتهم فيه، وخدمتهم إياه، واستكانتهم له، فتدعوه هذه الأسباب إلى نظره إلى نفسه، وإعجابه بها، فيزهو، والعائل هو الفقير ليس له هذه الدواعي، ولا معه هذه الآلات، فلا عذر له في زهوه، فزهوه، وترفعه في غير ذات الله رداءة فيه، وقلة معرفة بالله، ومنازعة منه لربه فيما هو له دون خلقه، فيعرض الله عنه إن لم يرحمه إهانة له جزاء على إعراضه عن عباده المؤمنين، واستهانته بحقوقهم. ففي الحديث دلالة على كرم الله في قبول أعذار العباد فيما يكون منهم من المخالفات من ارتكاب مناهيه، وإتيان معاصيه إذا رجعوا إليه تائبين، أو وردوا على الله على إيمانهم ثابتين، أو يعفو ويغفر لهم ما كان منهم عند غلبة الشهوة المركبة فيهم إياهم، وتزيين العدو لهم، وبسط الأمل في الرجوع إلى الله رجاء المدة في ذلك، ودلالة على كرمه في قبول أعذارهم عند ضروراتهم، وحاجاتهم في نيل ما إليه حاجاتهم، والخوف من لحوق الضرر بهم لضعف البشرية، وعجز الإنسانية، وفي النظر لأنفسهم، واغترارهم بالأسباب الحاملة لهم عن الحاجة. فكأنه عز وجل بسط عذرهم، ودلهم على موضع اللقاء له، وطلب العذر إليه، كما يقال لمن أتى ما نهى الله عنه: ما الذي حملك على ذلك؟ فيقول: خدعني فلان، وغرني كذا، وظننت كذا، ورجوت كذا، أو خفت كذا، فيقال له: قد عذرناك، وقبلناك، وتجاوزنا عنك. وروي عن بعض الصحابة، أو من دونه من الكبار، أنه قرأ: {ما غرك بربك الكريم} [الانفطار: ٦] قال: غرني عفوك يا سيدي. وقال آخر: غرتني نفسي الأمارة بالسوء، وخدعني بالأمل العدو. وقال آخر: غرني حلمك عني. فكل هذه أعذار للمؤمنين فيما كان منهم من زلاتهم، ودلالة على الله تعالى بإقالة عثراته، وينعشه عند سقطاته إذا علق له، واعتذر إليه، وأنه لا يهلك على ربه الكريم إلا لسلفه اللئيم، وفي الحديث دلالة على أن الشاب الذي يغلبه قوة شهوته، وغرته شبابه، وسلطان الهوى عليه، وكل من أتى محظورا، أو ارتكب نهيا في حال غلبة الدواعي له إليه، وسلطان الهوى عليه أعذر، وإلى الرجوع إلى الله إذا سكنت حدته، وضعف قوته أجدر، والله تعالى يتجاوز له، ويعفو له ما لا يفعل ذلك بمن تمت حجة الله عليه في المدة التي جعلها له في رجوعه إليه. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من عمره الله ستين سنة، فقد أعذر إليه في العمر».

(١) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٠/!٤٦-١٤٧، وتفسير البغوي: ٣٥٦/٨.

(٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٤٦/١٠، وانظر: زاد المسير: ٤١١/٤، وتفسير البغوي: ٣٥٦/٨، وتفسير ابن كثير: ٣٤٢/٨.

(٣) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٤٦/١٠.

(٤) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٤٦/١٠.

(٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٤٦/١٠.

(٦) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٤٦/١٠، وانظر: زاد المسير: ٤١١/٤، وتفسير البغوي: ٣٥٦/٨.

(٧)رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٤٦/١٠، ونظر: تفسير البغوي: ٣٥٦/٨، وتفسير ابن كثير: ٣٤٢/٨.

(٨) الكشف والبيان: ١٤٦/١٠.

قال الثعلبي:" قال بعض أهل الإشارة: " إنّما قال: بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ دون سائر أسمائه وصفاته لأنه كان لفتة الإجابة حتى يقول: غرّني كرم الكريم"[1].

قال ذو النون المصري: "كم من مغرور تحت الستر وهو لا يشعر"[2].

قوله تعالى:{الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ} [الانفطار : ٧]، أي:" أليس هو الذي خلقك فسوَّى خلقك، فجعلك معتدل القامة منتصباً في أحسن الهيئات والأشكال"[3].

قال الزجاج:" أي: خلقك في أحسن تقويم"[4].

قال ابن كثير:" أي : جعلك سَويا معتدل القامة منتصبها، في أحسن الهيئات والأشكال"[5].

قوله تعالى:{الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ} [الانفطار : ٧]، في«فَعَدَلَكَ» وجهان من القراءة[6]:

إحداهما: «فَعَدَّلَكَ» بالتشديد[7]، أي: قومك وجعلك معتدل الخلق والأعضاء. وهو اختيار الفراء[8]، وابن قتيبة[9]، وأبي عبيد[10]، لقوله سبحانه {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين : ٤].

قال الفراء:" من قرأ: «فعدلك» مشددة، فإنه أراد- والله أعلم: جعلك معتدلا معدل الخلق، وهو أعجب الوجهين إلي، وأجودهما في العربية لأنك تقول: في أي صورة ما شاء ركبك، فتجعل- في- للتركيب أقوى في العربية من أن يكون في للعدل، لأنك تقول: عدلتك إلى كذا وكذا، وصرفتك إلى كذا وكذا، أجود من أن تقول: عدلتك فيه، وصرفتك فيه"[11].

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ«فسواك فعدلك»، مثقل"[12].

قال ابن قتيبة:" {فَعَدَّلَكَ} قَوَّم خَلْقك"[13].

القراءة الثانية: «فعدلك» بالتخفيف[14]، أي: صرفك وأمالك إلى ما شاء من حسن وقبيح وقبح وصحة وسقم. حكاه الفراء،[15]، والنحاس[16]، والثعلبي[17].

---

(١) الكشف والبيان: ١٤٦/١٠، وانظر: تفسير البغوي: ٣٥٦/٨، وتفسير ابن كثير: ٣٤٢/٨.
وعلّق عليه ابن كثير، قائلا:" وهذا الذي تخيله هذا القائل ليس بطائل ؛ لأنه إنما أتى باسمه {الْكَرِيمِ} ؛ لينبه على أنه لا ينبغي أن يُقَابَل الكريم بالأفعال القبيحة، وأعمال السوء".
(٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٠/!٤٧.
(٣) انظر: التفسير الميسر: ٥٨٧، وصفوة التفاسير: ٥٠٣/٣.
(٤) معاني القرآن: ٢٩٥/٥.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٤٢/٨.
(٦) انظر: السبعة في القراءات: ٦٧٤، ومعاني القرآن للأخفش: ٥٧٠/٢، ومعاني القرآن للفراء: ٢٤٤/٣، وإعراب القرآن للنحاس: ١٠٥/٥، والكشف والبيان: ١٠/!٤٧، والنكت والعيون: ٢٢٢/٦، وتفسير البغوي: ٣٥٦/٨.
(٧) انظر: السبعة في القراءات: ٦٧٤، قرأ بها ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر.
(٨) معاني القرآن: ٢٤٤/٣. وانظر: معاني القرآن للأخفش: ٥٧٠/٢.
(٩) انظر: غريب القرآن: ٥١٨.
(١٠) حكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٠/!٤٧.
(١١) معاني القرآن: ٢٤٤/٣. وانظر: معاني القرآن للأخفش: ٥٧٠/٢.
(١٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم(٢٩٩٧):ص٢٧٦/٢. وقال:" «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.
(١٣) غريب القرآن: ٥١٨.
(١٤) انظر: السبعة في القراءات: ٦٧٤، وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائى.
(١٥) انظر: معاني القرآن: ٢٤٤/٣.
(١٦) انظر: إعراب القرآن: ١٠٥/٥.
(١٧) انظر: الكشف والبيان: ١٤٧/١٠.

قال الفراء:" من قرأها بالتخفيف فوجهه -والله أعلم-: فصرفك إلى أي صورة شاء إما: حسن، أو قبيح، أو طويل، أو قصير"[١].

قال الأخفش:" {فَعَدَلَكَ}، أي: كذا خلقك، و«عَدَلَكَ» أي: عدل بعضك ببعضك فجعلك مستويا معتدلا"[٢].

وقال مقاتل:" {فَعَدَلَكَ}، يعني: فقومك"[٣].

وقال عطاء: "جعلك قائما معتدلا"[٤].

وقال النحاس:" معنى «عدلك» -في اللغة-: خلقك معتدلا لا يزيد رجل على رجل، وكذا سائر خلقك. وقد يكون «عدّلك»: تكثير «عدلك»، فيكونان بمعنى واحد. كما قال ابن الزبعرى[٥]:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... وعدلنا مثل بدر فاعتدل

أي: قتلنا منهم مثل من قتلوا منا"[٦].

قال الماتريدي-في الآية:" فيه ذكر قوته وسلطانه حيث قدر على تسويته في تلك الظلمات الثلاث التي لا ينتهي إليها تدبير البشر، ولا يجري عليها سلطانهم؛ ليهابوه ويحذروا مخالفته. وفيه ذكر حكمته وعلمه؛ ليعلموا أنهم لم يخلقوا عبثا ولا سدى؛ لأن الذي بلغت حكمته ما ذكر من إنشائه في تلك الظلمات الثلاث من وجوه لا يعرفها الخلق، لا يجوز أن يخرج خلقه عبثا باطلا؛ بل خلقهم ليأمرهم وينهاهم، ويرسل إليهم الرسل، وينزل عليهم الكتب؛ فيلزمهم اتباعها، ويعاقبهم إذا أعرضوا عنها، وتركوا اتباعها"[٧].

عن ابن المسيب، قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال، قال: «آمنت بالذي خلقك فسواك فعدلك»"[٨].

عن عبد الرحمن بن حرملة، قال: "انصرفت مع سعيد بن المسيب من المسجد، فقلنا: هذا الهلال يا أبا محمد، فلما انصرف قال: «آمنت بالذي خلقك فسواك فعدلك» ثم التفت إلي فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال قال هكذا"[٩].

عن سعيد بن عبيد قال: " رأيت سعيد بن جبير وهو يؤمهم في رمضان يردد هذه الآية: {إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ} [غافر: ٧١]، {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ} [الانفطار: ٧]، يرددها مرتين أو ثلاثا"[١٠].

عن أنس بن مالك، رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نظر إلى الهلال قال: «هلال خير ورشد ويمن ثلاثا الحمد لله الذي خلقك فسواك فعدلك، وجعلك آية للعالمين، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة»[١١].

عن بُسْر بن جحَاش القرشي : "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما في كفه، فوضع عليها إصبعه، ثم قال : "قال الله عز وجل : ابن آدم أنَّى تُعجِزني وقد خلقتك من مثل هذه

---

(١) معاني القرآن: ٢٤٤/٣.

(٢) معاني القرآن: ٥٧٠/٢.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٣/٤.

(٤) نقلا عن: تفسير السمعاني: ١٧٤/٦.

(٥)لعبد الله بن الزبعرى في ديوانه ٩٣، وبلا نسبة في لسان العرب (عدل) ، وتهذيب اللغة ٢/ ٢١١، وتاج العروس (عدل).

(٦) إعراب القرآن: ١٠٥/٥.

(٧) تأويلات أهل السنة: ٤٤٥/١٠-٤٤٦.

(٨) جامع معمر بن راشد(٢٠٣٣٩):ص٢٠٧/١١، ومصنف عبدالرزاق الصنعاني(٧٣٥١):١٦٨/٤.

(٩) مصنف ابن أبي شيبة(٩٧٢٨):٣٤٢/٢.

(١٠) مصنف عبدالرزاق الصنعاني(٤١٩٦):٤٩١/٢.

(١١) الدعاء للطبراني(٩٠٧):ص٢٨٣.

؟ حتى إذا سَوّيتك وعدلتك، مشيت بين بردين وللأرض منك وَئِيدٌ، فجَمَعت ومَنعت، حتى إذا بلغت التراقي قلتَ : أتصدقُ، وأنَّى أوانُ الصدقة"[١].

قوله تعالى:{فِي أيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ} [الانفطار : ٨]، أي:" في أيِّ صورة شاءها خلقك؟"[٢].

وفي تفسير قوله تعالى:{فِي أيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ} [الانفطار : ٨]، وجوه:

أحدها : من حسن أو قبح أو طول أو قصر أو ذكر أو أنثى. ذكره الفراء[٣]، والزجاج[٤]، وابن قتيبة[٥]، وحكاه الماوردي عن ابن عيسى[٦].

قال ابن قتيبة:" فأراد أنه صوّرهم وعدّلهم، في أيّ صورة شاء ركّبهم: من حسن وقبح، وبياض، وسواد، وأدمة وحمرة. ونحوه قوله: {وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوانِكُمْ} [الروم: ٢٢]"[٧].

الثاني : في أي صورة من صور الخلق ركبك حتى صرت على صورتك التي أنت عليها أيها الإنسان، لا يشبهك شيء من الحيوان، ولو شاء ركبك في غير صورة الإنسان. وهذا قول عكرمة[٨]، وأبي صالح[٩]،إسماعيل بن أبي خالد[١٠]، ومقاتل[١١].

عن أبي صالح: "{فِي أيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ}، قال: خنزيرا أو حمارا"[١٢]. وفي رواية:" إن شاء حمارًا، وإن شاء خنزيرًا، وإن شاء فرسًا، وإن شاء إنسانًا"[١٣].

قال إسماعيل:" إن شاء في صورة كلب، وإن شاء في صورة حمار"[١٤].

قال عكرمة:" إن شاء في صورة قرد، وإن شاء في صورة خنزير"[١٥].

الثالث : ما شاء ركبك من شبه أم أو أب أو خال أو عم ، قاله مجاهد[١٦].

قال مجاهد:" أي: شبه شاء صورك، شبه الأب أو الأم أو الخال أو العم"[١٧].

قال ابن أبي نجيح: "في صورة عم في صورة أب، في صورة بعض القرابات تشبيها"[١٨].

ويدل على صحة هذا ما روى موسى بن علي بن رباح اللخمي عن أبيه عن جده:" أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال له: " ما وُلِدَ لك؟ " قال: يا رسول الله ما عسَى أن يولد لي، إما غلام، وإما جارية، قال: "فَمَن يُشْبِهُ؟ " قال: يا رسول الله من عسى أن يشبه؟ إما أباه، وإما أمه؛ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم عندها: "مَهْ، لا تَقُولَنَّ هَكَذَا، إنَّ النُّطْفَةَ إذَا اسْتَقَرَّتْ فِي الرَّحِمِ

---

(١)لمسند(١٧٨٤٢):ص٣٨٥/٢٩، وسنن ابن ماجة برقم (٢٧٠٧) وقال البوصيري في الزوائد (٣٦٥/٢) : "إسناد صحيح رجاله ثقات".

(٢) التفسير الميسر: ٥٨٧.

(٣) انظر: معاني القرآن: ٢٤٤/٣.

(٤) انظر: معاني القرآن: ٢٩٥/٥.

(٥) انظر: تأويل مشكل القرآن: ٧٠-٧١.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٢٢٢/٦.

(٧) تأويل مشكل القرآن: ٧٠-٧١.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٠/٢٤.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٠/٢٤.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٠/٢٤.

(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٣/٤.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٧٠/٢٤.

(١٣) أخرجه الرامهرمزي في "الأمثال": ص ٩٤. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(١٤) أخرجه الطبري: ٢٧٠/٢٤.

(١٥) أخرجه الطبري: ٢٧٠/٢٤.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٠/٢٤.

(١٧) تفسير مجاهد: ٧١٠، وتفسير الطبري: ٢٧٠/٢٤.

(١٨) رواه الفراء في "معاني القرآن": ٢٤٤/٣.

أَحْضَرَ اللهُ كُلَّ نَسَبٍ بَيْنَهَا وَبَينَ آدَمَ، أما قَرأتَ هَذِهِ الآيَةَ فِي كتاب الله: {فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ}، قال: سَلَكَكَ"[1].

قال ابن كثير:" وهذا الحديث لو صح لكان فيصلا في هذه الآية، ولكن إسناده ليس بالثابت ؛ لأن "مُطَهَّر بن الهيثم" قال فيه أبو سعيد بن يونس : كان متروك الحديث. وقال ابن حبان : يُرْوى عن موسى بن علي وغيره ما لا يُشبهُ حَديثَ الأثبات. ولكن في الصحيحين عن أبي هُرَيرة:«أن رَجُلا قال : يا رسول الله، إن امرأتي وَلَدت غُلامًا أسودَ ؟. قال : "هل لك من إبل ؟". قال : نعم. قال : "فما ألوانها ؟" قال : حُمر. قال : "فهل فيها من أورَق ؟" قال : نعم. قال : "فأنى أتاها ذلك ؟" قال : عسى أن يكون نزعة عِرْق. قال : "وهذا عسى أن يكون نزعة عرق»"[2][3].

القرآن

{كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢)} [الانفطار : ٩-١٢]

التفسير:

ليس الأمر كما تقولون من أنكم في عبادتكم غير الله مُحِقون، بل تكذِّبون بيوم الحساب والجزاء. وإن عليكم لملائكة رقباء كراما على الله كاتبين لما وُكِّلوا بإحصائه، لا يفوتهم من أعمالكم شيء، يعلمون ما تفعلون من خير أو شر.

قوله تعالى:{كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ} [الانفطار : ٩]، أي:" ليس الأمر كما تقولون من أنكم في عبادتكم غير الله مُحِقون، بل تكذِّبون بيوم الحساب والجزاء"[4].

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ليس الأمر أيها الكافرون كما تقولون من أنكم على الحقّ في عبادتكم غير الله، ولكنكم تكذّبون بالثواب والعقاب، والجزاء والحساب"[5].

قال الزجاج:" أي: بل تكذبون بأنكم تبعثون وتدانون، أي: تجازون بأعمالكم"[6].

قال ابن كثير:" أي : بل إنما يحملكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي، تكذيب في قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب"[7].

قال ابن عطية:" رد على سائر أقوالهم ورد عنها بقوله: {كَلَّا}، ثم أثبت لهم تكذيبهم بالدين، وهذا الخطاب عام ومعناه الخصوص في الكفار.. و«الدين» هنا يحتمل أن يريد الشرع، ويحتمل أن يريد الجزاء والحساب"[8].

قال الزمخشري:"«الدين»: هو الجزاء. أو دين الإسلام. فلا تصدّقون ثوابا ولا عقابا وهو شر من الطمع المنكر"[9].

عن مجاهد: "{بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ}، قال: بالحساب"[10]. وفي لفظ:" بيوم الحساب"[11].

عن قتادة: "{بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ}، قال: يوم شدّة، يوم يدين الله العباد بأعمالهم"[12].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٧٠/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩١٧٦):ص٣٤٠٨/١٠.
(٢)صحيح البخاري برقم (٥٣٠٥) وصحيح مسلم برقم (١٥٠٠).
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٤٣/٨.
(٤) التفسير الميسر: ٥٨٧.
(٥) تفسير الطبري: ٢٧٠/٢٤-٢٧١.
(٦) معاني القرآن: ٢٩٦/٥.
(٧) تفسير ابن كثير: ٣٤٤/٨.
(٨) المحرر الوجيز: ٤٤٧/٥.
(٩) الكشاف: ٧١٦/٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٧١/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٧١/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٧١/٢٤.

وقرأ جمهور الناس: «تكذبون» بالتاء من فوق، وقرأ الحسن وأبو جعفر: «يكذبون» بالياء[١].

قوله تعالى:{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ} [الانفطار : ١٠-١١]، أي:" وإن عليكم لملائكة رقباء، كراماً على الله، يكتبون أقوالكم وأعمالكم "[٢].

قال الطبري:" يقول: وإن عليكم رُقَباء حافظين يحفظون أعمالكم، ويُحْصونها عليكم، كراما على الله كاتبين يكتبون أعمالكم"[٣].

قال ابن كثير:" يعني : وإن عليكم لملائكةً حَفَظَة كراما فلا تقابلوهم بالقبائح، فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم "[٤].

قال الزجاج:" أعلمهم - عزَّ وجلَّ - أن أعمالهم محفوظة"[٥].

قال الزمخشري:" {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ}، تحقيق لما يكذبون به من الجزاء، يعنى أنكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم أعمالكم لتجازوا بها. وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم: تعظيم لأمر الجزاء، وأنه عند الله من جلائل الأمور، ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه، ويجازى به الملائكة الكرام الحفظة الكتبة. وفيه إنذار وتهويل وتشوير للعصاة[٦] ولطف للمؤمنين"[٧].

قال ابن عطية:" «الحافظون» : هم الملائكة الذين يكتبون أعمال ابن آدم، وقد وصفهم بالكرم الذي هو نفي المذام"[٨].

عن ابن علية، قال: "قال بعض أصحابنا، عن أيوب [السختياني]، في قوله: "{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ}، قال: يكتبون ما تقولون وما تَعْنُون"[٩].

عن يعلى بن عبيد، قال: "دخلنا على محمد بن سُوقة، فقال: أحدِّثكم بحديث لعله ينفعكم، فإنه قد نفعني، قال: قال لنا عطاء بن أبي رباح: يا ابن أخي، إنّ مَن كان قبلكم كان يكره فضول الكلام، ما عدا كتابَ الله تعالى أن تقرأه، أو أمرًا بمعروف، أو نهيًا عن منكر، وأن تنطق بحاجتك في معيشتك التي لابدّ لك منها، أتنكرون أنّ {عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ كِرامًا كاتِبِينَ}، وأنّ {عَنِ اليَمِينِ وعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ ما يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إلّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق: ١٧ - ١٨]؟! أما يستحيي أحدكم لو نشر صحيفته التي أملى صدرَ نهاره، وأكثر ما فيها ليس مِن أمر دينه، ولا دنياه!"[١٠].

عن مجاهد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حالتين : الجنابة والغائط. فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بحرم حائط أو ببعيره، أو ليستره أخوه"[١١].

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله ينهاكم عن التعرِّي، فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم، الكرام الكاتبين، الذين لا يُفَارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات : الغائط، والجنابة، والغسل. فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه، أو بحرم حائط، أو ببعيره"[١٢].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز: ٤٤٧/٥.
(٢) التفسير الميسر: ٥٨٧.
(٣) تفسير الطبري: ٢٧١/٢٤.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٤٤/٨.
(٥) معاني القرآن: ٢٩٦/٥.
(٦) أي إخجال اه. كذا بهامش وفي الصحاح «الشوار» الفرع. ومنه قيل: شور به، أي كأنه أبدى عورته.
(٧) الكشاف: ٧١٦/٤. قال الزمخشري:" وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها قال: ما أشدّها من آية على الغافلين".
(٨) المحرر الوجيز: ٤٤٧/٥.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٧١/٢٤.
(١٠)أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ١٩/ ٤٣٨ (٣٦٦١٨).
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٣٤٤/٨.
(١٢) رواه البزاز مسند البزار برقم (٣١٧) "كشف الأستار"، وكما في تفسير ابن كثير: ٣٤٤/٨.

عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما من حافظين يرفعان إلى الله، عز وجل، ما حفظا في يوم، فيرى في أول الصحيفة وفي آخرها استغفار إلا قال الله تعالى : قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة"[١].

عن أبي هُرَيرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن لله ملائكة يعرفون بني آدم - وأحسبه قال : ويعرفون أعمالهم - فإذا نظروا إلى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم وسَمَّوه، وقالوا : أفلح الليلة فلان، نجا الليلة فلان. وإذا نظروا إلى عبد يعمل بمعصية الله وذكروه بينهم وسموه، وقالوا : هلك الليلة فلان"[٢].

قوله تعالى:{يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} [الانفطار : ١٢]، أي:" يعملون ما يصدر منكم من خير وشر، ويسجلونه في صحائف أعمالكم، لتجازوا به يوم القيامة"[٣].

قال الطبري:" يقول: يعلم هؤلاء الحافظون ما تفعلون من خير أو شرّ، يحصون ذلك عليكم"[٤].

قال الزجاج:" فيكتبونه عليهم"[٥].

قال ابن عطية:" {يَعْلَمُونَ} ما يفعل ابن آدم لمشاهدتهم حاله"[٦].

قال الحسن: {يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} من الظاهر دون الباطن"[٧].

وقال ابن فورك": وقيل: هو على الكل والله تعالى يعلمهم ذلك"[٨].

وقد روي حديث ذكره سفيان يقتضي:" أن العبد إذا عمل سيئة مما لا ترى ولا تسمع، مثل الخواطر المستصحبة ونحوها أن الملك يجد ريح تلك الخطرة الخفية بإدراك قد خلقه الله لهم"[٩].

عن أبي صخر، قال: "سمعت القرظي يقول في «البرهان» الذي أرى يوسف ثلاث آيات من كتاب الله: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢)} [الانفطار : ١--١٢]، وقول الله: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ} [يونس : ٦١]، وقول الله: {أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} [الرعد : ٣٣] .قال نافع: سمعت أبا هلال يقول مثل القرظي، وزاد آية أخرى رابعة: {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا} [الإسراء : ٣٢]"[١٠].

فوائد الآيات: [١-١٢]:

١-بيان أحداث تسبق يوم البعث وذلك في نفخة الفناء وأما النفخة الثانية وهي نفخة البعث حيث تجمع الخلائق ويجري الحساب فتعطى الصحف وتوزن الأعمال وينصب الصراط، ثم إلى جنة أو إلى نار.

٢- التحذير من السنة السيئة يتركها المرء بعده فإن أوزارها تكتب عليه وهو في قبره.

٣- التحذير من الغرور والانخداع بعامل الشيطان من الإنس والجن.

٤- التحذير من التكذيب بالبعث والجزاء فإنه أكبر عامل من عوامل الشر والفساد في الدنيا وأكبر موجب للعذاب يوم القيامة.

---

(١)رواه البزاز مسند البزار برقم (٣٢٥٢) "كشف الأستار"، وكما في تفسير ابن كثير: ٣٤٤/٨.

(٢)رواه البزاز مسند البزار برقم (٢١٩٥) "كشف الأستار"، وكما في تفسير ابن كثير: ٣٤٤/٨-٣٤٥.

(٣) صفوة التفاسير: ٥٠٤/٣.

(٤) تفسير الطبري: ٢٧١/٢٤.

(٥) معاني القرآن: ٢٩٦/٥.

(٦) المحرر الوجيز: ٤٤٧/٥.

(٧) نقلا عن: تفسير ابن فورك: ١٦٩/٣.

(٨) تفسير ابن فورك: ١٦٩/٣.

(٩) نقلا عن: المحرر الوجيز: ٤٤٧/٥.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٤٨٩):ص٢١٢٥/٧-٢١٢٦.

٥-تقرير عقيدة كتابة الأعمال حسنها وسيئها والحساب بمقتضاها يوم القيامة بواسطة ملكين كريمين على كل إنسان مكلف لحديث الصحيح يتعاقبون فيكم الملائكة بالليل وملائكة بالنهار الحديث.

القرآن

{إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣)} [الانفطار : ١٣]

التفسير:

إن الأتقياء القائمين بحقوق الله وحقوق عباده لفي نعيم.

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: إن الذين برّوا بأداء فرائض الله، واجتنابِ معاصيه لفي نعيم الجنان ينعمون فيها"[١].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عما يصير الأبرار إليه من النعيم، وهم الذين أطاعوا الله عز وجل، ولم يقابلوه بالمعاصي"[٢].

قال ابن عطية:" «الأبرار» : جمع بر وهو الذي قد اطرد بره عموما فيرونه في طاعته إياه، وبر أبويه وبر الناس في دفع ضره عنهم وجلب ما استطاع الخير إليهم، وبر الحيوان وغير ذلك في أن لم يفسد شيئا منها عبثا ولغير منفعة مباحة"[٣].

قال القشيري:" «الْأَبْرارَ» : هم المؤمنون اليوم في نعمة العصمة، وغداهم في الكرامة والنعمة"[٤].."قيل: البرّ: الذي لا يضمر الشّرّ، ولا يؤذى الذّرّ"[٥].

قال سهل:" نعيم الخاص من عباده، وهم الأبرار، لقاؤه ومشاهدته، كما كان نعيمهم في الدنيا مشاهدته وقربه[٦].

قال النحاس:" أي: الذين برّوا بطاعة الله واجتناب معاصيه"[٧].

قال الثعلبي:" يعني: الذين بروا وصدقوا في إيمانهم بأداء فرائض الله واجتناب معاصيه"[٨].

عن الحسن: " الْأَبْرارَ : هم الذين لا يؤذون الذرّ[٩]"[١٠]

قال السمعاني:" ظاهر المعنى أن «الأبرار»: المطيعون"[١١].

عن عيسى بن يونس قال:" قال محارب:" إنما سموا الأبرار، لأنهم بروا الآباء والأبناء، كما أنا لولدك عليك حقا كذلك لولدك عليك"[١٢].

وعن محارب، عن ابن عمر، قال: "قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إنما سماهم الله الأبرار، لأنهم بروا الآباء والأبناء"[١٣].

قال سهل: " الأبرار: الذين تخلقوا بخلق من أخلاق العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالجنة"[١].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٧١/٢٤.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٤٥/٨.
(٣) المحرر الوجيز: ٤٤٧/٥.
(٤) لطائف الإشارات: ٦٩٨/٣.
(٥) لطائف الإشارات: ٦٦١/٣.
(٦) تفسير التستري: ١٨٨.
(٧) إعراب القرآن: ١٠٦/٥.
(٨) الكشف والبيان: ١٤٨/١٠.
(٩)في الصحاح «الذر»: النمل.
(١٠)أخرجه الطبري: ٢٩٠/٢٤، وانظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٠٦/٥، والكشاف: ٦٦٧/٤.
(١١) تفسير السمعاني: ١٧٥/٦.
(١٢) تأريخ دمشق لابن عساكر: ٦٨/٥٧.
(١٣) رواه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" ١٩٩/٦١، وكما في تفسير ابن كثير: ٣٤٥/٨.

قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم المدني: "ليت شعري ما لنا عند الله؟ قال: اعرض عملك على كتاب الله؛ فإنّك تعلم ما لك عند الله. قال: فأين أجد في كتاب الله؟ قال: عند قوله: {إِنَّ الأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ وإِنَّ الفُجّارَ لَفِي جَحِيمٍ}. قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال: {قَرِيبٌ مِنَ المُحْسِنِينَ} [الأعراف: ٥٦]"(٢).

القرآن

{وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦)} [الانفطار : ١٤-١٦]

التفسير:

وإن الفُجَّار الذين قَصَّروا في حقوق الله وحقوق عباده لفي جحيم، يصيبهم لهبها يوم الجزاء، وما هم عن عذاب جهنم بغائبين لا بخروج ولا بموت.

قوله تعالى:{وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} [الانفطار : ١٤]، أي:" وإن الفُجَّار الذين قَصَّروا في حقوق الله وحقوق عباده لفي جحيم"(٣).

قال الطبري: يقول:" {وَإِنَّ الْفُجَّارَ} الذين كفروا بربهم {لَفِي جَحِيمٍ}"(٤).

عن أبي مالك:"{الجحيم}، قال: ما عظم من النار"(٥).

قال ابن كثير:" ثم ذكر ما يصير إليه الفجار من الجحيم والعذاب"(٦).

قال ابن عطية:" «الفجار» : الكفار، و «يصلون»، معناه: يباشرون حرّها بأبدانهم، ويَوْمَ الدِّينِ هو يوم الجزاء"(٧).

قال القشيري:" «الْفُجَّارَ» : اليوم في جهنم باستحقاق اللعنة والإصرار على الشّرك الموجب للفرقة، وغدا في النار على وجه التخليد والتأبيد"(٨).

روي عن الضحاك بن موسى، قال: " مر سليمان بن عبد الملك بالمدينة وهو يريد مكة، فأقام بها أياما، فقال: هل بالمدينة أحد أدرك أحدا، من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا له: أبو حازم. فأرسل إليه، فلما دخل عليه، قال له: يا أبا حازم ما هذا الجفاء؟ قال: أبو حازم يا أمير المؤمنين، وأي جفاء رأيت مني؟ قال: أتاني وجوه أهل المدينة ولم تأتني، قال: يا أمير المؤمنين، أعيذك بالله أن تقول ما لم يكن، ما عرفتني قبل هذا اليوم، ولا أنا رأيتك، قال: فالتفت سليمان إلى محمد بن شهاب الزهري، فقال: أصاب الشيخ وأخطأت، قال: سليمان يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟ قال: «لأنكم أخربتم الآخرة، وعمرتم الدنيا، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب»، قال: أصبت يا أبا حازم، فكيف القدوم غدا على الله؟ قال: «أما المحسن، فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء، فكالآبق يقدم على مولاه»، فبكى سليمان وقال: ليت شعري ما لنا عند الله؟ قال: «اعرض عملك على كتاب الله»، قال: وأي مكان أجده؟ قال: {إن الأبرار لفي نعيم، وإن الفجار لفي جحيم} [الانفطار: ١٤]، قال سليمان: فأين رحمة الله يا أبا حازم؟ قال: أبو

---

(١) تفسير التستري: ١٨٣. " قيل: فما أول شيء ينبغي من الأخلاق؟ فقال: احتمال المئونة، والرفق في كل شيء، والحذر أن لا يميل في رفعه إلى هواه في هذه الخصال اكتساب العقل. ثم لا بد من ثلاثة أخرى فيها اكتساب المعرفة واستعمال العلم والحلم والتواضع، ثم لا بد من ثلاثة أخرى فيها أحكام التعبد السكينة والوقار والإنصاف. وقال: من كان فيه ثلاث خصال لم يأكل التراب جسده، كف الأذى عن الناس، ثم احتمال أذاهم، ثم اصطناع المعروف معهم".

(٢)أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٢٣٤. وينظر: تفسير البغوي ٨/ ٣٥٧.

(٣) التفسير الميسر: ٥٨٧.

(٤) تفسير الطبري: ٢٧٢/٢٤.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٥٣):ص١٨٩٤/٦.

(٦) تفسير ابن كثير: ٣٤٥/٨.

(٧) المحرر الوجيز: ٤٤٧/٥.

(٨) لطائف الإشارات: ٦٩٨/٣.

حازم «رحمة الله قريب من المحسنين»، قال له سليمان: يا أبا حازم، فأي عباد الله أكرم؟ قال: «أولو المروءة والنهى»، قال له سليمان: يا أبا حازم، فأي الأعمال أفضل؟ قال أبو حازم: «أداء الفرائض مع اجتناب المحارم»، قال سليمان: فأي الدعاء أسمع؟ قال أبو حازم: «دعاء المحسن إليه للمحسن»، قال: فأي الصدقة أفضل؟ قال: «للسائل البائس، وجهد المقل ليس فيها من ولا أذى»، قال: فأي القول أعدل؟ قال: «قول الحق عند من تخافه أو ترجوه»، قال: فأي المؤمنين أكيس؟ قال: «رجل عمل بطاعة الله ودل الناس عليها»، قال: فأي المؤمنين أحمق؟ قال: «رجل انحط في هوى أخيه وهو ظالم، فباع آخرته بدنيا غيره»، قال له سليمان: أصبت، فما تقول فيما نحن فيه؟ قال: يا أمير المؤمنين، أو تعفيني؟ قال له سليمان: لا، ولكن نصيحة تلقيها إلي، قال: يا أمير المؤمنين، «إن آباءك قهروا الناس بالسيف، وأخذوا هذا الملك عنوة على غير مشورة من المسلمين، ولا رضا لهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة، فقد ارتحلوا عنها، فلو شعرت ما قالوه، وما قيل لهم؟» فقال له رجل من جلسائه: بئس ما قلت يا أبا حازم، قال أبو حازم: «كذبت، إن الله أخذ ميثاق العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه». قال له سليمان: فكيف لنا أن نصلح؟ قال: «تدعون الصلف، وتمسكون بالمروءة وتقسمون بالسوية»، قال له سليمان: كيف لنا بالمأخذ به؟ قال أبو حازم: «تأخذه من حله،وتضعه في أهله»، قال له سليمان: هل لك يا أبا حازم أن تصحبنا، فتصيب منا ونصيب منك؟ قال: «أعوذ بالله»، قال له سليمان: ولم ذاك؟ قال: «أخشى أن أركن إليكم شيئا قليلا، فيذيقني الله ضعف الحياة، وضعف الممات»، قال له سليمان: ارفع إلينا حوائجك؟ قال: «تنجيني من النار، وتدخلني الجنة»، قال سليمان: ليس ذاك إلي، قال أبو حازم: «فما لي إليك حاجة غيرها»، قال: فادع لي، قال أبو حازم: «اللهم إن كان سليمان وليك، فيسره لخير الدنيا والآخرة، وإن كان عدوك، فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى»، قال له سليمان: قط، قال أبو حازم: «قد أوجزت وأكثرت إن كنت من أهله، وإن لم تكن من أهله فما ينفعني أن أرمي عن قوس ليس لها وتر؟» قال له سليمان: أوصني. قال: " سأوصيك وأوجز: عظم ربك ونزهه، أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك ". فلما خرج من عنده، بعث إليه بمائة دينار، وكتب إليه: أن أنفقها ولك عندي مثلها كثير. قال: فردها عليه وكتب إليه: «يا أمير المؤمنين، أعيذك بالله أن يكون سؤالك إياي هزلا، أو ردي عليك بذلا، وما أرضاها لك، فكيف أرضاها لنفسي؟»[1].

قوله تعالى:{يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ} [الانفطار : ١٥]، أي:" يصيبهم لهبها يوم الجزاء"[2].

قال الطبري: يقول: "يَصْلَى هؤلاء الفجار الجحيم يوم القيامة، يوم يُدان العباد بالأعمال، فيُجازَوْنَ بها"[3].

قال الزجاج: أي: "يوم الجزاء وهو يوم القيامة"[4].

قال ابن كثير:" أي : يوم الحساب والجزاء والقيامة"[5].

عن ابن عباس، قوله: "{يَوْمَ الدين}، من أسماء يوم القيامة، عظَّمه الله، وحذَّره عباده"[6].

عن مجاهد:{يَوْمَ الدِّين}، قال: "يوم الحساب"[7].

قال قتادة: " يوم تدان فيه الناس بأعمالهم"[8].

---

(١) سنن الدارمي(٦٧٣):ص٤٩٩/١: [قال المحقق: إسناده مسلسل بالمجاهيل]

(٢) التفسير الميسر: ٥٨٧.

(٣) تفسير الطبري: ٢٧٢/٢٤.

(٤) معاني القرآن: ٢٩٦/٥.

(٥) تفسير ابن كثير: ٣٤٥/٨.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٧٢/٢٤.

(٧) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٠٨/٢.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٧٢/٢٤.

قوله تعالى:{وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ} [الانفطار : ١٦]، أي:" وما هم عن عذاب جهنم بغائبين لا بخروج ولا بموت"[١].

قال مقاتل:" يعني: الفجار محضرون الجحيم لا يغيبون عنها"[٢].

قال الفراء:" يقول: إذا دخلوها فليسوا بمخرجين منها"[٣].

قال الطبري: يقول:" وما هؤلاء الفجار من الجحيم بخارجين أبدا، فغائبين عنها، ولكنهم فيها مخلَّدون ماكثون، وكذلك الأبرار في النعيم، وذلك نحو قوله: {وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ}"[٤].

قال ابن كثير:" أي : لا يغيبون عن العذاب ساعةً واحدة، ولا يخفف عنهم من عذابها، ولا يجابون إلى ما يسألون من الموت أو الراحة، ولو يوما واحدا"[٥].

قال ابن عطية:" قال بعض المتأولين: هذا تأكد في الإخبار عن أنهم يصلونها، وأنهم لا يمكنهم الغيب عنها يومئذ، وقال آخرون: {وَما هُمْ عَنْها بِغائِبِينَ} في البرزخ، كأنه تعالى لما أخبر عن صليهم إياها يوم الدين وذلك أنهم يرون مقاعدهم من النار غدوة وعشية فهم مشاهدون لها"[٦].

القرآن

{وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩)} [الانفطار : ١٧-١٩]

التفسير:

وما أدراك ما عظمة يوم الحساب، ثم ما أدراك ما عظمةُ يوم الحساب؟ يوم الحساب لا يقدر أحد على نفع أحد، والأمر في ذلك اليوم لله وحده الذي لا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، ولا ينازعه أحد.

قوله تعالى:{وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ} [الانفطار : ١٩]، أي:" وما أدراك ما عظمة يوم الحساب، ثم ما أدراك ما عظمةُ يوم الحساب؟"[٧].

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وما أدراك يا محمد، أيّ وما أشعرك ما يوم الدين؟ يقول: أيُّ شيء يوم الحساب والمجازاة، معظما شأنه جلّ ذكره، بقيله ذلك.. {ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ}، يقول: ثم أيّ شيء أشعرك يوم المجازاة والحساب يا محمد، تعظيما لأمره"[٨].

قال ابن كثير:" قوله :{وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ} تعظيم لشأن يوم القيامة، ثم أكده بقوله :{ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ}"[٩].

عن قتادة، قوله: "{وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ}، تعظيما ليوم القيامة، يوم تدان فيه الناس بأعمالهم"[١٠].

قال الزجاج: " فكرر ذكر اليوم تعظيماً لشأنه"[١١].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٧.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٤/٤.
(٣) معاني القرآن: ٢٤٤/٣.
(٤) تفسير الطبري: ٢٧٢/٢٤.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٤٥/٨.
(٦) المحرر الوجيز: ٤٤٧/٥.
(٧) التفسير الميسر: ٥٨٧.
(٨) تفسير الطبري: ٢٧٢/٢٤.
(٩) مجاز القرآن: ٢٨٨/٢.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٧٢/٢٤.
(١١) معاني القرآن: ٢٩٦/٥.

قال البيضاوي:" تعجيب وتفخيم لشأن الـ «يوم»، أي: كنه أمره بحيث لا تدركه دراية دار"[١].

وقال النحاس:" قيل: ليس هذا تكريرا. والمعنى: وما أدراك ما في يوم الدين من العذاب والنكال للفجار، ثم ما أدراك ما في يوم الدين من النعيم للأبرار"[٢].

قوله تعالى:{يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا} [الانفطار : ١٩]، أي:" يوم الحساب لا يقدر أحد على نفع أحد"[٣].

قال الطبري: "يقول: ذلك اليوم، يوم لا تُغني نفس عن نفس شيئا، فتدفع عنها بليَّة نزلت بها، ولا تنفعها بنافعة، وقد كانت في الدنيا تحميها، وتدفع عنها من بغاها سوءا، فبطل ذلك يومئذ، لأن الأمر صار لله الذي لا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، واضمحلت هنالك الممالك، وذهبت الرياسات، وحصل الملك للملك الجبار"[٤].

قال ابن كثير:" أي : لا يقدر واحد على نفع أحد ولا خلاصه مما هو فيه، إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى"[٥].

قال النسفي:" أي: لا تستطيع دفعاً عنها ولا نفعاً لها بوجه وإنما تملك الشفاعة بالإذن"[٦].

قال الواسطي: "في قوله: {يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا } [الانفطار : ١٩]، إشارة إلى فناء غير الله تعالى، وهناك تذهب الرسالات والكلمات والغايات، فمن كانت صفته في الدنيا كذلك كانت دنياه أخراه"[٧].

وفي الحديث :"يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار فإنى لا أملك لكم من الله ضرا ولا نفعا يا معشر بنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار فإنى لا أملك لكم من الله ضرا ولا نفعا يا معشر بنى قصى أنقذوا أنفسكم من النار فإنى لا أملك لكم ضرا ولا نفعا يا معشر بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار فإنى لا أملك لكم ضرا ولا نفعا يا فاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار فإنى لا أملك لك ضرا ولا نفعا إن لك رحما وسأبلها ببلالها"[٨].

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «يَوْم»، برفع الميم ردّا على «اليوم» الأول، وقراءة غيرهم بالنصب أي: «في يوم»[٩].

قوله تعالى:{وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ} [الانفطار : ١٩]، أي:" والأمر في ذلك اليوم لله وحده الذي لا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، ولا ينازعه أحد"[١٠].

قال البيضاوي:" تقرير لشدة هوله وفخامة أمره إجمالا"[١١].

قال الطبري: " يقول: والأمر كله يوم الدين لله دون سائر خلقه، ليس لأحد من خلقه معه يومئذ أمر ولا نهي"[١٢].

قال مقاتل:" يعني: لا يملك الأمر يومئذ أحد غيره، وحده"[١].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٢٩٣/٥.
(٢) إعراب القرآن: ١٠٦/٥.
(٣) التفسير الميسر: ٥٨٧.
(٤) تفسير الطبري: ٢٧٢/٢٤.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٤٥/٨.
(٦) تفسير النسفي: ٦١٢/٣.
(٧) نقلا عن: مفاتيح الغيب: ٨١/٣١.
(٨)أخرجه أحمد (٣٦٠/٢ رقم ٨٧١١) والترمذى (٣٣٨/٥ رقم ٣١٨٥) وأخرجه أيضا: ابن منده فى الإيمان (٨٧٨/٢، رقم ٩٣٩).
(٩) انظر: السبعة في القراءات: ٦٧٤، والكشف والبيان: ١٤٨/١٠.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٨٧.
(١١) تفسير البيضاوي: ٢٩٣/٥.
(١٢) تفسير الطبري: ٢٧٢/٢٤-٢٧٣.

قال السمعاني:" أي: الأمر يوم القيامة لله ليس لأحد معه أمر"[٢].

قال القاسمي:" أي: أمر الملك الظاهر، ونفوذ القضاء القاهر، يومئذ لله وحده. لاضمحلال الممالك وذهاب الرياسات"[٣].

قال ابن فورك:" لأنه في ذلك اليوم لم يملك الله فيه أحدا شيئا، كما ملكهم في دار الدنيا، ووجه آخر وهو أنه لا يملك في ذلك اليوم أن يجازي أحدا إلا بالحق بأمر الله"[٤].

قال ابن كثير:" كقوله {لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [غافر : ١٦]، وكقوله :{الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ} [الفرقان : ٢٦]، وكقوله {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [الفاتحة : ٤]"[٥].

قال الرازي:" هو وعيد عظيم من حيث إنه عرفهم أنه لا يغني عنهم إلا البر والطاعة يومئذ دون سائر ما كان قد يغني عنهم في الدنيا من مال وولد وأعوان وشفعاء"[٦].

قال قتادة:" والأمر والله اليوم لله، ولكنه يومئذ لا ينازعه أحد"[٧].

قال قتادة:" ليس ثم أحد يومئذ يقضي شيئا، ولا يصنع شيئا إلا ربّ العالمين"[٨].

فوائد الآيات: [١٣-١٩]:

١- بيان حكم الله في أهل الموقف إذ هم ما بين بار صادق فهو في نعيم وفاجر كافر فهو في جحيم.

٢- بيان عظم شأن يوم الدين وأنه يوم عظيم.

٣- بيان أن الناس في يوم الدين لا تنفعهم شفاعة ولا خلة إذ لا يشفع أحد إلا بإذن الله والكافرون هم الظالمون، وما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع.

«آخر تفسير سورة (الانفطار)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٤/٤.
(٢) تفسير السمعاني: ١٧٦/٦.
(٣) محاسن التأويل: ٤٢٦/٩.
(٤) تفسير ابن فورك: ١٧٠/٣.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٤٥/٨.
(٦) مفاتيح الغيب: ٨١/٣١.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٧٣/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٧٣/٢٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «المطففين»

«سورة المطففين»: هي السورة الثالثة والثمانون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد سورة العنكبوت، وهي آخر سورة نزلت بمكة، وآياتها ست وثلاثون. وكلماتها مائة وتسع. وحروفها أربعمائة وثلاثون. وفواصل آياتها «من»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- أسمها التوقيفي: «سورة المطففين»:**

سميت في كثير من كتب التفسير والمصاحف «سورة المطففين»[٢] اختصارا، ووجه تسميتها بذلك لافتتاحها بقوله تعالى: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ} [المطففين : ١].

ثانيا:- أسماؤها الاجتهادية:

١-سورة «ويل للمطففين»:

سميت هذه السورة في كتب السنة وفي بعض التفاسير «سورة ويل للمطففين»[٣]، وكذلك ترجمها البخاري في كتاب التفسير من «صحيحه»[٤]، والترمذي في «جامعه»[٥]، ووجه تسميتها لافتتاح السورة بهذه الجملة: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ} [المطففين : ١].

١-سورة «التطفيف»:

عنون بها بعض العلماء والمفسرين، كأبي عمرو الداني[٦]، وعبدالقاهر الجرجاني[٧]، والسخاوي[٨]، وابن الهائم[٩]، وغيرهم. وهذه التسمية من مرتبط بموضوع السورة، لأن «التطفيف»: "تنقيص يجور به صاحبه من كيل أو وزن"[١٠]، وقد حذرت السورة من التطفيف في الكيل والوزن.

وهاتان التسميتان: هما من اجتهاد العلماء، لم يرد عن النبي-صلى الله عليه وسلم- ما يثبت ذلك.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة ثلاثة، أقوال:

أحدها: أنها مكّيّة كلها، قاله ابن مسعود[١١]، وابن عباس[١]، وابن زبير[٢]، والضّحّاك[٣]، ويحيى ويحيى بن سلام[٤].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٦/١.

(٢) انظر: مثلا تفسير الطبري: ٢٧٥/٢٤، وإعراب القرآن للزجاج: ٢٩٧/٥، وتأويلات أهل السنة: ٤٥٣/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٥٥٦/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٠٥/٥، والكشف والبيان: ١٤٩/١٠، والنكت والعيون: ٢٢٥/٦، والتفسير الوسيط للواحدي: ٤٤٠/٤، وتفسير السمعاني: ١٧٧/٦، والكشاف: ٧١٨/٤، والمحرر الوجيز: ٤٤٩/٥، وتفسير القرطبي: ٢٥٠/١٩، وغيرها.

(٣) انظر: مثلا: تفسير الطبري: ٣٠٥/٢٤، وتفسير ابن فورك: ١٧١/٣، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨١١٣/١٢.

(٤) انظر: صحيح البخاري: ١٦٧/٦.

(٥) انظر: سنن الترمذي: ٤٣٤/٥.

(٦) انظر: البيان في عدّ آي القرآن: ٢٦٧.

(٧) انظر: درج الدرر: ٦٩٤/٢.

(٨) انظر: جمال القراء: ٩٢.

(٩) انظر: التبيان في تفسير غريب القرآن: ٣٣٨.

(١٠) تفسير ابن فورك: ١٧٢/٣.

(١١) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.

عن ابن عباس قال: " نزلت سورة «المطففين» بمكة"[٥]. وروي عن ابن الزبير[٦] مثله.
وعن ابن عباس قال: "آخر ما أنزل بمكة سورة «المطففين»"[٧].
قال ابن عطية:" هي مكية في قول جماعة من المفسرين، واحتجوا لذكر الأساطير، وهذا على أن هذا تطفيف الكيل والوزن كان بمكة حسبما هو في كل أمة لا سيما مع كفرهم"[٨].
الثاني: مدنيّة، قاله ابن عباس-في الأصح عنه-[٩]، والحسن[١٠]، وعكرمة[١١]، وقتادة[١٢]، والسدي[١٣]، ومقاتل[١٤]، إلّا أنّ ابن عباس، وقتادة قالا: "فيها ثمان آيات مكيّة، من قوله عزّ وجلّ: {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ} [المطففين : ٢٩]، إلى آخرها"[١٥].
وقال مقاتل: فيها آية مكّيّة، وهي قوله عزّ وجلّ: {إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [المطففين : ١٣][١٦].
الثالث: أنها نزلت بين مكّة، والمدينة، قاله جابر بن زيد[١٧]، وابن السّائب[١٨].
وذكر هبة الله بن سلامة المفسّر أنها:" نزلت في الهجرة بين مكة والمدينة نصفها يقارب مكة ونصفها يقارب المدينة"[١٩].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

من مناسبتها لما قبلها: أنها تنذر بالويل والثبور والعذاب بالنار في الآخرة، وتهدد الظالمين الذين ينتقصون حق غيرهم فهي تتلاقى مع السورة قبلها في وعيد المخالفين الضالين، كما أنها تبيّن ما أجملته سورة الانفطار من عذاب الفجار، وثواب الأبرار[٢٠].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

تتمثل مقاصد سورة المطففين الإجمالية في تأكيد عدل الله وميزانه الدقيق في محاسبة الناس على أعمالهم، وأنه لا بد من بعث العباد يوم القيامة ليحاسبوا، ويعطى كل صاحب حق حقه جزاءاً وفاقاً على ما قدم من عمل في الدنيا، فلا بد من دينونة العباد يوم التناد بإسكان الأولياء أهل الرشاد دار النعيم، والأشقياء أهل الضلال والعناد غار الجحيم، ودل على ذلك الله تعالى بأنه مربيهم والمحسن إليهم بعموم النعمة، ولا يتخيل عاقل أن أحداً يربي أحداً من

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٤٤١/٨، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه.
(٢) انظر: الدر المنثور: ٤٤١/٨، وعزاه ابن مردويه.
(٣) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.
(٤) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.
(٥) انظر: الدر المنثور: ٤٤١/٨، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه.
(٦) انظر: الدر المنثور: ٤٤١/٨، وعزاه ابن مردويه.
(٧) الدر المنثور: ٤٤١/٨، وعزاه إلى ابن الضريس.
(٨) المحرر الوجيز: ٤٤٩/٥.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٧/٢٤، وزاد المسير: ٤١٣/٤، والمحرر الوجيز: ٤٤٩/٥.
(١٠) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.
(١١) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.
(١٢) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.
(١٣) انظر: الكشف والبيان: ١٥٠/١٠، والمحرر الوجيز: ٤٤٩/٥.
(١٤) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.
(١٥) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.
(١٦) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤، وفي تفسير مقاتل: ٦٢٢/٤، قال مقاتل:" نزلت هذه الآية في النضر ابن الحارث بن علقمة..؟.
(١٧) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.
(١٨) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.
(١٩) الناسخ والمنسوخ: ١٩٥.
(٢٠) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ١٨٢٣/١٠.

غير سؤال عما حمله إياه وكلفه به ولا أنه لا ينصف بعض من يربيهم من بعض، واسمها التطفيف أدل ما فيها على ذلك.

جاءت مقاصد سورة المطففين التفصيلية كالتالي:

١- بدأت سورة المطففين بالتهديد والوعيد لكل الذين يطفِّفون في الموازين ويتلاعبون بها، فينقِصُون حقوق الناس عند ببعهم ويأكلون ما حرَّم الله، قال تعالى: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)} [المطففين : ١ - ٦].

٢- وتشير الآيات بلهجة قاسية إلى العذاب والعقاب الذي أعده الله تعالى لأهل الكفر والشرك والمجرمين جميعًا، قال تعالى: {ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧)} [المطففين : ١٦ - ١٧]، وتذكرُ الويلات التي سيلاقونها في ذلك اليوم العسير.

٣- ومن مقاصد سورة المطففين أيضًا أنها تصف أحوال الأتقياء المؤمنين الذين سيكون جزاؤهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار في نعيمٍ مقيم عند من لا يضيع عنده مثقال ذرةٍ، قال تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥)} [المطففين : ٢٢ - ٢٥].

٤- وأما في آخرا لآيات فتنطوي سورة المطففين على المقارنة بين عاقبة كلا الفريقين، فريق الكفار الذين ستكون عاقبتهم الهلاك والخسران لأنهم كانوا يستهزؤون بالمؤمنين ويضحكون منهم، وفريق المؤمنين الذين سيضحكون في النهاية من أولئك المجرمين كما كانوا يضحكون منهم في الحياة الدنيا، قال تعالى: {فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ} [المطففين : ٣٤]، وهذا فضل من الله تعالى سيكرمُ به المؤمنين على صبرهم وإيمانهم في حياتهم الدنيا.

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: تمام الكيل والميزان، والاحتراز عن البخس والنقصان، وذكر السجين لأهل العصيان، وذكر العليين لأهل الإيمان، ودلال المؤمنين والمطيعين في نعيم الجنان، وذل العصيان في عذاب النيران، ومكافأتهم على وفق الجرم والكفران في قوله: {هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [المطففين : ٣٦]"[(١)].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة بتمامها، ليس فيها ناسخ ولا منسوخ[(٢)].

- **فضائل السورة:**

– عن خثيم - يعني ابن عراك- عن أبيه أن أبا هريرة قدم المدينة في وهي من قومه والنبي - صلى الله عليه وسلم - بخيبر وقد استخلف سباع ابن عرفطة على المدينة قال: فانتهيت إليه وهو يقرأ في صلاة الصبح في الركعة الأولى بـ«كهيعص»، وفي الثانية: «ويل للمطففين»، قال: فقلت لنفسي ويل لفلان، إذا اكتال اكتال بالوافي، وإذا قال قال بالناقص قال: فلما صلى زودنا شيئاً حتى أتينا خيبر، وقد افتتح النبي -صلي الله عليه وسلم - خيبر قال: فكلم رسول الله -صلي الله عليه وسلم - المسلمين فأشركونا في سهامهم"[(٣)].

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٥/١.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ١٩٥.

(٣) مسند احمد(٨٥٣٣):ص٣٤٧/٨. إسناده صحيح على شرط الشيخين.

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة المطفّفين سقاه الله سبحانه من الرحيق المختوم يوم القيامة» [1].[موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

(١) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٤٩/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٢٨٩/١٠. [والحديث موضوع].

القرآن

{وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤)} [المطففين : ١ - ٤]

التفسير:

عذابٌ شديد للذين يبخسون المكيال والميزان، الذين إذا اشتروا من الناس مكيلا أو موزونًا يوفون لأنفسهم، وإذا باعوا الناس مكيلا أو موزونًا يُنْقصون في المكيال والميزان، فكيف بحال من يسرقهما ويختلسهما، ويبخس الناس أشياءهم؟ إنه أولى بالوعيد من مطففي المكيال والميزان. ألا يعتقد أولئك المطففون أن الله تعالى باعثهم ومحاسبهم على أعمالهم؟

سبب النزول:

عن ابن عباس، قال: " لما قدم نبي الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فكانوا من أخبث الناس كيلا، فأنزل الله عز وجل: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ} [المطففين: ١]، فحسنوا الكيل بعد ذلك"(١).[حسن]

قال: القرظي: "كان بالمدينة تجار يطففون، وكانت بياعاتهم كشبه القمار: «المنابذة، والملامسة والمخاطرة»، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السوق، وقرأها"(٢).[مرسل]

وقال السدي: "قدم رسول الله المدينة وبها رجل يقال له «أبو جهينة»، ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر. فأنزل الله تعالى هذه الآية"(٣).[مرسل]

قال الفراء:" نزلت أول قدوم النبي صلى الله عليه إلى المدينة، فكان أهلها إذا ابتاعوا كيلا أو وزنا استوفوا وأفرطوا. وإذا باعوا كيلا أو وزنا نقصوا فنزلت «ويل للمطففين» فانتهوا، فهم أوفي الناس كيلا إلى يومهم هذا"(٤).

ونقل الثعلبي عن القرطبي: "كان بالمدينة تجار يطفّفون وكانت بياعتهم كشبه القمار والمنابذة والملامسة والمخاطرة فأنزل الله سبحانه هذه الآية. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السوق وقرأها عليهم"(٥).

وقال مقاتل:" وذلك أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حين خرج إلى المدينة، وكان بسوق الجاهلية لهم كيلين وميزانين معلومة لا يعاب عليهم فيها فكان الرجل إذا اشترى اشترى بالكيل الزائد، وإذا باعه باعه بالناقص، وكانوا يريحون بين الكيلين وبين الميزانين، فلما قدم النبي- صلى الله عليه وسلم - المدينة قال لهم: ويل لكم مما تصنعون. فأنزل الله- تعالى- التصديق على لسانه، فقال: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ} [المطففين : ١]"(٦).

---

(١)أخرجه النسائي في السنن الكبرى(١١٥٩٠) :ص٣٢٧/١٠، وابن ماجه (٧٤٨/٢ - ح: ٢٢٢٣) وابن جرير (٥٨/٣٠) من طريق الحسين بن واقد به, صححه الحافظ ابن حجر (فتح الباري: ٨/ ٦٩٦)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٣) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٣٧١)، وأخرجه الطبري في "جامع البيان": ٢٧٧/٢٤، ووقد صححه السيوطي في "الدر المنثور": ٤٤١/٨، وزاد نسبته إلى ابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان، وحسنه البوصيري في زوائد ابن ماجه (سنن ابن ماجه: ٧٤٨/٢)، وانظر: «أحكام القرآن» لابن العربي ٢٢٦٦.

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول: ٤٧٥. بدون إسناد، فهو لا شيء.

(٣) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان": ٥٠/!١٠، والواحدي في «أسباب النزول»: ٤٧٥، بدون إسناد عن السدي، فهو لا شيء. وقال الحافظ في «تخريجه» ٤/ ٧١٨: لم أجده. وذكره ابن الجوزي في "زاد المسير": ٤١٣/٤.

(٤) معاني القرآن: ٢٤٥/٣.

(٥) الكشف والبيان: ١٥٠/١٠.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٢١/٤-٦٢٢.

قوله تعالى:{وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ} [المطففين : ١]، أي:" عذابٌ شديد للذين يبخسون المكيال والميزان"[١].

اختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{وَيْلٌ} [المطففين : ٤]، على أقوال :

أحدها : أنه العذاب، قاله ابن عباس[٢]، والفراء[٣].

عن ابن عباس :«فويل»، يقول: فالعذاب عليهم"[٤].

وحكي الماوردي: أنه أشق العذاب"[٥].

الثاني : أنه ما يسيل من صديد في أصل جهنم. قاله أبو العياض[٦]، وشقيق[٧].

الثالث: أنه التقبيح، وهو قول الأصمعي[٨]، ومنه قوله تعالى:{وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ}[الأنبياء : ١٨]، ومنه قول الشاعر[٩] :

كسا اللؤم سهما خضرة في جلودها فويل لسهم من سرابيلها الخُضْرِ

الرابع : أنه الحزن، قاله المفضل[١٠]، وابن كيسان[١١].

يقال : تويل الرجل إذا دعا بالويل، وإنما يقال ذلك عند الحزن والمكروه، ومنه قوله : {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ} [البقرة : ٧٩]، ومنه قول الشاعر[١٢]:

تَوَيّل إذ ملأتُ يدي وكانَتْ يميني لا تعلّلُ بالقليل

الخامس: أنه الخزي والهوان. حكاه الماوردي[١٣].

السادس : أن الويل وادٍ في جهنم، وهذا قول أبي سعيد الخدري[١٤]، وعطاء بن يسار[١]، ومقاتل[٢].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٨١):ص٢٦٧/٢.

(٣) انظر: معاني القرآن: ٢٤٥/٣. قال الفراء:" ذكر أن «ويل» واد في جهنم، والويل الذي نعرف". أي: العذاب والهلاك.

(٤) أخرجه الطبري(١٣٨١):ص٢٦٧/٢.

(٥) النكت والعيون: ٢٢٦/٦.

(٦)انظر: تفسير الطبري(١٣٨٢)، و(١٣٨٣)، و(١٣٨٤):ص٢٦٧/٢-٢٦٨، وابن أبي حاتم(٧٩٩):ص١٥٣/١.

(٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٥):ص٢٦٨/٢.

(٨) انظر: اللسان: ٧٣٩/١١.

(٩) لم أتعرف على قائله، وانظر البيت في لسان العرب: ١١/ ٧٣٨، وتفسير القرطبي: ٥/ ٢٥٤.

(١٠) هو قول المفضل كما في النكت والعيون للماوردي: ١٥١/١، وابن عرفة كما في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٨/٢، إذ قال: (الويل: الحزن، يقال تويل الرجل إذا دعا بالويل) وعزاه لهما أبو حيان في البحر المحيط: ٢٧٠/١، وانظر: انظر: تهذيب اللغة:٣٩٦٩/٤، وطرح التثريب: ١٥٤/١، والمصباح المنير: ٥٩٧.

(١١) انظر: الممتع في التصريف:٢/ ٥٦٨، ولسان العرب: ٨/ ٤٩٣٩، والمعجم المفصل:٦/ ٥٨٧.

(١٢) لم أتعرف على قائله، والبيت في: الممتع في التصريف" ٢/ ٥٦٨، وفي "لسان العرب" ٨/ ٤٩٣٩، "المعجم المفصل" ٦/ ٥٨٧.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ١٥١/١.

(١٤)أخرجه أحمد ٣/ ٧٥، وعبد بن حميد ٩٢٤، والترمذي في التفسير، سورة الأنبياء برقم (٣١٦٤)، وتفسير الطبري(١٣٨٧):ص٢٦٩/٢، وابن أبي حاتم(٧٩٨):ص١٥٣/١، والحاكم ٢/ ٥٠٧ أبو يعلى في "مسنده" ٢/ ٥٢٣ والبيهقي في "البعث والنشور" برقم ٥٣٧ من طريق دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري، ودراج ضعيف.

وقد اختلف أهل العلم في ثبوت هذا الحديث فصححه الحاكم ووافقه الذهبي في التلخيص، وصححه ابن حبان والشيخ أحمد شاكر في تخريجه لأحاديث الطبري، وحسنه حمزة الزين في تخريجه لأحاديث المسند. وضعفه الترمذي في السنن إذ قال بعد تخريجه له: "هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث ابن لهيعة"، وتعقبه ابن كثير في دعوى تفرد ابن لهيعة به مع قوله بتضعيفه إذ قال في التفسير: ١٤٩/١ "قلت: لم ينفرد به ابن لهيعة كما ترى ولكن الآفة ممن بعده وهذا الحديث بهذا الإسناد-مرفوعاً-منكر، والله أعلم". كما ضعفه الألباني في ضعيف الجامع: ٨٨٧ رقم: ٦١٤٨، وشعيب الأرناؤوط في تخريجه لصحيح ابن حبان،

قال مقاتل:" الويل واد في جهنم بعده مسيرة سبعين سنة، فيه تسعون ألف شعب، في كل شعب سبعون ألف شق، في كل شق سبعون ألف مغار، في كل مغار سبعون ألف قصر، في كل قصر سبعون ألف تابوت من حديد، وفي التابوت سبعون ألف شجرة، فى كل شجرة سبعون ألف غصن من نار، في كل غصن سبعون ألف ثمرة، في كل ثمرة دودة طولها سبعون ذراعا، تحت كل شجرة سبعون ألف ثعبان «وسبعون ألف عقرب، فأما الثعابين فطولهن مسيرة شهر في الغلظ مثل الجبال، وأنيابها مثل النخل، وعقاربها مثل البغال الدهم لها ثلاثمائة وستون فقار، في كل فقار قلة سم"[٣].

السابع : أنه جبل في النار، وهو قول عثمان بن عفان[٤] .

الثامن: أن «الويل»: كلمة تقال لكل من هو في عذاب وهلكة. قاله الزجاج[٥].

قال القشيري:" «وَيْلٌ» : الويل كلمة تذكر عند وقوع البلاء، فيقال: ويل لك، وويل عليك!"[٦].

وقيل: "هي كلمة تقال لمن وقع في هلكة يستحقها، وأصله: الهلكة، وكل من وقع في هلكة دعا بالويل، ومنه قوله تعالى: {يَا وَيْلَتَنَا مَال هَذَا الْكِتَابِ} [الكهف : ٤٩] [٧].

قال سيبويه[٨]: «ويح» كلمة زجر لمن أشرف على هلكة، و«ويل» لمن وقع فيها[٩].

وحكي الماوردي:" أنه النداء بالخسار والهلاك، وقد تستعمله العرب في الحرب والسلب"[١٠].

التاسع: أنه باب من أبواب جهنم. حكاه الزهراوي[١١].

العاشر: أنه النار ، قاله عمر مولى عفرة [١٢].

الحادي عشر: أن «ويل»: كلمة وعيد. قاله الكوكباني[١٣].

وحسين سليم أسد في تخريجه لمسند أبي يعلى، ومدار ذلك على دراج بن سمعان السهمي وفيه خلاف كثير، فوثقه ابن معين وابن حبان، وضعفه الجمهور كأحمد والنسائي والدارقطني وابن عدي وغيرهم، انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ٤٤١/٣، وميزان الاعتدال للذهبي: ٢٤/٢، وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٢٠٨/٣، وغيرها. والأظهر فيه الضعف، وبالتالي عدم ثبوت هذا الحديث.

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٠):ص٢٥٣/١، والطبري(١٣٩٦):ص٢٧١/٢-٢٧٢.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٢١/٤.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٢١/٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٦):ص٢٦٨/٢. في الحديث راويان لم نجد لهما ذكرا ولا ترجمة، وهما إبراهيم بن عبدالسلام بن صالح التستري، وعلي بن جرير. عليه لا أظن يقوم إسناده، ووصفه ابن كثير بأنه "غريب جدا"، انظر تفسيره:٢١٧/١، وقد ذكره السيوطي أيضًا ١ /٨٢ ، ولم ينسباه لغير الطبري. فالله أعلم.

(٥) انظر: معاني القرآن: ٢٩٧/٥.

(٦) لطائف الإشارات: ٦٩٩/٣.

(٧) انظر: معاني القرآن للزجاج: ١٦٠/١، وزاد المسير لابن الجوزي: ١٠٦/١، وهذا القول على أن «ويل» مصدر لا فعل له يراد به الدعاء بشدة الشر والهلاك، انظر: البحر المحيط لأبي حيان: ٢٧٧/١، ومبهمات القرآن للبلنسي: ١٦٣/١.

(٨) هو: الإمام أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، رأس البصريين في النحو، وسيبويه لقبه، أخذ عن الخليل وأبي زيد وغيرهم، توفي عام: ١٨٠هـ، ومن مصنفاته: الكتاب. انظر: أخبار النحويين للسيرافي: ٦٣، وفيات الأعيان لابن خلكان: ٤٦٣/٣، بغية الوعاة للسيوطي: ٢٢٩/٢، المدارس النحوية لشوقي ضيف: ٥٧.

(٩) انظر: الكتاب لسيبويه: ٣٣١/١، وقد ذكر عن سيبويه التفريق غير واحد كابن منظور في لسان العرب: ٤٩٣٩/٦، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ٨/٢، والسمين في الدر المصون: ٢٧٠/١.

(١٠) النكت والعيون: ٢٢٦/٦.

(١١) انظر: المحرر الوجيز: ١٧٠/١.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٢٢٦/٦.

(١٣) قال الكوكباني في تيسير المنان تفسير القرآن: ١٠٥١/٢ (فَوَيْلٌ): "كلمة وعيد"، وقال الرازي في مفاتيح الغيب: ١٥٠/٣: "قال القاضي: (وَيْل) يتضمن نهاية الوعيد"، ووعيد القادر يلزم منه الخوف والردع.

وهي: الويل والويلة، وهما الهلكة، والجمع: الويلات، قال الشاعر[١] :

لَهُ الوَيْلُ إنْ أمْسَى وَلا أُمُّ هَاشِمٍ قريبٌ وَلا البَسباسَةُ ابنـةُ يَشكُـرَا

وقال أيضا[٢] :

ويَوْمَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ فَقَالَتْ: لَكَ الوَيْلاتُ!، إنَّكَ مُرْجِلِي

وحكي الماوردي:" أن أصله: ويْ لفلان ، أي: الجور لفلان، ثم كثر استعمال الحرفين فوصلا بلام الإضافة"[٣].

نستنتج مما سبق بأن «الْوَيْلُ»: هو الْهَلَاكُ والحزن والعذاب والهوان في اللغة، وقيل: هو وادٍ في جهنم من عصارة أهل النار، والله أعلم [٤].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: الوادي الذي يسيل من صديد أهل جهنم في أسفلها للذين يُطَففون، يعني: للذين ينقصون الناس، ويبخسونهم حقوقهم في مكاييلهم إذا كالوهم، أو موازينهم إذا وزنوا لهم عن الواجب لهم من الوفاء، وأصل ذلك من الشيء الطفيف، وهو القليل النزر، والمطفِّف: المقلّل حقّ صاحب الحقّ عما له من الوفاء والتمام في كيل أو وزن؛ ومنه قيل للقوم الذي يكونون سواء في حسبة أو عدد: هم سواء كطفّ الصاع، يعني بذلك: كقرب الممتلئ منه ناقص عن الملء"[٥].

قال أبو عبيدة:" المطفّف: الذي لا يوفى على الناس من الناس"[٦].

قال ابن فورك:" التطفيف: تنقيص يجور به صاحبه من كيل أو وزن"[٧].

قال الزجاج:" «المطففون»: الذين ينقصون المكيال والميزان"[٨].

قال الزمخشري:" التطفيف: البخس في الكيل والوزن، لأنّ ما يبخس شيء طفيف حقير"[٩].

قال ابن كثير:" المراد بـ«التطفيف» –هاهنا-: البَخْس في المكيال والميزان، إما بالازدياد إن اقتضى من الناس، وإما بالنقصان إن قَضَاهم"[١٠].

---

(١) البيت لامرىء القيس، انظر: ديوانه بتحقيق حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٩٥: ص: ٣٤١.

(٢) ديوانه: ٣٠.

(٣) النكت والعيون: ٢٢٦/٦.

٤ جاء في فتح القدير للشوكاني (١/ ١٢٣): وَقَالَ الْفَرَّاءُ: الْأَصْلُ فِي الْوَيْلِ وَيْ: أَيْ حُزْنٌ، كَمَا تَقُولُ: وَيْ لِفُلَانٍ: أَيْ حُزْنٌ لَهُ، فَوَصَلْتُهُ الْعَرَبُ بِاللَّامِ، قَالَ الْخَلِيلُ: وَلَمْ نَسْمَعْ عَلَى بِنَائِهِ إِلَّا وَيْحَ، وَوَيْسَ، ووَيْهَ، وَوَيْكَ، وَوَيْبَ، وَكُلُّهُ مُتَقَارِبٌ فِي الْمَعْنَى، وَقَدْ فَرَّقَ بَيْنَهَا قَوْمٌ وَهِيَ مَصَادِرُ لَمْ يَنْطِقِ الْعَرَبُ بِأَفْعَالِهَا، وَجَازَ الِابْتِدَاءُ به وإن كان نكرة لأن فِيهِ مَعْنَى الدُّعَاءِ.انتهى. وقال أبو السعود في تفسيره (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١/ ١٢٠): ومعنى الويل شدةُ الشر قاله الخليل. وقال الأصمعيُّ: الويلُ التفجُّع ، والويحُ الترحُّم. وقال سيبويه: ويلٌ لمن وقع في الهَلَكة، وويحٌ زجرٌ لمن أشرف على الهلاك. وقيل الويلُ الحزن، وهل ويح وويب وويس بذلك المعنى أو بينه وبينها فرق؟ وقيل: ويل في الدعاء عليه، وويح وما بعده في الترحم عليه. وقالَ ابنُ عباسٍ رضيَ الله عنهما: الويلُ العذاب الأليم. وعن سفيان الثوري أنه صديدُ أهل جهنم. ورَوى أبو سعيدٍ الخدريُّ رضيَ الله تعالى عنه عنِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلم أنه قال: الويلُ وادٍ في جهنمَ يهوي فيه الكافرُ أربعينَ خريفاً قبل أنْ يبلُغ قَعْرَه.(قال الألباني: ضعيف، التعليق الرغيب (٤ / ٢٢٩)، ضعيف الجامع الصغير (٦١٤٨). وقال سعيد ابن المسيب: إنه وادٍ في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حرِّه. وقال ابن بريدة: جبلُ قيحٍ ودمٍ وقيل صهريج في جهنم وحكى الزهراوي أنه باب من أبواب جهنم. انتهى.

(٥) تفسير الطبري: ٢٧٧/٢٤.

(٦) مجاز القرآن: ٢٨٩/٢.

(٧) تفسير ابن فورك: ١٧٢/٣.

(٨) معاني القرآن: ٢٩٧/٥.

(٩) الكشاف: ٧١٨/٤.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٤٦/٨.

قال عكرمة: "أشهد أن كلّ كيال ووزّان في النار، فقيل له في ذلك، فقال: إنه ليس منهم أحد يزن كما يتزن ولا يكيل كما يكتال، وقد قال الله: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ}"[١].

عن وهْب بن مُنَبِّه، قال: "تَرْكُكَ المكافأةَ تطفيفٌ؛ قال الله: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ}"[٢].

عن عبد الله، قال: "قال له رجل: يا أبا عبد الرحمن إن أهل المدينة ليوفون الكيل، قال: وما يمنعهم من أن يوفوا الكيل، وقد قال الله: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ}، حتى بلغ: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}"[٣].

عن هلال بن طلق قال : "بينا أنا أسير مع ابن عمر فقلت : من أحسن الناس هيئةً وأوفاه كيلا ؟ أهل مكة أو المدينة ؟ قال : حق لهم، أما سمعت الله يقول :{وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ}"[٤].

عن سلمان الفارسي، قال: " الصلاة مكيال، فمن أوفى أوفى الله، وقد علمتم ما قال الله في الكيل: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ} [المطففين: ١] "[٥].

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خمس بخمس» قالوا: يا رسول الله وما خمس بخمس؟ قال: «ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا المكيال إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر»[٦].

قال مالك بن دينار: "دخلت على جار لي وقد نزل به الموت، فجعل يقول: جبلين من نار جبلين من نار، قال: قلت: ما تقول أتهجر؟ قال: يا أبا يحيى كان لي مكيالان، كنت أكيل بأحدهما وأكتال بالآخر، قال: فقمت فجعلت أضرب أحدهما بالآخر، فقال: يا أبا يحيى كلما ضربت أحدهما بالآخر إزداد عظما فمات في وجعه"[٧].

عن الأصمعي قال: "قال لي إعرابي: لا تلتمس الحوائج ممن مروءته في رؤس المكاييل والسن الموازين"[٨].

وروى عبد خير:" أن عليّا مرّ على رجل وهو يزن الزعفران وقد أرجح، فكفا الميزان، ثم قال: أقم الوزن بالقسط، ثم أرجح بعد ذلك ما شئت"[٩].

وقال نافع:" كان ابن عمر يمرّ بالبائع فيقول: اتّق الله وأوف الكيل والوزن، فإن المطفّفين يوقفون يوم القيامة حتى أن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم"[١٠].

قوله تعالى:{الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ} [المطففين : ٤]، أي:" الذين إذا اشتروا من الناس مكيلا أو موزونًا يوفون لأنفسهم"[١١].

قال الطبري: يقول:" الذين إذا اكتالوا من الناس ما لهم قبلهم من حقّ، يستوفون لأنفسهم فيكتالونه منهم وافيا"[١٢].

قال الزجاج:" المعنى: إذا اكتالوا من الناس استوفوا عَلَيْهم الكيل، وكذلك إذا اتَّزَنُوا استوفوا الوزن"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٧٨/٢٤.
(٢)أخرجه البيهقي (٩١٥٨).
(٣) أخرجه الطبري: ٢٧٧/٢٤.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير":٣٤٦/٨.
(٥) مصنف ابن أبي شيبة(٢٩٧٩):ص٢٥٩/١.
(٦) المعجم الكبير للطبراني(١٠٩٩٢):ص٤٥/١١، والكشف والبيان للثعلبي: ١٥٠/١٠.
(٧) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٠/!٥٠-١٥١.
(٨) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٠/!٥٠-١٥١.
(٩) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٠/!٥٠.
(١٠) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٠/!٥٠.
(١١) التفسير الميسر: ٥٨٧.
(١٢) تفسير الطبري: ٢٧٨/٢٤.

قال القشيري:" يعاملون الناس فإذا أخذوا لأنفسهم استوفوا"[٢].

قال ابن كثير:" أي : يأخذون حقهم بالوافي والزائد"[٣].

قال ابن فورك:" الاكتيال: الأمر بالكيل ونظيره الاتزان، وهو الأخذ بالوزن، والاستيفاء: الأخذ بالوفاء، وهو طلب الوفاء، والوفاء تمام مقدار الحق"[٤].

قوله تعالى:{وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ} [المطففين : ٤]، أي:" وإذا باعوا الناس مكيلا أو موزونًا يُنْقصون في المكيال والميزان"[٥].

قال الطبري:" يقول: وإذا هم كالوا للناس أو وزنوا لهم ينقصونهم"[٦].

قال الزجاج:" أي: إذا كالوا لهم أو وزنوا لهم يخسرون، أي ينقصون في الكيل والوزن"[٧].

قال القشيري:" وإذا دفعوا إلى من يعاملهم نقصوا، ويتجلّى ذلك فى: الوزن والكيل، وفي إظهار العيب، وفي القضاء والأداء والاقتضاء فمن لم يرض لأخيه المسلم ما لا يرضاه لنفسه فليس بمنصف"[٨].

قال ابن كثير:" أي : ينقصون.. وقد أمر الله - تعالى - بالوفاء في الكيل والميزان، فقال :{وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا} [الإسراء : ٣٥]، وقال :{وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا} [الأنعام : ١٥٢]، وقال :{وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ} [الرحمن : ٩]. وأهلك الله قوم شعيب ودَمَّرهم على ما كانوا يبخسون الناس في المكيال والميزان"[٩].

قوله تعالى:{أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ} [المطففين : ٤]، أي:" ألا يعتقد أولئك المطففون أن الله تعالى باعثهم ومحاسبهم على أعمالهم؟"[١٠].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ألا يظنّ هؤلاء المطففون الناس في مكاييلهم وموازينهم أنهم مبعوثون من قبورهم بعد مماتهم"[١١].

قال الزجاج:" أي: إنهم لو ظنوا أنهم يبعثون ما نَقصوا في الكيل والوزن"[١٢].

قال القشيري:" أي: ألا يستيقن هؤلاء أنهم محاسبون غدا، وأنهم مطالبون بحقوق الناس؟"[١٣].

قال السمعاني:" أي: ألا يستيقنوا أولئك أنهم مبعوثون.. وقيل في قوله: {ألا يظن} يعني: أنهم لا يعملون عمل من يظن أنهم مبعوثون"[١٤].

قال ابن كثير:" أي: أما يخافُ أولئك من البعث والقيام بين يَدَي من يعلم السرائر والضمائر"[١].

---

(١) معاني القرآن: ٢٩٧/٥.
(٢) لطائف الإشارات: ٦٩٩/٣.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٤٦/٨.
(٤) تفسير ابن فورك: ١٧٢/٣.
(٥) التفسير الميسر: ٥٨٧.
(٦) تفسير الطبري: ٢٧٨/٢٤.
(٧) معاني القرآن: ٢٩٧/٥.
(٨) لطائف الإشارات: ٦٩٩/٣.
(٩) تفسير ابن كثير: ٣٤٦/٨-٣٤٧. قال ابن كثير:" والأحسن أن يجعل "كالوا" و "وزنوا" متعديا، ويكون هم في محل نصب، ومنهم من يجعلها ضميرا مؤكدا للمستتر في قوله : "كالوا" و "وزنوا"، ويحذف المفعول لدلالة الكلام عليه، وكلاهما متقارب".
(١٠) التفسير الميسر: ٥٨٧.
(١١) تفسير الطبري: ٢٧٨/٢٤.
(١٢) معاني القرآن: ٢٩٧/٥.
(١٣) لطائف الإشارات: ٧٠٠/٣.
(١٤) تفسير السمعاني: ١٧٨/٦.

قال الزمخشري:" {ألا يَظُنُّ} إنكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف، كأنهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ومحاسبون على مقدار الذرّة والخردلة"[٢].

عن الفضيل: "بخس الميزان سواد الوجه يوم القيامة"[٣].

عن قتادة: "أوف يا ابن آدم كما تحب أن يوفى لك، واعدل كما تحب أن يعدل لك"[٤].

عن غيلان أبي عبد الله، يقول: "سمعتُ الحسن يقول، وتلا هذه الآية: {ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم}: إنّ القوم -واللهِ- لو ظنُّوا ذلك لقاربوا العدل"[٥].

وعن عبد الملك بن مروان: "أن أعرابيا قال له: قد سمعت ما قال الله في المطففين: أراد بذلك أن المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به، فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن"[٦].

القرآن

{لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)} [المطففين : ٥ - ٦]

التفسير:

سيكون بعثهم في يوم عظيم الهول، يوم يقوم الناس بين يدي الله، فيحاسبهم على القليل والكثير، وهم فيه خاضعون لله رب العالمين.

قوله تعالى:{لِيَوْمٍ عَظِيمٍ} [المطففين : ٦]، أي:" سيكون بعثهم في يوم عظيم الهول"[٧].

قال الطبري: أي:" ليوم عظيم شأنه: هائل أمره، فظيع هوله"[٨].

قال الزجاج:" يعنى: يوم القيامة"[٩].

قال السمعاني:" هو يوم القيامة. سماه عظيما لعظم ما فيه وشدته"[١٠].

قال ابن كثير: أي : "في يوم عظيم الهول، كثير الفزع، جليل الخطب، من خسر فيه أدخل نارا حامية ؟"[١١].

قال الزمخشري:" وفي هذا الإنكار والتعجيب وكلمة «الظن»، ووصف اليوم بالعظم، وقيام الناس فيه لله خاضعين، ووصفه ذاته بـ«رب العالمين»[١٢]: بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الإثم في التطفيف وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط، والعمل على السوية والعدل في كل أخذ وإعطاء، بل في كل قول وعمل"[١٣].

قوله تعالى:{يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [المطففين : ٦]، أي:" يوم يقوم الناس بين يدي الله، فيحاسبهم على القليل والكثير، وهم فيه خاضعون لله رب العالمين"[١٤].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٤٧/٨.
(٢) الكشاف: ٧٢٠/٤.
(٣) نقلا عن: الكشاف: ٧٢٠/٤.
(٤) نقلا عن: الكشاف: ٧٢٠/٤.
(٥)أخرجه البيهقي في الزهد الكبير ص ٣٥٨ (٩٧٨).
(٦) نقلا عن: الكشاف: ٧٢٠/٤.
(٧) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٨) تفسير الطبري: ٢٧٨/٢٤.
(٩) معاني القرآن: ٢٩٧/٥.
(١٠) تفسير السمعاني: ١٧٨/٦.
(١١) تفسير ابن كثير: ٣٤٧/٨.
(١٢) في الآية الآتية قوله تعالى:{يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [المطففين : ٦].
(١٣) الكشاف: ٧٢٠/٤.
(١٤) التفسير الميسر: ٥٨٨.

قال ابن كثير: " أي : يقومون حفاة عراة غُرلا في موقف صعب حَرج ضيق ضنَك على المجرم، ويغشاهم من أمر الله - ما تَعْجزُ القوى والحواس عنه.. وفي حديث : أنهم يقومون سبعين سنة لا يتكلمون. وقيل : يقومون ثلاثمائة سنة. وقيل : يقومون أربعين ألف سنة. ويقضى بينهم في مقدار عشرة آلاف سنة، كما في صحيح مسلم عن أبي هُرَيرة مرفوعا : «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة»[١]"[٢].

قال الطبري: " ذُكر أن الناس يقومون لربّ العالمين يوم القيامة حتى يلجمهم العرق، فبعض يقول: مقدار ثلثمائة عام، وبعض يقول: مقدار أربعين عاما"[٣].

عن قتادة: "{يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}، قال: ذُكر لنا أن كعبا كان يقول: يقومون ثلثمائة سنة"[٤].

قال قتادة:" كان كعب يقول: يقومون مقدار ثلثمائة سنة"[٥].

قال: قتادة: "وحدثنا العلاء بن زياد العدويّ، قال: بلغني أن يوم القيامة يقصر على المومن حتى يكون كإحدى صلاته المكتوبة"[٦].

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبشير الغفاري: "كَيْفَ أنْتَ صَانِعٌ فِي: يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِربّ الْعَالمِين مِقْدَارَ ثَلثِمائَةِ سَنَةٍ مِنْ أيَّامِ الدُّنْيا، لا يأتِيهِمْ خَبرٌ مِنَ السَّماءِ، وَلا يُؤْمَرُ فِيهِمْ بأمْر"، قال بشير: المستعان الله يا رسول الله، قال: "إذَا أنْتَ أوَيْتَ إلى فِراشِكَ فَتَعَوَّذْ بالله مِنْ كُرَب يَوْمِ القِيامَة، وَسُوءِ الْحِساب"[٧].

عن ابن عمر:"{يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}، قال: يقومون مئة سنة"[٨].

عن عبد الله بن مسعود، في قوله: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}، قال: "يمكثون أربعين عاما رافعي رءوسهم إلى السماء، لا يكلمهم أحد، قد ألجم العرق كلّ برّ وفاجر، قال: فينادي مناد: أليس عدلا من ربكم أن خلقكم ثم صوّركم، ثم رزقكم، ثم توليتم غيره أن يولي كلّ عبد منكم ما تولى في الدنيا؟ قالوا: بلى، ثم ذكر الحديث بطوله"[٩].

عن قيس بن سكن، قال: حدث عبد الله، وهو عند عمر :"{يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}، قال: إذا كان يوم القيامة يقوم الناس بين يدي ربّ العالمين أربعين عاما، شاخصة أبصارهم إلى السماء حفاة عراة يلجمهم العرق، ولا يكلمهم بشر أربعين عاما"[١٠].

عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} يَوْمَ الْقِيامَةِ، حتى يَغِيبَ أحَدُهُمْ إلى أنصَافِ أذُنَيْهِ فِي رَشْحِهِ"[١١].

عن ابن عمر، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، في قوله: "{يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}، قال: يقوم أحدكم في رشحه إلى أنصاف أذنيه"[١٢]. وفي رواية:" يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه"[١٣].

---

(١)صحيح مسلم برقم (٩٨٧).
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٤٧/٨.
(٣) تفسير الطبري: ٢٧٨/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٨١/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٨١/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٨١/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري:: ٢٨٠/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري:: ٢٨٠/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٨١/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٨١/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري:: ٢٨٠/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٧٩/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٧٩/٢٤.

عن نافع، قال: "قال ابن عمر: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}، حتى يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه"[١].

عن المقداد - يعني ابن الأسود الكندي - قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إذا كان يومُ القيامة أدنِيَت الشمس من العباد، حتى تكون قيدَ ميل أو ميلين، قال : فتصهرهم الشمس، فيكونون في العَرق كقَدْر أعمالهم، منهم من يأخذه إلى عَقِبيه، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلى حَقْوَيه، ومنهم من يلجمه إلجاما"[٢].

عن أبي أمامة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل، ويزاد في حرها كذا وكذا، تغلي منها الهوام كما تغلي القدور، يُعرَقون فيها على قدر خطاياهم، منهم من يبلغ إلى كعبيه، ومنهم من يبلغ إلى ساقيه، ومنهم من يبلغ إلى وسطه، ومنهم من يلجمه العرق"[٣].

عن عقبة بن عامر، قال: سمعتُ رسول صلى الله عليه وسلم يقول : "تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس، فمن الناس من يبلغ عرقه عَقِبيه، ومنهم من يبلغ إلى نصف الساق، ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه، ومنهم من يبلغ العَجُز، ومنهم من يبلغ الخاصرة، ومنهم من يبلغ منكبيه، ومنهم من يبلغ وسط فيه - وأشار بيده فألجمها فاه، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير هكذا - ومنهم من يغطيه عرقه". وضرب بيده إشارة[٤].

عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفتتح قيام الليل : يكبر عشرا، ويحمد عشرا، ويسبح عشرا، ويستغفر عشرا، ويقول : "اللهم اغفر لي واهدني، وارزقني وعافني". ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة"[٥].

عن القمر بن أبي ابزى، قال: "حدّثني من سمع ابن عمر قرأ: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ}، فلما بلغ: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}، بكى حتى خرّوا وامتنع من قراءة ما بعده"[٦].

قال سهل: أخبرني محمد بن سوار[٧] أنه حج سنة من السنين فرأى أيوب السّختياني[٨] قد ابتدأ بأول القرآن مصليا، وإذا بناحية منه رجل من أهل البصرة مستقبل الكعبة قد ابتدأ بسورة: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ} [المطففين: ١]، وهو يردد قوله تعالى: {أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ} [المطففين: ٤]، قال: فبلغ أيوب السختياني إلى ثلثي القرآن وذلك الرجل يردد هذه الآية، فلما كان عند السحر بلغ أيوب «الفيل»، وانتهى الرجل إلى قوله: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [المطففين: ٦]، وغشي عليه، فتقدمنا إلى الرجل فوجدناه ميتا"[٩].

فوائد الآيات:[١-٦]:

١- حرمة التطفيف في الكيل والوزن وهو أن يأخذ زائداً ولو قل أو ينقص عامداً شيئاً ولو قل.

٢- التذكير بالبعث والجزاء وتقريرهما.

٣- عظم يوم القامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ليحكم بينهم ويجزي كلا بعمله خيرا أو شرا.

القرآن

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٧٩/٢٤.

(٢)المسند (٣/٦) وصحيح مسلم برقم (٢٨٦٤) وسنن الترمذي برقم (٢٤٢١).

(٣)المسند (٢٥٤/٥).

(٤)المسند (١٥٧/٤).

(٥)سنن أبي داود برقم (٧٦٦) وسنن النسائي (٢٠٨/٣) وسنن ابن ماجة برقم (١٣٥٦).

(٦) أخرجه الثعلبي في" الكشف والبيان": ١٠/!٥١.

(٧)محمد بن سوار: يقال إنه كان خال سهل بن عبد الله التستري. روي عن ابن عيينة، وعنه سهل. (تهذيب التهذيب ٩/ ١٨٦).

(٨)أيوب السختياني: أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني البصري، أبو بكر (٦٦- ١٣١ هـ) : سيد فقهاء عصره. تابعي، من النساك الزهاد، من حفاظ الحديث. كان ثبتا ثقة. (الحلية ٣/ ٣).

(٩) تفسير التستري: ٢٠.

{كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٩)} [المطففين : ٧ - ٩]

التفسير:

حقا إن مصير الفُجَّار ومأواهم لفي ضيق، وما أدراك ما هذا الضيق؟ إنه سجن مقيم وعذاب أليم، وهو ما كتب لهم المصير إليه، مكتوب مفروغ منه، لا يزاد فيه ولا يُنقص.

قوله تعالى:{كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ} [المطففين : ٩]، أي:" حقا إن مصير الفُجَّار ومأواهم لفي ضيق"(١).

أما «كلا»، ففيه وجهان :

أحدهما : أي: حقاً. قاله الحسن(٢)، وبه قال ابن كثير(٣).

الثاني : أن «كَلَّا» للزجر والتنبيه.

قال الزجاج:" «كَلَّا»: رَدعٌ وتنبيه، المعنى ليس الأمر على ما هم عليه، فليرتدعوا عَنْ ذَلِك"(٤).

قال الطبري:" أي: ليس الأمر كما يظنّ هؤلاء الكفار، أنهم غير مبعوثين ولا معذّبين"(٥).

قال مقاتل:" هي وعيد، مثل ما يقول الإنسان: والله، يحلف بربه، والله- عز وجل- لا يقول والله، ولكنه يقول: «كلا»"(٦).

وأما «سجّين»، ففيه أقوال :

أحدها : أن المعنى: في حساب. حكاه الزجاج(٧).

الثاني: إن كتابهم لفي سفال، قاله الحسن(٨).

قال خصيف: "انطلقت أنا ومجاهد إلى محمد بن كعب نسأله عن قول الله عز وجل: {كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ} [المطففين: ٧]، قال: «قد رقم الله على الفجار ما هم عاملون في «سجين»، فهو أسفل، والفجار منتهون إلى ما قد رقم الله عليهم»(٩).

الثالث : لفي خسار وضلال، قاله عكرمة(١٠). والمعنى: أنه أراد بطلان أعمالهم وذهابها بلا محمدة ولا ثواب وهذا سائغ مستفيض في كلام الناس، يقولون لمن خمل ذكره وسقط قدره قد لزق بالحضيض(١١).

الرابع : هو جبّ في جهنم، روى أبو هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال :« الفَلَقُ جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ مُغَطًّى، وأما سِجِّينٌ فمَفْتُوحٌ»(١٢).

قال ابن كثير:" غريب منكر لا يصح"(١٣).

الخامس : أن «سجّين» تحت خدّ إبليس، قاله كعب الأحبار(١٤)، وسعيد بن جبير(١).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٢) انظر: الكشف والبيان: ١٥١/١٠.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٤٩/٨.
(٤) معاني القرآن: ٢٩٨/٥.
(٥) تفسير الطبري: ٢٨٢/٢٤.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٢٢/٤.
(٧) انظر: معاني القرآن: ٢٩٨/٥.
(٨) انظر: النكت والعيون: ٢٢٧/٦، وزاد المسير: ٤١٥/٤.
(٩) القدر للفِرْيابي (٢٢٦):ص١٨٢. في إسناده خصيف، صدوق سيئ الحفظ، خلط بأخرة، ورمي بالإرجاء.
(١٠) انظر: الكشف والبيان: ١٥١/١٠، والنكت والعيون: ٢٢٧/٦، وزاد المسير: ٤١٥/٤.
(١١) انظر: تفسير الثعلبي: ٥٢/!١٠.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٨٤/٢٤.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٣٤٩/٨.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:٢٨٣/٢٤-٢٨٤.

عن شمر، قال: "جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار، فقال له ابن عباس: حدِّثني عن قول الله: {إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ... } الآية، قال كعب: إن روح الفاجر يصعد بها إلى السماء، فتأبى السماء أن تقبلها، ويُهبط بها إلى الأرض فتأبى الأرض أن تقبلها، فتهبط فتدخل تحت سبع أرضين، حتى ينتهي بها إلى «سجين»، وهو خدّ إبليس، فيخرج لها من سجين من تحت خدّ إبليس، رَقّ فيرقم ويختم ويوضع تحت خدّ إبليس بمعرفتها الهلاك إلى يوم القيامة"[٢].

وقال وهب: "هي آخر سلطان إبليس"[٣].

وقال مقاتل:" يعني: أعمال المشركين مكتوبة مختومة بالشر، موضوعة تحت الأرض السفلى، تحت خد إبليس، لأنه أطاعه، وعصى ربه"[٤].

السادس : أنه حجر أسود تحت الأرض تكتب فيه أرواح الكفار، حكاه يحيى بن سلام[٥].

السابع : لفي حبس ضيق شديد، وهو «فعّيل»، من: السجن. وفيه مبالغة، كما يقال: فسّيق وشرّيب. قاله الأخفش[٦]، وأبو عبيدة[٧]، وابن قتيبة[٨]، وعليّ بن عيسى[٩]، واختاره ابن كثير[١٠]، يقال: ضَربٌ سِجِّينٌ، أي: شديدٌ[١١]، قال ابن مقبل[١٢]:

وَرَجْلَةٍ يَضْرِبُونَ البَيْضَ ضَاحِيَةً[١٣] ... ضَرْبًا تَوَاصَى بِهِ الأَبْطَالُ سِجِّينَا

قال ابن قتيبة:" فِعِّيل؛ من : سَجَنت"[١٤].

قال الزجاج:" زعم أهل اللغة أن «سِجِّينَ»: فِعِّيل، من: السجْن، المعنى: كتابهم في حبس، جعل ذلك دَلالة على خساسة مَنْزلتِهم"[١٥].

قال ابن كثير:" أي : إن مصيرهم ومأواهم لفي سجين - فعيل من السَّجن، وهو الضيق - كما يقال : فسّيق وشرّيب وخمّير وسكّير، ونحو ذلك.. والصحيح أن "سجينا" مأخوذ من السَّجن، وهو الضيق، فإن المخلوقات كل ما تسافل منها ضاق، وكل ما تعالى منها اتسع، فإن الأفلاك السبعة كل واحد منها أوسع وأعلى من الذي دونه، وكذلك الأرضون كل واحدة أوسع من التي دونها، حتى ينتهي السفول المطلق والمحل الأضيق إلى المركز في وسط الأرض السابعة. ولما كان مصير الفجار إلى جهنم وهي أسفل السافلين، كما قال تعالى :{ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ

---

(١) انظر: الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٩):ص٣٥.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٤/٢٨٣-٢٨٤.

(٣) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٠/١٥٢.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤/٦٢٢.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٦/٢٢٨، وهو علي بن عيسى بن الفرج بن صالح، أبو الحسن الربعي النحوي، صاحب أبي علي الفارسي، درس النحو وتفنن فيه حتى ما بقي له شيء يحتاج أن يسأل عنه، من مؤلفاته: "شرح مختصر الجرمي"، توفي سنة هـ ٤٢٠ ص. وينظر "إنباه الرواة" ٢/ ٢٩٧، و"تاريخ بغداد" ١٢/ ١٧ - ١٨.

(٦) انظر: الكشف والبيان: ١٠/١٥٢، والنكت والعيون: ٦/٢٢٨.

(٧) انظر: مجاز القرآن: ٣/٢٨٩.

(٨) انظر: غريب القرآن: ٥١٩.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٦/٢٢٨، وهو علي بن عيسى بن الفرج بن صالح، أبو الحسن الربعي النحوي، صاحب أبي علي الفارسي، درس النحو وتفنن فيه حتى ما بقي له شيء يحتاج أن يسأل عنه، من مؤلفاته: "شرح مختصر الجرمي"، توفي سنة هـ ٤٢٠ ص. وينظر "إنباه الرواة" ٢/ ٢٩٧، و"تاريخ بغداد" ١٢/ ١٧ - ١٨.

(١٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٨/٣٤٩.

(١١) انظر: الصحاح «سجن»: ٥/٢١٣٣-٢١٣٤: .

(١٢)البيت لابن مقبل- تميم بن أُبَيّ- ديوانه: (٣٣٣).

(١٣)وروى في اللسان: «يضربون البيض عن عرض».

(١٤) انظر: غريب القرآن: ٥١٩.

(١٥) معاني القرآن: ٥/٢٩٨.

سَافِلِينَ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [التين] : ٥، ٦]. وقال هاهنا :{كَلا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ} وهو يجمع الضيق والسفول، كما قال : {وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا} [الفرقان : ١٣]"[١].

الثامن : أن «سجين»: الأرض السابعة السفلى فيها أرواح الكفّار وأعمالهم، قاله ابن عباس[٢]، وعبد الله بن عمرو[٣]، ومجاهد[٤]، وقتادة[٥]، والضحاك[٦]، ومغيث بن سميّ[٧]، ورواه البراء بن عازب مرفوعاً[٨]، وبه قال الطبري[١]، والنحاس[٢]، وروي فيما معناه عن كعب الأحبار[٣].

الأحبار[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٤٩/٨-٣٥٠.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٣/٢٤، وتفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٥):ص١٠/٢، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩١٧٩):ص٣٤٠٩/١٠.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٢/٢٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٢/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٢/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٣/٢٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٢/٢٤.
(٨) انظر: المسند(١٨٥٣٤):ص٣٠/٤٩٩-٥٠٣. إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح. وأخرجه بتمامه ومختصرا: ابن أبي شيبة ٣١٠/٣ و٣٧٤ و٣٨٠-٣٨٢، و١٩٤/١٠، وهناد في "الزهد" (٣٣٩) ، والمروزي في زوائده على "الزهد" لابن المبارك (١٢١٩) ، والدارمي في "الرد على الجهمية" ص٢٩، وأبو داود (٤٧٥٣) ، والطبري في "التفسير" (٢٠٧٦٤) ، وفي "تهذيب الآثار" (٧٢١) ، وابن خزيمة في "التوحيد" ص١١٩، وأبو عوانة- كما في "إتحاف المهرة" ٤٥٩/٢- والآجري في "الشريعة" ص٣٦٧-٣٧٠ و٣٧٠، وابن منده في "الإيمان" (١٠٦٤) ، والحاكم في "المستدرك" ٣٧/١-٣٨، واللالكائي في "أصول الاعتقاد" (٢١٤٠) ، والبيهقي في "إثبات عذاب القبر" (٢١) (٤٤) ، وفي "شعب الإيمان" (٣٩٥) من طريق أبي معاوية، بهذا الإسناد. قال البيهقي في "الشعب": هذا حديث صحيح الإسناد، وقال ابن منده: هذا إسناد متصل مشهور، رواه جماعة عن البراء، وكذلك رواه عدة عن الأعمش، وعن المنهال ابن عمرو، والمنهال بن عمرو: هو الأسدي، مولاهم، الكوفي، أخرج عنه البخاري ما تفرد به، وزاذان أخرج عنه مسلم، وهو ثابت على رسم الجماعة.
وروي هذا الحديث عن جابر، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وأنس بن مالك، وعائشة رضي الله عنهم.
قلنا: وقد وقع في مطبوع ابن أبي شيبة ص ٣٧٤: حدثنا أبو معاوية عن ابن نمير، وهو خطأ، صوابه: وابن نمير.
وأخرجه الطيالسي (٧٥٣) ، وأبو داود (٣٢١٢) و (٤٧٥٣) ، والطبري في التفسير" (٢٠٧٦٣) و (٢٠٧٦٥) و (٢٠٧٨٠) و (٢٠٧٨٧) ، وفي "تهذيب الآثار" (٧١٨) و (٧٢٠) ، وابن خزيمة في "التوحيد" ص١١٩، وأبو عوانة- كما في "إتحاف المهرة" ٤٥٩/٢- والحاكم في "المستدرك" ٣٨/١ و٣٩، والبيهقي في "إثبات عذاب القبر" (٢٠) و (٢١) من طرق عن الأعمش، به. زاد جرير عن الأعمش، عند أبي داود (٤٧٥٣) : "ثم يقيض له أعمى أبكم، معه مرزبة من حديد، لو ضرب بها جبل، لصار ترابا" وسترد هذه الزيادة ضمن سياق الرواية (١٨٦١٤) .
وأخرجه مختصرا النسائي في "المجتبى" ٧٨/٤، وابن ماجه (١٥٤٩) من طريق عمرو بن قيس، عن المنهال، به.
وأخرجه الطبري في "تهذيب الآثار" (٧٢٣) ، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٣٩٦) من طريق عيسى بن المسيب، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب، به. وفيه ذكر اسم الملكين: منكر ونكير.
وأورده المنذري في "الترغيب والترهيب" (٥٢٢١) وقال: حديث حسن، رواته محتج بهم في الصحيح.
قال ابن حزم في "المحلى" ٢٢/١: لم يرو أحد أن في عذاب القبر رد الروح إلى الجسد إلا المنهال بن عمرو، وليس بالقوي، فتعقبه ابن القيم في "الروح" ص٧٦ بقوله: هذا من مجازفته، وقال: الحديث صحيح لا شك فيه.
وأورده الهيثمي في "المجمع" ٤٩/٣-٥٠ وقال: هو في الصحيح باختصار، رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.
قال السندي: قوله: ولما يلحد، على بناء المفعول، مجزوم بلما النافية ينكت، أي: يضرب الأرض بطرفه، وهذا يفعله المتفكر المهموم.
كما تسيل القطرة، أي: تخرج بسهولة.
فيجعلوها في ذلك ... يدل على أن الروح يكفن ويحنط، كالجسد.

عن مغيث بن سميّ، قال: "{إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ}، قال: الأرض السفلى، قال: إبليس مُوثَق بالحديد والسلاسل في الأرض السفلى"[٤].

عن قتادة:"{سِجِّينٍ}: الأرض السابعة"[٥]. وفي لفظ:" {فِي سِجِّينٍ}: قال: في أسفل الأرض السابعة"[٦]. وفي لفظ:" الأرض السابعة السفلي"[٧].

قال ابن عباس:" «سجين»: أسفل الأرضين"[٨].

قال ابن عباس:" أعمالهم في كتاب في الأرض السفلى"[٩].

قال الضحاك:" يقول: في الأرض السفلى"[١٠].

قال ابن جريج:" بلغني: أنّ {سِجِّين} الأرض السُّفلى"[١١].

عن فرقد:"{كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ}، قال: الأرض السابعة"[١٢].

قال مجاهد:" عملهم في الأرض السابعة لا يصعد"[١٣].

وقال مجاهد : "«سجين»: صخرة تحت الأرض السابعة، تقلب فيجعل تحتها كتاب الكافر"[١٤].

قال قتادة:" ذُكر أن عبد الله بن عمرو كان يقول: هي الأرض السفلى فيها أرواح الكفار، وأعمالهم أعمال السوء"[١٥].

فيشيعه، بالتشديد، أي: تبعه، تكريما له.

أن صدق عبدي. "أن" تفسيرية، أو مصدرية، بتقدير الباء، أي: نادى بأن صدق، أو بتقدير اللام، أي: لأجل أن صدق في الدنيا أو فيما قال في الحال أفرشوه.

فأفرشوه: هو بهمزة قطع، أي: اجعلوا له فراشا من فرش الجنة.

وألبسوه: يؤيد ما قيل: إن الميت يلبس غير الكفن، وعدم الظهور عند أعيننا لا يضر في ذلك، كما لا يضر عدم رؤية أحدنا جبريل عند النبي صلى الله عليه وسلم في حضوره عنده صلى الله عليه وسلم.

فيأتيه من روحها، أي: ما لا يوصف كنهه، فأبهم لذلك، ويحتمل أن تكون "من" تبعيضية، أو زائدة، عند من جوز.

المسوح، بضمتين، جمع مسح، بكسر الميم: كساء معروف، وقال النووي: هو ثوب من الشعر غليظ معروف.

السفود؛ ضبط بفتح السين، وتشديد الفاء: حديدة يشوى بها اللحم.

ثم قرأ: (ومن يشرك ...) الظاهر- والله تعالى أعلم- أن ليس المراد أن هذه الآية بيان لجزائه، بل المراد أن الآية بيان لقبح الشرك، وبعده عن العقول، فإذا كان عمل الكافر هذا، والجزاء يكون من جنس العمل، فجزاؤه ذاك.

هاه هاه: كلمة يقولها المتحير في الكلام.

أن كذب، أي: فيما قال: لا أدري، لأن دين الله ونبوة رسوله كان ظاهرا، ويحتمل أن المراد الكذب في الدنيا كما سبق في عديله، ولم يقل: عبدي، إهانة له، وقد قال تعالى: {وأن الكافرين لا مولى لهم} [محمد:١١]

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٢/٢٤.

(٢) انظر: إعراب القرآن: ١١٠/٥.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٢/٢٤.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٨٢/٢٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٨٣/٢٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٨٢/٢٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٨٣/٢٤.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٧٩):ص٣٤٠٩/١٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٨٣/٢٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٨٣/٢٤.

(١١)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(١٢)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(١٣) أخرجه الطبري: ٢٨٣/٢٤.

(١٤) الزهد والرقائق لابن مبارك(١٢٢٢):ص٤٣٣/١.

(١٥) أخرجه الطبري: ٢٨٢/٢٤.

عن هلال بن يساف، قال: "كنا جلوسا إلى كعب أنا وربيع بن خيثم وخالد بن عُرْعرة، ورهط من أصحابنا، فأقبل ابن عباس، فجلس إلى جنب كعب، فقال: يا كعب أخبرني عن سِجِّين، فقال كعب: أما «سجِّين»: فإنها الأرض السابعة السفلى، وفيها أرواح الكفار تحت خدّ إبليس"[١].

وعن ابن وهب، قال: "وحدّثني عمارة بن عيسى عن يونس بن يزيد عمّن حدّثه عن ابن عباس أنه قال لكعب الأحبار: أخبرني عن «سجّين» و«عليّين»، فقال كعب: والذي نفسي بيده لأخبرنّك عنها إلّا بما أجد في كتاب الله المنزل، أما سجّين فإنّها شجرة سوداء تحت الأرضين السبع مكتوب فيها كلّ اسم شيطان، فإذا قبضت نفس الكافر عرج بها إلى السماء فغلقت أبواب السماء دونها، ثم رمى بها إلى سجين فذلك سجين، وأما عليّيون فإنّه إذا قبضت نفس المسلم عرج بها إلى السماء وفتحت لها أبواب السماء حتى تنتهي إلى العرش، قال: فيخرج كفّ من العرش فيكتب له نزله وكرامته فذلك عليّون"[٢].

وقال عطاء الخراساني: "هي الأرض السفلى وفيها إبليس وذريته"[٣].

وقال الكلبي: "هي صخرة تحت الأرض السابعة السفلى خضراء خضرة السموات منها، يجعل كتاب الفجار تحتها"[٤].

وقال ابن زيد:" يقال سجين: الأرض السافلة، وسجين: بالسماء الدنيا"[٥].

قال النحاس:" وأولى ما قيل في «سجين»، ما صحّ عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم-... عن زاذان عن البراء عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «إنّ العبد الكافر أو الفاجر إذا مات صعد بروحه إلى السّماء الدنيا، فيقول الله جلّ وعزّ: اكتبوا كتابه في سِجِّينٍ»[٦]. قال: وهي الأرض السفلى"[١].[٢].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٨٢/٢٤.

(٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان:" ١٥٢/١٠.

(٣) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٥٢/١٠.

(٤) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٥٢/١٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٨٣/٢٤.

(٦)انظر: المسند(١٨٥٣٤):ص٤٩٩/٣٠-٥٠٣. إسناده صحيح. وسبق تخريجه مفصلا.

ونص الحديث:

عن البراء بن عازب، قال: «خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم، في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر، ولما يلحد، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجلسنا حوله، كأن على رءوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض، فرفع رأسه، فقال: " استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين، أو ثلاثا، "، ثم قال: " إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، عليه السلام، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ". قال: " فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض " قال: " فيصعدون بها، فلا يمرون، يعني بها، على ملإ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى ". قال: " فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به وصدقت، فينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة ". قال: " فيأتيه من روحها، وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره ". قال: " ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي، ومالي ". قال: " وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد

قوله تعالى:{وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ} [المطففين : ٩]، أي:" وما أدراك ما هذا الضيق؟"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وأيّ شيء أدراك يا محمد، أيّ شيء ذلك الكتاب"[٤].

قال الزجاج:" أي: ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت وَلَا قَوْمُك"[٥].

قال ابن كثير:" أي : هو أمر عظيم، وسجن مقيم وعذاب أليم"[٦].

قال ابن عطية:" تعظيم لأمر هذا السجين وتعجب منه، ويحتمل أن يكون تقرير استفهام، أي: هذا مما لم يكن يعرفه قبل الوحي"[٧].

قوله تعالى:{كِتَابٌ مَرْقُومٌ} [المطففين : ٩]، أي: وهو ما كتب لهم المصير إليه، مكتوب مفروغ منه، لا يزاد فيه ولا يُنقص"[٨].

قال السمعاني:" أي: كتاب الفجار، وقال بعضهم: :{كِتَابٌ مَرْقُومٌ} يرجع إلى «السجين»، والأصح الأول"[٩].

البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب ". قال: " فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له "، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: {لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط} [الأعراف: ٤٠]، فيقول الله عز وجل: " اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحا ". ثم قرأ: {ومن يشرك بالله، فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق} [الحج: ٣١] " فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء أن كذب، فافرشوا له من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها، وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة».

(١) إعراب القرآن للنحاس: ١١٠/٥.

(٢) اختلف في مستقر الأرواح ما بين الموت إلى قيام الساعة: فقيل: أرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكافرين في النار، وقيل: إن أرواح المؤمنين بفناء الجنة على بابها، يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها. وقيل: على أفنية قبورهم. وقال مالك: بلغني أن الروح مرسلة، تذهب حيث شاءت. وقالت طائفة: بل أرواح المؤمنين عند الله عز وجل، ولم يزيدوا على ذلك. وقيل: إن أرواح المؤمنين بالجابية من دمشق، وأرواح الكافرين ببرهوت بئر بحضرموت! وقال كعب: أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة، وأرواح الكافرين في سجين في الأرض السابعة تحت خد إبليس! وقيل: أرواح المؤمنين ببئر زمزم، وأرواح الكافرين ببئر برهوت. وقيل: أرواح المؤمنين عن يمين آدم، وأرواح الكفار عن شماله. قال ابن حزم وغيره: مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها. وقال أبو عمر بن عبد البر: أرواح الشهداء في الجنة، وأرواح عامة المؤمنين على أفنية قبورهم. وعن ابن شهاب أنه قال: بلغني أن أرواح الشهداء كطير خضر معلقة بالعرش، تغدو وتروح إلى رياض الجنة، تأتي ربها كل يوم تسلم عليه. وقالت فرقة: مستقرها العدم المحض. وهذا قول من يقول: إن النفس عرض من أعراض البدن، كحياته وإدراكه! وقولهم مخالف للكتاب والسنة. وقالت فرقة: مستقرها بعد الموت أبدان أخر تناسب أخلاقها وصفاتها التي اكتسبتها في حال حياتها، فتصير كل روح إلى بدن حيوان يشاكل تلك الروح! وهذا قول التناسخية منكري المعاد، وهو قول خارج عن أهل الإسلام كلهم.

(٣) التفسير الميسر: ٥٨٨.

(٤) تفسير الطبري: ٢٨٤/٢٤-٢٨٥.

(٥) معاني القرآن: ٢٩٨/٥.

(٦) تفسير ابن كثير: ٣٥٠/٨.

(٧) المحرر الوجيز: ٤٥١/٥.

(٨) التفسير الميسر: ٥٨٨.

(٩) تفسير السمعاني: ١٨٠/٦.

قال البغوي:" {كِتَابٌ مَرْقُومٌ} ليس هذا تفسير «السجين»، بل هو بيان الكتاب المذكور في قوله: {إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ} [المطففين : ٧]، أي: هو كتاب مرقوم"[١].

وفي قوله تعالى:{كِتَابٌ مَرْقُومٌ} [المطففين : ٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : أن «المرقوم»: المكتوب، قاله الحسن[٢]، وقتادة[٣]، وأبو مالك[٤]، وابن زيد[٥]، وبه قال أبو عبيدة[٦]، وابن قتيبة[٧]، والزجاج[٨]، والطبري[٩]، ومنه قول أوس بن حجر[١٠]:

سأُرقُمُ بالماء القُرَاحِ إليكُمُ ... على بُعدِكُم إن كان في الماء راقم

أي: سَأكتب.

عن قتادة :"{كِتَابٌ مَرْقُومٌ}، قال: كتاب مكتوب"[١١].

ومنه: {الرَّقِيمِ} :"لوح كتب فيه خبر أصحاب الكهف"[١٢].

قال الثعلبي: أي:" مكتوب مثبت عليهم كالرقم في الثوب لا ينسى ولا يمحى حتى يجازوا به"[١٣].

الثاني : أنه مختوم، وهو قول الضحاك[١٤].

قال القاسم بن سلام: أي:" مختوم بلغة حمير"[١٥].

الثالث : رُقِم له بَشَرٌ لا يزاد فيهم أحد، ولا ينقص منهم أحد، قاله محمد بن كعب[١٦]، وقتادة[١٧].

قال قتادة:" رقم لهم بشرٌ"[١٨].

قال المراغي: أي:" كتاب قد جعلت له علامة بها يعرف من رآه أنه لا خير فيه"[١٩].

قال ابن كثير:" قوله :{كِتَابٌ مَرْقُومٌ} ليس تفسيرا لقوله :{وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ} وإنما هو تفسير لما كتب لهم من المصير إلى سجين، أي : مرقوم مكتوب مفروغ منه، لا يزاد فيه أحد ولا ينقص منه أحد"[٢٠].

قال ابن عطية:" {مَرْقُومٌ}: معناه: مكتوب، رقم لهم بشر، ثم أثبته تعالى لِلْمُكَذِّبِينَ بيوم الحساب والدين بالويل"[٢١].

---

(١) تفسير البغوي: ٣٦٤/٨.
(٢) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٥٣٦):ص٤٠٤/٣.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٥/٢٤.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٢٢٨/٦.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٥/٢٤.
(٦) انظر: مجاز القرآن: ٢٨٩/٢.
(٧) انظر: غريب القرآن: ٢٦٣.
(٨) انظر: معاني القرآن: ٢٩٨/٥.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٥/٢٤.
(١٠) ديوانه: ١١٦، وانظر: مادة: (رقم) في: "تهذيب اللغة" ٩/ ١٤٣، "مقاييس اللغة" ٢/ ٤٢٥، "لسان العرب" ١٢/ ٢٤٨.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٨٥/٢٤.
(١٢)غريب القرآن لابن قتيبة: ٢٦٣.
(١٣) الكشف والبيان: ١٥٣/١٠.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ٢٢٨/٦.
(١٥)لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم: ١٢.
(١٦) انظر: النكت والعيون: ٢٢٨/٦، وتفسير ابن كثير: ٣٥٠/٨.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٥/٢٤.
(١٨) أخرجه الطبري: ٢٨٥/٢٤. قال ابن الجوزي:" كأنه أعلم بعلامة يعرف بها أنه الكافر". [زاد المسير: ٤١٥/٤]
(١٩) تفسير المراغي: ٧٥/٣٠.
(٢٠) تفسير ابن كثير: ٣٥٠/٨.
(٢١) المحرر الوجيز: ٤٥١/٥.

قال الليث: {كِتَابٌ مَرْقُومٌ}: قد بينت حروفه بعلاماتها من التنقيط، والتاجر يَرْقُم ثَوبَه بسَمته"[١].

القرآن

{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧)} [المطففين : ١٠ - ١٧]

التفسير:

عذاب شديد يومئذ للمكذبين، الذين يكذبون بوقوع يوم الجزاء، وما يكذّب به إلا كل ظالم كثير الإثم، إذا تتلى عليه آيات القرآن قال: هذه أباطيل الأولين. ليس الأمر كما زعموا، بل هو كلام الله ووحيه إلى نبيه، وإنما حجب قلوبهم عن التصديق به ما غشاها من كثرة ما يرتكبون من الذنوب. ليس الأمر كما زعم الكفار، بل إنهم يوم القيامة عن رؤية ربهم -جل وعلا- لمحجوبون. ثم إنهم لداخلو النار يقاسون حرها، ثم يقال لهم: هذا الجزاء الذي كنتم به تكذبون.

قوله تعالى:{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ} [المطففين : ١٠-١١]، أي:" عذاب شديد يومئذ للمكذبين"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ويل يومئذ للمكذبين بهذه الآيات"[٣].

قوله تعالى:{الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ} [المطففين : ١١]، أي:" الذين يكذبون بوقوع يوم الجزاء"[٤].

قال الطبري:" يقول: الذين يكذبون بيوم الحساب والمجازاة"[٥].

قال ابن كثير:" أي : لا يصدقون بوقوعه، ولا يعتقدون كونه، ويستبعدون أمره"[٦].

قال القشيري:" ويل للذين لا يصدّقون بيوم الدين"[٧].

قال ابن زيد:" أهل الشرك يكذّبون بالدين، وقرأ: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ ... } إلى آخر الآية"[٨].

قال الزمخشري:" {الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ}: مما وصف به للذم لا للبيان، كقولك فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث"[٩].

عن قتادة:{ يَوْمِ الدِّينِ}، قال: " يوم يدين الله الناس فيه بأعمالهم"[١٠].

وقال مجاهد: "يوم الحساب"[١١].

قوله تعالى:{وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ} [المطففين : ١٢]، أي:" وما يكذّب به إلا كل ظالم كثير الإثم"[١٢].

---

(١) نقلا عن: التفسير البسيط للواحدي: ٣٢١/٢٣.
(٢) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٣) تفسير الطبري: ٢٨٥/٢٤.
(٤) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٥) تفسير الطبري: ٢٨٥/٢٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٥٠/٨.
(٧) لطائف الإشارات: ٧٠١/٣.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٨٥/٢٤.
(٩) الكشاف: ٧٢١/٤.
(١٠) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٠٨/٢.
(١١) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٠٨/٢.
(١٢) التفسير الميسر: ٥٨٨.

قال الطبري: يقول:" وما يُكذّبُ بيوم الدين {إلا كُلُّ مُعْتَدٍ} اعتدى على الله في قوله، فخالف أمره {أثِيمٍ} بربه"[١].

قال ابن كثير:" أي : معتد في أفعاله ؛ من تعاطي الحرام والمجاوزة في تناول المباح والأثيم في أقواله : إن حدث كذب، وإن وعد أخلف، وإن خاصم فجر"[٢].

قال مقاتل:" يقول: «معتد» بربه حيث شك في نعمته، وتعبد غيره، فهو المعتدى، «أثيم»: قلبه"[٣].

قال القشيري:" وما يكذّب به إلا كل مجاوز للحدّ الذي وضع له"[٤].

قال الحسن بن واقد: "أي: معتد في قوله، أثيم عند ربّه"[٥].

عن قتادة: "{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ}، قال الله: {وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إلا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ}، أي: بيوم الدين، إلا كلّ معتد في قوله، أثيم بربه"[٦].

قوله تعالى:{إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [المطففين : ١٣]، أي:" إذا تتلى عليه آيات القرآن قال: هذه أباطيل الأولين"[٧].

قال الطبري: يقول:" إذا قُرئ عليه حججنا وأدلتنا التي بيَّنَاها في كتابنا الذي أنزلناه إلى محمد صلى الله عليه وسلم، قال: هذا ما سطَّره الأوّلون فكتبوه، من الأحاديث والأخبار"[٨].

قال ابن كثير:" أي : إذا سمع كلام الله من الرسول، يكذب به، ويظن به ظن السوء، فيعتقد أنه مفتعل مجموع من كتب الأوائل، كما قال تعالى :{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنزلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ} [النحل : ٢٤]، وقال :{وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلا} [الفرقان : ٥]"[٩].

قال القشيري:" إذا يتلى عليه القرآن كفر به"[١٠].

قال مقاتل:" يعني به: كتاب الأولين، مثل كتاب رستم واسفندباز، نزلت هذه الآية فى النضر ابن الحارث «بن علقمة قدم الحيرة » فكتب حديث رستم واسفندباز، فلما قدم، قال: ما يحدثكم محمد؟ قالوا: حدثنا عن القرون الأولى. قال: وأنا أحدثكم بمثل ما يحدثكم به محمد أيضا. فأنزل الله- عز وجل- وفيه: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا} [لقمان : ٦] ، فذلك قوله: {إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [المطففين : ١٣]"[١١].

عن السدي، قوله: {إن هذا إلا أساطير الأولين}: أساجيع الأولين"[١٢].

عن قتادة، قوله: "{أساطير الأولين}، أي: أحاديث الأولين وباطلهم"[١٣]. وروي عن الضحاك نحو ذلك[١٤].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٨٥/٢٤.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٥٠/٨.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٢٢/٤.
(٤) لطائف الإشارات: ٧٠١/٣.
(٥) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ١١٠/٥.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٨٥/٢٤.
(٧) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٨) تفسير الطبري: ٢٨٥/٢٤-٢٨٦.
(٩) تفسير ابن كثير: ٣٥٠/٨.
(١٠) لطائف الإشارات: ٧٠١/٣.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٢٢/٤-٦٢٣.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٥٠):ص٢٩١٦/٩.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٥١):ص٢٩١٦/٩.
(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢١٩١٦/٩.

قوله تعالى:{كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين : ١٤]، أي:" ليس الأمر كما زعموا، بل هو كلام الله ووحيه إلى نبيه، وإنما حجب قلوبهم عن التصديق به ما غشاها من كثرة ما يرتكبون من الذنوب"[١].

قال الطبري: "كَلا، ما ذلك كذلك، ولكنه غلب على قلوبهم وغَمَرها وأحاطت بها الذنوب فغطتها"[٢].

قال الزمخشري:" {كَلَّا} ردع للمعتدى الأثيم عن قوله، {رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ}: ركبها كما يركب الصدأ وغلب عليها: وهو أن يصر على الكبائر ويسوّف التوبة حتى يطبع على قلبه، فلا يقبل الخير ولا يميل إليه"[٣].

قال القشيري:" أي: غطّى على قلوبهم ما كانوا يكسبون من المعاصي"[٤].

قال ابن كثير:" الرين: يعتري قلوبَ الكافرين، والغيم: للأبرار، والغين: للمقربين"[٥].

قال أبو عبيدة:" غلب على قلبه، والخمر ترين على عقل السكران، والموت يرين على الميّت، قال أبو زبيد[٦]:

ثم لما رآه رانت به الخم ... ر وألّا ترينه بأنقاء"[٧].

عن ابن عباس: "{كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ}، يقول: يطبع"[٨].

قال ابن عباس:" طبع على قلوبهم ما كسبوا"[٩].

قال عطاء:" غشيت على قلوبهم فهوت بها، فلا يفزعون، ولا يتحاشون"[١٠].

عن الحسن: "قرأ: {كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}، قال: الذنب على الذنب حتى يموت قلبه"[١١]. وفي لفظ:" هو الذنب حتى يموت القلب"[١٢]. ولفظ:" الذنب على الذنب حتى يَعمى القلب فيموت"[١٣].

عن قتادة: "{كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}: أعمال السوء، أي والله ذنب على ذنب، وذنب على ذنب حتى مات قلبه واسودّ"[١٤].

قال قتادة:" هذا الذنب على الذنب، حتى يَرين على القلب فيسودّ"[١٥].

قال ابن زيد:" غلب على قلوبهم دُنُوبهم، فَلا يخْلُص إليها معها خير"[١٦].

عن مجاهد: "{بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ}، قال: الخطايا حتى غمرته"[١٧].

قال مجاهد:" انبثت على قلبه الخطايا حتى غمرته"[١٨].

قال مجاهد:" العبد يعمل بالذنوب فتحيط بالقلب، ثم ترتفع، حتى تغشى القلب"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٢) تفسير الطبري: ٢٨٦/٢٤.
(٣) الكشاف: ٧٢١/٤.
(٤) لطائف الإشارات: ٧٠١/٣.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٥٠/٨.
(٦) والبيت في تفسير القرطبي ١٩/ ٢٥٨.
(٧) مجاز القرآن: ٢٨٩/٢.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٨٨/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٨٨/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٨٨/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٨٧/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٨٨/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٨٧/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٢٨٨/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٢٨٨/٢٤-٢٨٩.
(١٦) أخرجه الطبري: ٢٨٩/٢٤.
(١٧) أخرجه الطبري: ٢٨٨/٢٤.
(١٨) أخرجه الطبري: ٢٨٨/٢٤.

عن مجاهد، قال: القلب مثل الكفّ، فإذا أذنب الذنب قبض أصبعا، حتى يقبض أصابعه كلها، وإن أصحابنا يرون أنه الران"[٢]. وفي لفظ: "القلب مثل الكفّ، وإذا أذنب انقبض وقبض أصبعه، فإذا أذنب انقبض حتى ينقبض كله، ثم يطبع عليه، فكانوا يرون أن ذلك هو الران: {كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}"[٣].

قال مجاهد:" الران: الطبع يطبع القلب مثل الراحة، فيذنب الذنب فيصير هكذا، وعقد سفيان الخنصر، ثم يذنب الذنب فيصير هكذا، وقَبض سفيان كفه، فيطبع عليه"[٤].

عن الأعمش، قال: "أرانا مجاهد بيده، قال: كانوا يرون القلب في مثل هذا يعني: الكفّ، فإذا أذنب العبد ذنبا ضم منه، وقال بأصبعه الخنصر هكذا فإذا أذنب ضمّ أصبعا أخرى، فإذا أذنب ضمّ أصبعا أخرى، حتى ضمّ أصابعه كلها، ثم يطبع عليه بطابع، قال مجاهد: وكانوا يرون أن ذلك الرَّيْن"[٥].

قال مجاهد:" الرجل يذنب الذنب، فيحيط الذنب بقلبه حتى تغشى الذنوب عليه. قال مجاهد: وهي مثل الآية التي في سورة البقرة: {بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}"[٦].

عن أبي هُرَيرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذَا أذنَبَ العَبْدُ نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَة سَوْدَاءُ، فإنْ تابَ صُقِلَ مِنْها، فإنْ عادَ عادَتْ حتى تَعْظُمَ فِي قَلْبِهِ، فذلكَ الرَّانُ الَّذي قَالَ الله: {كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}"[٧].

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ المُؤْمَنَ إذَا أذْنَبَ ذَنْبًا كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فإن تابَ ونَزعَ وَاسْتَغْفَرَ صَقَلَتْ قَلْبَهُ، فإنْ زَادَ زَادَتْ حتى تَعْلُو قَلْبَهُ، فَذَلكَ الرَّانُ الَّذي قال الله: {كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}"[٨].

أخرج ابن ابي حاتم عن بعض الصحابة، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من قتل مؤمنا إسود سدس قلبه، وإن قتل اثنين إسود ثلث قلبه، وإن قتل ثلاثة ران على قلبه فلم يبال ما قتل، فذلك قوله: {بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}"[٩].

قوله تعالى:{كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} [المطففين : ١٥]، أي:" ليس الأمر كما زعم الكفار، بل إنهم يوم القيامة عن رؤية ربهم -جل وعلا- لمحجوبون"[١٠].

قال الطبري: يقول:" ما الأمر كما يقول هؤلاء المكذّبون بيوم الدين، من أن لهم عند الله زُلْفة، إنهم يومئذ عن ربهم لمحجوبون، فلا يرونه، ولا يرون شيئا من كرامته يصل إليهم"[١١].

قال الزمخشري:" كونهم محجوبين عنه: تمثيل للاستخفاف بهم وإهانتهم، لأنه لا يؤذن على الملوك إلا للوجهاء المكرمين لديهم، ولا يحجب عنهم إلا الأدنياء المهانون عندهم. قال[١٢]:

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٨٧/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٨٧/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٨٨/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٨٨/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٨٧/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٨٩/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٨٦/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٨٦/٢٤-٢٨٧.
(٩) تفسير ابن أبي حاتم(١٩١٨٠):ص٣٤٠٩/١٠.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(١١) تفسير الطبري: ٢٨٩/٢٤.
(١٢)لم أقف على قائله ، وهو بلا نسبة في الكشاف: ٧٢٢/٤، وروح المعاني: ٣٦٩/١٠، والتحرير والتنوير: ٢٠١/٣٠.
وقد ذكره العلامة محب الدين أفندي في كتابه " تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات شرح شواهد الكشاف" (٤٧)، والعلامة محمد عليان المرزوقي في كتابه " مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف " (١٧) ولم ينسباه

إذَا اعْتَرَوْا بَابَ ذِي عُبِّيَّةٍ رُجِبُوا[1] ... وَالنَّاسُ مِنْ بَيْنِ مَرْجُوبٍ وَمَحْجُوبِ "[2].

قال الزجاج:" في هذه الآية دليل على أن الله يُرَى في الآخرة، لولا ذلك لما كان في هذه الآية فائدة، ولا [خسَّت] منزلة الكفار بأنهم يحجبون عن اللَّه - عزَّ وجلَّ - وقال تعالى في المؤمنين: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)} [القيامة: ٢٢-٢٣]. فأعلم اللَّه عزَّ وجلَّ أن المؤمنين ينظرون إلى اللَّه، وأن الكفارَ يُحْجَبُونَ عَنْه"[3].

وفي قوله تعالى:{إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} [المطففين : ١٥]، وجوه من التفسير:

أحدهما: معنى ذلك: إنهم محجوبون عن كرامته. قاله قتادة[4].

قال قتادة:" هو لا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم"[5].

الثاني: إنهم محجوبون عن رؤية ربهم. قاله الحسن[6].

قال الحسن:" «يكشف الحجاب فينظر إليه المؤمنون كلّ يوم غُدْوة وعشية»، -قال الراوي-أو كلاما هذا معناه"[7].

قال ابن كثير:" أي : لهم يوم القيامة مَنزلٌ ونزل سجين، ثم هم يوم القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم"[8].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم أنهم عن رؤيته محجوبون. ويُحتمل أن يكون مرادًا به الحجاب عن كرامته، وأن يكون مرادًا به الحجاب عن ذلك كله، ولا دلالة في الآية تدلّ على أنه مراد بذلك الحجاب عن معنى منه دون معنى، ولا خبر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قامت حجته. فالصواب أن يقال: هم محجوبون عن رؤيته، وعن كرامته إذ كان الخبر عاما، لا دلالة على خصوصه"[9].

قال الإمام أبو عبد الله الشافعي : "في هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عز وجل يومئذ"[10].

قال ابن كثير:" الذي قاله الإمام الشافعي، رحمه الله، في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية، كما دل عليه منطوق قوله :{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة : ٢٢، ٢٣]. وكما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الدار الآخرة، رؤية بالأبصار في عَرَصات القيامة، وفي روضات الجنان الفاخرة"[11].

عن الربيع بن صبيح وعبد الواحد بن زيد قالا: "قال الحسن: لو علم الزاهدون والعابدون أنهم لا يرون ربّهم في المعاد لزهقت أنفسهم في الدنيا"[12].

لقائل.

غزوا: قصدوا. وروى: اعتروا، أي: نزلوا به وأصابوه. والعبية: الكبر والفخر. قال صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى قد أذهب عنكم عبية الجاهلية بالآباء» الناس رجلان: مؤمن تقى وكافر شقى» . ورجبة الرجل: عظمته. يقول إنهم يلجون أبواب العظماء لا تمنعهم الحجاب، بخلاف غيرهم فإنهم تارة وتارة.

(١) وفي بعض الروايات: «رُحِّبُوا».

(٢) الكشاف: ٧٢٢/٤.

(٣) معاني القرآن: ٢٩٩/٥.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٩/٢٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٨٩/٢٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٩/٢٤-٢٩٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٨٩/٢٤-٢٩٠.

(٨) تفسير ابن كثير: ٣٥١/٨.

(٩) تفسير الطبري: ٢٩٠/٢٤.

(١٠)رواه البيهقي في مناقب الشافعي (٤١٩/١)، وانظر: تفسير ابن كثير: ٣٥١/٨.

(١١) تفسير ابن كثير: ٣٥١/٨.

(١٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٥٤/١٠.

وقال يحيى بن سليمان بن نضلة: يسئل مالك بن أنس عن هذه الآية قال: "لها حجب أعداءه فلم يروه تجلّى لأوليائه حتى رأوه"[١].

قال الربيع بن سليمان: "كنت ذات يوم عند الشافعي رضي الله عنه وجاءه كتاب من الصعيد يسألونه عن قول الله سبحانه: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ}، فكتب فيه: لما حجب قوما بالسخط دل على أن قوما يرونه بالرضا، فقلت له: أوتدين بهذا يا سيدي؟ فقال: والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أن يرى ربّه في المعاد لما عبده في الدنيا"[٢].

وروي عن ابن أبي مليكة:" أنه كان يقول في هذه الآية: {إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ}، قال: المنان والمختال والذي يقتطع أموال الناس بيمينه بالباطل"[٣].

قوله تعالى:{ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ} [المطففين : ١٦]، أي:" ثم إنهم لداخلو النار يقاسون حرها"[٤].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ثم إنهم لوَارِدُو الجحيم، فمشويُّون فيها"[٥].

قال الزجاج:" ثم بعد حجبهم عن الله يدخلون النار وَلاَ يخرجُونَ عنها خَالِدِين فيها"[٦].

قال النسفي:" ثم بعد كونهم محجوبين عن ربهم لداخلون النار"[٧].

قال ابن كثير:" أي : ثم هم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن من أهل النيران"[٨].

عن أبي مالك:"{الجحيم}، قال: ما عظم من النار"[٩].

قوله تعالى:{ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ} [المطففين : ١٧]، أي:" ثم يقال لهم: هذا الجزاء الذي كنتم به تكذبون"[١٠].

قال الطبري:" ييقول جلّ ثناؤه: ثم يقال لهؤلاء المكذّبين بيوم الدين: هذا العذاب الذي أنتم فيه اليوم، هو العذاب الذي كنتم في الدنيا تخبرون أنكم ذائقوه، فتكذّبون به، وتنكرونه، فذوقوه الآن، فقد صَلَيْتُم به"[١١].

قال الزجاج:" أي: كنتم تكذبون بالبعث والجنة والنَّار"[١٢].

قال ابن كثير:" أي : يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ، والتصغير والتحقير "[١٣].

عن عبد الله بن المبارك: "{ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ}، قال: بالرؤية"[١٤].

فوائد الآيات:[٧-١٧]:

١- بيان كتاب الفجار وأنه في سجين وسجين ديوان تدون فيه سائر كتب الفجار من أهل النار وموضع أسفل الأرض السابعة مستودع لكتب أعمال الفجار من كفار وفساق ولأرواحهم إلى يوم القيامة ولفظ سجين مشتق من السجن الذي هو الحبس.

٢- الوعيد الشديد للمكذبين بالله وبآياته ولقائه.

---

(١) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٥٤/١٠.
(٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٥٤/١٠.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٨٩/٢٤.
(٤) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٥) تفسير الطبري: ٢٩٠/٢٤.
(٦) معاني القرآن: ٢٩٩/٥.
(٧) تفسير النسفي: ٦١٥/٣.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣٥١/٨.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٥٣):ص١٨٩٤/٦.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(١١) تفسير الطبري: ٢٩٠/٢٤.
(١٢) معاني القرآن: ٢٩٩/٥.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٣٥١/٨.
(١٤)أخرجه الإمام ابن أبي الدنيا في كتاب صفة الجنة ٦/ ٣٩٠ (٣٤٠).

٣- التحذير من مواصلة الذنوب وعدم التوبة منها حيث يؤدي ذلك بالعبد إلى أن يحرم التوبة ففي حديث أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أذنب العبد نكت في قلبه نكتة سوداء فإن تاب صقل منها فإن عاد عادت حتى تعظم في قلبه فذلك الران الذي قال الله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون

٤- تقرير رؤية الله تعالى في الآخرة بدليل قوله إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون أي الأشقياء إذاً فالسعداء غير محجوبون فهم يرون ربهم ويشهد له قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة.

٥- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

القرآن

{كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١)} [المطففين : ١٨ - ٢١]

التفسير:

حقا إن كتاب الأبرار -وهم المتقون- لفي المراتب العالية في الجنة. وما أدراك -أيها الرسول- ما هذه المراتب العالية؟ كتاب الأبرار مكتوب مفروغ منه، لا يزاد فيه ولا يُنقص، يَطَّلِع عليه المقربون من ملائكة كل سماء.

قوله تعالى:{كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ} [المطففين : ٢١]، أي:" حقا إن كتاب الأبرار -وهم المتقون- لفي المراتب العالية في الجنة"(١).

قال ابن كثير:" يقول تعالى : حقا {إِنَّ كِتَابَ الأبْرَارِ} وهم بخلاف الفجار، {لَفِي عِلِّيِّينَ}، أي : مصيرهم إلى عليين، وهو بخلاف سجين "(٢).

قال الزمخشري:" {كَلَّا}: ردع عن التكذيب. و«كتاب الأبرار»: ما كتب من أعمالهم. و«عليون»: علم لديوان الخير الذي دوّن فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين، منقول من جمع «علىّ» فعيل من العلو كسجين من السجن، سمى بذلك إمّا لأنه سبب الارتفاع إلى أعالي الدرجات في الجنة، وإمّا لأنه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون، تكريما له وتعظيما"(٣).

قال الطبري:" الأبرار: جمع برّ، وهم الذين برّوا الله بأداء فرائضه، واجتناب محارمه"(٤).

وقال الحسن:" الأبرار: هم الذين لا يؤذون الذرّ"(٥).

روي هشام، عن شيخ، عن الحسن، قال: "سُئل عن الأبرار، قال: الذين لا يؤذون الذرّ"(٦).

قال السمعاني:" ظاهر المعنى أن «الأبرار»: المطيعون"(٧).

وفي تفسير«عِلِّيِّينَ»، أقوال:

أحدها : أن «عِلِّيِّينَ»: الجنة، قاله ابن عباس(٨).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٥٢/٨.
(٣) الكشاف: ٧٢٢/٤.
(٤) تفسير الطبري: ٢٩٠/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٩٠/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٩٠/٢٤.
(٧) تفسير السمعاني: ١٧٥/٦.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٢/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩١٨٣):ص٣٤٠٩/١٠.

الثاني : السماء السابعة العليا، قاله ابن عباس-أيضا-[١]، وكعب[٢]، ومجاهد[٣]، وقتادة[٤]، والضحاك-في رواية-[٥]، ورواه أسامة بن زيد عن أبيه[٦].

قال الضحاك:" في السماء عند الله"[٧].

قال كعب : "هي السماء السابعة، وفيها أرواح المؤمنين"[٨].

قال محمد بن كعب:" رقم على الأبرار ما هم عاملون في «عليين»، وهم فوق، فهم منتهون إلى ما قد رقم الله عليهم»[٩].

الثالث : قائمة العرش اليمنى، قاله كعب[١٠]، وقتادة[١١].

قال قتادة:" عليون: قائمة العرش اليمنى"[١٢].

قال قتادة:" فوق السماء السابعة، عند قائمة العرش اليمنى"[١٣].

قال قتادة:" ذُكر لنا أن كعبًا كان يقول: هي قائمة العرش اليمنى"[١٤].

عن شمر بن عطية، قال: "جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار فسأله، فقال: حدثْنِي عن قول الله: {إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ... } الآية، فقال كعب: إن الروح المؤمنة إذا قُبِضت، صُعد بها، فَفُتحت لها أبواب السماء، وتلقّتها الملائكة بالبُشرَى، ثم عَرَجُوا معها حتى ينتهوا إلى العرش، فيخرج لها من عند العرش فيُرقَم رَقّ، ثم يختم بمعرفتها النجاة بحساب يوم القيامة، وتشهد الملائكة المقرّبون"[١٥].

الرابع : يعني أعمالُهُم في كتاب عند الله في السماء. قاله ابن عباس-أيضا-[١٦].

الخامس : يعني: في علو وصعود إلى الله تعالى، قاله الحسن[١٧].

السادس : سدرة المنتهى، قاله الضحاك-في رواية أخرى-[١٨].

قال الضحاك:" إذا قبض روح العبد المؤمن عرج به إلى السماء، فتنطلق معه المقرّبون إلى السماء الثانية، قال الأجلح: قلت: وما المقرّبون؟ قال: أقربهم إلى السماء الثانية، فتنطلق معه المقرّبون إلى السماء الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة، حتى تنتهي به إلى سِدْرَة المنتهى. قال الأجلح: قلت للضحاك: لِمَ تُسمَّى سِدْرَة المنتهى؟ قال: لأنه يَنْتَهي إليها كلّ شيء من أمر الله، لا يعدوها، فتقول: ربّ عبدك فلان، وهو أعلم به منهم، فيبعث الله إليهم بصَكّ مختوم يؤمِّنه من العذاب، فذلك قول الله: {كَلا إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُون}"[١٩].

---

(١) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٥):ص١٠/٢.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٩١/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٩١/٢٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٩١/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٩١/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٩١/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٩١/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٩١/٢٤.
(٩) القدر للفِرْيابي (٢٢٦):ص١٨٢.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٩١/٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٩١/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٩١/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٩١/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٢٩١/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٢٩١/٢٤-٢٩٢.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٢/٢٤.
(١٧) انظر: النكت والعيون: ٢٢٩/٦.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٢/٢٤.
(١٩) أخرجه الطبري: ٢٩٢/٢٤.

وقال سهل:" «الكتاب» ظاهره في الآيتين جميعاً أعمال الخير والشر، وباطنه أرواح المؤمنين وأرواح الكافرين، تجمع أرواح المؤمنين عند سدرة المنتهى، في حواصل طير خضر ترتع في الجنة إلى يوم القيامة، مرقوم بالرضا والرضوان، وتجمع أرواح الكفار في سجّين تحت الأرض السفلى، تحت خد إبليس لعنه الله، مرقوم بالعداوة والبغضاء"[١].

قال ابن كثير:" والظاهر : أن عليين مأخوذ من العلو، وكلما علا الشيء وارتفع عظم واتسع "[٢].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن كتاب الأبرار في عليين؛ والعليون: جمع معناه: شيء فوق شيء، وعلوّ فوق علوّ، وارتفاع بعد ارتفاع، فلذلك جُمعت بالياء والنون.. ومن ذلك قولهم للرجال والنساء: عشرون وثلاثون. فإذا كان ذلك كالذي ذكرنا، فبين أنّ قوله: {لَفِي عِلِّيِّينَ} معناه: في علوّ وارتفاع في سماء فوق سماء، وعلوّ فوق علوّ وجائز أن يكون ذلك إلى السماء السابعة، وإلى سدرة المنتهى، وإلى قائمة العرش، ولا خبر يقطع العذر بأنه معنيّ به بعض ذلك دون بعض. والصواب أن يقال في ذلك، كما قال جلّ ثناؤه: إن كتاب أعمال الأبرار لفي ارتفاع إلى حدّ قد علم الله جلّ وعزّ منتهاه، ولا علم عندنا بغايته، غير أن ذلك لا يقصر عن السماء السابعة، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك"[٣].

قوله تعالى:{وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ} [المطففين : ٢١]، أي:" وما أدراك -أيها الرسول- ما هذه المراتب العالية؟"[٤].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، مُعَجِّبه من عليين: وأيّ شيء أشعرك يا محمد ما عليون"[٥].

قال ابن كثير:" معظما أمره ومفخما شأنه"[٦].

قوله تعالى:{كِتَابٌ مَرْقُومٌ} [المطففين : ٢١]، أي:" كتاب الأبرار مكتوب مفروغ منه، لا يزاد فيه ولا يُنقص"[٧].

قال الطبري أي: مكتوب بأمان من الله إياه من النار يوم القيامة، والفوز بالجنة"[٨].

عن قتادة: "{كِتَابٌ مَرْقُومٌ}، رقم"[٩].

قال شمر بتت عطية:" إذا عرج بروح المؤمن استقبله الملائكة المقربون في السماء الدنيا فيشيعونه من السماء العليا ثم رقم على روحه ثم قرأ: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ(١٩) كِتَابٌ مَرْقُومٌ(٢٠)} [المطففين : ١٩-٢٠]"[١٠].

قال ابن فورك:" أي: مرقوم بما تقر به أعينهم وتوجب سرورهم بما فيه من إثبات حسناتهم المتعينة منهم، وذلك بالضد من رقم كتاب الفجار لأنه بما يسوؤهم ويسخن أعينهم"[١١].

قوله تعالى:{يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ} [المطففين : ٢١]، أي:" يَطَّلِع عليه المقربون من ملائكة كل سماء"[١].

---

(١) تفسير التستري: ١٨٩.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٥٢/٨.
(٣) تفسير الطبري: ٢٩٢/٢٤-٢٩٣.
(٤) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٥) تفسير الطبري: ٢٩٤/٢٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٥٢/٨.
(٧) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٨) تفسير الطبري: ٢٩٤/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٩٤/٢٤.
(١٠)لجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(١٠):ص٣٦.
(١١) تفسير ابن فورك: ١٧٥/٣.

قال الطبري: "يقول: يشهد ذلك الكتاب المكتوب بأمان الله للبَرّ من عباده من النار، وفوزه بالجنة، المقرّبون من ملائكته من كلّ سماء من السموات السبع"(٢).

عن ابن زيد:" {يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ}، قال: الملائكة"(٣).

عن ابن عباس: "{يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ}، قال: كلّ أهل السماء"(٤).

عن قتادة: "{يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ}، من ملائكة الله"(٥).

قال الضحاك:" يشهده مقرّبو أهل كلّ سماء"(٦).

قال ابن جريج:" هم مُقرَّبو أهل كلِّ سماء، إذا مرَّ بهم عملُ المؤمن شيّعه مُقرَّبو كلِّ أهل سماء حتى ينتهي العمل إلى السماء السابعة، فيشهدون حتى يُثبت في السماء السابعة"(٧).

القرآن

{إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٨)} [المطففين : ٢٢ - ٢٨]

التفسير:

إن أهل الصدق والطاعة لفي الجنة يتنعمون، على الأسرَّة ينظرون إلى ربهم، وإلى ما أعدَّ لهم من خيرات، ترى في وجوههم بهجة النعيم، يُسْقَون من خمر صافية محكم إناؤها، آخره رائحة مسك، وفي ذلك النعيم المقيم فليتسابق المتسابقون. وهذا الشراب مزاجه وخلطه من عين في الجنة تُعْرَف لعلوها بـ «تسنيم» ، عين أعدت ; ليشرب منها المقربون، ويتلذذوا بها.

قوله تعالى:{إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ} [المطففين : ٢٢]، أي:" إن أهل الصدق والطاعة لفي الجنة يتنعمون"(٨).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن الأبرار الذين بَرّوا باتقاء الله وأداء فرائضه، لفي نعيم دائم، لا يزول يوم القيامة، وذلك نعيمهم في الجنان"(٩).

قال ابن كثير: "أي : يوم القيامة هم في نعيم مقيم، وجنات فيها فضل عميم"(١٠).

قوله تعالى:{عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ} [المطففين : ٢٣]، أي:" على الأسرَّة ينظرون إلى ربهم، وإلى ما أعدَّ لهم من خيرات"(١١).

قال الطبري: أي:" على السرر في الحجال من اللؤلؤ والياقوت ينظرون إلى ما أعطاهم الله من الكرامة والنعيم، والحَبْرة في الجنان"(١٢).

عن ابن عباس: "{الأرَائِكِ}، السُّررُ في الحَجال"(١٣).

عن مجاهد: "{عَلَى الأرَائِكِ}، قال: من اللؤلؤ والياقوت"(١٤).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٢) تفسير الطبري: ٢٩٤/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٩٤/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٩٤/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩١٨٣):ص٣٤٠٩/١٠.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٩٤/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٩٤/٢٤.
(٧)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٨) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٩) تفسير الطبري: ٢٩٤/٢٤-٢٩٥.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٥٢/٨.
(١١) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(١٢) تفسير الطبري: ٢٩٥/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٩٥/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٢٩٥/٢٤.

قال الزمخشري: " الْأَرائِكِ الأسرة في الحجال، {يَنْظُرُونَ} إلى ما شاءوا مدّ أعينهم إليه من مناظر الجنة، وإلى ما أولاهم الله من النعمة والكرامة، وإلى أعدائهم يعذبون في النار، وما تحجب الحجال أبصارهم عن الإدراك"[١].

قال ابن كثير: " {الأَرَائِكِ}، وهي : السرر تحت الحِجَال، {يَنْظُرُونَ} قيل : معناه : ينظرون في مُلكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبيد. وقيل : معناه {عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ} إلى الله عز وجل. وهذا مقابله لما وُصف به أولئك الفجار :{كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} فذكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر إلى الله عز وجل وهم على سررهم وفرشهم، كما تقدم في حديث ابن عمر : «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفى سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه، وإن أعلاه لمن ينظر إلى الله في اليوم مرتين»[٢] "[٣].

قوله تعالى:{تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ} [المطففين : ٢٤]، أي:" ، ترى في وجوههم بهجة النعيم"[٤].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: تعرف في الأبرار الذين وصف الله صفتهم {نضرة النعيم}، يعني: حُسنه وبريقه وتلألؤه"[٥].

قال ابن كثير: "أي : تعرف إذا نظرت إليهم في وجوههم نضرة النعيم، أي : صفة الترافة والحشمة والسرور والدِّعة والرياسة ؛ مما هم فيه من النعيم العظيم"[٦].

قال الزمخشري: أي:" بهجة التنعم وماءه ورونقه، كما ترى في وجوه الأغنياء وأهل الترفه"[٧].

قوله تعالى:{يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ} [المطففين : ٢٥-٢٦]، أي:" يُسْقَون من خمر صافية محكم إناؤها"[٨].

قال الطبري:" يقول: يُسقى هؤلاء الأبرار من خمر صرف لا غشّ فيها"[٩].

قال ابن كثير: "}، أي : يسقون من خمر من الجنة. والرحيق : من أسماء الخمر"[١٠].

قال أبو عبيدة:" «الرحيق» : الذي ليس فيه غشّ، رحيق معرّق من مسك أو خمر، {مَخْتُومٍ}: له ختام. عاقبة ريح "[١١].

عن ابن مسعود:"«الرحيق» الخمر، و«المختوم» يجدون عاقبتها طعم المسك"[١٢].

عن ابن مسعود وابن عباس، ومجاهد:" يعني: بالرحيق: الخمر"[١٣].

عن الحسن، وقتادة: "{رَحِيقٍ}، قال: هو الخمر"[١٤].

عن مجاهد: "{يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ}، قال: خمر"[١٥].

---

(١) الكشاف: ٧٢٣/٤.
(٢)أخرجه الطبري: ٧٣/٢٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٥٢/٨.
(٤) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٥) تفسير الطبري: ٢٩٥/٢٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٥٢/٨.
(٧) الكشاف: ٧٢٣/٤.
(٨) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٩) تفسير الطبري: ٢٩٥/٢٤.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٥٢/٨.
(١١) مجاز القرآن: ٢٨٩/٢-٢٩٠.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٨٥):ص٣٤١٠/١٠.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٩٦/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٢٩٦/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٢٩٦/٢٤.

عن ابن عباس:" {يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ}، قال: من الخمر"[١].

قال ابن زيد:" الرحيق المختوم: الخمر، قال حسان:

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عَلَيْهِمُ ... بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ"[٢].

عن عطية بن سعد العوفي، عن أبي سعيد الخدري - أراه قد رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم - قال : "أيما مؤمن سقى مؤمنا شربة على ظمأ، سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم. وأيما مؤمن أطعم مؤمنا على جوع، أطعمه الله من ثمار الجنة. وأيما مؤمن كسا مؤمنا ثوبا على عُري، كساه الله من خُضر الجنة"[٣].

قوله تعالى:{خِتَامُهُ مِسْكٌ} [المطففين : ٢٥-٢٦]، أي:" آخره رائحة مسك"[٤].

وفي قوله تعالى:{خِتَامُهُ مِسْكٌ} [المطففين : ٢٥-٢٦]، وجوه:

أحدها : مِزاجه وخِلطه مِسك، قاله ابن مسعود[٥]، وعلقمة[٦].

قال علقمة:" طعمه وريحه مسك"[٧].

قال ابن مسعود:" ليس بخاتم، ولكن خلط"[٨].

قال ابن مسعود:" أما إنه ليس بالخاتم الذي يختم، أما سمعتم المرأة من نسائكم تقول: طيب كذا وكذا خلطه مسك"[٩].

عن ابن مسعود: "{مختوم}، قال: ممزوج، {خِتَامُهُ مِسْكٌ}، قال: طعمه وريحه"[١٠].

الثاني : أن آخر شرابهم يُخْتم بمسك يجعل فيه، قاله ابن عباس[١١].

قال ابن عباس:" الخمر خُتِمَ بالمسك"[١٢].

عن ابن عباس :{مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ}، قال: ختم بالمسك"[١٣].

قال ابن عباس:" طيَّب الله لهم الخمر، فكان آخر شيء جعل فيها حتى تختم المسك"[١٤].

وقال الضحاك:" طيَّب الله لهم الخمر، فوجدوا فيها في آخر شيء منها ريح المسك"[١٥].

الثالث: عاقبته مسك، ويكون ختامه آخره ، كما قال الشاعر[١٦]:

صرف ترقرق في الناجود ناطلها... بالفُلْفُلِ الجَوْنِ والرُّمَّانِ مَخْتوم

وهذا قول الحسن[١]، وإبراهيم[٢]، وقتادة[٣].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٩٦/٢٤.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٩٦/٢٤.

(٣) المسند (١٣/٣)، وعطية العوفي ضعيف.

(٤) التفسير الميسر: ٥٨٨.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٧/٢٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٧/٢٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٩٧/٢٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٩٧/٢٤.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٩٧/٢٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٩٧/٢٤.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٧/٢٤.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٩٧/٢٤.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٨٦):ص٣٤١٠/١٠.

(١٤) أخرجه الطبري: ٢٩٧/٢٤.

(١٥) أخرجه الطبري: ٢٩٨/٢٤.

(١٦) الشعر للشاعر تميم بن أبي بن مقبل العجلاني في ديوانه: ٢٦٨، وهو شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وبلغ مائة وعشرين سنة. انظر ترجمته في "الشعر والشعراء" ص ٢٩٧، "الإصابة" ١/ ١٨٧، "الخزانة" ١/ ٢٣١.

يفتق: يشق، الحانوت: دكان الخمار، ناطفها: النطف سيلان الماء، الجون: يطلق على الأبيض والأسود، وقوله (ترقرق): تترقرق أي: تتلألأ، الناجون: راووق الخمر الذي يصفي به، الناطل: مكيال الخمر. انظر: "الحجة" ١/ ٢٩٢، ٢٩٤، "ديوان ابن مقبل" ص ٢٦٨، "المخصص" ٢/ ١٤٩

قال قتادة:" عاقبته مسك قوم تُمزَج لهم بالكافور، وتختم بالمسك"[٤].

قال أبو عبيدة:" عاقبته"[٥].

عن أبي الدرداء: "{خِتَامُهُ مِسْكٌ}، فالشراب أبيض مثل الفضة يختمون به شرابهم، ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها، لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها"[٦].

الرابع: طينه مسك. قاله مجاهد[٧]، وابن زيد[٨].

قال ابن زيد:" ختامه عند الله مسك، وختامها اليوم في الدنيا طين"[٩].

وقال ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد :"{خِتَامُهُ مِسْكٌ} قال : طيبه مسك"[١٠].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: معنى ذلك: آخره وعاقبته مسك: أي هي طيبة الريح، إن ريحها في آخر شربهم يختم لها بريح المسك، وإنما قلنا: ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصحة؛ لأنه لا وجه للختم في كلام العرب إلا الطبع والفراغ، كقولهم: ختم فلان القرآن: إذا أتى على آخره، فإذا كان لا وجه للطبع على شراب أهل الجنة، يفهم إذا كان شرابهم جاريًا، جري الماء في الأنهار، ولم يكن معتقًا في الدنان فيطين عليها وتختم، تعين أن الصحيح من ذلك الوجه الآخر وهو العاقبة والمشروب آخرًا، وهو الذي ختم به الشراب. وأما الختم بمعنى: المزج، فلا نعلمه مسموعًا من كلام العرب"[١١].

قوله تعالى:{وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} [المطففين : ٢٦]، أي:" وفي ذلك النعيم المقيم فليتسابق المتسابقون"[١٢].

قال مجاهد: "فليعمل العاملون"[١٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وفي هذا النعيم الذي وصف جل ثناؤه أنه أعطى هؤلاء الأبرار في القيامة، فليتنافس المتنافسون. والتنافس: أن يَنفِس الرجل على الرجل بالشيء يكون له، ويتمنى أن يكون له دونه، وهو مأخوذ من الشيء النفيس، وهو الذي تحرص عليه نفوس الناس، وتطلبه وتشتهيه، وكان معناه في ذلك. فليجدّ الناس فيه، وإليه فليستبقوا في طلبه، ولتحرص عليه نفوسهم"[١٤].

قال ابن عطية:" التنافس في الشيء: المغالاة فيه، وأن يتبعه كل واحد نفسه، فكأن نفسيهما يتباريان فيه، وقيل هو من قولك شيء نفسي، فكان هذا يعظمه ثم يعظمه الآخر ويستبقان إليه"[١٥].

قال الزمخشري: أي:" فليرتغب المرتغبون"[١٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٨/٢٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٨/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٧/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٩٧/٢٤.
(٥) مجاز القرآن: ٢٨٩/٢.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٩٨/٢٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٨/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩١٨٥):ص٣٤١٠/١٠.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٨/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٩٨/٢٤.
(١٠) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٥٣/٨.
(١١) تفسير الطبري: ٢٩٨/٢٤.
(١٢) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(١٣) تفسير الثعلبي: ٨٠/٢٩.
(١٤) تفسير الطبري: ٢٩٩/٢٤.
(١٥) المحرر الوجيز: ٤٥٣/٥.
(١٦) الكشاف: ٧٢٣/٤.

قال ابن كثير:" أي : وفي مثل هذا الحال فليتفاخر المتفاخرون، وليتباهى ويكاثر ويستبق إلى مثله المستبقون. كقوله :{لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ} [الصافات : ٦١]"[١].

قوله تعالى:{وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ} [المطففين : ٢٧]، أي:" وهذا الشراب مزاجه وخلطه من عين في الجنة تُعْرَف لعلوها بـ «تسنيم»"[٢].

وفي قوله تعالى:{وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ} [المطففين : ٢٧]، وجوه:

أحدها: من ماء يتنزل عليهم من معال. قاله مجاهد[٣]، والضحاك[٤]، والكلبي[٥]، والفراء[٦]، وابن قتيبة[٧]، والزجاج[٨]، والطبري[٩].

عن مجاهد: "{تَسْنِيمٍ}، قال: تسنيم: يعلو"[١٠].

قال مجاهد:" تسنيم عليهم من فوق دورهم"[١١].

قال الضحاك:" عين تتسنّم من أعلى الجنة ليس في الجنة عين أشرف منها"[١٢].

عن الكلبيّ: "{تَسْنِيمٍ}، قال: تسنيم ينصبّ عليهم من فوقهم، وهو شراب المقرّبين"[١٣].

وحكي الماوردي عن الضحاك:" أن التسنيم الماء"[١٤].

قال الزجاج:" تأتيهم من علو عيناً تنسم عليهم من الغرف"[١٥].

قال الطبري: المعنى: " ومزاجه من ماء ينزل عليهم من فوقهم فينحدر عليهم"[١٦].

قال الزمخشري: " لأنها تأتيهم من فوق، على ما روى أنها تجرى في الهواء متسنمة فتنصب في أوانيهم"[١٧].

قال ابن كثير:" أي : ومزاج هذا الرحيق الموصوف من تسنيم، أي : من شراب يقال له تسنيم، وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه "[١٨].

قال النحاس:" يقال: تسنّمت الماء أتسنّمه تسنيما إذا أجريته من موضع عال، وقبر مسنم أي مرتفع، ومن هذا سنام البعير"[١٩].

قال ابن قتيبة:" وأصل هذا من: «سَنَام البعير»، ومنه: «تَسنيمُ القُبور». وهذا أعجبُ إليَّ؛ لقولِ المُسيَّب بن عَلَس في وصف امرأة[٢٠]:

كَأَنَّ بِرِيقَتِهَا - لِلْمِزَا ... جِ مِن تَلْجِ تَسْنِيمَ شِيبَتْ - عُقَارَا

أراد: كأن بريقتها عُقَارًا شِيبتْ للمزاج من ثلج تسنيمَ؛ يريد جبلا"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٥٣/٨.
(٢) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٠/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩١٨٤):ص٣٤١٠/١٠.
(٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس: ١١٣/٥.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٠/٢٤.
(٦) انظر: معاني القرآن: ٢٤٩/٣.
(٧) انظر: غريب القرآن: ٥٢٠.
(٨) انظر: معاني القرآن: ٣٠١/٥.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٩/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٣٠٠/٢٤.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٨٤):ص٣٤١٠/١٠.
(١٢) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ١١٣/٥.
(١٣) أخرجه الطبري: ٣٠٠/٢٤.
(١٤) النكت والعيون: ٢٣١/٦.
(١٥) معاني القرآن: ٣٠١/٥.
(١٦) تفسير الطبري: ٢٩٩/٢٤.
(١٧) الكشاف: ٧٢٣/٤.
(١٨) تفسير ابن كثير: ٣٥٣/٨.
(١٩) إعراب القرآن: ١١٤/٥.
(٢٠) وانظر: زاد المسير: ٤١٧/٤.

الثاني : أنها عين في الجنة يشربها المقرّبون، وتمزج لأصحاب اليمين، قاله ابن مسعود[٢]، وابن عباس[٣]، ومسروق[٤]، وأبو صالح[٥]، ومالك بن الحارث[٦]ـ وقتادة[٧].

عن مسروق:" {وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ}، قال: عين في الجنة يشربها المقرّبون صرفا، وتمزج لأصحاب اليمين"[٨].

قال ابن مسعود:" يشربه المقرّبون صرفا، ويمزج لأصحاب اليمين"[٩].

قال ابن عباس:" عينًا من ماء الجنة تُمزج به الخمر"[١٠].

قال ابن عباس:" صرفًا، ويمزج فيها لمن دونهم"[١١].

قال ابن عباس:" عين يشرب بها المقرّبون، ويمزج فيها لمن دونهم"[١٢].

قال مسروق:" عين في الجنة يشربها المقرّبون صرفا، وتمزج لأصحاب اليمين"[١٣].

عن مالك بن الحارث، في قوله: "{وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ}، قال: في الجنة عين يشرب منها المقرّبون صرفا، وتمزج لسائر أهل الجنة"[١٤].

قال أبو صالح:" هو أشرف شراب في الجنة. هو للمقرّبين صرف، وهو لأهل الجنة مزاج"[١٥].

قال قتادة:" شراب شريف، عين في الجنة يشربها المقرّبون صرفا، وتمزج لسائر أهل الجنة"[١٦].

قال ابن زيد:" بلغنا أنها عين تخرج من تحت العرش، وهي مزاج هذه الخمر، يعني: مزاج الرحيق"[١٧].

قال الضحاك:" شراب اسمه: «تسنيم»، وهو من أشرف الشراب"[١٨].

قال عطاء بن أبي رباح:" التسنيم: اسم العين التي يُمزج بها الخمر[١٩].

وقال حذيفة بن اليمان :" تسنيم عين في عدْن ، وعدْن دار الرحمن وأهل عدْن جيرانه"[٢٠].

الثالث : أنها خفايا أخفاها الله لأهل الجنة، ليس لها شبه في الدنيا ولا يعرف مثلها. قاله الحسن[٢١].

---

(١) غريب القرآن: ٥٢٠.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٠/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٠/٢٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٠/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٠١/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٠/٢٤، ومصنف ابن أبي شيبة(٣٤٠٩٢):ص٤٤/٧.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٠١/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٣٠٠/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٣٠٠/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٣٠١/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٣٠٠/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٣٠١/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٣٠٠/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٣٠٠/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٣٠١/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ٣٠١/٢٤.
(١٧) أخرجه الطبري: ٣٠١/٢٤.
(١٨) أخرجه الطبري: ٣٠١/٢٤.
(١٩)أخرجه آدم بن ابي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٧١٣ - ، والبيهقي (٣٦٦).
(٢٠) الدر المنثور: ٤٥٢/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.
(٢١) انظر: تفسير الطبري: ٣٠١/٢٤.

عن الحسن: "{وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ}، قال: خفايا أخفاها الله لأهل الجنة"[١].

قوله تعالى:{عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ} [المطففين : ٢٨]، أي:" عين أعدت ; ليشرب منها المقربون، ويتلذذوا بها"[٢].

قال الطبري: أي:" ومزاج الرحيق من عين تُسَنَّم عليهم من فوقهم، فتنصبّ عليهم {يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ} من الله صرفا، وتمزج لأهل الجنة"[٣].

قال ابن كثير:" أي : يشربها المقربون صِرْفًا، وتُمزَجُ لأصحاب اليمين مَزجًا"[٤].

عن مسروق :"{عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ}، قال: يشرب بها المقرّبون صِرفًا، وتمزج لأصحاب اليمين"[٥].

عن مالك بن الحارث:"{عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ}، قال: عينا في الجنة يشرب بها المقربون صرفا، ويمزج لسائر أهل الجنة"[٦].

فوائد الآيات:[١٨-٢٨]:

١- الثناء على الأبرار وبيان ما أعد الله تعالى لهم وهم المؤمنون المتقون الصادقون في ذلك.

٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر ما يجري فيها.

٣- الترغيب في العمل الصالح للحصول على نعيم الجنة لقوله تعالى {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}.

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣)} [المطففين : ٢٩ - ٣٣]

التفسير:

إن الذين أجرموا كانوا في الدنيا يستهزئون بالمؤمنين، وإذا مروا بهم يتغامزون سخرية بهم، وإذا رجع الذين أجرموا إلى أهلهم وذويهم تفكهوا معهم بالسخرية من المؤمنين. وإذا رأى هؤلاء الكفار أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وقد اتبعوا الهدى قالوا: إن هؤلاء لتائهون في اتباعهم محمدًا صلى الله عليه وسلم، وما بُعث هؤلاء المجرمون رقباء على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ} [المطففين : ٢٩]، أي:" إن الذين أجرموا كانوا في الدنيا يستهزئون بالمؤمنين"[٧].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن الذين اكتسبوا المآثم، فكفروا بالله في الدنيا، كانوا فيها من الذين أقرّوا بوحدانية الله، وصدّقوا به {يضحكون}، استهزاء منهم بهم"[٨].

قال ابن كثير:" أي : يستهزئون بهم ويحتقرونهم"[٩].

قال النحاس:"{الَّذِينَ أَجْرَمُوا}، أي: اكتسبوا الإثم. يقال: جرم وأجرم إذا اكتسب إلا أنّ الأكثر في اكتساب الإثم أجرم وفي غيره جرم"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٠١/٢٤.
(٢) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٣) تفسير الطبري: ٣٠١/٢٤.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٥٣/٨.
(٥) أخرجه الطبري: ٣٠٠/٢٤.
(٦) صفة الجنة لابن أبي الدنيا(١٣١):ص١١٧.
(٧) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٨) تفسير الطبري: ٣٠٢/٢٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٣٥٣/٨.

قال الزجاج:" هؤلاء جماعة من كفار قرَيش كان يَمُرُّ بهِمْ من قَدُمَ إسلامُه مع النبي - صلى الله عليه وسلم - علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه، وغيره - رحمهم اللَّه فيعيرونَهُمْ بالإسلام على وجه السخْرية مِنْهمْ"[٢].

قال الزمخشري: " هم مشركو مكة: أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأشياعهم: كانوا يضحكون من عمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين ويستهزؤن بهم. وقيل: جاء على ابن أبى طالب رضى الله عنه في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا، ثم رجعوا إلى أصحابهم فقالوا: رأينا اليوم الأصلع فضحكوا منه، فنزلت قبل أن يصل عليّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٣].

قال مقاتل:" نزلت هذه الآية في- علي بن أبي طالب- وأصحابه وذلك أنهم كانوا يمرون كل يوم على المنافقين واليهود وهم ذاهبون إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فإذا رأوهم سخروا منهم وتغامزوا في أمرهم، وضحكوا منهم وإذا رجعوا إلى أصحابهم، ضحكوا منهم، وذلك أن عبد الله بن نتيل لقي بدعة بن الأقرع فقال: أشعرت أنا رأينا اليوم الأصلع فضحكنا منه؟ قال: كيف؟ قال لأنه يمشي بين أيديهم، وهم خلفه لا يجاوزونه، كأنه هو الذي يدلهم على الطريق، فسمع بذلك أبو بكر الصديق- رضي الله عنه- فشق عليه وعلى أصحابه فتركوا ذلك الطريق وأخذوا طريقا آخر، فأنزل الله- عز وجل- فيهم: {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ} [المطففين : ٢٩].. "[٤].

عن قتادة، قوله: "{إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ} في الدنيا، يقولون: والله إن هؤلاء لكذَبة وما هم على شيء استهزاء بهم"[٥].

قوله تعالى:{وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ} [المطففين : ٣٠]، أي:" وإذا مروا بهم يتغامزون سخرية بهم"[٦].

قال الطبري:" وكان هؤلاء الذين أجرموا إذا مرّ الذين آمنوا بهم يتغامزون؛ يقول: كان بعضهم يغمز بعضا بالمؤمن، استهزاء به وسخرية"[٧].

قال ابن كثير:" وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم، أي : محتقرين لهم"[٨].

قال الزمخشري: " يغمز بعضهم بعضا، ويشيرون بأعينهم"[٩].

قوله تعالى:{وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ} [المطففين : ٣١]، أي:" وإذا رجع الذين أجرموا إلى أهلهم وذويهم تفكهوا معهم بالسخرية من المؤمنين"[١٠].

قال الطبري:" يقول: وكان هؤلاء المجرمون إذا انصرفوا إلى أهلهم من مجالسهم انصرفوا ناعمين معجَبين"[١١].

قال ابن كثير:" أي : إذا انقلب، أي : رجع هؤلاء المجرمون إلى منازلهم، انقلبوا إليها فاكهين، أي : مهما طلبوا وجدوا، ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم، بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحتقرونهم ويحسدونهم"[١٢].

---

(١) إعراب القرآن: ١١٤/٥.
(٢) معاني القرآن: ٣٠١/٥.
(٣) الكشاف: ٧٢٣/٤.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٢٥/٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٣٠٢/٢٤.
(٦) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٧) تفسير الطبري: ٣٠٣/٢٤.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣٥٣/٨.
(٩) الكشاف: ٧٢٣/٤.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(١١) تفسير الطبري: ٣٠٣/٢٤.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٣٥٣/٨-٣٥٤.

قال مقاتل:" يعنى: عبد الله بن نتيل، يعنى: إذا رجعوا إلى قومهم رجعوا معجبين بما هم عليه من الضلالة بما فعلوا بعلي وأصحابه- رحمهم الله-"[١].

عن ابن عباس :" {فَكِهِينَ}: ملتذين بذكرهم والسخرية منهم"[٢].

قال الزجاج:" معجبيين بما هم فيه يَتَفَكَّهونَ بذكرهم"[٣].

قال الزمخشري: "{فَكِهِينَ}: ملتذين بذكرهم والسخرية منهم"[٤].

قال السعدي: أي:" ومع هذا تراهم مطمئنين، لا يخطر الخوف على بالهم، {وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ} صباحًا أو مساء {انْقَلَبُوا فَكِهِينَ} أي: مسرورين مغتبطين، وهذا من أعظم ما يكون من الاغترار، أنهم جمعوا بين غاية الإساءة والأمن في الدنيا، حتى كأنهم قد جاءهم كتاب من الله وعهد، أنهم من أهل السعادة، وقد حكموا لأنفسهم أنهم أهل الهدى، وأن المؤمنين ضالون، افتراء على الله، وتجرأوا على القول عليه بلا علم"[٥].

قال ابن زيد:" انقلب ناعما، قال: هذا في الدنيا، ثم أعقب النار في الآخرة"[٦].

قوله تعالى:{وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ} [المطففين : ٣٢]، أي:" وإذا رأى هؤلاء الكفار أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وقد اتبعوا الهدى قالوا: إن هؤلاء لتائهون في اتباعهم محمدًا صلى الله عليه وسلم"[٧].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وإذا رأى المجرمون المؤمنين قالوا لهم: إن هؤلاء لضالون عن محجة الحقّ، وسبيل القصد"[٨].

قال الزمخشري: " أي: ينسبون المسلمين إلى الضلال"[٩].

قال ابن كثير:" أي : لكونهم على غير دينهم"[١٠].

قوله تعالى:{وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ} [المطففين : ٣٣]، أي:" وما بُعث هؤلاء المجرمون رقباء على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم"[١١].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: وما بعث هؤلاء الكفار القائلون للمؤمنين {إن هؤلاء لضالون} حافظين عليهم أعمالهم. يقول: إنما كُلِّفوا الإيمان بالله، والعمل بطاعته، ولم يُجعلوا رُقباء على غيرهم يحفظون عليهم أعمالهم ويتفقدونها"[١٢].

قال السعدي:" أي: وما أرسلوا وكلاء على المؤمنين ملزمين بحفظ أعمالهم، حتى يحرصوا على رميهم بالضلال، وما هذا منهم إلا تعنت وعناد وتلاعب، ليس له مستند ولا برهان، ولهذا كان جزاؤهم في الآخرة من جنس عملهم"[١٣].

قال الزمخشري: " {وَما أُرْسِلُوا} على المسلمين {حافِظِينَ} موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم، ويهيمنون على أعمالهم، ويشهدون برشدهم وضلالهم، وهداتهكم بهم. أو هو من جملة

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٢٥/٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٣٠٣/٢٤.
(٣) معاني القرآن: ٣٠١/٥.
(٤) الكشاف: ٧٢٣/٤.
(٥) تفسير السعدي: ٩١٦.
(٦) أخرجه الطبري: ٣٠٣/٢٤.
(٧) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٨) تفسير الطبري: ٣٠٣/٢٤.
(٩) الكشاف: ٧٢٣/٤.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٥٤/٨.
(١١) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(١٢) تفسير الطبري: ٣٠٣/٢٤.
(١٣) تفسير السعدي: ٩١٦.

قول الكفار، وإنهم إذا رأوا المسلمين قالوا: إنّ هؤلاء لضالون، وإنهم لم يرسلوا عليهم حافظين إنكارا لصدّهم إياهم عن الشرك، ودعائهم إلى الإسلام، وجدّهم في ذلك"[١].

قال ابن كثير:" أي : وما بُعث هؤلاء المجرمون حافظين على هؤلاء المؤمنين ما يصدر من أعمالهم وأقوالهم، ولا كلفوا بهم ؟ فلم اشتغلوا بهم وجعلوهم نصب أعينهم، كما قال تعالى :{قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ} [المؤمنون : ١٠٨ - ١١١]"[٢].

القرآن

{فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤)} [المطففين : ٣٤]

التفسير:

فيوم القيامة يسخر الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه من الكفار، كما سخر الكافرون منهم في الدنيا.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {فَالْيَوْمَ} وذلك يوم القيامة {الَّذِينَ آمَنُوا} بالله في الدنيا {مِنَ الْكُفَّارِ} فيها {يَضْحَكُونَ}"[٣].

قال ابن كثير:"{فَالْيَوْمَ} يعني : يوم القيامة {الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ}، أي : في مقابلة ما ضحك بهم أولئك"[٤].

قال السعدي:" حين يرونهم في غمرات العذاب يتقلبون، وقد ذهب عنهم ما كانوا يفترون، والمؤمنون في غاية الراحة والطمأنينة"[٥].

قال الزمخشري: " أي: يضحكون منهم ناظرين إليهم وإلى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر. ومن ألوان العذاب بعد النعيم والترفه.. وقيل: يفتح للكفار باب إلى الجنة فيقال لهم: اخرجوا إليها، فإذا وصلوا إليها أغلق دونهم، يفعل ذلك بهم مرارا، فيضحك المؤمنون منهم"[٦].

قال كعب:" إن بين أهل الجنة، وأهل النار كُوى، لا يشاء رجل من أهل الجنة النظر إلى عدوه من أهل النار إلا فعل"[٧].

قال الحسن: "{فالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفّارِ يَضْحَكُونَ} هذه -واللهِ- الدُّولة الكريمة التي أدال الله المؤمنين على المشركين في الآخرة، فهم يضحكون منهم، وهم مُتّكئون على فُرُشهم ينظرون كيف يُعذَّبون، كما كان الكفار يضحكون منهم في الدنيا، والجنة في السماء"[٨].

عن أبي صالح، في قول الله -جل وعز-:" {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} [البقرة: ١٥]، قال: يُقال لأهل النار وهم في النار: اخرجوا، ويُفتح لهم أبواب النار. فإذا رأوها قد فُتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم على ... فإذا انتهوا إلى أبوابها غُلّقتْ دونهم، فذلك قول الله - عز وجل -: {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} ... منهم المؤمنون حين غُلّقتْ دونهم، فذلك قوله:

---

(١) الكشاف: ٧٢٣/٤.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٥٤/٨.
(٣) تفسير الطبري: ٣٠٣/٢٤.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٥٤/٨.
(٥) تفسير السعدي: ٩١٦.
(٦) الكشاف: ٧٢٣/٤.
(٧) التفسير البسيط للواحدي :٣٤٧/٢٣-٣٤٨.
(٨)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٠٩ -.

{فاليَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الكُفّارِ يَضْحَكُونَ عَلى الأرائِكِ يَنْظُرُونَ هَلْ ثُوِّبَ الكُفّارُ ما كانُوا يَفْعَلُونَ}"[1].

القرآن

{عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)} [المطففين : ٣٥ - ٣٦]

التفسير:

على المجالس الفاخرة ينظر المؤمنون إلى ما أعطاهم الله من الكرامة والنعيم في الجنة، ومن أعظم ذلك النظر إلى وجه الله الكريم. هل جوزي الكفار من جنس أعمالهم، جزاءً وفاق ما كانوا يفعلونه في الدنيا من الشرور والآثام؟

قوله تعالى:{عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ} [المطففين : ٣٥]، أي:" على المجالس الفاخرة ينظر المؤمنون إلى ما أعطاهم الله من الكرامة والنعيم في الجنة"[2].

قال الطبري:" يقول: على سررهم التي في الحجال ينظرون إليهم وهم في الجنة، والكفار في النار يعذّبون"[3].

قال ابن كثير:" {عَلَى الأرَائِكِ يَنْظُرُونَ}، أي : إلى الله عز وجل، في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون، ليسوا بضالين، بل هم من أولياء الله المقربين، ينظرون إلى ربهم في دار كرامته"[4].

قال السعدي:" {عَلَى الأرَائِكِ} وهي السرر المزينة، {يُنْظَرُونَ} إلى ما أعد الله لهم من النعيم، وينظرون إلى وجه ربهم الكريم"[5].

قال الزمخشري: وهم على الأرائك آمنون"[6].

قال ابن عباس:" يعني: السُّرر المرفوعة عليها الحِجال"[7].

قال الضحاك:" كان ابن عباس يقول: السور بين أهل الجنة والنار، فيفتح لأهل الجنة أبواب، فينظرون وهم على السُّرر إلى أهل النار كيف يعذّبون، فيضحكون منهم، ويكون ذلك مما أقرّ الله به أعينهم، كيف ينتقم الله منهم"[8].

قال سفيان:" يُجاء بالكفار حتى ينظروا إلى أهل الجنة في الجنة، على سرر، فحين ينظرون إليهم تغلق دونهم الأبواب، ويضحك أهل الجنة منهم، فهو قوله: {فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الأرَائِكِ يَنْظُرُونَ}"[9].

قال قتادة:" ذُكر لنا أن كعبا كان يقول: إن بين الجنة والنار كوى، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدّو كان له في الدنيا، اطلع من بعض الكوى، قال الله جل ثناؤه: {فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ}، أي: في وسط النار، وذُكر لنا أنه رأى جماجم القوم تغلي"[10].

قال كعب: إن بين أهل الجنة وبين أهل النار كوى، لا يشاء رجل من أهل الجنة أن ينظر إلى غيره من أهل النار إلا فعل"[11].

---

(١)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة النار -موسوعة ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٥٦ (٢٥٤) -.

(٢) التفسير الميسر: ٥٨٩.

(٣) تفسير الطبري: ٣٠٣/٢٤-٣٠٤.

(٤) تفسير ابن كثير: ٣٥٤/٨.

(٥) تفسير السعدي: ٩١٦.

(٦) الكشاف: ٧٢٣/٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٠٤/٢٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٠٤/٢٤.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٠٤/٢٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٠٤/٢٤.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٠٤/٢٤.

قوله تعالى:{هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [المطففين : ٣٦]، أي:" هل جوزي الكفار من جنس أعمالهم، جزاءً وفاق ما كانوا يفعلونه في الدنيا من الشرور والآثام؟"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: هل أثيب الكفار وجُزُوا ثواب ما كانوا في الدنيا يفعلون بالمؤمنين من سخريتهم منهم، وضحكهم بهم بضحك المؤمنين منهم في الآخرة، والمؤمنون على الأرائك ينظرون، وهم في النار يعذّبون"[٢].

قال ابن كثير:" أي : هل جوزي الكفار على ما كانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقص أم لا ؟ يعني : قد جوزوا أوفر الجزاء وأتمه وأكمله"[٣].

قال الزجاج:" أي: هل جُوزُوا بِسُخْرِيَتهمْ بالمؤمِنِينَ في الدنيا"[٤].

قال السعدي:" أي: هل جوزوا من جنس عملهم؟ فكما ضحكوا في الدنيا من المؤمنين ورموهم بالضلال، ضحك المؤمنون منهم في الآخرة، ورأوهم في العذاب والنكال، الذي هو عقوبة الغي والضلال"[٥].

عن مجاهد: "{هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}، قال: جزي"[٦].

عن سفيان: "{هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}، حين كانوا يسخرون"[٧].

ويقرأ :«هَثُوِّبَ»، بإدغام اللام في الثاء[٨].

فوائد الآيات:[٢٩-٣٦]:

١- التنديد بالإجرام والمجرمين.

٢- بيان ما كان عليه المشركون في مكة إبان الدعوة وما لقيه المؤمنون منهم.

٣- بيان أن المؤمنين سيرون المشركين في الجحيم ويضحكون منهم وهم في نعيمهم والمشركون في جحيمهم.

٤- بيان إكرام الله لأوليائه, وإهانته تعالى لأعدائه.

«آخر تفسير سورة (المطففين)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٢) تفسير الطبري: ٣٠٥/٢٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٥٤/٨.
(٤) معاني القرآن: ٣٠١/٥.
(٥) تفسير السعدي: ٩١٦.
(٦) أخرجه الطبري: ٣٠٥/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٣٠٥/٢٤.
(٨) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٣٠١/٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الانشقاق»

«سورة الانشقاق»: هي السورة الرابعة والثمانون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الانفطار» وقبل «سورة الروم»، وآياتها ثلاث وعشرون عند الشامي والبصرى، وخمس عند الباقين. وكلماتها مائة وسبع. وحروفها أربعمائة وثلاث وثلاثون. والمختلف فيها اثنان {بيمينه} {ورآء ظهره} . فواصل آياتها «قهرتمان»، على الراء: {يَحُورَ} [الانشقاق : ١٤]، وعلى الميم: {أَلِيمٍ} [الانشقاق : ٢٤][١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- أسماؤها التوقيفية:**

١- سورة «الانشقاق»:

سماها المفسرون وكتاب المصاحف «سورة الانشقاق»[٢] باعتبار المعنى، كما سميت السورة السابقة «سورة التطفيف».

٢- سورة «إذا السماء انشقت»:

سميت في زمن الصحابة: «سورة إذا السماء انشقت»[٣]، لافتتاحها بقوله تعالى: {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ} [الانشقاق : ١]، ففي «الموطأ» عن أبي سلمة: «أن أبا هريرة قرأ بهم إذا السماء انشقت فسجد فيها فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها»[٤]. فضمير «فيها» عائد إلى إذا السماء انشقت [الانشقاق: ١] بتأويل السورة، وبذلك عنونها البخاري[٥]، والترمذي[٦]، وكذلك وردت في بعض كتب التفسير[٧]، وعلوم القرآن[٨].

ثانيا:- أسمها الاجتهادي: «سورة انشقت»:

وسميت «سورة انشقت» اختصارا، وردت هذه التسمية عند بعض المفسرين[٩].

قال الفيروزآبادي:" وتسمى سورة «انشقت»، وسورة الانشقاق؛ لافتتاحها"[١٠].

وقال ابن عاشور:" وذكرها الجعبري في «نظمه» في تعداد المكي والمدني بلفظ «كدح» فيحتمل أنه عنى أنه اسم للسورة ولم أقف على ذلك لغيره"[١١].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٨/١.

(٢) انظر: مثلا: تفسير الطبري: " هجر: ٢٣٠/٢٤، ومعاني القرآن للفراء: ٢٠٣/٥، وتأويلات أهل السنة: ٤٦٩/١٠، وبحر العلوم"تفسير السمرقندي": ٥٦٠/٣، والكشف والبيان: ١٥٨/١٠، والنكت والعيون: ٢٣٣/٦، والتفسير البسيط للواحدي: ٣٥١/٢٣، وتفسير البغوي: ٣٧١/٨، والكشاف: ٧٢٥/٤، والمحرر الوجيز: ٤٥٦/٥، وزاد المسير: ٤١٩/٤، ومفاتيح الغيب: ٩٦/٣١، وتفسير القرطبي: ٢٦٩/١٩، وغيرها.

(٣) انظر: الأحاديث الواردة في فضائل السورة.

(٤)موطأ مالك(٢٦٧):ص٩٧.

(٥) انظر: صحيح البخاري: ١٦٧/٦.

(٦) انظر: سنن الترمذي: ٢٩٢/٥.

(٧) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٣٠٧/٢٤، وتفسير ابن أبي زمنين: ١١١/٥، وتفسير ابن فورك: ١٧٩/٣، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨١٤٩/١٢ .

(٨) انظر: مثلا: معاني القرآن للفراء: ٢٤٩/٣، ومجاز القرآن لأبي عبيدة: ٢٩١/٢، وأحكام القرآن للجصاص: ٣٧١/٥.

(٩) انظر: السبعة في القراءات: ٦٧٧، وإعراب القرآن للنحاس: ١١٦/٥، ومعاني القرآن للأزهري: ١٣٤/٣، والمبسوط في القراءات العشر: ٤٦٦، والنكت في القرآن الكريم: ٥٤٢، وجمال القراء: ٣١٣، وتفسير البيضاوي: ٣٣٨/٨، وتفسير المظهري: ٨/١٠.

(١٠)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٨/١.

(١١) التحرير والتنوير: ٢١٧/٣٠.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس، قال: " نزلت سورة: {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ} بمكة"[١]. وروي عن ابن الزبير[٢] مثله.

قال ابن عطية:" هي مكية بلا خلاف بين المتأولين"[٣].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[٤].

قال ابن عاشور:" هي مكية بالاتفاق"[٥].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أنه في السابقة ذكر مقر كتب الحفظة، وفى هذه ذكر عرضها يوم القيامة[٦].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

جاءت مقاصد سورة «الانشقاق» التفصيلية كالآتي:

١- بُدِئت السورة الكريمة بذكر بعض علامات الساعة وأشراطها، وخضوع كل ما في السموات والأرض لأمر الله بتغيير نواميسها وقوانينها، وعند ذلك يلقى كل إنسان جزاءَ ما عمل: {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ} [الانشقاق : ١]، إلى قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ} [الانشقاق : ٦].

٢- بينت السورة أن عمل الإنسان في الدنيا مسجل عليه في كتاب سيلقاه يوم القيامة، فمن أخذ هذا الكتاب بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرا، ومن أخذ كتابه وراءَ ظهره فسوف يتمنى هلاك نفسه لما يلقاه من عذاب شديد، لأنه كان في الدنيا لاهيًا عن العمل للآخرة ظانًّا أنه لن يرجع إلى ربه فيحاسبه: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ} [الانشقاق : ٧]، إلى قوله تعالى: {بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا} [الانشقاق : ١٥].

٣- ثم أقسم -سبحانه- ببعض الآيات الكونية التي تشهد بقدرته وتدعو إلي الإيمان به والتصديق باليوم الآخر وبما يكون فيه من أهوال: {فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ} [الانشقاق : ١٦]، إلى قوله تعالى: {لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ} [الانشقاق : ١٩].

٤- ثم بيّن - جل جلاله - أنه مع ما ذكر من آيات وأدلة بينات في هذه السورة وفي غيرها من السور: فالكافرون يكذبون بالقرآن ولا يؤمنون به: {فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [الانشقاق : ٢٠]، إلى قوله: {بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ} [الانشقاق : ٢٢].

٥- وختمت السورة بتهديد الكفار بأن الله عليم بما يضمرون وقد أعَدَّ لهم العذاب الأليم، كما أعد للمؤمنين الطائعين الأجر الدائم الذي لا ينقطع: {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ} [الانشقاق : ٢٣]، إلى قوله تعالى: {لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [الانشقاق : ٢٥].

قال الفيروزآبادي:" مقصود السورة: بيان حال الأرض والسماء في طاعة الخالق تعالى وإخراج الأموات للبعث، والاشتغال بالبر والإحسان، وبيان سهولة الحساب للمطيعين، والإخبار عن فرحهم وسرورهم بنعيم الجنان، وبكاء العاصين والكافرين، وويلهم بالثبوت في دركات النيران، والقسم بتشقق القمر، واطلاع الحق على الإسرار والإعلان، وجزاء المطيعين من غير امتنان، في قوله: {لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [الانشقاق : ٢٥] "[٧].

- **الناسخ والمنسوخ:**

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٤٥٤/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٤٥٤/٨، وعزاه ابن مردويه.

(٣) المحرر الوجيز: ٤٥٦/٥.

(٤) زاد المسير: ٤١٩/٤.

(٥) التحرير والتنوير: ٢١٧/٣٠.

(٦) انظر: تفسير المراغي: ٨٧/٣٠.

(٧)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٨/١.

السورة محكمة بتمامها[١].

- **فضائل السورة:**

- عن عبد الرحمن بن يزيد الصنعاني أخبره أنه سمع ابن عمر يقول: قال رسول الله -صلي الله عليه وسلم -:"من سَرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رَأيُ عين فليقرأ: {إذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١)} و {إذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١)} و {إذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (١)} {إذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (١)}، وأحسِبه أنه قال: "سورة هود"[٢].
- عن معمر، عن قتادة قال: "يقرأ في الركعتين الأوليين من صلاة العصر: «إذا السماء انشقت»، و«السماء ذات البروج»"[٣].
- عن أبي رافع قال: "صليت مع عمر العشاء فقرأ: «إذا السماء انشقت»"[٤].
- عن أبي رافع، قال: صليت مع أبي هريرة العتمة، فقرأ: «إذا السماء انشقت»، فسجد، فقلت له: قال: «سجدت خلف أبي القاسم صلى الله عليه وسلم، فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه»[٥].
- عن أبي هريرة، أنه قال: "سجدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في {إذا السماء انشقت} و{اقرأ باسم ربك الذي خلق} سجدتين"[٦].
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة انشقت أعاذه الله سبحانه أن يعطيه كِتابَهُ وَراءَ ظَهْرِهِ»[٧].[موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٨/١.

(٢) مسند احمد(٤٨٠٦):ص٤٠٦/٤. إسناده صحيح. رواه أيضاً الشيخان، كما في المنتقى (١٣٠٧). وانظر: سنن الترمذي برقم (٣٣٣٣)، وقال الترمذي : "هذا حديث حسن غريب".

(٣) مصنف عبدالرزاق(٢٦٨٨):ص١٠٧/٢.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة(٣٦١٦):ص٣١٦/١.

(٥) صحيح البخاري(٧٦٦):ص١٥٣/١، أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة باب سجود التلاوة رقم (٥٧٨)، وانظر: موطأ مالك(٢٦٧):ص٩٧، قال محمد الشيباني: وبهذا نأخذ، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله، وكان مالك بن أنس لا يرى فيها سجدة".

عن زر بن حبيش " أن عمار بن ياسر، قرأ على المنبر يوم الجمعة «إذا السماء انشقت»، ثم نزل فسجد".[مصنف عبدالرزاق(٥٢٨٤):ص١٩٣/٣].

روي عن علقمة، أنه قال: " لو أني قلت: رأيت عمر بن الخطاب، وابن مسعود رضي الله عنهما يسجدان في: إذا السماء انشقت [ص:٤٠] لقلت، فأما اليقين فأحدهما ".[الآثار لأبي يوسف(٢٠٥):ص٣٩].

(العتمة) العشاء. (فسجد) سجود التلاوة عند محلها منها. (فقلت له) سألته عن حكمها. (سجدت خلف) صليت خلفه فقرأها فسجد بها وسجدت معه خلفه].

(٦) الجامع لابن وهب(٣٥٨):ص٢٢٤.

(٧) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٥٨/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٣٠١/١٠. [والحديث موضوع].

القرآن

{إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥)} [الانشقاق: ١-٥]

التفسير:

إذا السماء تصدَّعت، وتفطَّرت بالغمام يوم القيامة، وأطاعت أمر ربها فيما أمرها به من الانشقاق، وحُقَّ لها أن تنقاد لأمره. وإذا الأرض بُسطت وَوُسِّعت، ودكت جبالها في ذلك اليوم، وقذفت ما في بطنها من الأموات، وتخلَّتْ عنهم، وانقادت لربها فيما أمرها به، وحُقَّ لها أن تنقاد لأمره.

قوله تعالى:{إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ} [الانشقاق: ١]، أي:" إذا السماء تصدَّعت، وتفطَّرت بالغمام يوم القيامة"(١).

قال الفراء:" تشقق بالغمام"(٢).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إذا السماء تصدّعت وتقطَّعت فكانت أبوابًا"(٣).

قال الزجاج:" تنشق يوم القيامة بالغمام"(٤).

قال ابن عطية:" هذه أوصاف يوم القيامة، و«انشقاق السماء» : هو تفطيرها لهول يوم القيامة، كما قال: {وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ} [الحاقة: ١٦]"(٥).

قال السعدي:" أي: انفطرت وتمايز بعضها من بعض، وانتثرت نجومها، وخسف بشمسها وقمرها"(٦).

أخرج ابن أبي حاتم عن علي قال: "تنشق السماء من المجرة"(٧).

قال مقاتل:" فإنها تنشق حتى يرى طرفاها، ثم ترى خلقا باليا، وذلك أن أخوين من بني أمية «أحدهما اسمه عبد الله بن عبد الأسد، والآخر اسمه الأسود ابن عبد الأسد. أحدهما مؤمن بالله واسمه عبد الله، وأما الآخر فاسمه الأسود وهو الكافر، فقال لأخيه عبد الله: آمنت بمحمد؟ قال: نعم. قال: ويحك إن محمدا يزعم، إذا متنا وكنا ترابا، فإنا لمبعوثون في الآخرة، ويزعم أن الدنيا تنقطع، فأخبرني ما حال الأرض يومئذ فأنزل الله- عز وجل- : {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ} [الانشقاق: ١].."(٨).

قوله تعالى:{وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا} [الانشقاق: ٢]، أي:" وأطاعت أمر ربها فيما أمرها به من الانشقاق"(٩).

قال الفراء: أي:" سمعت"(١٠).

قال الزجاج:" أي سمعت، يقال: أذنت للشيء آذن إذًا سَمِعت"(١١).

قال أبو عبيدة:" أذنت: استمعت، قال رؤبة(١٢):

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٢) معاني القرآن: ٢٤٩/٣.
(٣) تفسير الطبري: ٣٠٩/٢٤.
(٤) معاني القرآن: ٣٠٣/٥.
(٥) المحرر الوجيز: ٤٥٦/٥.
(٦) تفسير السعدي: ٩١٧.
(٧) تفسير ابن أبي حاتم(١٩١٩٠):ص٣٤١١/١٠.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٣/٤.
(٩) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(١٠) معاني القرآن: ٢٤٩/٣.
(١١) معاني القرآن: ٣٠٣/٥.
(١٢)من قصيدة لقعنب بن ضمرة وأم صاحب أمه، وهو في مختارات شعراء العرب، وهو مع بعض الأبيات في الحماسة ٤/ ١٢، والسمط ٣٦٢، والاقتضاب ٢٩٢.

صمّ إذا سمعوا خيرا ذكرت به ... وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا"[١].

قال الطبري:" يقول: وَسَمِعَت السموات في تصدّعها وتشققها لربها وأطاعت له في أمره إياها، والعرب تقول: أذن لك في هذا الأمر أذنًا بمعنى: استمع لك"[٢].

قال القشيري:" أي: قابلت أمر ربّها بالسمع والطاعة"[٣].

قال ابن كثير:" أي : استمعت لربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق"[٤].

قال السعدي:" أي: استمعت لأمره، وألقت سمعها، وأصاخت لخطابه"[٥].

قال السمعاني:" وأما استماع السماء فيجوز أن يكون على الحقيقة، ويجوز أن يكون استماعها انقيادها لما تؤمر به، والله أعلم"[٦].

عن ابن عباس:" {وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ}، قال: سمعت لربها"[٧].

عن مجاهد :{وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ}، قال: سمعت"[٨]. وفي لفظ:" سمعت لربها وأطاعت"[٩].

قال سعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك:" سمعت وأطاعت"[١٠].

قال الزمخشري:" أذن له: استمع له. ومنه قوله عليه السلام: «ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن»[١١] . وقول جحاف بن حكيم[١٢]:

إذِنْتُ لَكُمْ لمَّا سَمِعْتُ هَريركُمْ

والمعنى: أنها فعلت في انقيادها لله حين أراد انشقاقها فعل المطواع الذي إذا ورد عليه الأمر من جهة المطاع أنصت له وأذعن ولم يأب ولم يمتنع، كقوله أَتَيْنا طائِعِين"[١٣].

قوله تعالى:{وَحُقَّتْ} [الانشقاق: ٢]، أي:" وحُقَّ للسماء أن تنقاد لأمره تعالى"[١٤].

وفي قوله تعالى:{وَحُقَّتْ} [الانشقاق: ٢]، وجهان:

أحدهما : أطاعت، قاله سعيد بن جبير[١٥]، وقتادة[١٦]، الضحاك[١].

وشرح المضنون به ٤٧٠، واللسان (أذن) وشواهد المغني ٣٢٦، وشواهد الكشاف ١٤٣، ورواية البيت فى جميع المراجع: ...

منى وما سمعوا من صالح دفنوا ... وبعده: صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به

وإن ذكرت..... أذنوا.

(١) مجاز القرآن: ٢٩١/٢.

(٢) تفسير الطبري: ٣٠٩/٢٤.

(٣) لطائف الإشارات: ٧٠٥/٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٣٥٥/٨-٣٥٦.

(٥) تفسير السعدي: ٩١٧.

(٦) تفسير السمعاني: ١٨٦/٦.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٠٩/٢٤-٣١٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٣١٠/٢٤.

(٩) تفسير مجاهد: ٧١٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣١٠/٢٤.

(١١) الحديث: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به».

أخرجه عبد الرزاق (٤٨٢/٢، رقم ٤١٦٧) ، وأحمد (٤٥٠/٢، رقم ٩٨٠٤) ، والبخارى (٢٧٢٠/٦، رقم ٧٠٤٤) ، ومسلم (٥٤٥/١، رقم ٧٩٢) ، وأبو داود (٧٥/٢، رقم ١٤٧٣) ، والنسائى (١٨٠/٢، رقم ١٠١٧) ، وابن حبان (٣٠/٣، رقم ٧٥٢).

(١٢)أذنت لكم لما سمعت هريركم ... فأسمعتمونى بالخنا والفواحش

لجحاف بن حكيم. وأذنت: أصخت وأصغيت بأذنى لكلامكم حين سمعت صوتكم، وضمن أسمعتمونى معنى: أعلتمونى، فعداه بالباء. ويجوز أنها زائدة. والخنا: الزنا وتوابعه مما يتعلق بالنساء، والفواحش: أعم من ذلك.

(١٣) الكشاف: ٧٢٥/٤.

(١٤) التفسير الميسر: ٥٨٩.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٣١٠/٢٤.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٣١٠/٢٤.

عن سعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك:" {وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ}: سمعت وأطاعت"[٢].
الثاني : معناه: حق لها أن تفعل ذلك، قاله مجاهد[٣]، وسعيد بن جبير-أيضا-[٤]، والأخفش[٥]، والفراء[٦]، وأبو عبيدة[٧]، وابن قتيبة[٨]، والزجاج[٩]، ومنه قول كثيّر[١٠]:
فَإِنْ تَكُنِ الْعُتْبَى فَأَهْلًا وَمَرْحَبًا ... وَحُقَّتْ لَهَا الْعُتْبَى لَدَيْنَا وَقَلَّتِ
قال سعيد بن جبير:" وحُقّ لها"[١١].
قال ابن عباس:" حُقَّقَت لطاعة ربها"[١٢]. وفي لفظ:" حققت بالطاعة"[١٣].
قال الطبري يقول: وحقق الله عليها الاستماع بالانشقاق والانتهاء إلى طاعته في ذلك"[١٤].
قال ابن كثير:" أي : وحق لها أن تطيع أمره ؛ لأنه العظيم الذي لا يُمانَع ولا يغالب، بل قد قهر كلّ شيء وذل له كل شيء"[١٥].
قال السعدي:" وحق لها ذلك، فإنها مسخرة مدبرة تحت مسخر ملك عظيم، لا يعصى أمره، ولا يخالف حكمه"[١٦].
قال النحاس:" حقيقة هذا أن المعنى حقّق الله جلّ وعزّ عليها فانقادت إلى أمره وانشقت أي تصدّعت فصارت أبوابا"[١٧].
قوله تعالى:{وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ} [الانشقاق: ٣]، أي:" وإذا الأرض بُسطت وَوُسِّعت، ودكت جبالها في ذلك اليوم"[١٨].
عن مجاهد، قوله: "{مُدَّتْ}، قال: يوم القيامة"[١٩].
وفي قوله تعالى:{وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ} [الانشقاق: ٣]، وجهان من التفسير:
أحدهما : أن البيت كان قبل الأرض بألفي عام، فمدت الأرض من تحته.
قال ابن عباس:" وضع البيت على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بألفي عام، ثم دُحيت[٢٠] الأرض من تحت البيت"[٢١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣١٠/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٣١٠/٢٤.
(٣) انظر: تفسير مجاهد: ٧١٤.
(٤) حكاه عن النحاس في إعراب القرآن: ١١٦/٥، بلفظ:" حقّ لها أن تأذن".
(٥) انظر: معاني القرآن: ٥٧٤/٢.
(٦) انظر: معاني القرآن: ٢٤٩/٣.
(٧) انظر: مجاز القرآن: ٢٩١/٢.
(٨) انظر: غريب القرآن: ٥٢١.
(٩) انظر: معاني القرآن: ٣٠٣/٥.
(١٠) انظر: أمالي القالي: ١٠٩/٢، وأمالي المرزوقي: ٦٤، والنكت والعيون: ٢٣٤/٦، وتفسير القرطبي: ٢٦٩/١٩.
(١١) أخرجه الطبري: ٣١٠/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٣١٠/٢٤.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٩١):ص٣٤١١/١٠.
(١٤) تفسير الطبري: ٣٠٩/٢٤.
(١٥) تفسير ابن كثير: ٣٥٦/٨.
(١٦) تفسير السعدي: ٩١٧.
(١٧) إعراب القرآن: ١١٦/٥.
(١٨) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(١٩) أخرجه الطبري: ٣١١/٢٤.
(٢٠) أي: بسطها. وراجع الأقوال في تفسير قوله تعالى: :{ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا} [النازعات : ٣٠].
(٢١) أخرجه الطبري: ٢٠٨/٢٤.

قال عبدالله بن عمرو:" خلق الله البيت قبل الأرض بألفي سنة، ومنه دُحيت الأرض"[١].
الثاني : أنها أرض القيامة، قاله مجاهد[٢].
قال الماوردي:" القول الثاني أشبه بسياق الكلام"[٣].
وفي قوله تعالى:{مُدَّتْ} [الانشقاق: ٣]، وجهان:
أحدهما : سويت، فدكّت الجبال ويبست البحار ، قاله السدي[٤]، ويحيى بن سلام[٥].
قال يحيى بن سلام:" يعني سويت، قد حلَّ ماء على ظهرها في بطنها"[٦].
الثاني : بسطت، قاله الضحاك[٧]، وقال الفراء[٨]، والطبري[٩].
عن ابن عباس: "مدّت مدّ الأديم العكاظي"[١٠].
قال الفراء:" بسطت ومددت كما يمدد الأديم العكاظي[١١]"[١٢].
قال الطبري:" وإذا الأرض بُسِطَتْ، فزيدت في سعتها"[١٣].
قال ابن كثير:" أي : بُسطت وفرشت وَوُسِّعَت"[١٤].
وقال الزجاج:" أزيلت عَنْ هَيْئَتِهَا وَبُدِّلت"[١٥].
قال ابن أبي زمنين:" تمد مد الأديم، وهذا إذا بدلت بأرض بيضاء، كأنها فضة لم يعمل عليها خطيئة"[١٦].
قال ابن فورك:" بسطت باندكاك جبالها وأكمامها حتى تصير كالصفيحة الملسى، وهذا من أشراط الساعة وجلائل الأمور التي تكون فيها"[١٧].
قال السمعاني:" لا يبقى عليها جبل ولا شيء إلا دخل في جوفها"[١٨].
قال السعدي:" أي: رجفت وارتجت، ونسفت عليها جبالها، ودك ما عليها من بناء ومعلم، فسويت، ومدها الله تعالى مد الأديم، حتى صارت واسعة جدًا، تسع أهل الموقف على كثرتهم، فتصير قاعًا صفصفًا لا ترى فيها عوجًا ولا أمتا"[١٩].
قال الزمخشري:" {مُدَّتْ}: من مدّ الشيء فامتدّ: وهو أن تزال جبالها وآكامها وكل أمت فيها، حتى تمتدّ وتنبسط ويستوي ظهرها، كما قال تعالى: {قاعاً صَفْصَفاً لا تَرى فِيها عِوَجاً وَلا أمْتاً}"[٢٠].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠٨/٢٤.
(٢) النكت والعيون: ٢٣٤/٦.
(٣) النكت والعيون: ٢٣٤/٦.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٢٣٤/٦.
(٥) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٢٧١.
(٦) تفسير يحيى بن سلام: ٢٧١.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٢٣٤/٦.
(٨) انظر: معاني القرآن: ٢٥٠/٣.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٣١٠/٢٤.
(١٠) حكاه عنه الزمخشري في "الكشاف": ٧٢٦/٤، وابن الجوزي في "زاد المسير": ٤١٩/٤.
وقال الزمخشري:" لأن الأديم إذا مدّ زال كل انثناء فيه وأمت واستوى".
(١١)أديم عكاظي منسوب إلى عكاظ، وهو مما حمل إلى عكاظ فبيع بها.
(١٢) معاني القرآن: ٢٥٠/٣.
(١٣) تفسير الطبري: ٣١٠/٢٤.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٣٥٦/٨.
(١٥) معاني القرآن: ٣٠٣/٥.
(١٦) تفسير ابن أبي زمنين: ١١١/٥.
(١٧) تفسير ابن فورك: ١٨٠/٣.
(١٨) تفسير السمعاني: ١٨٦/٦-١٨٧.
(١٩) تفسير السعدي: ٩١٧.
(٢٠) الكشاف: ٧٢٥/٤-٧٢٦.

روى عليّ بن الحسين أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَدَّ اللهُ الأَرْضَ حَتَّى لا يَكُونَ لِبَشَرٍ مِنَ النَّاسِ إلا مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ، فَأَكُونَ أَوَّلَ مَنْ يُدْعَي، وَجِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَاللهِ ما رآهُ قَبْلَهَا، فأقُولُ يَا رَبِّ إِنَّ هَذَا أَخْبَرَنِي أَنَّكَ أَرْسَلْتَهُ إِلَيَّ، فَيَقُولُ: صَدَقَ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ عِبَادُكَ عَبَدُوكَ فِي أَطْرَافِ الأَرْضِ. - قال-: وَهُوَ المَقَامُ المَحْمُودُ»[1].

قوله تعالى:{وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ} [الانشقاق: ٤]، أي:" وقذفت ما في بطنها من الأموات، وتخلَّتْ عنهم"[2].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ} [الانشقاق: ٤]، وجهان:

أحدهما : ألقت ما في بطنها من الموتى، وتخلت عمن على ظهرها من الأحياء، قاله ابن جبير[3]، ومجاهد[4]، وبه قال الطبري[5].

قال الطبري:" وألقت الأرض ما في بطنها من الموتى إلى ظهرها وتخلَّتْ منهم إلى الله"[6].

قال مجاهد:" أخرجت ما فيها من الموتى"[7]. وفي لفظ:" أخرجت ما فيها من الموتى وتخلت منهم"[8].

الثاني : ألقت ما في بطنها من كنوزها ومعادنها وتخلت مما على ظهرها من جبالها وبحارها ، وهو قول قتادة[9]، وبه قال الزجاج[10].

قال الزجاج:" ألقت ما فيها من الموتى والكنوز"[11].

قال قتادة:" ألقت أثقالها وكنوزها , وتخلت منهما"[12].

قال قتادة:" أخرجت أثقالها وما فيها"[13].

قال الثعلبي:" أخرجت ما فِيها من الموتى والكنوز وخلت فليس في باطنها شيء"[14].

قال السمعاني:" أي: وألقت ما في جوفها، من الكنوز والموتى فخلى جوفها، ويقال: ألقت بما استودعت، وتخلت عما استحفظت، وكأنها ألقت ما على ظهرها، وتخلت عما في جوفها"[15].

قال السعدي:" فإنه ينفخ في الصور، فتخرج الأموات من الأجداث إلى وجه الأرض، وتخرج الأرض كنوزها، حتى تكون كالأسطوان العظيم، يشاهده الخلق، ويتحسرون على ما هم فيه يتنافسون"[16].

قوله تعالى:{وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ} [الانشقاق: ٥]، أي:" وانقادت لربها فيما أمرها به، وحُقَّ لها أن تنقاد لأمره"[1].

---

(١) أخرجه الطبري: ٣١١/٢٤، وعبدالرزاق في "التفسير"(٣٥٤٦):ص٤٠٧/٣.
(٢) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٢٣٥/٦.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣١١/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣١١/٢٤.
(٦) تفسير الطبري: ٣١١/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٣١١/٢٤.
(٨) تفسير مجاهد: ٧١٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٣١١/٢٤.
(١٠) انظر: معاني القرآن: ٣٠٣/٥.
(١١) معاني القرآن: ٣٠٣/٥.
(١٢) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٥٥٣):ص٤٠٩/٣.
(١٣) أخرجه الطبري: ٣١١/٢٤.
(١٤) الكشف والبيان: ١٥٨/١٠.
(١٥) تفسير السمعاني: ١٨٧/٦.
(١٦) تفسير السعدي: ٩١٧.

قال الطبري:" يقول: وسمعت الأرض في إلقائها ما في بطنها من الموتى إلى ظهرها أحياء، أمر ربها وأطاعت، وحقّقها الله للاستماع لأمره في ذلك، والانتهاء إلى طاعته"[٢].

وفي جواب الشرط في قوله تعالى:{إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ} [الانشقاق: ١]، {وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ} [الانشقاق : ٣]، أربعة أقوال:

أحدها : أنه محذوف الجواب وتقديره : إذا السماء انشقت رأى الإنسان ما قدّم من خير وشر. قاله الفراء[٣]، والزجاج[٤]، والطبري[٥].

قال الزجاج:" وجواب {إذا} يدل عليه: {فَمُلَاقِيهِ}، المعنى: إذا كان يوم القيامة لقي الْإِنْسَانُ عَمَلَهُ"[٦].

الثاني : أن جوابه: {كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا} [الانشقاق : ٦]، . قاله الأخفش[٧].

الثالث : معناه: أذكر إذا السماء انشقت. حكاه النحاس[٨].

الرابع: أن جواب: {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ} [الانشقاق : ١]، قوله: {وَأَذِنَتْ } [الانشقاق : ٢]. ومثله قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} [الزمر : ٧٣]. حكاه الفراء[٩].

وقال النحاس:" وقيل: المعنى: اذكروا إذا السّماء انشقّت، فعلى هذا لا تحتاج إلى جواب أي: اذكر خبر ذلك الوقت"[١٠].

قال الزمخشري:" حذف جواب {إذا} ليذهب المقدّر كل مذهب. أو اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار. وقيل: جوابها ما دلّ عليه: {فَمُلَاقِيهِ}، أي: إذا السماء انشقت لاقى الإنسان كدحه. ومعناه: إذا انشقت بالغمام، كقوله تعالى: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ}"[١١].

القرآن

{يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦)} [الانشقاق: ٦]

التفسير:

يا أيها الإنسان إنك ساعٍ إلى الله، وعامل أعمالا من خير أو شر، ثم تلاقي الله يوم القيامة، فيجازيك بعملك بفضله أو عدله. أن لن يرجع.

أحدهما : إنك عامل لربك عملا فملاقيه. وهذا قول ابن عباس[١٢]، وقتادة[١٣]، وابن زيد[١٤].

قال ابن عباس:" يقول: تعمل عملا تلقى الله به خيرًا كان أو شرًّا"[١٥].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٢) تفسير الطبري: ٣١١/٢٤.
(٣) انظر: معاني القرآن: ٢٥٠/٣/٣.
(٤) انظر: معاني القرآن: ٣٠٣/٥.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣١٢/٢٤.
(٦) معاني القرآن: ٣٠٣/٥.
(٧) انظر: معاني القرآن: ٥٧٤/٢.
(٨) إعراب القرآن: ١١٦/٥.
(٩) انظر: معاني القرآن: ٢٤٩/٣. قال الفراء:" ونرى أنه رأى ارتآه المفسر، وشبهه بقول الله تبارك وتعالى: «حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها «٨» » لأنا لم نسمع جوابا بالواو في «إذ» مبتدأة، ولا قبلها كلام، ولا في «إذا» إذا ابتدئت، وإنما تجيب العرب بالواو في قوله: حتى إذا كان، و «فلما أن كان» لم يجاوزوا ذلك".
(١٠) إعراب القرآن: ١١٦/٥.
(١١) الكشاف: ٧٢٥/٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣١٢/٢٤.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٣١٣/٢٤.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٣١٣/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٣١٢/٢٤.

قال قتادة:" عامل له عملا"[١].

قال ابن زيد:" عامل إلى ربك عملا، {كدحا}: العمل"[٢].

قال قتادة:" إن كدحك يا ابن آدم لضعيف، فمن استطاع أن يكون كدحه في طاعة الله فليفعل، ولا قوّة إلا بالله"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: يأيُّها الإنسان إنك عامل إلى ربك عملا فملاقيه به خيرًا كان عملك ذلك أو شرًا، يقول: فليكن عملك مما يُنجيك من سُخْطه، ويوجب لك رضاه، ولا يكن مما يُسخطه عليك فتهلك"[٤].

الثاني : إنك ساعٍ إلى ربك سعياً فملاقيه ، قاله يحيى بن سلام[٥]، ومقاتل[٦]، والزجاج[٧]. ومنه قول الشاعر[٨]:

ومَضَتْ بشاشةُ كلِّ عَيْشٍ صالحٍ ... وَبقيتُ أكْدَحُ للحياةِ وأنْصَبُ

أي: أعمل للحياة.

وقول الآخر[٩]:

ما الدَّهْرُ إلا تارَتَان فَمِنْهُما ... أموتُ وأُخْرَى أبْتَغي العَيْش أكْدحُ

أي: وتارة أسعى في طلبه العيش وأدأب[١٠].

وقيل: «فملاقيه»: فملاق ربك. وقيل: فملاق عملك[١١].

قال الزجاج:" الكدح -في اللغة- : السعي والدأب في العمل في باب الدنيا وباب الآخرة"[١٢].

قال السمعاني:" الكدح: هو السعي بتعب ونصب"[١٣].

قال السعدي:" أي: إنك ساع إلى الله، وعامل بأوامره ونواهيه، ومتقرب إليه إما بالخير وإما بالشر، ثم تلاقي الله يوم القيامة، فلا تعدم منه جزاء بالفضل إن كنت سعيدًا، أو بالعدل إن كنت شقيًا"[١٤].

قال ابن كثير:" أي : ساع إلى ربك سعيا، وعامل عملا {فَمُلاقِيهِ} ثم إنك ستلقى ما عملتَ من خير أو شر، ويشهد له ما رواه أبوة داود الطيالسي... عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «قال جبريل : يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه»[١٥].. ومن الناس من يعيد الضمير على قوله :{رَبِّك}، أي

---

(١) أخرجه الطبري: ٣١٣/٢٤.

(٢) أخرجه الطبري: ٣١٣/٢٤.

(٣) أخرجه الطبري: ٣١٢/٢٤-٣١٣.

(٤) تفسير الطبري: ٣١٢/٢٤.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٢٣٥/٦.

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٤/٤.

(٧) انظر: معاني القرآن: ٣٠٤/٥.

(٨) البيت بلا نسبة في النكت والعيون: ٢٣٥/٦، وتفسير السمعاني: ١٨٧/٦، وتفسير القرطبي: ٢٧١/١٩، والبحر المحيط: ٤٣٣/١٠.

(٩)البيت لتميم بن مقبل، "ديوانه" ص ٢٤، أنشده ونسبه سيبويه ٢/ ٣٤٦. وأنشده ولم ينسبه، الفراء ٢/ ٣٢٣، والطبري: ٨٩/٢٠، والزجاج ٣٠٤/٥. وفي حاشية سيبويه: الشاهد فيه: حذف الاسم لدلالة الصفة عليه، والتقدير: فمنهما تارة أموت فيها.

(١٠) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٣٠٤/٥.

(١١) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٣٠٤/٥.

(١٢) معاني القرآن: ٣٠٤/٥.

(١٣) تفسير السمعاني: ١٨٧/٦.

(١٤) تفسير السعدي: ٩١٧.

(١٥)مسند الطيالسي برقم (١٧٥٥).

: فملاق ربك، ومعناه : فيجازيك بعملك ويكافئك على سعيك. وعلى هذا فكلا القولين متلازم"[1].

القرآن

{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩)} [الانشقاق: ٧-٩]

التفسير:

فأما من أعطي صحيفة أعماله بيمينه، وهو مؤمن بربه، فسوف يحاسب حسابًا سهلا ويرجع إلى أهله في الجنة مسرورًا.

قوله تعالى:{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ} [الانشقاق: ٧]، أي:" فأما من أعطي صحيفة أعماله بيمينه، وهو مؤمن بربه"[2].

قال الطبري:" فأما من أعطي كتاب أعماله بيمينه"[3].

قال السعدي:" وهم أهل السعادة"[4].

قوله تعالى:{فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} [الانشقاق: ٨]، أي:" فسوف يحاسب حسابًا سهلا"[5].

وفي تفسير قوله تعالى:{فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} [الانشقاق: ٨]، ثلاثة أقوال:

أحدها : يجازى على الحسنات ويتجاوز له عن السيئات ، قاله الحسن[6]، وابن زيد[7].

قال الطبري:" بأن ينظر في أعماله، فيغفر له سيئها، ويُجازى على حُسنها"[8].

قال ابن زيد:" الحساب اليسير: الذي يغفر ذنوبه، ويتقبَّل حسناته، ويسير الحساب الذي يعفى عنه، وقرأ: {وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ}، وقرأ:{أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ}"[9].

الثاني : ما رواه صفوان بن سليم عن عائشة قالت : «سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول: "اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا" قلت: يا رسول الله ما الحساب اليسير؟ قال: "أن يُنْظَرَ فِي سَيِّئَاتِهِ فَيُتَجَاوَزُ عَنْهُ، إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَئِذٍ هَلَكَ»[10].

الثالث : أنه العرض ، روى ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها – أنها قالت:«من نُوقش الحساب، أو من حوسب عذّب، قال: ثم قالت: إنما الحساب اليسير: عَرْض على الله وهو يراهم»[11].

قال السعدي:" وهو العرض اليسير على الله، فيقرره الله بذنوبه، حتى إذا ظن العبد أنه قد هلك، قال الله تعالى له: «إني قد سترتها عليك في الدنيا، فأنا أسترها لك اليوم»[12]"[1].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٥٦/٨.
(٢) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٣) تفسير الطبري: ٣١٣/٢٤.
(٤) تفسير السعدي: ٩١٧.
(٥) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٢٣٦/٦.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣١٤/٢٤.
(٨) تفسير الطبري: ٣١٣/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٣١٤/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢١٣/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٢١٣/٢٤.
(١٢) الحديث:« إن الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه وستره من الناس ويقرره بذنوبه فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم أى رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى فى نفسه أنه قد هلك قال فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد هؤلاء الذين

قال ابن كثير:" أي : سهلا بلا تعسير، أي : لا يحقق عليه جَميعُ دقائق أعماله ؛ فإن من حوسب كذلك يهلك لا محالة "[٢].

قال الطبري:" إن قال قائل: وكيف قيل: {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ}، والمحاسبة لا تكون إلا من اثنين، والله القائم بأعمالهم ولا أحد له قِبَل ربه طَلِبة فيحاسبه؟ قيل: إن ذلك تقرير من الله للعبد بذنوبه، وإقرار من العبد بها وبما أحصاه كتاب عمله، فذلك المحاسبة على ما وصفنا، ولذلك قيل: يحاسب"[٣].

عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إلا هَلَكَ" قالت: فقلت: يا رسول الله: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا}، فقال: "ذَلِكَ الْعَرْضُ، لَيْس أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إلا هَلَكَ"[٤].

قال القشيري:" أي حسابا لا مشقّة فيه. ويقال: «حِساباً يَسِيراً» أي يسمعه كلامه- سبحانه- بلا واسطة، فيخفّف سماع خطابه ما في الحساب من عناء، ويقال: «حِساباً يَسِيراً» : لا يذكّره ذنوبه. ويقال: يقول: ألم أفعل كذا؟ وألم أفعل كذا؟ يعدّ عليه إحسانه.. ولا يقول: ألم تفعل كذا؟ لا يذكّره عصيانه"[٥].

عن عوف بن مالك، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أمتي ثلاث أثلاث: فثلث يدخلون الجنة ... بغير حساب، وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة، وثلث يمحصون ويكسفون، ثم تأتي الملائكة فيقولون: وجدناهم يقولون: لا إله إلا الله وحده، فيقول الله: «أدخلوهم الجنة بقولهم لا إله إلا الله وحده واحملوا خطاياهم على أهل التكذيب» وهي التي قال الله: {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِم} [العنكبوت : ١٣]، وتصديقا في التي ذكر الملائكة قال الله تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} [فاطر : ٣٢]، فجعلهم ثلاثة أنواع: {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ} [فاطر : ٣٢] فهذا الذي يكف ويمحص {وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ} [فاطر : ٣٢] وهو الذي يحاسب حسابا يسيرا ... {وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ} [فاطر : ٣٢]: فهو الذي يلج الجنة بغير حساب ولا عذاب بإذن الله. يدخلونها جميعا لم يفرق بينهم {يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ} [فاطر : ٣٣] ،إلى قوله: {لُغُوبٌ} [فاطر : ٣٥]"[٦].

قوله تعالى:{وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا} [الانشقاق: ٩]، أي:" ويرجع إلى أهله في الجنة مسرورًا"[٧].

قال الطبري:" يقول: وينصرف هذا المحاسَبُ حسابًا يسيرًا إلى أهله في الجنة مسرورًا"[٨].

قال ابن كثير:" أي : فرحان مغتبطا بما أعطاه الله عز وجل"[٩].

قال قتادة:" إلى أهْلٍ أعدّ الله لهم الجنة"[١].

كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين».
أخرجه أحمد (٧٤/٢، رقم ٥٤٣٦) ، والبخارى (٨٦٢/٢، رقم ٢٣٠٩) ، ومسلم (٢١٢٠/٤، رقم ٢٧٦٨) ، والنسائى فى الكبرى (٣٦٤/٦، رقم ١١٢٤٢) ، وابن ماجه (٦٥/١، رقم ١٨٣) . وأخرجه أيضا: ابن أبى شيبة (٦٣/٧، رقم ٣٤٢٢١) ، وعبد بن حميد (ص ٢٦٦ رقم ٨٤٦) ، وابن حبان (٣٥٣/١٦ رقم ٧٣٥٥) والطبرانى فى الأوسط (١٨٠/٤، رقم ٣٩١٥) ، والديلمى (١٥٢/١، رقم ٥٥٣).

(١) تفسير السعدي: ٩١٧.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٥٦/٨.
(٣) تفسير الطبري: ٣١٤/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٣١٤/٢٤-٣١٥.
(٥) لطائف الإشارات: ٧٠٦/٣.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٩٩٠):ص٣١٨٢/١٠
(٧) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٨) تفسير الطبري: ٣١٥/٢٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٣٥٧/٨.

قال السعدي:" لأنه نجا من العذاب وفاز بالثواب"[٢].

روى الطبراني عن ثوبان - مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم - أنه قال : "إنكم تعملون أعمالا لا تعرف، ويوشك العازب أن يثوب إلى أهله، فمسرور ومكظوم"[٣].

القرآن

{وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (١٤) بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٥)} [الانشقاق: ١٠-١٥]

التفسير:

وأمَّا مَن أُعطي صحيفة أعماله من وراء ظهره، وهو الكافر بالله، فسوف يدعو بالهلاك والثبور، ويدخل النار مقاسيًا حرها. إنه كان في أهله في الدنيا مسرورًا مغرورًا، لا يفكر في العواقب، إنه ظنَّ أن لن يرجع إلى خالقه حيا للحساب. بلى سيعيده الله كما بدأه ويجازيه على أعماله، إن ربه كان به بصيرًا عليمًا بحاله من يوم خلقه إلى أن بعثه.

قوله تعالى:{وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ} [الانشقاق: ١٠]، أي:" وأمَّا مَن أُعطي صحيفة أعماله من وراء ظهره، وهو الكافر بالله"[٤].

قال السعدي:" أي: بشماله من خلفه"[٥].

قال الطبري:" أما من أعطي كتابه منكم أيها الناس يومئذ وراء ظهره، وذلك أن جعل يده اليمنى إلى عنقه وجعل الشمال من يديه وراء ظهره، فيتناول كتابه بشماله من وراء ظهره، ولذلك وصفهم جلَّ ثناؤه أحيانًا أنهم يؤتون كتبهم بشمائلهم، وأحيانًا أنهم يؤتونها من وراء ظهورهم"[٦].

قال ابن كثير:" أي: بشماله من وراء ظهره، تُثنى يده إلى ورائه ويعطى كتابه بها كذلك"[٧].

عن مجاهد:"{وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ}، قال: يجعل يده من وراء ظهره"[٨].

قال الفراء:" يقال: إن إيمانهم تغل إلى أعناقهم، وتكون شمائلهم وراء ظهورهم"[٩].

عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطاير الصحف في أيدي، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله"[١٠].

قوله تعالى:{فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا} [الانشقاق: ١١]، أي:" فسوف يدعو بالهلاك والثبور"[١١].

قال الطبري:" يقول: فسوف ينادي بالهلاك، وهو أن يقول: واثبوراه، واويلاه، وهو من قولهم: دعا فلان لهفه: إذا قال: والهفاه"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٣١٥/٢٤.
(٢) تفسير السعدي: ٩١٧.
(٣)المعجم الكبير (٩٤/٢) من طريق يحيى الحماني، عن جعفر بن سليمان، عن أبي عبد الله الشامي، عن عائذ الله، عن ثوبان به مرفوعا، ويحيى الحماني ضعيف.
(٤) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٥) تفسير السعدي: ٩١٧.
(٦) تفسير الطبري: ٣١٥/٢٤.
(٧) تفسير ابن كثير: ٣٥٨/٨.
(٨) أخرجه الطبري: ٣١٥/٢٤.
(٩) معاني القرآن: ٢٥٠/٣.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٩٧١):ص٣٣٧١/١٠.
(١١) التفسير الميسر: ٥٨٩.

قال ابن قتيبة:" أي: بالثبور، وهو: الهلكة"[٢].
قال ابن كثير:" أي : خسارا وهلاكا"[٣].
قال الضحاك:" يدعو بالهلاك"[٤].
قال مقاتل:" يدعو بالويل"[٥].
قال السعدي:" من الخزي والفضيحة، وما يجد في كتابه من الأعمال التي قدمها ولم يتب منها"[٦].
قال الفراء:" الثبور : أن يقول: وا ثبوراه، وا ويلاه، والعرب تقول: فلان يدعو لهفة «٨» إذا قال: وا لهفاه"[٧].
قوله تعالى:{وَيَصْلَى سَعِيرًا} [الانشقاق: ١٢]، أي:" ويدخل النار مقاسيًا حرها"[٨].
قال مقاتل:" ويدخل النار"[٩].
قال الطبري:" يَصْلونها ويَردونها، فيحترقون فيها"[١٠].
قال السعدي:" أي: تحيط به السعير من كل جانب، ويقلب على عذابها"[١١].
وقرئ«وَيُصَلَّى»، بضم الياء وتشديد اللام، بمعنى: أن الله يصليهم تصلية بعد تصلية، وإنضاجة بعد إنضاجة، كما قال تعالى: {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا}[١٢].
قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا} [الانشقاق: ١٣]، أي:" إنه كان في أهله في الدنيا مسرورًا مغرورًا، لا يفكر في العواقب"[١٣].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إنه كان في أهله في الدنيا مسرورا لما فيه من خلافه أمرَ الله، وركوبه معاصيه"[١٤].
قال ابن كثير:" أي : فرحا لا يفكر في العواقب، ولا يخاف مما أمامه، فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل"[١٥].
قال السعدي:" لا يخطر البعث على باله، وقد أساء، ولم يظن أنه راجع إلى ربه وموقوف بين يديه"[١٦].
عن قتادة: "{إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا}، أي: في الدنيا"[١٧].
قال ابن فورك:" بمعاصي الله"[١٨].
قال ابن عطاء:" لنفسه متابعا ساعيا"[١٩].

---

(١) تفسير الطبري: ٣١٥/٢٤.
(٢) غريب القرآن: ٤٤٦.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٥٨/٨.
(٤) أخرجه الطبري: ٣١٦/٢٤.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٩/٤.
(٦) تفسير السعدي: ٩١٧.
(٧) معاني القرآن: ٢٥٠/٣.
(٨) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٩/٤.
(١٠) تفسير الطبري: ٣١٦/٢٤.
(١١) تفسير السعدي: ٩١٧.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣١٦/٢٤.
(١٣) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(١٤) تفسير الطبري: ٣١٦/٢٤.
(١٥) تفسير ابن كثير: ٣٥٨/٨.
(١٦) تفسير السعدي: ٩١٧.
(١٧) أخرجه الطبري: ٣١٦/٢٤.
(١٨) تفسير ابن فورك: ١٨٣/٣.
(١٩) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٦٠/١٠!.

قال مقاتل:" يقول: في قومه كريما، فيذله الله- عز وجل- يوم القيامة"[١].

قوله تعالى:{إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ} [الانشقاق: ١٤]، أي:" ، إنه ظنَّ أن لن يرجع إلى خالقه حيا للحساب"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إنّ هذا الذي أُوتي كتابه وراء ظهره يوم القيامة، ظنّ في الدنيا أن لن يرجع إلينا، ولن يُبعث بعد مماته، فلم يكن يبالي ما ركب من المآثم؛ لأنه لم يكن يرجو ثوابًا، ولم يكن يخشى عقابًا، يقال منه: حار فلان عن هذا الأمر: إذا رجع عنه، ومنه الخبر الذي رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ إنّي أعُوذُ بِكَ مِنَ الحَوْرِ بَعْدَ الكَوْرِ»[٣]، يعني بذلك: من الرجُوع إلى الكفر، بعد الإيمان"[٤].

عن ابن عباس:{إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ}، يقول: يُبعث"[٥].

وقال ابن عباس: "كنت لا أدري ما معنى «يحور»، حتى سمعت إعرابية تدعوا بنية لها فتقول: حوري حوري. أي: أرجعي"[٦].

عن سفيان: "{ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ}، قال: يرجع"[٧].

قال مجاهد:" أن لا يرجع إلينا"[٨].

قال ابن زيد:" أن لن ينقلب"[٩].

قال قتادة:" أن لا مَعَادَ له ولا رجعة"[١٠]. وفي لفظ:" أن لن ينقلب: يقول: أن لن يبعث"[١١].

قال ابن كثير:" أي : كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله ولا يعيده بعد موته..و«الحَوْرُ» : هو الرجوع"[١٢].

قوله تعالى:{بَلَى} [الانشقاق: ١٥]، أي:" بلى سيعيده الله كما بدأه ويجازيه على أعماله"[١٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: بلى لَيَحُورَنَّ وَلَيَرْجِعَنّ إلى ربه حيا كما كان قبل مماته"[١٤].

قال ابن كثير:" يعني : بلى سيعيده الله كما بدأه، ويجازيه على أعماله خيرها وشرها"[١٥].

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا} [الانشقاق: ١٥]، أي:" إن ربه كان به بصيرًا عليمًا بحاله من يوم خلقه إلى أن بعثه"[١٦].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٩/٤.
(٢) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٣)أخرجه أيضا: أحمد (٨٣/٥، رقم ٢٠٨٠٠) ، ومسلم (٩٧٩/٢، رقم ١٣٤٣)، ومصنف عبدالرزاق(٩٢٣١):ص١٥٤/٥، وفيه"فقال محمد بن ثور لمعمر: ما الحور بعد الكور يا أبا عروة؟ قال: " لا تكون كسبا يقول: كان رجلا صالحا ثم رجع على عقبه".
(٤) تفسير الطبري: ٣١٦/٢٤-٣١٧.
(٥) أخرجه الطبري: ٣١٧/٢٤.
(٦) نقلا عن: الكشف والبيان: ٦٠!/١٠.
(٧) أخرجه الطبري: ٣١٧/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٣١٧/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٣١٧/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٣١٧/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٣١٧/٢٤.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٣٥٨/٨.
(١٣) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(١٤) تفسير الطبري: ٣١٧/٢٤.
(١٥) تفسير ابن كثير: ٣٥٨/٨.
(١٦) التفسير الميسر: ٥٨٩.

قال الطبري: يقول :" إن ربّ هذا الذي ظن أن لن يحور، كان به بصيرا، إذ هو في الدنيا بما كان يعمل فيها من المعاصي، وما إليه يصير أمره في الآخرة، عالم بذلك كلّه"[١].

قال السمعاني:" أي: عالما"[٢].

قال ابن كثير:" أي : عليما خبيرا"[٣].

قال البغوي:" من يوم خلقه إلى أن بعثه"[٤].

قال السعدي:" فلا يحسن أن يتركه سدى، لا يؤمر ولا ينهى، ولا يثاب ولا يعاقب"[٥].

قال الزمخشري:" وبأعماله لا ينساها ولا تخفى عليه، فلا بدّ أن يرجعه ويجازيه عليها"[٦].

فوائد الآيات: [١-١٥]:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء ببيان مقدماته في انقلاب الكون.

٢- بيان حتمية لقاء الإنسان ربه.

٣- كل إنسان مكلف بالعقل والبلوغ فهو عامل وكاسب لا محالة إلى أن يموت ويلقى ربه.

٤- أهل الإيمان والتقوى يحاسبون حساباً يسيراً وهو مجرد عرض لا غير ويفوزون أما من نوقش الحساب فقد هلك وعذب لأنه لا يملك حجة ولا عذرا.

٥- التنعم في الدنيا والانكباب على شهواتها وملاذها مع ترك الطاعات والصالحات ثمرة عدم الإيمان أو اليقين بالبعث والجزاء

القرآن

{فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (١٩)} [الانشقاق: ١٦-١٩]

التفسير:

أقسم الله تعالى باحمرار الأفق عند الغروب، وبالليل وما جمع من الدواب والحشرات والهوام وغير ذلك، وبالقمر إذا تكامل نوره، لتركبُنَّ -أيها الناس- أطوارا متعددة وأحوالا متباينة: من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى نفخ الروح إلى الموت إلى البعث والنشور.

قوله تعالى:{فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ} [الانشقاق: ١٦]، أي:" أقسم باحمرار الأفق عند الغروب"[٧].

قال ابن عطية:" «لا» زائدة، والتقدير فأقسم، وقيل: «لا» راد على أقوال الكفار وابتداء القول أُقْسِمُ، وقسم الله تعالى بمخلوقاته هو على جهة التشريف لها، وتعريضها للعبرة، إذ القسم بها منبه منها"[٨].

قال ابن قتيبة:" زيدت «لا» في الكلام على نية الرّد على المكذبين، كما تقول في الكلام: لا والله ما ذاك كما تقول. لو قلت: والله ما ذاك كما تقول، لكان جائزا، غير أن إدخالك «لا» في الكلام أوّلا، أبلغ في الرّد"[٩].

وفي المراد «بالشّفق» -هاهنا-، ستة أقوال:

---

(١) تفسير الطبري: ٣١٧/٢٤.
(٢) تفسير السمعاني: ١٩١/٦.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٥٨/٨.
(٤) تفسير البغوي: ٣٧٥/٨.
(٥) تفسير السعدي: ٩١٧.
(٦) الكشاف: ٧٢٧/٤.
(٧) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٨) المحرر الوجيز: ٤٥٨/٥.
(٩) تأويل مشكل القرآن: ١٥٥.

أحدها: أنه الحمرة التي تبقى في الأفق بعد غروب الشمس.

وقد روى ابن عمر ،عن رسول الله -صلّى الله عليه وسلم- أنه قال: «الشفق: الحمرة»[١].

وعن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «وقت الظهر إذا زالت الشمس وكان ظل الرجل كطوله، ما لم يحضر العصر، ووقت العصر ما لم تصفر الشمس، ووقت صلاة المغرب ما لم يغب الشفق، ووقت صلاة العشاء إلى نصف الليل الأوسط، ووقت صلاة الصبح من طلوع الفجر ما لم تطلع الشمس، فإذا طلعت الشمس فأمسك عن الصلاة، فإنها تطلع بين قرني شيطان»[٢].

وهذا قول عمر[٣]، وابنه[٤]، وابن مسعود[٥]، وعبادة بن الصامت[٦]، وابن الزبير[٧]، وجابر بن عبد الله[٨]، وابن عباس[٩]، وأبي هريرة[١٠]، وأنس[١١]، وأبي قتادة، الأنصاري[١٢]، وابن المسيّب[١٣]، وابن جبير[١٤]، وطاوس[١٥]، ومكحول[١٦]، وعبدالله بن دينار[١٧]، ومالك[١٨]، والأوزاعي[١٩]، وأبي يوسف[٢٠]، والشافعي[٢١]، وأبي ثور[٢٢]، ومقاتل[٢٣]، والفراء[٢٤]، وأبي عبيد[٢٥]، وأحمد[٢٦]، وإسحاق[٢٧]، وابن قتيبة[٢٨]، والزجاج[٢٩]. وحكاه الثعلبي عن الأكثرين[٣٠].

---

(١)الصحيح موقوف، وأخرجه الدارقطني ١/ ٢٦٩ من حديث ابن عمر، وفي إسناده عتيق بن يعقوب، وهو لم يسمع من مالك. وورد من وجه آخر موقوفا، أخرجه الدارقطني ١/ ٢٦٩، وهو الراجح، وكذا روي عن جماعة من الصحابة موقوفا، وهو أصح، والله أعلم.

(٢) صحيح مسلم(٦١٢):ص٤٢٧/١.

(٣) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠، وزاد المسير: ٤٢١/٤.

(٤) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠، وزاد المسير: ٤٢١/٤.

(٥) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠، وزاد المسير: ٤٢١/٤.

(٦) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠، وزاد المسير: ٤٢١/٤.

(٧) انظر: الكشف والبيان: ٦٠!/١٠.

(٨) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠، وزاد المسير: ٤٢١/٤.

(٩) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠، والنكت والعيون: ٢٣٧/٦، وزاد المسير: ٤٢١/٤.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٤٢١/٤.

(١١) انظر: زاد المسير: ٤٢١/٤.

(١٢) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠، وزاد المسير: ٤٢١/٤.

(١٣) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠، وزاد المسير: ٤٢١/٤.

(١٤) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠، وزاد المسير: ٤٢١/٤.

(١٥) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠، وزاد المسير: ٤٢١/٤.

(١٦) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠، وزاد المسير: ٤٢١/٤.

(١٧) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠.

(١٨) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠، وزاد المسير: ٤٢١/٤.

(١٩) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠، وزاد المسير: ٤٢١/٤.

(٢٠) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠، وزاد المسير: ٤٢١/٤.

(٢١) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠، وزاد المسير: ٤٢١/٤.

(٢٢) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠.

(٢٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٩/٤.

(٢٤) انظر: معاني القرآن: ٢٥١/٣.

(٢٥) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠.

(٢٦) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠.

(٢٧) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠.

(٢٨) نقلا عن: زاد المسير: ٤٢١/٤.

(٢٩) انظر: معاني القرآن: ٣٠٥/٥.

(٣٠) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠.

قال الفراء :" سمعت بعض العرب يقول: عليه ثوب مصبوغ كأنه الشفق، وكأن أحمر، فهذا شاهد للحمرة"[١].

قال الخليل بن أحمد : "الشفق الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الأخير فإذا ذهب قيل: غاب الشفق"[٢].

وقال الجوهري : بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل إلى قريب من العتمة"[٣].

الثاني: أنه النهار. رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد[٤].

عن مجاهد: "{فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ}، قال: النهار"[٥]. وفي لفظ: "النهار كله"[٦].

الثالث: الشمس. قاله مجاهد -أيضا-[٧].

الرابع: أنه ما بقي من النهار، قاله عكرمة[٨].

الخامس: السواد الذي يكون بعد ذهاب البياض، قاله أبو جعفر بن محمّد بن علي[٩].

السادس: أنه البياض، قاله أبو هريرة[١٠]، وعمر بن عبد العزيز[١١]، وأبو حنيفة[١٢].

وقيل: " أنّ البياض لا يغيب أصلا، قال الخليل: صعدت منارة اسكندرية فرمقت البياض فرأيته يتردّد من أفق إلى أفق ولم أره يغيب"[١٣].

قال الثعلبي:" الاختيار القول الأول لإجماع العبادلة عليه، ولأن الشواهد في كلام العرب وأشعارهم تشهد له، قال الشاعر[١٤]:

قُمْ يا غُلامُ أعنِّي غَيْرَ محتشم ... على الزَّمانِ بكأسٍ حَشوُهَا شَفَقُ"[١٥].

قوله تعالى:{وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ} [الانشقاق: ١٧]، أي:" وأقسم بالليل وما جمع من الدواب والحشرات والهوام وغير ذلك"[١٦].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ} [الانشقاق: ١٧]، وجوه:

أحدها : أي: وما جمع وضم ، قاله ابن عباس[١٧]، وسعيد بن جبير[١٨]، والحسن[١٩]، ومجاهد[٢٠]، وعكرمة[١]، والفراء[٢]، وابن قتيبة[٣]، وأنشدوا[٤]:

---

(١) معاني القرآن: ٢٥١/٣.
(٢) نقلا عن: مختار الصحاح(شفق):ص١٦٦.
(٣) مختار الصحاح(شفق):ص١٦٦.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣١٨/٢٤، وتفسير مجاهد: ٧١٥.
(٥) أخرجه الطبري: ٣١٨/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٣١٨/٢٤.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١٩٤):ص٣٤١١/١٠.
قال ابن كثير: ٣٥٨/٨-٣٥٩:" صح عن مجاهد أنه قال في هذه الآية :{فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ} هو النهار كله. وفي رواية عنه أيضا أنه قال : الشفق : الشمس. رواهما ابن أبي حاتم. وإنما حمله على هذا قَرْنُهُ بقوله تعالى :{وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ}، أي : جمع. كأنه أقسم بالضياء والظلام".
(٨) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠، والنكت والعيون: ٢٣٧/٦، وزاد المسير: ٤٢١/٤.
(٩) انظر: زاد المسير: ٤٢١/٤.
(١٠) رواه عبدالرزاق في "التفسير: ٢٩٢/٢، وكما في تفسير ابن كثير: ٣٥٨/٨.
(١١) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠، وزاد المسير: ٤٢١/٤.
(١٢) انظر: الكشف والبيان: ٦٠/!١٠.
(١٣) تفسير الثعلبي: ٦٠/!١٠.
(١٤) بلا نسبة في الكشف والبيان: ٦٠/!١٠، وتفسير القرطبي: ١٩/ ٢٧٥، وفيه «مرتبك» «محتشم».
(١٥) الكشف والبيان: ١٦٠/١٠.
(١٦) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٣١٩/٢٤.
(١٨) انظر: الكنى والأسماء للدولابي(٢٠٢٢):ص١١٥٩/٣.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٣١٩/٢٤.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٣١٩/٢٤.

إنَّ لنا قَلائصاً حَقَائِقا ... مُسْتَوْسِقَاتٍ لو يَجِدْنَ سَائِقَا

عن ابن عباس:"{وَمَا وَسَقَ}، يقول: وما جمع"[٥]. وفي رواية: "وما دخل فيه"[٦].

قال عكرمة:" وما جمع فيه من دوابه وحياته وعقاربه"[٧].

قال مجاهد:" وما جمع، يقول: ما آوى فيه من دابة"[٨].

عن مجاهد: "{وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ}: وما لفّ"[٩]. وفي لفظ:" ما لُفّ عليه"[١٠].

قال مجاهد:" وما أظلم عليه، وما أدخل فيه"[١١].

عن قتادة، وسعيد بن جبير: "{وَمَا وَسَقَ}، قال: وما جمع"[١٢].

قال قتادة:" وما جمع من نجم أو دابة"[١٣].

قال عكرمة:" ما حاز إذا جاء الليل"[١٤].

قال ابن زيد:" وما جمع مجتمع فيه الأشياء التي يجمعها الله التي تأوي إليه، وأشياء تكون في الليل لا تكون في النهار ما جمع مما فيه ما يأوي إليه، فهو مما جمع"[١٥].

قال الزجاج:" معنى «وسق»: جمع وضم"[١٦].

قال ابن قتيبة:" أي: جَمع وحَمل. ومنه: «الوَسْقُ»، وهو: الحَمْل"[١٧].

قال الثعلبي:" منه قيل للطعام المجتمع الكبير: وسق، وهو ستون صاعا، وطعام موسّق أي مجموع في غرارة ووعاء"[١٨].

قال الطبري:" والليل وما جمع مما سكن وهدأ فيه من ذي روح كان يطير، أو يَدِب نهارًا، يقال منه: وسَقْتُه أسِقُه وَسْقا، ومنه طعام موسُوق، وهو المجموع في غرائر أو وعاء، ومنه الوَسْق، وهو الطعام المجتمع الكثير مما يُكال أو يوزن، يقال: هو ستون صاعًا، وبه جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم"[١٩].

الثاني : وما ساق ، لأن ظلمة الليل تسوق كل شيء إلى مأواه ، قاله عكرمة[٢٠]، والضحاك[٢١]، وهو مروي عن ابن عباس-أيضا-[٢٢].

---

(١) انظر: الكنى والأسماء للدولابي(٢٠٢٣):٣/١١٥٩.

(٢) انظر: معاني القرآن: ٣/٢٥١.

(٣) انظر: غريب القرآن: ٥٢١.

(٤)البيت للعجاج، كذا جاء في حاشية كتاب "معاني القرآن وإعرابه" ٥/ ٣٠٥، أما "لسان العرب" فقد نسبه إلى طرفة: ١٠/ ٣٨٠، ديوان العجاج ملحقات مستقلة: ٢/ ٣٠٧، ولم أجده في ديوان طرفة.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٤/٣١٩.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٩٥):ص١٠/٣٤١١.

(٧) الكنى والأسماء للدولابي(٢٠٢٣):٣/١١٥٩.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٤/٣١٩.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٤/٣٢٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٤/٣٢٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٤/٣٢٠.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٤/٣٢٠.

(١٣) أخرجه الطبري: ٢٤/٣٢٠.

(١٤) أخرجه الطبري: ٢٤/٣٢٠.

(١٥) أخرجه الطبري: ٢٤/٣٢٠.

(١٦) معاني القرآن: ٥/٣٠٥.

(١٧) غريب القرآن: ٥٢١.

(١٨) الكشف والبيان: ١٠/١٦٠.

(١٩) تفسير الطبري: ٢٤/٣١٨.

(٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٣٢١.

(٢١) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٣٢١.

(٢٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٣٢١.

قال الضحاك:" ما ساق معه من ظلمة إذا أقبل"[١].
قال ابن عباس:" يعني: وما ساق الليل من شيء جمعه النجوم، ويقال: والليل وما جمع"[٢].
الثالث : وما عمل فيه ، قاله سعيد بن جبير[٣]، وقال الشاعر [٤]:
فيَوْماً ترانا صالِحِيْنَ وتارةً ... تقومُ بنا كالواسِقِ المُتَلَبِّبِ
أي: كالعامل .
وقال ابن أبي زمنين:" وما جمع مما عمل فيه الخلق من خير أو شر"[٥].
قال ابن كثير:" ومعنى كلامهم : أنه إذا تكامل نوره وأبدر، جعله مقابلا لليل وما وسق"[٦].
قوله تعالى:{وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ} [الانشقاق: ١٨]، أي:" وأقسم بالقمر إذا تكامل نوره"[٧].
وفي قوله تعالى:{وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ} [الانشقاق: ١٨]، وجهان من التفسير:
أحدهما : إذا استوى، قاله ابن عباس[٨]، وسعيد بن جبير[٩]، ومجاهد[١٠]، وعكرمة[١١]، وقتادة[١٢]، وابن زيد[١٣].
وقال ابن عباس:" إذا اجتمع واستوى"[١٤].
وقال الحسن:" إذا اجتمع، إذا امتلأ"[١٥].
عن سعيد بن جبير:"{وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ}، قال: لثلاث عَشْرة"[١٦].
قال الضحاك " إذا اجتمع فاستوى"[١٧].
قال الضحاك: "ليلة أربع عشرة هي ليلة السواء[١٨].
وقال الفراء:" اتساقه: امتلاؤه ثلاث عشرة إلى ست عشرة، فيهن اتساقه"[١٩].
قال ابن قتيبة:" أي: امتلأ في الليالي البيض"[٢٠].
قال الزجاج:" اجتمع واستوى ليلة ثلاث عشرة وأربعة عشرة"[٢١].
وقال الفراء:" يريد: اجتمع"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٢١/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٣٢١/٢٤.
(٣) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٠/!٦١، والنكت والعيون: ٢٣٧/٦.
(٤) بلا نسبة في النكت والعيون: ٢٣٧/٦، وتفسير القرطبي: ٢٧٧/١٩، والبحر المحيط في التفسير: ٤٣٨/١٠، والدر المصون: ٧٣٧/١٠، واللباب: ٢٣٧/٢٠. وفي بعض المصادر «ويوما».
(٥) تفسير ابن أبي زمنين: ١١٣/٥.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٥٩/٨.
(٧) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١٩٦):ص٣٤١١/١٠.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٢/٢٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٢/٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٣٢١/٢٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٢/٢٤.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٢/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٣٢١/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٣٢١/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ٣٢١/٢٤.
(١٧) أخرجه الطبري: ٣٢٢/٢٤.
(١٨) انظر: النكت والعيون: ٢٣٨/٦.
(١٩) انظر: معاني القرآن: ٢٥١/٣.
(٢٠) غريب القرآن: ٥٢١.
(٢١) معاني القرآن: ٣٠٥/٥.

وقال أبو عبيدة:" إذا تمّ"[٢].

قال مقاتل:" في ليلة ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة، فهن البيض، فهو يستوي في الشهر ثلاث ليال يشتد ضوءه، ويجتمع من «ثلاث عشرة"[٣].

الثالث: والقمر إذا استدار ، قاله قتادة[٤].

قوله تعالى:{لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ} [الانشقاق: ١٩]، أي:" لتركبُنَّ -أيها الناس- أطوارا متعددة وأحوالا متباينة: من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى نفخ الروح إلى الموت إلى البعث والنشور"[٥].

قال النحاس:" وأكثر أهل التفسير يقول: المخاطبة للنبي صلّى الله عليه وسلّم، ومنهم من يقول المخاطبة لجميع الناس"[٦].

وفي تفسير قوله تعالى:{لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ} [الانشقاق: ١٩]، وجوه:

أحدها : حالاً بعد حال، قاله ابن عباس[٧]، وسعيد بن جبير[٨]، والحسن[٩]، عكرمة[١٠]، ومجاهد[١١]، ومرّة الطيِّب[١٢]، والضحاك[١٣]، والشعبي[١٤]، ومسروق[١٥]، وأبو صالح[١٦].

ومنه قول كعب بن زهير [١٧]:

كَذلِك الْمَرْءُ: إنْ يُنْسَأْ لهُ أَجَلٌ ... يَرْكَبْ عَلَى طَبَقٍ من بَعدِه طَبَقُ

قال الماتريدي:" جائِز أن يصرف إلى دار الآخرة، فكأنه قال: لتركبن حال الآخرة بعد حال الدنيا؛ فيكون فيه تصريح القول على إيجاب البعث. ويحتمل أن يكون ذلك في الدنيا، فينتقل إلى حال المضغة بعد كونه مضغة، وإلى حال العلقة، وإلى حال الطفولة، إلى أن يبلغ أشده، فلا يزال يركب حالة بعد حالة؛ فيكون في تنقله من حال إلى حال إبانة أنه لم يرد من إنشائه أن تتغير عليه الأحوال فقط، بل أريد به العاقبة التي بها صار إنشاء الخلق حكمة لا عبثا؛ فيكون قوله: {لَتَرْكَبُنَّ} منصرفا إلى كل إنسان في نفسه خاصة، لا على الاقتصار على شخص واحد، ومنهم من قال: إنما أراد بهذا الخطاب رسول اللّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ –، وهذا فيه بشارة له بإسلام قومه، وإجابتهم له؛ فيقول: إنهم سيطيعونك ويصيرون لك أنصارا بعد صدهم الناس عن الإيمان وجفوتهم إياك"[١٨].

---

(١) معاني القرآن: ١٠٥٠/٣.

(٢) مجاز القرآن: ٢٩١/٢.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٩/٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٢/٢٤، وتفسير عبدالرزاق(٣٥٤٩):٤٠٨/٣.

(٥) التفسير الميسر: ٥٨٩.

(٦) إعراب القرآن: ١١٨/٥.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٣/٢٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٣/٢٤.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٣/٢٤.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٣/٢٤.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٣/٢٤.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٣/٢٤.

(١٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٦٠/٨.

(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١٩٧):٣٤١١/١٠.

(١٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٦٠/٨.

(١٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٦٠/٨.

(١٧)ديوانه ٢٢٨، والكشاف ٢/ ٥٣٤، ومفاتيح الغيب: ٨/ ٣٩٠، والبحر المحيط: ٨/ ٤٤٤ و ٤٤٧، واللسان: ٨١/١٢.

وكعب شاعر مخضرم، ت ٢٦ هـ (الشعر والشعراء ١٥٤، الأغاني ١٧ / ٨١، شرح بانت سعاد لأبي البركات الأنباري: ٢٠٢).

(١٨) تأويلات أهل السنة: ٤٧٧/١٠.

قال مجاهد:" لَتَرْكَبُنَّ الأمور حالا بعد حال"[١].

وروي عن مجاهد، أن ابن عباس كان يقرأ: «لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ»، يعني: نبيكم -صلى الله عليه وسلم- حالا بعد حال"[٢].

وروي البخاري عن ابن عباس :"{لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ} حالا بعد حال - قال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم"[٣].

وقال ابن عباس:" {لَتَرْكَبُنَّ} من الأمور يا محمد حالا بعد حال"[٤].

عن الشعبي: "{لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ} يا محمد حالا بعد حال"[٥].

قال الزجاج:" أي: حالا بعد حال حتى يصير إلى الله عز وجل، من إحياء وإماتة وبعث"[٦].

قال مقاتل:" يقول: حالا بعد حال يقول خلقا من نطفة، ثم صارت النطفة علقة، ثم صارت العلقة مضغة، ثم صارت إنسانا ميتا، في بطن أمه، حتى نفخ فيه الروح، ثم صار إنسانا حيا، ثم أخرجه الله- تعالى- من بطن أمه، فكان طفلا، ثم يبلغ أشده، ثم شاخ وكبر، ثم مات ولبث في قبره حتى صار ترابا، ثم أنشأه الله- عز وجل- بعد ذلك يوم القيامة"[٧].

وحكي ابن كثير عن الحسن:" {طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ} يقول: حالا بعد حال، رخاء بعد شدة، وشدة بعد رخاء، وغنى بعد فقر، وفقرا بعد غنى، وصحة بعد سقم، وسَقَما بعد صحة"[٨].

قال الليث: "السموات طباق، وكل واحد من الطباق طبقة، وقد يُذكر طبق -قال- والطبقة: الحال، يقال: كان فلان من الدنيا على طبقات شتى؛ أي: حالات"[٩].

وقال ابن الأعرابي: "الطبق: الحال على اختلافها"[١٠].

قال الزمخشري:" الطبق: ما طابق غيره. يقال: ما هذا بطبق لذا، أى: لا يطابقه. ومنه قيل للغطاء الطبق. وإطباق الثرى: ما تطابق منه، ثم قيل للحال المطابقة لغيرها: طبق. ومنه قوله عز وعلا: {طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ}، أي: حالا بعد حال: كل واحدة مطابقة لأختها في الشدّة والهول، ويجوز أن يكون جمع طبقة وهي المرتبة، من قولهم: هو على طبقات. ومنه: طبق الظهر لفقاره الواحدة: طبقة، على معنى: لتركبن أحوالا بعد أحوال هي طبقات في الشدّة بعضها أرفع من بعض. وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها"[١١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٢٣/٢٤.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٢٢/٢٤.

(٣)صحيح البخاري برقم (٤٩٤٠).

قال ابن كثير:٣٥٩/٨-٣٦٠:" هكذا رواه البخاري بهذا اللفظ ، وهو محتمل أن يكون ابن عباس أسند هذا التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم، كأنه قال : سمعت هذا من نبيكم صلى الله عليه وسلم، فيكون قوله : "نبيكم" مرفوعا على الفاعلية من "قال" وهو الأظهر، والله أعلم، كما قال أنس : لا يأتي عام إلا والذي بعده شَرٌّ منه، سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم.. ويحتمل أن يكون المراد :{لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ} حالا بعد حال. قال : هذا، يعني المراد بهذا نبيكم صلى الله عليه وسلم، فيكون مرفوعا على أن "هذا" و "نبيكم" يكونان مبتدأ وخبرا، والله أعلم. ولعل هذا قد يكون هو المتبادر إلى كثير من الرواة، كما قال أبو داود الطيالسي وغُنْدَر : حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس :{لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ} قال : محمد صلى الله عليه وسلم. ويؤيد هذا المعنى قراءةُ عمر، وابن مسعود، وابن عباس، وعامة أهل مكة والكوفة : "لَتَرْكَبَنّ" بفتح التاء والباء".

(٤) تفسير مجاهد: ٧١٥.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٩٧):ص٣٤١١/١٠.

(٦) معاني القرآن: ٣٠٥/٥.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٠/٤.

(٨) تفسير ابن كثير: ٣٦١/٨.

(٩) انظر: تهذيب اللغة" ٩/ ١٠: مادة: (طبق). [بتصرف]

(١٠)انظر: تهذيب اللغة" ٩/ ١٠: مادة: (طبق).

(١١) الكشاف: ٧٢٨/٤.

الثاني : سماء بعد سماء، قاله ابن مسعود[١]، ومسروق[٢]، وأبو العالية[٣]، والشعبي[٤].
قال ابن مسعود:" سماء فوق سماء"[٥].
قال الشعبي:" «لَتَرْكَبَنَّ» يا محمد سماء بعد سماء"[٦].
عن مسروق: "«لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ»، قال: أنت يا محمد سماء عن سماء"[٧].
قال الزجاج:" وقرئت: «لَتَرْكَبَنَّ»، أي: لتركبن يا محمد طبقا عن طبق من أطباق السماء"[٨].
قال ابن كثير:" يعنون ليلة الإسراء"[٩].
قال الماتريدي:" ومن قال: «لَتَرْكَبَنَّ» سماء بعد سماء، فيقول: ذلك ليلة أسري به، والتأويل الأول أقرب؛ لأن موقع القسم في قوله: {لَتَرْكَبُنَّ}، والإسراء لم يكن يعرفه قومه حتى يكون في ذكره دفع الاشتباه عن أُولَئِكَ القوم، فأما ظهور الإسلام وعلو النبي على أعدائه فمما يشاهده الناس؛ فيتحقق في الآخرة ما أخبر النبي - عليه السلام - عن الغيب؛ فيكون تأكيدا لرسالته؛ فلذلك قلنا: إن الحمل على المعنى الأول أحق"[١٠].
الثالث : أمراً بعد أمر. قاله مجاهد[١١].
عن مجاهد، «لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ»، قال: أمرًا بعد أمر"[١٢].
وحكي الماوردي عن الحسن:" أمراً بعد أمر، رخاء بعد شدة ، وشدة بعد رخاء ، وغنى بعد فقر ، وفقراً بعد غنى ، وصحة بعد سقم ، وسقماً بعد صحة"[١٣].
عن مجاهد: "{لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ}، قال: أمرًا بعد أمر"[١٤].
الرابع : منزلا بعد منزل. قاله ابن عباس[١٥].
وفي رواية عن الحسن:" منزلا عن منزل، وحالا بعد حال"[١٦].
قال الضحاك:" منزلا بعد منزل، وحالا بعد حال"[١٧].
وقال قتادة:" حالا بعد حال، ومنزلا عن منزل"[١٨].
وحكي الماوردي عن سعيد بن جبير:" منزلة بعد منزلة ، قوم كانوا في الدنيا متضعين فارتفعوا في الآخرة ، وقوم كانوا مرتفعين في الدنيا فاتضعوا في الآخرة"[١٩].
قال ابن عباس:" منزلا بعد منزل"[٢٠].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٤/٢٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٤/٢٤.
(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٣٤١٢/١٠. حكاه بدون سند.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٤/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٣٢٤/٢٤.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٩٩):ص٣٤١٢/١٠.
(٧) أخرجه الطبري: ٣٢٤/٢٤.
(٨) معاني القرآن: ٣٠٥/٥.
(٩) تفسير ابن كثير: ٣٦٠/٨.
(١٠) تأويلات أهل السنة: ٤٧٧/١٠.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٤/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٣٢٤/٢٤.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٢٣٨/٦، وانظر: زاد المسير: ٤٢٢/٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٣٢٤/٢٤.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٢/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ٣٢٣/٢٤.
(١٧) أخرجه الطبري: ٣٢٤/٢٤.
(١٨) أخرجه الطبري: ٣٢٣/٢٤-٣٢٤.
(١٩) النكت والعيون: ٢٣٨/٦، وانظر: زاد المسير: ٤٢٢/٤.
(٢٠) أخرجه الطبري: ٣٢٢/٢٤.

الخامس : أي: لتركبنّ سنة الأولين وسنة من كان قبلكم من الأولين. قاله أبو عبيدة[١].
قال الواحدي:" يعني: في التكذيب والاختلاق على النبي -صلى الله عليه وسلم-"[٢].
وحكي الماوردي عن السدي: "عملاً بعد عمل ، يعمل الآخر عمل الأول"[٣].
وحكي ابن كثير عن السدي:" {لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ} أعمال من قبلكم منزلا بعد منزل"[٤].
قال ابن كثير:" كأنه أراد معنى الحديث الصحيح : «لتركبن سَنَنَ من كان قبلكم، حَذْو القُذَّة بالقُذَّة، حتى لو دخلوا جُحر ضَبٍّ لدخلتموه". قالوا : يا رسول الله، اليهود والنصارى ؟ قال : "فمن ؟»[٥]. وهذا محتمل"[٦].
السادس : الآخرة بعد الأولى ، قاله ابن زيد[٧].
السابع : شدة بعد شدة ، حياة ثم موت ثم بعث ثم جزاء ، وفي كل حال من هذه شدة ، وقد روى معناه جابر مرفوعاً[٨].
وحكي الواحدي عن عطاء: "يريد شدة بعد شدة، يعني: شدائد القيامة"[٩].
وحكي ابن الجوزي عن ابن عباس:" أنه الشدائد، والأهوال، ثم الموت، ثم البعث، ثم العرض"[١٠].
قال الفراء:" العرب تقول: وقع في بنات طبق، إذا وقع في الأمر الشديد"[١١].
عن محمد بن علي عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن ابن آدم لفي غفلة مما خُلِقَ له ؛ إن الله إذا أراد خلقه قال للملك : اكتب رزقه، اكتب أجله، اكتب أثره، اكتب شقيا أو سعيدًا، ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله إليه مَلَكا آخر فيحفظه حتى يدرك، ثم يرتفع ذلك الملك، ثم يوكل الله به ملكين يكتبان حسناته وسيئاته، فإذا حَضَره الموتُ ارتفع ذانك الملكان، وجاءه ملك الموت فقبض روحه، فإذا دخل قبره رَدَّ الروح في جسده، ثم ارتفع ملك الموت، وجاءه مَلَكا القبر فامتحناه، ثم يرتفعان، فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات، فانتشطا كتابا معقودا في عنقه، ثم حضرا معه : واحدٌ سائقا وآخر شهيدا"، ثم قال الله عز وجل :{لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا} [ق : ٢٢]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ} قال : "حالا بعد حال". ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : "إن قدامكم لأمرا عظيما لا تَقدرُونه، فاستعينوا بالله العظيم» [١٢]. قال ابن أبي حاتم: "هذا حديث منكر".
قال ابن كثير:" هذا حديث منكر، وإسناده فيه ضعفاء، ولكن معناه صحيح "[١٣].
الثامن : أي: في كل عشرين سنة تحدثون أمرا لم تكونوا عليه. قاله مكحول[١٤].

---

(١) انظر: مجاز القرآن: ٢٩٢/٢.
(٢) التفسير البسيط: ٣٧١/٢٣.
(٣) النكت والعيون: ٢٣٨/٦.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٦٠/٨.
(٥)رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٤٥٦) ومسلم في صحيحه برقم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٦)تفسير ابن كثير: ٣٦٠/٨.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٤/٢٤.
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٠٣):ص٣٤١٢/١٠.
(٩) التفسير البسيط: ٣٧١/٢٣.
(١٠) زاد المسير: ٤٢٢/٤.
(١١) معاني القرآن: ٢٥٢/٣.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٠٣):ص٣٤١٢/١٠.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٣٦١/٨.
(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٠٠):ص٣٤١٢/١٠.

قال مكحول:" في كل عشرين عاما تحدثون أمرا لم تكونوا عليه"[١].

قال الثعلبي:" وهذا أدلّ دليل على حدث العالم وإثبات الصانع، قالت الحكماء: من كان اليوم على حالة وغدا أخرى فليعلم أن تدبيره إلى سواه"[٢].

وقيل لأبي بكر الوراق: "ما الدليل على أنّ لهذا العالم صانع فقال: تحويل الحالات وعجز القوة وضعف الأركان وقهر المنّة وفسخ العزيمة"[٣].

روي عن عبد الرحمن الأرزياني، قال: "دخل أبو الفم علي بن محمد بن زيد العلوي بطبرستان عائدا فأنشأ يقول:

إني اعتللت ولا كانت بك العلل ... وهكذا الدّهر فيه الصاب[٤] والعسل

إنّ الذي لا تحل الحادثات به ... ولا يغير فيه الله لا الرجل"[٥].

التاسع : أنها السماء تغبرّ وتحمرّ وتَشَقَّق. رواه إبراهيم عن ابن مسعود[٦].

قال ابن مسعود:" هي السماء تَشَقَّق، ثم تحمرّ، ثم تنفطر"[٧].

وعن مرّة عن ابن مسعود:" السماء، مرّة كالدِّهان، ومرّة تَشَقَّق"[٨].

وروي إبراهيم عن ابن مسعود:" السماء حالا بعد حال، ومنزلة بعد منزلة"[٩]. وفي لفظ:" هي السماء تغير لونًا بعد لون"[١٠].

قال الطبري:" الصواب من التأويل قول من قال «لَتَرْكَبَنَّ» أنت يا محمد حالا بعد حال، وأمرًا بعد أمر من الشدائد. والمراد بذلك -وإن كان الخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم موجهًا- جميع الناس، أنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأهواله أحوالا، وإنما قلنا: عُنِي بذلك ما ذكرنا أن الكلام قبل قوله: «لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ» جرى بخطاب الجميع، وكذلك بعده، فكان أشبه أن يكون ذلك نظير ما قبله وما بعده، وقوله: {طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ} من قول العرب: وقع فلان في بنات طبق: إذا وقع في أمر شديد"[١١].

قراءة العالمة: {لَتَرْكَبُنَّ}، بالتاء، وبضم الباء على وجه الخطاب للناس كافة أنهم يركبون أحوال الشدّة حالا بعد حال. وقد ذكر بعضهم أنه قرأ ذلك بالياء وبضم الباء، على وجه الخبر عن الناس كافة، أنهم يفعلون ذلك[١٢].

القرآن

{فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (٢١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤)} [الانشقاق: ٢٠-٢٤]

التفسير:

فأيُّ شيء يمنعهم من الإيمان بالله واليوم الآخر بعد ما وُضِّحت لهم الآيات؟ وما لهم إذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لله، ولا يسلّمُون بما جاء فيه؟ إنما سجية الذين كفروا التكذيب ومخالفة

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٠٠):ص٣٤١٢/١٠.

(٢) الكشف والبيان: ٦٢/!١٠.

(٣) نقلا عن: الكشف والبيان: ٦٢/!١٠.

(٤)الصاب: العلقم وهو شجر مرّ.

(٥) نقلا عن: الكشف والبيان: ٦٢/!١٠.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٥/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩١٩٨):ص٣٤١١/١٠

(٧) أخرجه الطبري: ٣٢٥/٢٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٢٥/٢٤.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٢٥/٢٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٢٥/٢٤.

(١١) تفسير الطبري: ٣٢٦/٢٤.

(١٢) انظر: الحجة للقراء السبعة: ٣٩١/٦، وتفسير الطبري: ٣٢٥/٢٤.

الحق. والله أعلم بما يكتمون في صدورهم من العناد مع علمهم بأن ما جاء به القرآن حق، فبشرهم -أيها الرسول- بأن الله -عز وجل- قد أعدَّ لهم عذابًا موجعًا.

قوله تعالى:{فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [الانشقاق: ٢٠]، أي:" فأيُّ شيء يمنعهم من الإيمان بالله واليوم الآخر بعد ما وُضِّحت لهم الآيات؟"[١].

قال مقاتل: أي:" بالبعث"[٢].

قال القشيري:" أي: فما لكفّار أمّتك لا يصدّقون.. وقد ظهرت البراهين؟"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فما لهؤلاء المشركين لا يصدّقون بتوحيد الله، ولا يقرّون بالبعث بعد الموت، وقد أقسم لهم ربهم بأنهم راكبون طبقًا عن طبق مع ما قد عاينوا من حججه بحقيقة توحيده"[٤].

قال ابن كثير:" أي : فماذا يمنعهم من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر؟"[٥].

قال ابن زيد، في قوله: "{فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ}، قال: بهذا الحديث، وبهذا الأمر"[٦].

قوله تعالى:{وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ} [الانشقاق: ٢١]، أي:" وما لهم إذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لله، ولا يسلّمُون بما جاء فيه؟"[٧].

قال قتادة:" لا يتواضعون ويخضعون"[٨].

وقال عكرمة: "لا يباشرون بجباههم المصلى"[٩].

وقال محمد بن كعب[١٠]، والكلبي[١١]: "لا يصلون"[١٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وإذا قُرئ عليهم كتاب ربهم لا يخضعون ولا يستكينون"[١٣].

قال ابن كثير: أي:" وما لهم إذا قرأت عليهم آيات الرحمن وكلامه - وهو هذا القرآن - لا يسجدون إعظاما وإكرامًا واحتراما؟"[١٤].

قال السعدي:" أي: لا يخضعون للقرآن، ولا ينقادون لأوامره ونواهيه"[١٥].

قال الثعلبي:" لا يخضعون ولا يستكينون له"[١٦].

قال النحاس:" أهل التفسير على أن المعنى: لا يخضعون ولا يذلّون بالانتهاء إلى طاعة الله جلّ وعزّ"[١٧].

قال مقاتل: " وذلك أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قرأ ذات يوم: {وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب} [العلق : ١٩]، فسجد وسجد المؤمنون معه، وكانت قريش يصفقون فوق رؤوسهم ويصفرون

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٠/٤.
(٣) لطائف الإشارات: ٧٠٨/٣.
(٤) تفسير الطبري: ٣٢٦/٢٤.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٦١/٨.
(٦) أخرجه الطبري: ٣٢٦/٢٤.
(٧) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٨) البحر المحيط في التفسير: ٤٤٠/١٠.
(٩) البحر المحيط في التفسير: ٤٤٠/١٠.
(١٠) البحر المحيط في التفسير: ٤٤٠/١٠.
(١١) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٦٢/١٠.
(١٢) البحر المحيط في التفسير: ٤٤٠/١٠.
(١٣) تفسير الطبري: ٣٢٦/٢٤.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٣٦١/٨.
(١٥) تفسير السعدي: ٩١٧.
(١٦) الكشف والبيان: ١٦٢/١٠.
(١٧) إعراب القرآن: ١١٨/٥.

وكان الذي يصفر قريب القرابة من رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، فذلك قوله {وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً} [الأنفال : ٣٥]، فلما سجد رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لم يسجدوا وسخروا منه، وكان إذا قرأ آذوه بالصفير والتصفيق، فأنزل الله- عز وجل- : {فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (٢١)} [الانشقاق : ٢٠ - ٢١] "[١].

قوله تعالى:{بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ} [الانشقاق: ٢٢]، أي:" إنما سجية الذين كفروا التكذيب ومخالفة الحق"[٢].

قال الطبري :" يقول تعالى ذكره: بل الذين كفروا يكذبون بآيات الله وتنزيله"[٣].

قال ابن كثير:" أي : من سجيتهم التكذيب والعناد والمخالفة للحق"[٤].

قال السعدي:" أي: يعاندون الحق بعدما تبين، فلا يستغرب عدم إيمانهم وعدم انقيادهم للقرآن، فإن المكذب بالحق عنادًا، لا حيلة فيه"[٥].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ} [الانشقاق: ٢٣]، أي:" والله أعلم بما يكتمون في صدورهم من العناد مع علمهم بأن ما جاء به القرآن حق"[٦].

وفي قوله تعالى:{وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ} [الانشقاق: ٢٣]، وجوه من التفسير:

أحدها : بما يُسِرون في قلوبهم ، قاله ابن عباس[٧]، وقتادة[٨].

عن قتادة: "{يُوعُونَ}، قال: في صدورهم"[٩].

قال ابن قتيبة:" أي: يَجمعون في صدورهم وقلوبهم، يقال: أوعيت المتاع؛ [إذا جعلته في الوعاء"[١٠].

قال الزجاج:" أي: بما يحملون في قلوبهم، يقال: أوعيت المتاع في الوعاء، ووعيت العلم"[١١].

قال النحاس:" من: أوعى الشيء إذا جمعه، ووعى حفظه"[١٢].

قال الفراء:" الإيعاء: ما يجمعون في صدورهم من التكذيب والإثم"[١٣].

الثاني : بما يكتمون من أفعالهم ، قاله مجاهد[١٤].

الثالث : بما يجمعون من سيئاتهم، مأخوذ من الوعاء الذي يجمع ما فيه. وهو معنى قول ابن زيد[١٥].

قال مقاتل: " بما يجمعون عليه من الإثم والفسوق"[١٦].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٠/٤.
(٢) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٣) تفسير الطبري: ٣٢٦/٢٤.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٦١/٨.
(٥) تفسير السعدي: ٩١٧.
(٦) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٠٢):ص٣٤١٢/١٠.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٧/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٣٢٧/٢٤.
(١٠) غريب القرآن: ٥٢١.
(١١) معاني القرآن: ٣٠٦/٥.
(١٢) إعراب القرآن: ١١٨/٥.
(١٣) معاني القرآن: ٢٥٢/٣.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٧/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٣٢٧/٢٤.
(١٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٠/٤.

قال ابن زيد:" المرءُ يُوعِي متاعه وماله هذا في هذا، وهذا في هذا، هكذا يعرف الله ما يوعون من الأعمال، والأعمال السيئة مما تُوعيه قلوبهم، ويجتمع فيها من هذه الأعمال الخير والشر، فالقلوب وعاء هذه الأعمال كلها، الخير والشرّ، يعلم ما يسرّون وما يعلنون، ولقد وَعَى لكم ما لا يدري أحد ما هو من القرآن وغير ذلك، فاتقوا الله وإياكم أن تدخلوا على مكارم هذه الأعمال بعض هذه الخبث ما يفسدها"[١].

قال الطبري: المعنى" والله أعلم بما تُوعيه صدور هؤلاء المشركين من التكذيب بكتاب الله ورسوله"[٢].

قال السعدي:" أي: بما يعملونه وينوونه سرًا، فالله يعلم سرهم وجهرهم، وسيجازيهم بأعمالهم"[٣].

قوله تعالى:{فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [الانشقاق: ٢٤]، أي:" فبشرهم -أيها الرسول- بأن الله -عز وجل- قد أعدَّ لهم عذابًا موجعًا"[٤].

قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه: فبشر يا محمد هؤلاء المكذّبين بآيات الله بعذاب أليم لهم عند الله موجع"[٥].

قال ابن كثير:" أي : فأخبرهم - يا محمد - بأن الله عز وجل قد أعد لهم عذابا أليما"[٦].

قال الزجاج:" المعنى: اجعل بدل البشارة للمؤمنين بالجنة والرحمة والرضوان، للكفار العذاب الأليم"[٧].

قال السعدي:" وسميت البشارة بشارة، لأنها تؤثر في البشرة سرورًا أو غمًا، فهذه حال أكثر الناس، التكذيب بالقرآن، وعدم الإيمان"[٨].

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"[٩]، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك[١٠].

القرآن

{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥)} [الانشقاق: ٢٥]

التفسير:

لكن الذين آمنوا بالله ورسوله وأدَّوْا ما فرضه الله عليهم، لهم أجر في الآخرة غير مقطوع ولا منقوص.

قوله تعالى:{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [الانشقاق: ٢٥]، أي:" لكن الذين آمنوا بالله ورسوله وأدَّوْا ما فرضه الله عليهم"[١١].

قال الطبري:" يقول: إلا الذين تابوا منهم وصدّقوا، وأقرّوا بتوحيده، ونبوّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبالبعث بعد الممات، وأدَّوا فرائض الله، واجتنبوا ركوب ما حرّم الله عليهم ركوبه"[١٢].

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٢٧/٢٤.
(٢) تفسير الطبري: ٣٢٦/٢٤.
(٣) تفسير السعدي: ٩١٧.
(٤) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٥) تفسير الطبري: ٣٢٧/٢٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٦١/٨.
(٧) معاني القرآن: ٣٠٦/٥.
(٨) تفسير السعدي: ٩١٧.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(١١) التفسير الميسر: ٥٩٠.
(١٢) تفسير الطبري: ٣٢٧/٢٤.

قال ابن كثير:" هذا استثناء منقطع، يعني لكن الذين آمنوا - أي : بقلوبهم - وعملوا الصالحات بجوارحهم"[١].

قال السعدي:" ومن الناس فريق هداهم الله، فآمنوا بالله، وقبلوا ما جاءتهم به الرسل، فآمنوا وعملوا الصالحات"[٢].

عن السُّدِّيّ، في قوله: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات}، يعني: أطاعوا الله فيما أمرهم به، وفرض عليهم"[٣].

قوله تعالى:{لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [الانشقاق: ٢٥]، أي:" لهم أجر في الآخرة غير مقطوع ولا منقوص"[٤].

قال ابن كثير:" {لَهُمْ أَجْرٌ}، أي : في الدار الآخرة {غَيْرُ مَمْنُونٍ}"[٥].

وفي تفسير قوله تعالى:{لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [الانشقاق: ٢٥]، وجوه:

أحدها : غير محسوب، قاله مجاهد[٦]،وإبراهيم النخعي[٧]، ويحيى بن سلام[٨].

الثاني : غير منقوص، قاله ابن عباس[٩]، والسدي[١٠]، ومقاتل[١١]، ومنه قول زهير بن أبي سلمى[١٢]:

فضل الجياد على الخيل البطاء فلا ... يعطي بذلك ممنونا ولا ترقا

الثالث : أجر بغير عمل. قاله الضحاك[١٣].

الرابع: غير مقطوع ، قاله ابن عباس[١٤]، والفراء[١٥]، وابن قتيبة[١٦].

قال السمعاني:" وهو المعروف"[١٧].

قال السعدي:" أي: غير مقطوع، بل هو أجر دائم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"[١٨].

قال الفراء:" والعرب تقول: ضعفت منتي عن السفر، ويقال للضعيف: المنين، وهذا من ذلك"[١٩].

قال أبو عبيدة:" ويجيء أيضا «مَمْنُونٍ»: مقطوع، والحبل المقطوع: ممنون[٢٠].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٦١/٨.
(٢) تفسير السعدي: ٩١٧.
(٣)علّقه يحيى بن سلّام ٢/ ٦١٨.
(٤) التفسير الميسر: ٥٩٠.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٦١/٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٧/٢٤، وتفسير مجاهد: ٥٨٥.
(٧) أخرجه الطبري: ٥١٤/٢٤.
(٨) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٤٥٣/١.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٧/٢٤.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٢٣٩/٦.
(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٥١/٤.
(١٢) ديوانه: ٤٢.
أراد أن الممدوح فضل الناس فضل الجياد على البطاء من الخيل. الجياد: الواحد جواد، الذي يجود بما عنده من الجري. الممنون: المقطوع. الترق: الذي يبطئ بعد الجري والذي يعطي ثم يكف.
(١٣)تفسير البغوي ٨/ ٤٧٣.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ٢٣٩/٦.
(١٥) انظر: معاني القرآن: ١٧٢/٣-١٧٣.
(١٦) انظر: غريب القرآن: ٥٢١.
(١٧) تفسير السمعاني: ٢٥٤/٦.
(١٨) تفسير السعدي: ٩١٧.
(١٩) معاني القرآن: ١٧٣/٣.
(٢٠) مجاز القرآن: ٢٩٢/٢.

قال الزجاج:" قال أهل اللغة: «غير ممنون»: غير مقطوع، يقال: منيت الحبل. إذا قطعته"[١].

الخامس : ليس فيه منّ. أي: لا يمتن به عليهم أحد - سوى الله - منة تكدر النعمة عليهم. قاله أبو عبيدة[٢]، والزجاج[٣]، والنحاس[٤].

وروي عن الحسن قال:" غير ممنون عليهم مِن أذًى"[٥].

وحكي الماوردي:" غير مكدّر بالمن والأذى،-وقال-" وهو معنى قول الحسن[٦].

قال ابن كثير:" وقال بعضهم :{غَيْرُ مَمْنُونٍ} عليهم، وهذا القول الآخر عن بعضهم قد أنكره غير واحد ؛ فإن الله عز وجل له المنة على أهل الجنة في كل حال وآن ولحظة، وإنما دخلوها بفضله ورحمته لا بأعمالهم، فله عليهم المنة دائما سرمدًا، والحمد لله وحده أبدا ؛ ولهذا يلهمون تسبيحه وتحميده كما يلهمون النَّفَس :{وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [يونس : ١٠]"[٧].

قال الطبري: أي: " يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات: ثواب غير محسوب ولا منقوص"[٨].

فوائد الآيات: [١٦-٢٥]:

١- بيان أن الإنسان مقبل على أحوال وأهوال حالا بعد حال وهولا بعد هولا إلى أن ينتهي إلى جنة أو نار.

٢- بيان أن عدم إيمان الإنسان بربه يستدعي العجب إذ لا مانع للعبد من الإيمان بخالقه وهو يعلم انه مخلوق وقد تعرف إليه فأنول كتبه وبعث رسله وأقام الأدلة على ذلك.

٣- مشروعية السجود عند تلاوة هذه الآية وهي وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون.

٤- علم الله تعالى بما يعي الإنسان في قلبه وما يحمل في نفسه فذكره للعبد بأن يراقب ربه فلا يعي في قلبه إلا الإيمان ولا يحمل في نفسه إلا الخير فلا غل ولا حسد ولا شك ولا عداء ولا بغضاء.

«آخر تفسير سورة (الانشقاق)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) معاني القرآن: ٣٠٦/٥.
(٢) انظر: مجاز القرآن: ٢٩٢/٢.
(٣) انظر: معاني القرآن: ٣٠٦/٥.
(٤) انظر: إعراب القرآن: ١١٨/٥.
(٥)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٤٦ -، وانظر: النكت والعيون: ٢٣٩/٦.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٢٣٩/٦.
(٧) تفسير ابن كثير: ٣٦٢/٨.
(٨) تفسير الطبري: ٣٢٧/٢٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «البروج»

«سورة البروج»: هي السورة الخامسة والثمانون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد سورة «والشمس وضحاها» وقبل سورة «التين»، وآياتها اثنتان وعشرون. وكلماتها مائة وتسع. وحروفها أربعمائة وثمان وخمسون. وفواصل آياتها: «قرط ظب جد»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- أسمها التوقيفي: «سورة البروج»:**

وسميت في المصاحف وكتب السنة[٢] وكتب التفسير[٣] «سورة البروج»، وذلك لافتتاحها بقسم الله بالسماء ذات البروج وهي الكواكب السيارة في أثناء سيرها، قال تعالى: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ} [البروج : ١].

ثانيا:- أسمها الاجتهادي: «سورة السماء ذات البروج»:

ثبتت هذه التسمية عند الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-[٤]، والذي يظهر من هذه الاسم، «السماء ذات البروج» أنه لم يحك لفظ القرآن، أي: لم يذكر واو القسم، وقد عنون بعض المفسرين السورة بهذه التسمية مع إضافة واو القسم: «والسماء ذات البروج»[٥].

وهي تسمية اجتهادية من الصحابة-رضي الله عنهم- وهي تسمية لها بأول جملة افتتحت بها السورة، قال تعالى: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ} [البروج : ١].

وروي عن أبي هريرة:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمر أن يقرأ: بالسماوات في العشاء "[٦].

أي: «السماء ذات البروج» و«السماء والطارق»، فمجمعها جمع: سماء، وهذا يدل على أن اسم السورتين: سورة السماء ذات البروج، سورة السماء والطارق[٧].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس، قال: نزلت {والسماء ذات البروج} بمكة"[٨].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من المتأولين لا خلاف في ذلك"[٩].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[١٠].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها:

١- اشتمالها كالتي قبلها على وعد المؤمنين ووعيد الكافرين، مع التنويه بشأن القرآن وفخامته.

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٨/١.

(٢) انظر: مثلا: صحيح البخاري: ١٦٨/٦، وسنن الترمذي: ٢٩٣/٥، والسنن الكبرى للنسائس: ٣٢٩/١٠، وغيرها.

(٣) انظر: مثلا: تفسير الطبري: ٣٢٩/٢٤، وتفسير ابن فورك: ١٨٧/٣، والكشف والبيان: ١٦٤/١٠، والنكت والعيون: ٢٤٠/٦، وتفسير السمعاني: ١٩٤/٦، وتفسير البغوي: ٣٧٨/٨، والكشاف: ٧٢٩/٤، والمحرر الوجيز: ٤٦٠/٥، وزاد المسير: ٤٢٣/٤، ومفاتيح الغيب: ١٠٦/٣١، وتفسير القرطبي: ٢٨٣/١٩، وغيرها.

(٤) كما سيأتي في فضائل السورة.

(٥) انظر :مثلا: تفسير الثعالبي: ٤٠٠/٤، وتفسير ابن أبي زمنين: ١١٤/٥.

(٦) المسند(٨٣٣٣):ص٧٨/١٤. إسناده ضعيف ، وحماد بن عباد السدوسي له ترجمة في "الإكمال" (١٨٤) ، وذكره ابن حبان في "الثقات" ٢٢٠/٦

(٧) التحرير والتنوير: ٢٣٦/٣٠.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٤٦١/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه.

(٩) المحرر الوجيز: ٤٦٠/٥.

(١٠) زاد المسير: ٤٢٣/٤.

٢- أنه ذكر في السورة السابقة أنه عليم بما يجمعون للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من المكر والخداع وإيذاء من أسلم بأنواع من الأذى كالضرب والقتل والإلقاء في حمارة القيظ. وذكر هنا أن هذه شنشنة من تقدمهم من الأمم، ففد عذبوا المؤمنين بالنار كما فعل أصحاب الأخدود. وفى هذا عظة لقريش، وتثبيت من يعذبون من المؤمنين[١].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

جاءت مقاصد سورة «البروج» التفصيلية الآتي

١ - أقسم الله -سبحانه- في أول السورة ببعض مظاهر قدرته على أن الكافرين الذين يؤذون المؤمنين ليردوهم عن دينهم مطرودون كما طرد من سلك مسلكهم ممن سبقهم: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ} [البروج : ١]، إلى قوله تعالى: {وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ} [البروج : ٧].

٢ - بينت السورة أن الصامدين من المؤمنين الذين عُذبوا ما كان ذنبهم إلا إيمانهم بالله، وذكرت الوعيد للكافرين، والوعد للمؤمنين الصابرين: {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [البروج : ٨] إلى قوله تعالى: {ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِير} [البروج : ١١].

فإن من أهم مقاصدها: تثبيت المؤمنين، وتسليتهم عما أصابهم من أعدائهم، عن طريق ذكر جانب مما تحمله المجاهدون من قبلهم، فكأن الله- تعالى- يقول للنبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه: اصبروا كما صبر المؤمنون السابقون، واثبتوا كما ثبتوا، فإن العاقبة ستكون لكم.

٣ – أن السورة ساقت الأدلة على وحدانية الله- تعالى- وقدرته، ونفاذ أمره، فقد ذكرت السورة بعض صفاته - تعالى - كقُوَّته وبطشه بالجبابرة، وبالجموع الطاغية من قوم فرعون وثمود وغيرهم من المكذبين، وأن قوم الرسول يكذبونه والله من ورائهم محيط: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} [البروج : ١٢]، إلى قوله: {وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ} [البروج : ٢٠].

٤ - وخُتِمت السورة ببيان عظمة القرآن وأنه في لوح محفوظ لا تصل إليه يدٌ بتحريف، ولا قوة بتغير: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢)} [البروج : ٢١ - ٢٢].

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: القسم على أصحاب الأخدود، وكمال ملكة الملك المعبود، وثواب المؤمنين في جوار المقام المحمود، وعذاب الكافرين في الجحيم المورود، وما للمطيع والعاصي من كرم الغفور الودود، والإشارة إلى هلاك فرعون وثمود "[٢].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة جميعها محكم ليس فيها ناسخ ولا منسوخ [٣].

- **فضائل السورة:**

– عن عمرو بن دينار، وأبي الزبير:" سمعنا جابر بن عبد الله -يزيد أحدهما على صاحبه- قال: كان معاذ يصلي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم يرجع إلى قومه فيصلي بهم، فأخر النبي - صلى الله عليه وسلم - الصلاة ذات ليلة، فرجع معاذ يؤمهم فقرأ بسورة البقرة، فلما رأى ذلك رجل من القوم انحرف إلى ناحية المسجد فصلى وحده، فقالوا: أنافقت؟ قال: لا. قال: لآتين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلأخبرنه، فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال: إن معاذا يصلي معك، ثم يرجع فيؤمنا، وإنك أخرت الصلاة البارحة فجاء فأمنا فقرأ سورة البقرة، وإني تأخرت عنه فصليت وحدي يا رسول الله، وإنا نحن أصحاب نواضح، وإنما نعمل بأيدينا. فقال النبي - صلى الله

---

(١) انظر: تفسير المراغي: ٩٧/٣٠.
(٢)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٨/١.
(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ١٩٦.

عليه وسلم -: "يا معاذ أفتان أنت؟ اقرأ سورة «والليل إذا يغشى»، و«سبح اسم ربك الأعلى»، «والسماء ذات البروج»"[١].

- عن جابر بن سمرة، " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر والعصر: «والسماء ذات البروج»، و«السماء والطارق»، وشبهها"[٢].
- عن أبي هريرة:" أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء، يعني: «ذات البروج» و«السماء والطارق»"[٣].
- عن معمر، عن قتادة قال: "يقرأ في الركعتين الأوليين من صلاة العصر: «إذا السماء انشقت»، و«السماء ذات البروج»"[٤].
- عن نافع:" أن ابن عمر «كان يقرأ في الصبح بالعشر السور من أول المفصل، يرددهن في كل ركعة سورة»[٥]. قال محمد: يقرأ في الفجر في السفر «والسماء ذات البروج»، و«السماء والطارق» ونحوهما.
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ «وَالسَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ» أعطاه الله عز وجل من الأجر بعدد كل يوم جمعة وكلّ يوم عرفة يكون في دار الدنيا عشر حسنات» [٦].[موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) صحيح ابن خزيمة(٥٢١):ص٢٩٠/١-٢٩١.

(٢) أخرجه احمد(٢٠٩٨٢):ص٤٩٧/٣٤، صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن من أجل سماك، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الصحيح.

وأخرجه الترمذي (٣٠٧) ، والبغوي (٥٩٤) من طريق يزيد بن هارون، بهذا الإسناد، وأخرجه الطيالسي (٧٧٤) ، والدارمي (١٢٩٠) ، والبخاري في "القراءة" (٢٩٦) ، وأبو داود (٨٠٥) ، والطحاوي في "شرح المعاني" ٢٠٧/١، وابن حبان (١٨٢٧) ، والطبراني (١٩٦٦) ، والبيهقي ٣٩١/٢ من طرق عن حماد بن سلمة، به. وسقط من المطبوع في "القراءة" شيخ البخاري.

(٣) أخرجه أحمد (٨٣١٤):ص٢٨٠/٨. إسناده ضعيف، أبو المهزم -واسمه يزيد بن سفيان، وقيل: عبد الرحمن بن سفيان- ضعفه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم، وقال البخاري: تركه شعبة بن الحجاج، وقال الدارقطني: يترك، وقال النسائي: متروك الحديث. ورزيق بن أبي سلمى أورده ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" ٥٠٥/٣ وذكر أنه روى عن الحسن وعطاء وبكر بن عبد الله، وروى عنه عبد الرحمن بن مهدي ومسلم بن إبراهيم، ولم يوثقه أحد، فهو مجهول الحال.

(٤) مصنف عبدالرزاق(٢٦٨٨):ص١٠٧/٢.

(٥) موطأ مالك رواية محمد بن الحسن الشيباني(٢٠٠):ص٨١.

(٦) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣١٠/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٣١٠/١٠. [والحديث موضوع].

القرآن

{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩)} [البروج : ١-٩]

التفسير:

أقسم الله تعالى بالسماء ذات المنازل التي تمر بها الشمس والقمر، وبيوم القيامة الذي وعد الله الخلق أن يجمعهم فيه، وشاهد يشهد، ومشهود يشهد عليه. ويقسم الله -سبحانه- بما يشاء من مخلوقاته، أما المخلوق فلا يجوز له أن يقسم بغير الله، فإن القسم بغير الله شرك - لُعن الذين شَقُّوا في الأرض شقًا عظيمًا؛ لتعذيب المؤمنين، وأوقدوا النار الشديدة ذات الوَقود، إذ هم قعود على الأخدود ملازمون له، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين من تنكيل وتعذيب حضورٌ. وما أخذوهم بمثل هذا العقاب الشديد إلا أن كانوا مؤمنين بالله العزيز الذي لا يغالَب، الحميد في أقواله وأفعاله وأوصافه، الذي له ملك السماوات والأرض، وهو -سبحانه- على كل شيء شهيد، لا يخفى عليه شيء.

قوله تعالى:{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ} [البروج : ١]، أي:" أقسم بالسماء ذات المنازل التي تمر بها الشمس والقمر"(١).

وفي تفسير قوله تعالى: {ذَاتِ الْبُرُوجِ} [البروج : ١]، أقوال:

أحدها : ذات النجوم، قاله ابن عباس(٢)، والحسن(٣)، ومجاهد(٤)، وقتادة(٥)، والضحاك(٦)، وابن أبي نجيح(٧)، والسدي(٨)، ومقاتل(٩).

قال مجاهد:" البروج: النجوم"(١٠).

قال قتادة:" بروجها: نجومها"(١١).

قال قتادة: "سُميت بروجاً، لظهورها"(١٢).

الثاني : ذات الكواكب، قاله مجاهد(١٣)، وقتادة(١٤)، ومقاتل(١٥).

قال الزجاج:" ذات الكواكب"(١٦).

عن قتادة :" {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا} [الحجر : ١٦]، قال: الكواكب"(١٧).

الثالث : أنها الكواكب العظام، يعني: السبعة السيارة. قاله أبو صالح(١٨).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩٠.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٦٣/٨.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٢٤٠/٦، وتفسير ابن كثير: ٣٦٣/٨.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٣١/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٢/٢٤.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٢٤٠/٦، وتفسير ابن كثير: ٣٦٣/٨.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٢/٢٤.
(٨) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٦٣/٨.
(٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٧/٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٣٣١/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٣٣١/٢٤.
(١٢) نقلا عن: زاد المسير: ٥٢٦/٢.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٧٧/١٧.
(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٣٤٥):ص٢٢٥٩/٧.
(١٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢٦/٢.
(١٦) معاني القرآن: ٣٠٧/٥.
(١٧) أخرجه الطبري: ٧٧/٢٤، وابن أبي حاتم(١٢٣٤٥):ص٢٢٥٩/٧.
(١٨) نظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٣٤٦):ص٢٢٥٩/٧.

عن أبي صالح قوله: "{ولقد جعلنا في السماء بروجا}، قال: الكواكب العظام"[١].

الرابع : ذات القصور ، قاله ابن عباس[٢]، و يحيى بن رافع[٣].

قال ابن عباس:" قصور في السماء"[٤].

قال الضحاك:" يزعمون أنها قصور في السماء"[٥].

وعن عطية:"{ولقد جعلنا في السماء بروجا}، قال: قصورا في السماء فيها الحرس"[٦].

وحكي ابن كثير عن مجاهد:" البروج التي فيها الحرس"[٧].

قال ابن قتيبة: "أصل البرج: القصر والحِصْن"[٨].

الخامس : ذات الخلْق الحسن ، قاله المنهال بن عمرو[٩].

السادس : ذات الرمل والماء. قاله سفيان بن حسين[١٠].

السابع : ذات المنازل ، قاله ابن عباس[١١]، وأبو عبيدة[١٢]، وعلي بن عيسى[١٣]، ويحيى بن سلام[١٤]، وهي اثنا عشر برجاً رصدتها العرب والعجم ، وهي منازل الشمس والقمر .

قال ابن قتيبة:" البروج: بروج النجوم، وهي اثنا عشر برجا"[١٥].

قال الماوردي:" وأصل البروج: الظهور , ومنه تبرجت المرأة إذا أظهرت نفسها"[١٦].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: معنى ذلك: والسماء ذات منازل الشمس والقمر، وذلك أن البروج جمع برج، وهي منازل تتخذ عالية عن الأرض مرتفعة، ومن ذلك قول الله: {وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ} هي منازل مرتفعة عالية في السماء، وهي اثنا عشر برجًا، فمسير القمر في كلّ برج منها يومان وثلث، فذلك ثمانية وعشرون منزلا ثم يستسرّ ليلتين، ومسير الشمس في كلّ برج منها شهر"[١٧].

قوله تعالى:{وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ} [البروج : ٢]، أي:" وبيوم القيامة الذي وعد الله الخلق أن يجمعهم فيه"[١٨].

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وأقسم باليوم الذي وعدته عبادي لفصل القضاء بينهم، وذلك يوم القيامة"[١٩].

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ"[٢٠].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٣٤٦):ص٢٢٥٩/٧.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٣١/٢٤.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٦٣/٨.
(٤) أخرجه الطبري: ٣٣١/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٣٣١/٢٤.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٣٤٧):ص٢٢٥٩/٧.
(٧) تفسير ابن كثير: ٣٦٣/٨.
(٨) غريب القرآن: ٢٣٦.
(٩) انظر: النكت والعيون: ٢٤٠/٦، وتفسير ابن كثير: ٣٦٣/٨.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٢/٢٤.
(١١) انظر: النكت والعيون: ١٥٢/٦.
(١٢) انظر: مجاز القرآن: ٣٤٨/١.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ١٥٢/٦.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ٢٤٠/٦. وحكاه الفراء في معاني القرآن: ٢٥٢/٣. دون نسبة
(١٥) غريب القرآن: ٤٤٨.
(١٦) النكت والعيون: ١٥٢/٣.
(١٧) تفسير الطبري: ٣٣٢/٢٤.
(١٨) التفسير الميسر: ٥٩٠.
(١٩) تفسير الطبري: ٣٣٢/٢٤.
(٢٠) أخرجه الطبري: ٣٣٢/٢٤.

عن عمار، قال: قال أبو هريرة: "«{الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ}: يَوْمُ الْقِيَامَةِ». قال يونس، وكذلك الحسن"[١].

عن أبي مالك الأشعريّ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « {الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ}: يوم القيامة»[٢].

عن أبي هريرة، وقتادة، وابن زيد:"{وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ}، يعني: يوم القيامة"[٣].

قال قتادة: "اليوم الموعود ، يوم القيامة "[٤].

قوله تعالى:{وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ} [البروج : ٣]، أي:" وشاهد يشهد، ومشهود يشهد عليه"[٥].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ} [البروج : ٣]، أقوال :

أحدها: أن الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة، رواه أبو هريرة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-[٦]، وبه قال علي بن أبي طالب[٧]، وابن عباس -في رواية-[٨]، وعمار مولى بني هاشم[٩]، والحسن[١٠]، وقتادة[١١]، وابن زيد[١٢]، وبه قال الزجاج[١٣].

عن علي بن زيد، ويونس بن عبيد، يحدثان عن عمار، مولى بني هاشم، عن أبي هريرة - أما علي، فرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأما يونس، فلم يعد أبا هريرة -، أنه قال في هذه الآية: {وشاهد ومشهود} [البروج: ٣]، قال - يعني -: " الشاهد يوم عرفة، واليوم الموعود: يوم القيامة "[١٤].

عن عبد الله بن رافع، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اليوم الموعود يوم القيامة، واليوم المشهود يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة، وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل منه، فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير إلا استجاب الله له، ولا يستعيذ من شيء إلا أعاذه الله منه»[١٥].

عن عمار مولى بني هاشم، يحدث عن أبي هريرة، قال في هذه الآية: {وشاهد ومشهود} [البروج: ٣] ، قال: " الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة، والموعود: يوم القيامة "[١٦].

عن عمار، قال: قال أبو هريرة: "الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة"[١٧].

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٣٢/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٣٣٣/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٣٣٣/٢٤.
(٤) أخرجه عبدالرزاق(٣٥٦١):ص٤١١/٣.
(٥) التفسير الميسر: ٥٩٠.
(٦)مسند احمد(٧٩٧٢):ص٣٥١/١٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٣/٢٤، وتفسير عبدالرزاق(٣٥٦٤):ص٤١٢/٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٣/٢٤-٣٣٤.
(٩) انظر: مسند أحمد (٧٩٦٠):ص٩١/٨. إسناده صحيح، ولفظه موثق.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٣/٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٤/٢٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٤/٢٤.
(١٣) انظر: معاني القرآن: ٣٠٧/٥.
(١٤) مسند احمد(٧٩٧٢):ص٣٥١/١٣. المرفوع منه ضعيف لضعف علي بن زيد -وهو ابن جدعان-، والموقوف لا بأس به رجاله رجال الصحيح. عمار مولى بني هاشم: هو ابن أبي عمار.
(١٥) سنن الترمذي(٣٣٣٩):ص٢٩٣/٥، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٠٤):ص٣٤١٣/١٠. وحسنه الألباني في الصحيحة تحت حديث: ١٥٠٢ وهداية الرواة: ١٣١١.
قلت: الحديث ضعيف مرفوعا. فيه موسى بن عبيدة الربذي يكني أبا عبد العزيز، وقد تكلم فيه يحيى وغيره من قبل حفظه.
(١٦) مسند احمد(٧٩٧٣):ص٣٥٢/١٣.
(١٧) أخرجه الطبري: ٣٣٣/٢٤.

عن سعيد بن المسَيَّب أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن سيد الأيام يوم الجمعة، وهو الشاهدُ، والمشهود يوم عرفة"[١].

عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اليوم الموعود يوم القيامة، وإن الشاهد يوم الجمعة، وإن المشهود يوم عرفة، ويوم الجمعة ذخره الله لنا"[٢].

فعلى هذا سمي يومُ الجمعة شاهداً، لأنه يشهد على كل عامل بما يعمل فيه، وسمي يومُ عرفة مشهوداً، لأن الناس يشهدون فيه موسم الحج، وتشهده الملائكة[٣].

عن حارثة بن مضرِّب، عن عليّ -رضى الله عنه-:" أنه قال في هذه الآية: {وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ}، قال: يوم الجمعة، ويوم عرفة"[٤].

قال علي-رضي الله عنه-:"الشاهد يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة"[٥].

قال قتادة:" الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة"[٦].

قال قتادة:" يومان عظيمان من أيام الدنيا، كنا نحدّث أن الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة"[٧].

قال ابن عباس:" الشاهد يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة"[٨].

الثاني: أن الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم النحر، قاله ابن عمر[٩].

الثالث: أن الشاهد: يوم عرفة، والمشهود: يوم القيامة. قاله الحسن بن عليّ[١٠]، ورواه مجاهد عن ابن عباس[١١].

الرابع : أن الشاهد: يوم الأضحى، والمشهود: يوم عَرَفة. رواه مجاهد عن ابن عباس[١٢].

الخامس: أنّ الشّاهد: محمّد صلّى الله عليه وسلم، والمشهود: يوم القيامة، رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس[١٣]، وبه قال الحسن بن علي[١٤].

السادس : أن الشاهد: يوم القيامة، والمشهود: الناس، قاله جابر بن عبد الله[١٥].

السابع : أن الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم القيامة، يشهده الأولون والآخرون. قاله الحسن[١٦].

الثامن : أن الشاهد: يوم التروية، والمشهود: يوم عرفة، قاله سعيد بن المسيب[١٧].

التاسع : أنّ الشاهد ابن آدم، والمشهود: يوم القيامة، قاله عكرمة[١٨]، والضحاك[١٩]، ورواه ابن أبي نجيح وليث عن مجاهد[١].

---

(١) أخرجه الطبري:٣٣٤/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري:٣٣٤/٢٤-٣٣٥.
(٣) انظر: زاد المسير: ٤٢٤/٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٣٣٣/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٣٣٤/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٣٣٤/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٣٣٤/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٣٣٣/٢٤-٣٣٤.
(٩) انظر: زاد المسير: ٤٢٤/٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٦/٢٤.
(١١) انظر: زاد المسير: ٤٢٤/٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٦/٢٤.
(١٣) انظر: زاد المسير: ٤٢٤/٤.
(١٤) انظر: زاد المسير: ٤٢٤/٤.
(١٥) انظر: زاد المسير: ٤٢٤/٤.
(١٦) انظر: الكشف والبيان: ١٦٦/١٠.
(١٧) انظر: الكشف والبيان: ١٦٦/١٠.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٦/٢٤.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٦/٢٤.

العاشر : أن الشاهد: آدم، والمشهود: يوم القيامة. رواه ابن أبي نجح عن مجاهد[٢].
الحادي عشر: أنّ الشاهد: آدم، وذريته، والمشهود يوم القيامة، قاله عطاء بن يسار[٣].
الثاني عشر: أن الشاهد: الإنسان، والمشهود: الله عزّ وجلّ، قاله محمد بن كعب[٤].
الثالث عشر: أن الشاهد: يوم النحر، والمشهود: يوم عرفة، قاله إبراهيم[٥].
الرابع عشر: أن الشاهد: الإنسان، والمشهود: يوم الجمعة رواه مجاهد عن ابن عباس[٦].
الخامس عشر: أن الشاهد: يوم الذبح، والمشهود: يوم الجمعة، وهذا القول مروي عن ابن عمر[٧]، وابن الزبير[٨].
السادس عشر : أنّ الشاهد: عيسى ابن مريم عليه السلام، والمشهود: أمته، قاله أبو مالك[٩].
ودليله قوله عزّ وجلّ: {وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المائدة : ١١٧].
السابع عشر: أنّ الشاهد: محمّد صلّى الله عليه وسلم، والمشهود: أمته، قاله عبد العزيز بن يحيى[١٠]، وبيانه: {وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا} [النساء : ٤١].
الثامن عشر: أن الشاهد: محمد، والمشهود: يوم القيامة. دليله: {ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ} [هود : ١٠٣]. رواه يوسف المكيّ، عن ابن عباس[١١]، وبه قال ابن الزبير[١٢]، والحسن بن علي[١٣].
قال الحسين بن علي:" الشاهد جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمشهود يوم القيامة، ثم تلا هذه الآية {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} [الأحزاب: ٤٥] ، ثم تلا : {ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ} [هود: ١٠٣]"[١٤].
وروي عن سعيد بن المسيب: {وَمَشْهُودٍ}: يوم القيامة"[١٥].
التاسع عشر : أن الشاهد: محمد-صلى الله عليه وسلم-، والمشهود: يوم الجمعة. رواه يزيد عن عكرمة[١٦].
العشرون : أن الشاهد: محمد، والمشهود: يوم عرفة، قاله الضحاك[١٧].
الواحد والعشرون : أن الشاهد: هذه الأمة، والمشهود: سائر الناس، قاله الحسين بن الفضل[١٨]، ودليله: {لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ}.

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٥/٢٤. رواية ابن أبي نجيح عنه، وانظر: الكشف والبيان: ١٦٦/١٠، رواية ليث عنه.
(٢) انظر: الكشف والبيان: ١٦٦/١٠.
(٣) انظر: الكشف والبيان: ١٦٦/١٠.
(٤) انظر: الكشف والبيان: ١٦٦/١٠.
(٥) انظر: زاد المسير: ٤٢٤/٤.
(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٠٥)ً:٣٤١٣/١٠.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٥/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٥/٢٤.
(٩) انظر: الكشف والبيان: ١٦٦/١٠.
(١٠) انظر: الكشف والبيان: ١٦٦/١٠.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٥/٢٤.
(١٢) انظر: تفسير السمعاني: ١٩٤/٦.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٥/٢٤.
(١٤) المعجم الأوسط للطبراني(٩٤٨٢):ص١٨٢/٩.
(١٥) أخرجه الطبري: ٣٣٥/٢٤.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٦/٢٤.
(١٧) انظر: زاد المسير: ٤٢٤/٤.
(١٨) انظر: الكشف والبيان: ١٦٦/١٠.

الثاني والعشرون : أن الشاهد: الحفظة، والمشهود: بنو آدم، قاله محمد بن علي الترمذي[١]، وحكي السدي نحوه[٢].
الثالث والعشرون: أن الشاهد: الملك يشهد على آدم، والمشهود: يوم القيامة. ودليله هاتين الآيتين: {وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ} [ق : ٢١] {وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ} [هود : ١٠٣]. قاله عكرمة[٣].
الرابع والعشرون: أن الشاهد: الحق، والمشهود: الكون، قاله الجنيد[٤].
وحكي الثعلبي:" الشاهد: الحق، والمشهود: الخلق"[٥].
الخامس والعشرون: أن الشاهد، الحجر الأسود، والمشهود: الحجّاج. رواه الثعلبي عن أبي بكر محمد بن أحمد بن نحيد القطان البلخي[٦].
السادس والعشرون: أنّ الشاهد: الأنبياء، والمشهود: محمّد -صلّى الله عليه وسلم-، وبيانه: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} [آل عمران : ٨١]. حكاه الثعلبي[٧].
السابع والعشرون : أن الشاهد: هو الله، والمشهود: بنو آدم، قاله سعيد بن جبير[٨].
الثامن والعشرون : أن الشاهد: هو الله، والمشهود: يوم القيامة. رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٩].
التاسع والعشرون : أن الشاهد: هو الله، والمشهود: محمد-صلى الله عليه وسلم-. بيانه قوله سبحانه: {وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} [النساء : ٧٩]، وقوله سبحانه: { {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ} [الأنعام : ١٩]. قاله سعيد بن حسن[١٠].
الثلاثون : أنّ الشاهد: الله عزّ وجلّ، والملائكة، وأولو العلم، والمشهود: لا إله إلا الله، وبيانه: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران : ١٨]. حكاه الثعلبي[١١].
الواحد والثلاثون : أنّ الشاهد: الأنبياء، والمشهود: الأمم، حكاه ابن الجوزي عن الشيخ علي بن عبيد الله[١٢].
الثاني والثلاثون : أن الشاهد: يوم القيامة، والمشهود: الناس. قاله جابر بن عبدالله[١٣].
الثالث والثلاثون : أن الشاهد: أفعال العبد، والمشهود: العبد. حكاه الثعلبي[١٤].
الرابع والثلاثون : أن الشاهد: يوم الإثنين، والمشهود: يوم الجمعة. حكاه الثعلبي[١٥].

---

(١) انظر: الكشف والبيان: ١٠/١٦٧.
(٢) انظر: تفسير السمعاني: ٦/١٩٤، حكي عن السدي:" أن الشاهد هو الملائكة، والمشهود هو الإنسان".
(٣) انظر: الكشف والبيان: ١٠/!٦٦.
(٤) انظر: زاد المسير: ٤/٤٢٤.
(٥) الكشف والبيان: ١٠/!٦٨.
(٦) انظر: الكشف والبيان: ١٠/١٦٧، وزاد المسير: ٤/٤٢٤.
(٧) انظر: الكشف والبيان: ١٠/١٦٧، وزاد المسير: ٤/٤٢٤-٤٢٥.
(٨) انظر: زاد المسير: ٤/٤٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٣٣٦.
(١٠) انظر: الكشف والبيان: ١٠/١٦٦.
(١١) انظر: الكشف والبيان: ١٠/١٦٧.
(١٢) انظر: زاد المسير: ٤/٤٢٥.
(١٣) انظر: الكشف والبيان: ١٠/!٦٦.
(١٤) الكشف والبيان: ١٠/١٦٨.
(١٥) الكشف والبيان: ١٠/١٦٨.

قال السمعاني:" وشهادة الأيام شهادتها على الأعمال، ومعنى المشهود في الأيام هو أنه يشهدها الناس، وهو في يوم القيامة على معنى أنه تشهده الملائكة وجميع الخلائق"[١].

الخامس والثلاثون : أن الشاهد: الليالي والأيام، والمشهود: بنو آدم، دليله الخبر المروي:" عن الحسن، قال: " ليس يوم يأتي من أيام الدنيا إلا يتكلم يقول: يا أيها الناس إني يوم جديد، وأنا على من يعمل في شهيد، وإني لو غربت الشمس لم أرجع إليكم إلى يوم القيامة"[٢]. حكاه الثعلبي[٣].

السادس والثلاثون :ن الشاهد: الملائكة المتعاقبون في الأمة، والمشهود: قرآن الفجر، وتفسيره قول الله تعالى: {إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً} [الإسراء: ٨٧]. حكاه الزمخشري[٤].

السابع والثلاثون : أن الشاهد، النجم، والمشهود عليه الليل والنهار، أي: يشهد النجم بإقبال هذا وتمام هذا، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «حتى يطلع الشاهد»[٥]، والشاهد النجم. حكاه الزمخشري[٦].

قال الشوكاني:" وهذه التفاسير عن الصحابة رضي الله عنهم قد اختلفت كما ترى، وكذلك اختلفت تفاسير التابعين بعدهم، واستدل من استدل منهم بآيات ذكر الله فيها أن ذلك الشيء شاهد أو مشهود، فجعله دليلا على أنه المراد بالشاهد والمشهود في هذه الآية المطلقة، وليس ذلك بدليل يستدل به على أن الشاهد والمشهود المذكورين في هذا المقام هو ذلك الشاهد والمشهود الذي ذكر في آية أخرى، وإلا لزم أن يكون قوله هنا: «وشاهد ومشهود» هو جميع ما أطلق عليه في الكتاب العزيز أو السنة المطهرة أنه يشهد أو أنه مشهود، وليس بعض ما استدلوا به مع اختلافه بأولى من بعض، ولم يقل قائل بذلك. فإن قلت: هل في المرفوع الذي ذكرته من حديثي أبي هريرة، وحديث أبي مالك، وحديث جبير بن مطعم ومرسل سعيد بن المسيب ما يعين هذا اليوم الموعود، والشاهد والمشهود؟ قلت: أما اليوم الموعود فلم تختلف هذه الروايات التي ذكر فيها، بل اتفقت على أنه يوم القيامة، وأما الشاهد ففي حديث أبي هريرة الأول أنه يوم الجمعة[٧]، وفي حديثه الثاني أنه يوم عرفة ويوم الجمعة[٨]، وفي حديث أبي مالك[٩] أنه يوم الجمعة، وفي حديث جبير[١٠] أنه يوم الجمعة، وفي مرسل سعيد[١١] أنه يوم الجمعة، فاتفقت هذه

---

(١) تفسير السمعاني: ١٩٥/٦.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الزهد (٤٢٤):ص١٨٦، وفي كلام الليالي والأيام(٢٢):ص٢٤.

(٣) انظر: الكشف والبيان: ١٦٧/١٠.

(٤) انظر: الكشاف: ٤٦١/٥.

(٥) صحيح مسلم(٨٣٠):ص٥٨٦/١، ومسند ابن أبي شيبة(٦٩٧):ص٢١٢/٢، وسنن النسائي(٥٢١):ص٢٥٩/١.

عن أبي بصرة الغفاري، قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر بالمخمص، فقال: «إن هذه الصلاة عرضت على من كان قبلكم فضيعوها، فمن حافظ عليها كان له أجره مرتين، ولا صلاة بعدها حتى يطلع الشاهد»، والشاهد: النجم.

(٦) انظر: الكشاف: ٤٦١/٥.

(٧)أخرج عبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه، والبيهقي في سننه، عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اليوم الموعود يوم القيامة، واليوم المشهود يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة، وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل منه، فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير إلا استجاب الله له، ولا يستعيذ من شيء إلا أعاذه منه».[فتح القدير للشوكاني: ٥٠٣/٥]

(٨)أخرج الحاكم وصححه، وابن مردويه والبيهقي عن أبي هريرة رفعه: وشاهد ومشهود قال: «الشاهد يوم عرفة ويوم الجمعة، والمشهود هو الموعود يوم القيامة». [فتح القدير للشوكاني: ٥٠٣/٥]

(٩)أخرج ابن جرير والطبراني وابن مردويه من طريق شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اليوم الموعود: يوم القيامة، والشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة».[فتح القدير للشوكاني: ٥٠٣/٥]

(١٠)أخرج ابن مردويه وابن عساكر عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآية: «الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة».[فتح القدير للشوكاني: ٥٠٣/٥]

(١١)أخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه عن سعيد بن المسيب قال: قال رسول الله

الأحاديث عليه، ولا تضر زيادة يوم عرفة في حديث أبي هريرة الثاني، وأما المشهود ففي حديث أبي هريرة الأول أنه يوم عرفة، وفي حديثه الثاني أنه يوم القيامة، وفي حديث أبي مالك أنه يوم عرفة، وفي حديث جبير بن مطعم أنه يوم عرفة، وكذا في حديث سعيد فقد تعين في هذه الروايات أنه يوم عرفة، وهي أرجح من تلك الرواية التي صرح فيها بأنه يوم القيامة، فحصل من مجموع هذا رجحان ما ذهب إليه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة، وأما اليوم الموعود فقد قدمنا أنه وقع الإجماع على أنه يوم القيامة"[١].

قال البغوي:" الأكثرون: أن الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم النحر"[٢].

وتوقف ابن جرير الطبري وابن كثير ولم يرجّحا، أما الطبري فقال:" والصواب من القول في ذلك عندنا: أن يقال: إن الله أقسم بشاهد شهد، ومشهود شهد، ولم يخبرنا مع إقسامه بذلك أيّ شاهد وأيّ مشهود أراد، وكلّ الذي ذكرنا أن العلماء قالوا: هو المعنيّ مما يستحقّ أن يُقال له:{وشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ}"[٣].

وقال السعدي:" {وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ} وشمل هذا كل من اتصف بهذا الوصف أي: مبصر ومبصر، وحاضر ومحضور، وراء ومرئي"[٤].

وفي جواب القسم أقوال:

أحدها: أنه قوله عزّ وجلّ: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ}، قاله قتادة[٥]، والزجاج[٦].

قال قتادة:" وقع القسم –هاهنا- :{إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ}"[٧].

الثاني: أنه قوله تعالى: {قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ}، كما أنّ القسم في قوله عزّ وجلّ: {وَالشَّمْسِ وَضُحاها} ... {قَدْ أَفْلَحَ}، حكاه الفراء[٨].

الثالث: أنه متروك، وهذا اختيار ابن جرير[٩].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: جواب القسم في ذلك متروك، والخبر مستأنف؛ لأن علامة جواب القسم لا تحذفها العرب من الكلام إذا أجابته"[١٠].

قوله تعالى:{قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ} [البروج : ٤]، أي:" لُعن الذين شَقُّوا في الأرض شقًّا عظيمًا؛ لتعذيب المؤمنين"[١١].

قال الطبري:" يقول: لعن أصحاب الأخدود"[١٢].

قال ابن الجوزي:" لُعِنَ أصحاب الأخدود الذين ألقوا المؤمنين والمؤمنات في الأخدود"[١]. والأخدود شق يشق في الأرض، والجمع: أخاديد. وهؤلاء قوم حفروا حفائر في الأرض وأوقدوا فيها النار، وألقَوا فيها من لم يكفر"[٢].

صلى الله عليه وسلم: «إن سيد الأيام يوم الجمعة وهو الشاهد، والمشهود: يوم عرفة».[فتح القدير للشوكاني: ٥٠٣/٥]

(١) فتح القدير: ٥٠٤/٥.

(٢) تفسير البغوي: ٣٧٨/٨. ونقله عنه ابن كثير في تفسيره: ٣٦٦/٨

(٣) تفسير الطبري: ٣٣٧/٢٤.

(٤) تفسير السعدي: ٩١٨.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٠/٢٤، وزاد المسير: ٤٢٥/٤.

(٦) انظر: معاني القرآن: ٣٠٧/٥.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٤٠/٢٤.

(٨) انظر: معاني القرآن: ٢٥٣/٣.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٠/٢٤.

(١٠) تفسير الطبري: ٣٤٠/٢٤.

(١١) التفسير الميسر: ٥٩٠.

(١٢) تفسير الطبري: ٣٣٧/٢٤.

قال الزجاج:" الأخدود: شق في الأرض، ويجمع: أخاديد"[٣].

عن قتادة :{قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ}، قال: يعني: القاتلين الذين قتلوهم يوم قتلوا"[٤].

قال ابن كثير:" أي : لعن أصحاب الأخدود، وجمعه : أخاديد، وهي الحفير في الأرض، وهذا خبر عن قوم من الكفار عَمَدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله، عز وجل، فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم، فأبوا عليهم، فحفروا لهم في الأرض أخدُودًا وأججوا فيه نار، وأعدوا لها وقودًا يسعرونها به، ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم، فقذفوهم فيها"[٥].

وقد اختلف أهل العلم في «أصحاب الأخدود»، على ستة أقوال:

أحدها: أنه مَلِكٌ كان له ساحر فبعث إليه غلاماً يعلّمه السّحر، فكان الغلام يمرُّ على راهب، فأعجبه أمره، فتبعه، فعلم به المَلِك، فأمره أن يرجع عن دينه، فقال: لا أفعل، فاجتهد الملك في إهلاكه، فلم يقدر، فقال الغلام: لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به. اجمع الناس في صعيد واحد، واصلبني على جذع، وارمني بسهم من كنانتي، وقل: بسم الله ربِّ الغلام، ففعل، فمات الغلام، فقال الناس: آمنا برب الغلام، فخدَّ الأخاديد، وأضرم فيها النار، وقال: فمن لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها، ففعلوا، وهذا مختصر حديث صهيب عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم[٦].

---

(١) تفسير الطبري: ٣٤٢/٢٤.

(٢) زاد المسير: ٤٢٥/٤.

(٣) معاني القرآن: ٣٠٧/٥.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٣٨/٢٤. ورواية عبدالرزاق في التفسير(٣٥٦٧):ص٤١٢/٣: «يعني: القاتلين الذين قتلوا , ثم قتلوا»

(٥) تفسير ابن كثير: ٣٦٦/٨.

(٦)صحيح. أخرجه مسلم ٣٠٠٥ وابن حبان ٨٧٣ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٤٥٩- ٤٦٠ من طريق هدبة بن خالد به. من حديث صهيب. وأخرجه الطبري (٣٦٨٧٤):ص ٣٣٩/٢٤-٣٤٠ من طريق حرمي بن عمارة ثنا حماد بن سلمة به. وأخرجه الترمذي ٣٣٤٠ وعبد الرزاق ٩٧٥١ والطبراني ٧٣١٩ من طريق معمر عن ثابت به. وأخرجه النسائي في «الكبرى» ١١٦٦١ وأحمد ٦/ ١٧ و ١٨ والطبراني ٧٣٢٠ من طرق عن حماد بن سلمة به.

نص الحديث:« عن صهيب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كان فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مَلِكٌ، وَكَانَ لَهُ ساحِرٌ، فَأَتَى السَّاحِرُ المَلِكَ فَقَالَ: قَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَدَنَا أَجَلِي، فَادْفَعْ لِي غُلامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ "، قال: " فَدَفَعَ إِلَيْهِ غُلامًا يُعَلِّمُهُ السِّحْرَ "، قَالَ: " فَكَانَ الغُلامُ يَخْتَلِفُ إلى السَّاحِرِ، وكَانَ بَيْنَ السَّاحِرِ وَبَيْنَ المَلِكِ رَاهِبٌ "، قال: " فَكَانَ الغُلامُ إِذَا مَرَّ بالرَّاهِبِ قَعَدَ إِلَيْهِ فَسَمِعَ مِنْ كَلامِهِ، فَأَعْجِبَ بِكَلامِهِ، فَكَانَ الغُلامُ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ وَقَالَ: مَا حَبَسَكَ؟ وَإِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَعَدَ عِنْدَ الرَّاهِبِ يَسْمَعُ كَلامَهُ، فَإِذَا رَجَعَ إلى أَهْلِهِ ضَرَبُوهُ وَقَالُوا: مَا حَبَسَكَ؟ فَشَكَا ذَلِكَ إِلى الرَّاهِبِ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: إِذَا قَالَ لَكَ السَّاحِرُ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْ حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا قَالَ أَهْلُكَ: مَا حَبَسَكَ؟ فَقُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ مَرَّ في طَرِيقٍ وَإِذَا دَابَّةٌ عَظِيمَةٌ فِي الطَّرِيقِ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ لا تَدَعُهُمْ يَجُوزُونَ، فَقَالَ الغُلامُ: الآنَ أَعْلَمُ: أَمْرُ السَّاحِرِ أَرْضَى عِنْدَ اللهِ أَمْ أَمْرُ الرَّاهِبِ؟ قَالَ: فَأَخَذَ حَجَرًا "، قَالَ: فَقَالَ: " اللَّهُمْ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ، فَإِنِّي أَرْمِي بِحَجَرِي هَذَا فَيَقْتُلُهُ وَيَمُرُّ النَّاسُ، قَالَ: فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَجَازَ النَّاسُ؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّاهِبَ "، قَالَ: وَأَتَاهُ الغُلامُ فَقَالَ الرَّاهِبُ لِلْغُلامِ: إِنَّكَ خَيْرٌ مِنِّي، وَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلا تَدُلَّنَّ عَلَيَّ "؛ قَالَ: " وَكَانَ الْغُلامُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَسَائِرَ الأَدواءِ، وَكَانَ لِلْمَلِكِ جَلِيسٌ، قَالَ: فَعَمِيَ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَاهُنَا غُلامًا يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَسَائِرَ الأَدْوَاءِ فَلَوْ أَتَيْتَهُ؟ قَالَ: " فَاتَّخَذَ لَهُ هَدَايا "؛ قَالَ: " ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: يَا غُلامُ، إِنْ أَبْرَأْتَنِي فَهَذِهِ الهَدَايَا كُلُّهَا لَكَ، فَقَالَ: مَا أَنَا بِطبيبٍ يشْفِيكَ، وَلَكِنَّ اللهَ يَشْفِي، فَإِذَا آمَنْتَ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يَشْفِيَكَ "، قَالَ: " فَآمَنَ ن صهيب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كان فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مَلِكٌ، وَكَانَ لَهُ ساحِرٌ، فَأَتَى السَّاحِرُ المَلِكَ فَقَالَ: قَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَدَنَا أَجَلِي، فَادْفَعْ لِي غُلامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ "، قال: " فَدَفَعَ إِلَيْهِ غُلامًا يُعَلِّمُهُ السِّحْرَ "، قَالَ: " فَكَانَ الغُلامُ يَخْتَلِفُ إلى السَّاحِرِ، وكَانَ بَيْنَ السَّاحِرِ وَبَيْنَ المَلِكِ رَاهِبٌ "، قال: " فَكَانَ الغُلامُ إِذَا مَرَّ بالرَّاهِبِ قَعَدَ إِلَيْهِ فَسَمِعَ مِنْ كَلامِهِ، فَأَعْجِبَ بِكَلامِهِ، فَكَانَ الغُلامُ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ وَقَالَ: مَا حَبَسَكَ؟ وَإِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَعَدَ عِنْدَ الرَّاهِبِ يَسْمَعُ كَلامَهُ، فَإِذَا رَجَعَ إلى أَهْلِهِ ضَرَبُوهُ وَقَالُوا: مَا حَبَسَكَ؟ فَشَكَا ذَلِكَ إِلى الرَّاهِبِ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: إِذَا قَالَ لَكَ السَّاحِرُ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْ حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا قَالَ أَهْلُكَ: مَا حَبَسَكَ؟ فَقُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ مَرَّ في طَرِيقٍ وَإِذَا دَابَّةٌ عَظِيمَةٌ فِي الطَّرِيقِ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ لا تَدَعُهُمْ يَجُوزُونَ، فَقَالَ الغُلامُ: الآنَ أَعْلَمُ: أَمْرُ السَّاحِرِ أَرْضَى عِنْدَ اللهِ أَمْ أَمْرُ الرَّاهِبِ؟ قَالَ: فَأَخَذَ حَجَرًا "، قَالَ: فَقَالَ: " اللَّهُمْ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ، فَإِنِّي أَرْمِي بِحَجَرِي هَذَا فَيَقْتُلُهُ وَيَمُرُّ النَّاسُ، قَالَ: فَرَمَاهَا

وقد أورد محمد بن إسحاق بن يَسَار هذه القصة في السيرة بسياق آخر، فيها مخالفة لما تقدم[1].

فَقَتَلَهَا، وَجَازَ النَّاسُ؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّاهِبَ "، قَالَ: وَأَتَاهُ الْغُلامُ فَقَالَ الرَّاهِبُ لِلْغُلامِ: إِنَّكَ خَيْرٌ مِنِّي، وَإِن ابْتُلِيتَ فَلا تَدُلَّنَّ عَلَيَّ "؛ قَالَ: " وَكَانَ الْغُلامُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَسَائِرَ الأَدواءِ، وَكَانَ لِلْمَلِكِ جَلِيسٌ، قَالَ: فَعَمِيَ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَاهُنَا غُلامًا يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَسَائِرَ الأَدْوَاءِ فَلَوْ أَتَيْتَهُ؟ قَالَ: " فَاتَّخَذَ لَهُ هَدَايا "؛ قَالَ: " ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: يَا غُلامُ، إِنْ أَبْرَأْتَنِي فَهَذِهِ الهَدَايَا كُلُّهَا لَكَ، فَقَالَ: مَا أَنَا بِطَبِيبٍ يشْفِيكَ، وَلَكِنَّ اللهَ يَشْفِي، فَإِذَا آمَنْتَ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يَشْفِيَكَ "، قَالَ: " فَآمَنَ الأَعْمَى، فَدَعَا اللهَ فَشَفَاهُ، فَقَعَدَ الأَعْمَى إِلى الْمَلِكِ كَمَا كَانَ يَقْعُدُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَلَيْسَ كُنْتَ أَعْمَى؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَنْ شَفَاكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيري؟ قَالَ: نَعَمْ رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ "، قَالَ: " فَأَخَذَهُ بِالْعَذَابِ فَقَالَ: لَتَدُلَّنِي عَلَى مَنْ عَلَّمَكَ هَذَا "، قَالَ: " فَدَلَّ عَلَى الغلامِ، فَدَعَا الْغُلامَ فَقَالَ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ "، قَالَ: " فَأَبَى الْغُلامُ "؛ قَالَ: فَأَخَذَهُ بِالْعَذَابِ "، قَالَ: " فَدَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَأَخَذَ الرَّاهِبَ فَقَالَ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى "، قَالَ: " فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ عَلَى هَامَتِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى بَلَغَ الأَرْضَ "، قَالَ: " وَأَخَذَ الأَعْمَى فَقَالَ: لَتَرْجِعَنَّ أَوْ لأَقْتُلَنَّكَ "، قَالَ: " فَأَبَى الأَعْمَى، فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ عَلَى هَامَتِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى بَلَغَ الأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ لِلْغُلامِ: لَتَرْجِعَنَّ أَوْ لأَقْتُلَنَّكَ "، قال: " فَأَبَى "، قَالَ: " فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ حَتَّى تَبْلُغُوا بِهِ ذِرْوَةَ الْجَبَلِ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلا فَدَهْدِهُوهُ، فَلَمَّا بَلَغُوا بِه ذِرْوَةَ الْجَبَلِ فَوَقَعُوا فَمَاتُوا كُلُّهُمْ. وَجَاءَ الْغُلامُ يَتَلَمَّسُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ: أَيْنَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ. قَالَ: فَاذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلا فَغَرِّقُوهُ " قال: " فَذَهَبُوا بِهِ، فَلَمَّا تَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ قَالَ الْغُلامُ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ. وَجَاءَ الْغُلامُ يَتَلَمَّسُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ الْمَلِكُ: أَيْنَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: دَعَوْتُ اللهَ فَكَفَانِيهِمْ، قَالَ: لأَقْتُلَنَّكَ، قَالَ: مَا أَنْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَصْنَعَ مَا آمُرُكَ "، قَالَ: " فَقَالَ الْغُلامُ لِلْمَلِكِ: اجْمَعِ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اصْلُبْنِي، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي فَارْمِنِي وَقُلْ: بِاسْمِ رَبِّ الْغُلامِ فَإِنَّكَ سَتَقْتُلُنِي "، قَالَ: " فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ "، قَالَ: " وَصَلَبَهُ وَأَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَوَضَعَهُ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ رَمَى، فَقَالَ: بِاسْمِ رَبِّ الْغُلامِ، فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِ الْغُلامِ، فَوَضَعَ يَدَهُ هَكَذَا عَلَى صُدْغِهِ وَمَاتَ الْغُلامُ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ، فَقَالُوا لِلْمَلِكِ: مَا صَنَعْتَ، الَّذِي كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ وَقَعَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِأَفْوَاهِ السِّكَكِ فَأُخِذَتْ، وَخَدَّ الأُخْدُودَ وضَرَّمَ فِيهِ النِّيرَانَ، وَأَخَذَهُمْ وَقَالَ: إِنْ رَجَعُوا وَإِلا فَأَلْقُوهُمْ فِي النَّار "، قَالَ: " فَكَانُوا يُلْقُونَهُمْ فِي النَّار "، قَالَ: " فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا "، قَالَ: " فَلَمَّا ذَهَبَتْ تَقْتَحِمُ وَجَدَتْ حَرَّ النَّار، فَنَكَصَتْ "، قَالَ: " فَقَالَ لَهَا صَبِيُّهَا يا أُمَّاهُ امْضِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ، فَاقْتَحَمَتْ فِي النَّار"».

(١) فقال : حدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرَظي - وحدثني أيضًا بعض أهل نجران، عن أهلها - : أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان، وكان في قرية من قراها قريبًا من نجران - ونجران هي القرية العظمى التي إليها جمَاعُ أهل تلك البلاد - ساحرٌ يعلم غلمان أهل نجران السحر فلما نزلها فَيمُون- ولم يسموه لي بالاسم الذي سماه ابن منبه، قالوا : رجل نزلها - ابتنى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي فيها الساحر، وجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر، فبعث الثامر ابنه عبد الله بن الثامر مع غلمان أهل نجران، فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من عبادته وصلاته، فجعل يجلس إليه ويسمع منه، حتى أسلم فوحد الله وعبده، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم، وكان يعلمه، فكتمه إياه وقال له : يا ابن أخي، إنك لن تحمله ؛ أخشى ضعفك عنه. والثامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان، فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه، وتخوف ضعفه فيه، عمد إلى أقداح فجمعها، ثم لم يبق لله اسما يعلمه إلا كتبه في قدْح، وكل اسم في قدح، حتى إذا أحصاها أوقد نارًا ثم جعل يقذفها فيها قدْحا قدْحًا، حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقدْحه، فوثب القدْح حتى خرج منها لم يضره شيء، فأخذه ثم أتى به صاحبه فأخبره أنه قد علم الاسم الأعظم الذي كتمه فقال : وما هو : قال : هو كذا وكذا. قال : وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع. قال : أي ابن أخي، قد أصبته فأمسك على نفسك، وما أظن أن تفعل. فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نجران لم يلق أحدًا به ضر إلا قال : يا عبد الله، أتوحدُ الله وتدخلُ في ديني وأدعو الله لك فيعافيكَ مما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم. فيوحد الله ويسلم، فيدعو الله له فَيشفَى حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه، فاتبعه على أمره ودعا له فعوفي، حتى رُفع شأنه إلى ملك نجران، فدعاه فقال له : أفسدت عليّ أهل قريتي، وخالفت ديني ودين آبائي، لأمثلنّ بك. قال : لا تقدر على ذلك. قال : فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل، فَيُطرح على رأسه، فيقع إلى الأرض ما به بأس، وجعل يبعث به إلى مياه نجران، بُحور لا يلقى فيها شيء إلا هلك، فيلقى به فيها، فيخرج ليس به بأس. فلما غلبه قال له عبد الله بن الثامر : إنك - والله - لا تقدر على قتلي حتى تُوَحّدَ الله فَتُؤمن بما آمنت به، فإنك إن فعلت سُلّطتَ عليّ فقتلتني. قال : فوحّدَ الله ذلك الملك، وشهد شهادة عبد الله بن الثامر، ثم ضربه بعصا في يده فشجه شجة غير كبيرة، فقتله، وهلك الملك مكانه. واستجمع أهلُ نجران على دين عبد الله بن الثامر - وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم، عليه السلام، من الإنجيل وحُكمه - ثم أصابهم ما أصاب أهلَ دينهم من الأحداث، فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران.

الثاني: أن ملكاً من الملوك سكر، فوقع على أخته، فلما أفاق قال لها: ويحك: كيف المخرج؟ فقالت له: اجمع أهل مملكتك فأخبرهم أنّ الله عزّ وجلّ قد أحَلَّ نكاح الأخوات، فإذا ذهب هذا في الناس وتناسَوه، خطبتَهم فحرَّمته. ففعل ذلك، فأبوا أن يقبلوا ذلك منه، فبسط فيهم السّوط، ثم جرَّد

قال ابن إسحاق : فهذا حديث محمد بن كعب القرظي وبعض أهل نجران عن عبد الله بن الثامر، والله أعلم أيّ ذلك كان. قال : فسار إليهم ذو نواس بجنده، فدعاهم إلى اليهودية، وخيَّرهم بين ذلك أو القتل، فاختاروا القتل، فخدّ الأخدود، فحرق بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم، حتى قتل منهم قريبًا من عشرين ألفا، ففي ذي نواس وجنده أنزل الله، عز وجل، على رسوله صلى الله عليه وسلم :{قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد}"[السيرة النبوية لابن هشام (٣٤/١)].

قال ابن كثير:" هكذا ذكر محمد بن إسحاق في السيرة أن الذي قتل أصحاب الأخدود هو ذو نواس، واسمه : زرعة، ويسمَّى في زمان مملكته بيوسف، وهو ابن تِبَان أسعد أبي كَرب، وهو تُبَّع الذي غزا المدينة وكسى الكعبة، واستصحب معه حبرين من يهود المدينة، فكان تَهَوّد من تَهَوّد من أهل اليمن على يديهما، كما ذكره ابن إسحاق مَبسوطًا، فقتل ذو نواس في غداة واحدة في الأخدود عشرين ألفا، ولم ينج منهم سوى رجل واحد يقال له : دوس ذو ثَعلبان، ذهب فارسا، وطَرَدُوا وراءه فلم يُقدَر عليه، فذهب إلى قيصر ملك الشام، فكتب إلى النجاشي ملك الحبشة، فأرسل معه جيشًا من نصارى الحبشة يقدمهم أرياط وأبرهة، فاستنقذوا اليمن من أيدي اليهود، وذهب ذو نواس هاربًا فَلَجَّج في البحر، فغرق. واستمر مُلْكُ الحبشة في أيدي النصارى سبعين سنة، ثم استنقذه سيف ابن ذي يزن الحميري من أيدي النصارى، لما استجاش بكسرى ملك الفرس، فأرسل معه من في السجون، وكانوا قريبًا من سبعمائة، ففتح بهم اليمن، ورجع الملك إلى حمير. وسنذكر طرفًا من ذلك - إن شاء الله - في تفسير سورة :{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ}". [تفسير ابن كثير: ٣٦٩/٨-٣٧٠].

وقال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : أنه حُدِّث : أن رجلا من أهل نجران كان في زمان عمر بن الخطاب، حَفَر خَرِبَة من خَرِب نجران لبعض حاجته، فوجد عبد الله بن الثامر تحت دَفْن فيها قاعدا، واضعا يده على ضربة في رأسه، ممسكا عليها بيده، فإذا أخذت يده عنها ثَعبتْ دما، وإذا أرسلت يده رُدّت عليها، فأمسكت دمها، وفي يده خاتم مكتوب فيه : ربي الله. فكُتِب فيه إلى عمر بن الخطاب يخبره بأمره، فكتب عمر إليهم : أن أقرّوه على حاله، وردّوا عليه الدّفْن الذي كان عليه. ففعلوا ".[السيرة النبوية لابن هشام (٣٦/١)]

وقد قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، رحمه الله : حدثنا أبو بلال الأشعري، حدثنا إبراهيم بن محمد عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، حدثني بعض أهل العلم : أن أبا موسى لما افتتح أصبهان وجد حائطا من حيطان المدينة قد سقط، فبناه فسقط، ثم بناه فسقط، فقيل له : إن تحته رجلا صالحًا. فحفر الأساس فوجد فيه رجلا قائمًا معه سيف، فيه مكتوب : أنا الحارث بن مضاض، نقمت على أصحاب الأخدود. فاستخرجه أبو موسى، وبنى الحائط، فثبت.

قلت : هو الحارث بن مضاض بن عمرو بن مُضاض بن عمرو الجرهمي، أحد ملوك جرهم الذين ولوا أمر الكعبة بعد ولد نَبْت بن إسماعيل بن إبراهيم، وَوَلَدُ الحارث هذا هو : عمرو بن الحارث بن مضاض هو آخر ملوك جرهم بمكة، لما أخرجتهم خزاعة وأجلوهم إلى اليمن، وهو القائل في شعره الذي قال ابن هشام إنه أول شعر قاله العرب [السيرة النبوية لابن هشام (١١٥/١)]:

كَأن لم يَكُنْ بَين الحَجُون إلى الصّفا... أنِيسٌ، ولم يَسمُر بمكّة سَامِرُ

بَلَى، نَحنُ كُنَّا أهلَهَا فأبادَنَا... صُروفُ اللّيالي والجُدودُ العَوَاثِرُ

[نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٧٠/٨]

ثم قال ابن كثير:" وهذا يقتضي أن هذه القصة كانت قديما بعد زمان إسماعيل، عليه السلام، بقرب من خمسمائة سنة أو نحوها، وما ذكره ابن إسحاق يقتضي أن قصتهم كانت في زمان الفترة التي بين عيسى ومحمد، عليهما من الله السلام، وهو أشبه، والله أعلم.

وقد يحتمل أن ذلك قد وقع في العالم كثيرًا، كما قال ابن أبي حاتم : « عن عبد الرحمن بن جبير قال : كانت الأخدود في اليمن زمان تبع، وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد، فاتخذوا أتونا، وألقى فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد. وفي العراق في أرض بابل بختنصر، الذي وضع الصنم وأمر الناس أن يسجدوا له، فامتنع دانيال وصاحباه : عزريا وميشائيل، فأوقد لهم أتونا وألقى فيه الحطب والنار، ثم ألقاهما فيه، فجعلها الله عليهما بردًا وسلاما، وأنقذهما منها، وألقى فيها الذين بغوا عليه وهم تسعة رهط، فأكلتهم النار»[تفسير ابن كثير: ٣٧٠/٨-٣٧١]

السيف، فأبَوْا، فخدَّ لهم أخدودا، وأوقد فيه النار، وقذف من أبى قبول ذلك، قاله عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه[١].

الثالث: أنهم أناس اقتتل مؤمنوهم وكافروهم، فظهر المؤمنون، ثم تعاهدوا أن لا يَغدِر بعضهم ببعض، فغدر الكفار، فأخذوهم، فقال لهم رجل من المؤمنين: أوقدوا ناراً، واعرضوا عليها، فمن تابعكم على دينكم، فذاك الذي تحبون، ومن لم يتابعكم أُقحم النار فاسترحتم منه. ففعلوا، فجعل المسلمون يقتحمونها، ذكره قتادة[٢].

الرابع: أن قوماً من المؤمنين اعتزلوا الناس في الفترة، فأرسل إليهم جبَّار من عبدة الأوثان، فعرض عليهم الدخول في دينه فأبوا، فخدّ لهم أخدودا، وألقاهم فيه، قاله الربيع بن أنس[٣].

---

(١)موقوف. أخرجه الطبري (٣٦٨٦٨):ص ٣٣٧/٢٤-٣٣٨، عن علي موقوفا، وإسناده ضعيف، فيه إرسال بين ابن أبزى وبين علي.

ونص الحديث:« عن جعفر عن ابن أبزي، قال: "لما رجع المهاجرون من بعض غزواتهم، بلغهم نعي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال بعضهم لبعض: أيّ الأحكام تجري في المجوس، وإنهم ليسوا بأهل كتاب، وليسوا من مشركي العرب، فقال عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه: قد كانوا أهل كتاب، وقد كانت الخمر أُحلّت لهم، فشربها ملك من ملوكهم حتى ثمل منها، فتناول أخته فوقع عليها، فلما ذهب عنه السكر قال لها: ويحك، فما المخرج مما ابتليتُ به؟ فقالت: اخطب الناس، فقل: يأيُّها الناس إن الله قد أحلّ نكاح الأخوات، فقام خطيبًا، فقال: يأيُّها الناس إن الله قد أحلّ نكاح الأخوات، فقال الناس: إنا نبرأ إلى الله من هذا القول، ما أتانا به نبيٌّ، ولا وجدناه في كتاب الله، فرجع إليها نادمًا، فقال لها: ويحك، إن الناس قد أبوا عليّ أن يقرّوا بذلك، فقالت: ابسط عليهم السِّياط، ففعل، فبسط عليهم السياط، فأبَوا أن يقرّوا، فرجع إليها نادمًا، فقال: إنهم أبوا أن يقرّوا، فقالت: اخطبهم، فإن أبوا فجرّد فيهم السيف، ففعل، فأبى عليه الناس، فقال لها: قد أبى عليّ الناس، فقالت: خدّ لهم الأخدود، ثم اعرض عليها أهل مملكتك، فمن أقرّ، وإلا فاقذفه في النار، ففعل، ثم عرض عليها أهل مملكته، فمن لم يقرّ منهم قذفه في النار، فأنزل الله فيهم: {قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ} إلى {أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} حرّقوهم {ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ}، فلم يزالوا منذ ذلك يستحلون نكاح الأخوات والبنات والأمهات».

.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٣٨/٢٤. عن قتادة، قوله: "{قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ}، قال: حُدِّثنا أنّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه كان يقول: هم ناس بمذارع اليمن، اقتتل مؤمنوها وكفارها، فظهر مؤمنوها على كفارها، ثم اقتتلوا الثانية، فظهر مؤمنوها على كفارها ثم أخذ بعضهم على بعض عهدًا ومواثيق أن لا يغدر بعضهم ببعض، فغدر بهم الكفار فأخذوهم أخذًا، ثم إن رجلا من المؤمنين قال لهم: هل لكم إلى خير، توقدون نارًا ثم تعرضوننا عليها، فمن تابعكم على دينكم فذلك الذي تشتهون، ومن لا اقتحم النار، فاسترحتم منه، قال: فأجَّجوا نارًا وعُرِضوا عليها، فجعلوا يقتحمونها صناديدهم، ثم بقيت منهم عجوز كأنها نكصت، فقال لها طفل في حجرها: يا أماه امضي ولا تنافقي. قصّ الله عليكم نبأهم وحديثهم".

(٣) أخرجه الطبري: ٣٤٠/٢٤. عن الربيع بن أنس، قال: "كان أصحاب الأخدود قومًا مؤمنين اعتزلوا الناس في الفترة، وإن جبارًا من عَبَدَة الأوثان أرسل إليهم، فعرض عليهم الدخول في دينه، فأبوا، فخدّ أخدودًا، وأوقد فيه نارًا، ثم خيرهم بين الدخول في دينه، وبين إلقائهم في النار، فاختاروا إلقاءهم في النار، على الرجوع عن دينهم، فألقوا في النار، فنجَّى الله المؤمنين الذين ألقوا في النار من الحريق، بأن قبض أرواحهم قبل أن تمسهم النار، وخرجت النار إلى من على شفير الأخدود من الكفار فأحرقتهم، فذلك قول الله: {فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ} في الآخرة {وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ} في الدنيا".

وأخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٠٩):ص٣٤١٣/١٠-٣٤١٤، عن الربيع بن انس:" سمعنا أنهم كانوا قوما في زمان الفترة، فلما رأوا ما وقع في الناس من الفتنة والشر وصاروا أحزابا كل حزب بما لديهم فرحون إعتزلوا إلى قرية سكنوها، وأقاموا على عبادة الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وكان هذا أمرهم حتى سمع بهم جبار من الجبارين وحدث حديثهم، فأرسل إليهم فأمرهم أن يعبدوا الأوثان التي اتخذوا، وأنهم أبوا عليه كلهم، وقالوا: لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له، فقال لهم: إن لم تعبدوا هذه الآلهة التي عبدت فإني قاتلكم فأبوا عليه، فحفر أخدودا من نار، وقال لهم الجبار- ووقفهم عليها-: إختاروا هذه أو الذي نحن فيه. فقالوا: هذه أحب إلينا. وفيهم نساء وذرية ففزعت الذرية فقالوا لهم: لا نار من بعد اليوم فوقعوا فيها فقبضت أرواحهم من قبل أن يمسهم حرها وخرجت النار من مكانها فأحاطت بالجبارين فأحرقهم الله بها، ففي ذلك أنزل الله عز وجل: {قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

الخامس: أن جماعة آمنوا من قوم يوسف بن ذي نواس بعد ما رفع عيسى، فخدّ لهم خدّا، وأوقد فيه النار، فأحرقهم كلهم، فأنزل الله تعالى: {قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ}، وهم: يوسف بن ذي نواس وأصحابه، قاله مقاتل[١].

السادس: أنهم قوم كانوا يعبدون صنماً، ومعهم قوم يكتمون إيمانهم، فعلموا بهم، فخدُّوا لهم أُخدوداً، وقذفوهم فيه، حكاه الزجاج[٢].

وروي عن عبد الرحمن بن جبير قال: "كانت الأخدود في اليمن زمان تبع، وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد، فاتخذوا أتونا، وألقى فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد. وفي العراق في أرض بابل بختنصر، الذي وضع الصنم وأمر الناس أن يسجدوا له، فامتنع دانيال وصاحباه: عزريا وميشائيل، فأوقد لهم أتونا وألقى فيه الحطب والنار، ثم ألقاهما فيه، فجعلها الله عليهما بردا وسلاما وأنقذهما منها وألقى فيها الذين بغوا عليه وهم تسعة رهط فأكلتهم النار"[٣].

واختلفوا في الذين أُحرقوا على خمسة أقوال:

أحدها: أنهم كانوا من الحبشة، قاله –عليّ- عليه السلام-[٤].

عن علي-رضي الله عنه-:{قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ}، قال:" هم الحبشة"[٥].

قال علي-رضي الله عنه-:" كان نبي أصحاب الأخدود حبشيا"[٦].

الثاني: من بني إسرائيل، قاله ابن عباس[٧].

قال ابن عباس:" هم ناس من بني إسرائيل خدّوا أخدودًا في الأرض، ثم أوقدوا فيها نارًا، ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالا ونساء، فعُرِضوا عليها، وزعموا أنه دانيال وأصحابه"[٨].

وقال الضحاك:" يزعمون أن أصحاب الأخدود من بني إسرائيل، أخذوا رجالا ونساء، فخدّوا لهم أخدودًا، ثم أوقدوا فيها النيران، فأقاموا المؤمنين عليها، فقالوا: تكفرون أو نقذفكم في النار"[٩].

الثالث: من أهل اليمن، قاله الحسن[١٠].

قال الضحاك: "كانوا من نصارى اليمن، وذلك قبل مبعث رسول الله صلّى الله عليه وسلم بأربعين سنة"[١١].

شَهِيدٌ (٩)} [البروج : ٤ - ٩]".

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٧/٤-٦٤٨. قال مقاتل:" وذلك أن يوسف بن ذي نواس من أهل نجران كان حفر خدا وأوقد فيه النار فمن تكلم منهم بالتوحيد أحرقه بالنار، وذلك أنه كان قد آمن من قومه ثمانون رجلا وتسع نسوة فأمرهم أن يرتدوا عن الإسلام فأبوا فأخبرهم أنه سيعذبهم بالنار فرضوا لأمر الله- عز وجل- فأحرقهم كلهم، فلم يزل يلقى واحدا بعد واحد في النار حتى مرت امرأة ومعها صبي لها صغير يرضع فلما نظرت المرأة إلى ولدها أشفقت عليه، فرجعت فعرضوا عليها أن تكفر فأبت فضربوها حتى رجعت فلم تزل ترجع مرة، وتشفق مرة، حتى تكلم الصبي فقال لها: يا أماه [٢٣٥ ب] إن بين يديك نارا لا تطفأ أبدا، فلما سمعت قول الطفل أحضرت حتى ألقت نفسها في النار، فجعل الله- عز وجل- أرواحهم في الجنة، وأوحى الله- تبارك وتعالى- إلى نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم- {قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ} يوسف بن ذي نواس وأصحابه".

(٢) انظر: معاني القرآن: ٣٠٧/٥.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٠٨):ص٣٤١٣/١٠.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٠٦):ص٣٤١٣/١٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٠٦):ص٣٤١٣/١٠.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٠٦):ص٣٤١٣/١٠.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٨/٢٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٣٨/٢٤.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٣٩/٢٤.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٤٢٦/٤.

(١١) انظر: زاد المسير: ٤٢٦/٤.

الرابع: من أهل نجران، قاله مجاهد[١].

عن مجاهد، قوله: "{قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ}، قال: كان شقوق في الأرض بنَجْرَان كانوا يعذّبون فيها الناس"[٢].

الخامس: من النبط، قاله عكرمة[٣].

وقال السدي: "كانت الأخدود ثلاثة : خَدّ بالعراق، وخَدّ بالشام، وخَدّ باليمن"[٤].

وقال مقاتل:" كانت الأخاديدُ ثلاثةً: واحدة بنجران باليمن، والأخرى بالشام، والأخرى بفارس، حرّقوا بالنار، أمّا التي بالشام فهو بطيانوس بن بليس الرومي، أمّا التي بفارس فهو بخت نصر، وأمّا التي بأرض العرب فهو يوسف بن ذي نواس، فأمّا التي بفارس والشام فلم يُنزل الله سبحانه فيهما قرآنًا، وأنزل في التي كانت بنجران، وذلك أنّ رجلين مُسلِمَيْن ممّن يقرؤون الإنجيل أحدهما بأرض تِهامة والآخر بنجران اليمن، فأجّر أحدُهما نفسَه في عمل يعمله، وجعل يقرأ الإنجيل، فرأتْ بنتُ المستأجر النورَ يُضيء في قراءة الإنجيل، فذكرتْ ذلك لأبيها، فرمقه حتى رآه، فسأله، فلم يُخبره، فلم يزل به حتى أخبره بالدين والإسلام، فتابَعه هو وسبعة وثمانون إنسانًا مِن رجل وامرأة، وهذا بعد ما رُفِع عيسى إلى السماء، فسمع ذلك يوسف بن ذي نواس بن شراحيل بن تُبّع بن اليشرح الحِمْيَري، فخَدَّ لهم في الأرض، فأوَقد فيها، فعرضهم على الكفر، فمَن أبى منهم أن يكفر قذفه في النار، ومَن رجع عن دين عيسى لم يُقذَف في النار، وإنّ امرأة جاءت ومعها ولد لها صغير لا يَتكلّم، فلما قامتْ على شفير الخندق نظرتْ إلى ابنها، فرجعتْ عن النار، فضُربتْ حتى تقدّمتْ، فلم تزل كذلك ثلاث مرات، فلما كانت في الثالثة ذهبتْ ترجع، فقال لها ابنها: يا أُمّاه، إني أرى أمامك نارًا لا تُطفأ. فلما سمعت ابنَها يقول ذلك قَذَفا جميعًا أنفسَهما في النار، فجعلها الله وابنها في الجنة، فقذف في النار في يوم واحد سبعة وسبعون إنسانًا"[٥].

وفي عددهم، ثلاثة أقوال:

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٩/٢٤.

عبدالله بن الثامر شاب من أهل نجران كان مشركا يعبد الأوثان ، وكان في قرية من قراها ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر ، فلما نزلها فيميون ابتنى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي بها الساحر ، فجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر فبعث إليه الثامر ابنه عبدالله بن الثامر ، مع غلمان أهل نجران فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى منه من صلاته وعبادته ، فجعل يجلس إليه ، ويسمع منه ، حتى أسلم ، فوحد الله وعبده ، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام ، حتى إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم ، وكان يعلمه ، فكتمه إياه ، وقال له: يا ابن أخي ، إنك لن تحمله ، أخشى عليك ضعفك عنه ، والثامر أبو عبدالله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان ، فلما رأى عبدالله أن صاحبه قد ضن به عنه ، وتخوف ضعفه فيه ، عمد إلى قداح فجمعها ، ثم لم يبق لله اسما يعلمه إلا كتبه في قدح ، و لكل اسم قدح ، حتى إذا أحصاها أوقد لها نارا ، ثم جعل يقذفها فيها قدحا قدحا، حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقدحه ، فوثب القدح حتى خرج منها لم تضره شيئا ، فأخذه ثم أتى صاحبه فأخبره بأنه قد علم الاسم الذي كتمه ؛ فقال : وما هو ؟ قال : هو كذا وكذا ؛ قال : وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع ؛ قال : أي ابنَ أخي ، قد أصبته فأمسك على نفسك وما أظن أن تفعل .

وبه عرفت قصة الموحدين التي خلدها القران الكريم قصة اصحاب الاخدود حيث حفرت الاخدود او الحفر والقي فيها مع من اتبعه.[السيرة النبوية لإبن هشام_عبد الملك بن هشام المعافري]

روي عن عبد الله بن أبي بكر -من طريق محمد بن إسحاق-: "أنّ خربة احتُفرتْ في زمن عمر بن الخطاب، فوجدوا عبد الله بن التامر واضِعًا يده على ضربة في رأسه، إذا أميطتْ يده عنها انبعثت دمًا، وإذا تُركَت ارتدّت مكانها، وفي يده خاتم مِن حديد فيه: ربي الله، فبلغ ذلك عمر، فكتب أنْ أعيدوا عليه الذي وجدتم عليه". [أخرجه البغوي ٨/ ٣٨٥]

(٢) أخرجه الطبري: ٣٣٩/٢٤.

(٣) انظر: زاد المسير: ٤٢٦/٤.

(٤) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٣٧١/٨.

(٥)تفسير الثعلبي ١٠/ ١٧٠، وتفسير البغوي ٨/ ٣٨٦ – ٣٨٧، و تفسير ابن كثير: ٣٧١/٨.

أحدها: اثنا عشر ألفاً، قاله وهب[١].
الثاني: سبعون ألفاً، قاله ابن السّائب[٢].
الثالث: ثمانون رجلا، وتسع نسوة. وتسع نسوة، قاله مقاتل[٣].
وقال الحسن: كان أصحاب الأخدود ثمانين بين رجل وامرأة، فأخذهم المشركون، فخذوا لهم أخدودا في الأرض، ثم أوقدوا لهم نارا ضخمة ثم فجعلوا يقولون للرجل وللمرأة منهم: إما أن تترك دينك وإما أن نقذفك في النار. فيقول: ما أنا بتارك ديني لشيء! فيقذف فيها فيحترق حتى أتوا عليهم، فبقيت امرأة ومعها صبي فتهيبت، فقال لها الصبي: امضي ولا تنافقي، فمضت فاحترقت"[٤].
عن عوف، قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا ذكر أصحاب الأخدود تعوّذ بالله مِن جَهد البلاء"[٥].
قوله تعالى:{النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ} [البروج : ٥]، أي:" وأوقدوا النار الشديدة ذات الوَقود"[٦].
قال الطبري: أي:" ذات الحطب الجزل"[٧].
قال الزمخشري:" وصف لها بأنها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وأبدان الناس"[٨].
قوله تعالى:{إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ} [البروج : ٦]، أي:" إذ هم قعود على الأخدود ملازمون له"[٩].
قال الطبري:" المعنى: أنهم قعود على حافة الأخدود"[١٠].
قال الزمخشري:" {إِذْ} ظرف لـ{قتل}، أي: لعنوا حين أحدقوا بالنار قاعدين حولها. ومعنى {عَلَيْها}: على ما يدنو منها من حافات الأخدود، كقوله[١١]:
[تُشَبُّ لمقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِها] ... وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى والمحَلَّقُ
وكما تقول: مرت عليه، تريد: مستعليا لمكان يدنو منه"[١٢].
عن مجاهد:" {إِذْ هُمْ عَلَيْها قُعُودٌ} كانوا قعودًا على الكراسي عند الأخدود"[١٣].
عن قتادة، قوله: {النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ}، يعني: بذلك المؤمنين"[١].

---

(١) انظر: زاد المسير: ٤٢٦/٤.
(٢) انظر: زاد المسير: ٤٢٦/٤.
(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٤٧/٤.
(٤) تفسير ابن أبي زمنين: ١١٤/٥-١١٥.
(٥)عزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة. وأخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ٢٢٧، عن عوف، عن الحسن مرسلًا.
(٦) التفسير الميسر: ٥٩٠.
(٧) تفسير الطبري: ٣٤٢/٢٤.
(٨) الكشاف: ٧٣١/٤.
(٩) التفسير الميسر: ٥٩٠.
(١٠) تفسير الطبري: ٣٤٢/٢٤.
(١١) البيت للأعشى في ديوانه: ١٥٠، وغيره. من قصيدته الغالية التي رفعت المحلق وطارت بذكره في الآفاق، يقول له: لَعَمْري لَقَدْ لاحَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ ... إلى ضَوْءِ نارٍ في يَفَاعٍ تُحَرَّقُ
تُشَبُّ لمقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِها ... وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى والمحَلَّقُ
رَضِيعَيْ لِبَانٍ ثَدْيَ أُمٍّ تَحَالَفَا ... بِأَسْحَمَ عَوْضَ الدَّهْرِ لا نَتَفَرَّقُ
تَرَى الجُودَ يَجْرِي ظَاهِرًا فَوْقَ وَجْهِهِ ... كَمَا زَانَ مَتْنَ الهُنْدُوَانِيِّ رَوْنَقُ
يَدَاهُ يَدَا صِدْقٍ، فَكَفٌّ مُفِيدَةٌ ... وَكَفٌّ إِذَا مَا ضُنَّ بِالمَالِ تُنْفِقُ
هذه رواية مخطوطة ديوانه التي صورتها حديثًا، ورواية هذه المخطوطة تخالف الرواية المطبوعة في أشياء كثيرة، ولا سيما في ترتيب أبيات الشعر.
(١٢) الكشاف: ٧٣١/٤.
(١٣)تفسير البغوي ٨/ ٣٨٧.

قال الربيع بن أنس: "{النّار ذاتِ الوَقُودِ} نجّى الله المؤمنين الذين ألقُوا في النار بقبض أرواحهم قبل أن تمسّهم النار، وخرجت النار إلى مَن على شفِيرِ الأخدود مِن الكفار فأحرقتهم"(٢).

قوله تعالى:{وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ} [البروج : ٧]، أي:" وهم على ما يفعلون بالمؤمنين من تنكيل وتعذيب حضور"(٣).

قال الطبري:" يعني: حضور"(٤).

قال ابن أبي زمنين:" من تحريقهم إياهم بالنار"(٥).

قال ابن كثير:" أي : مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين"(٦).

قال الزمخشري:" معنى شهادتهم على إحراق المؤمنين: أنهم وكلوا بذلك وجعلوا شهودا يشهد بعضهم لبعض عند الملك أنّ أحدا منهم لم يفرط فيما أمر به وفوض إليه من التعذيب. ويجوز أن يراد: أنهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين، يؤدّون شهادتهم يوم القيامة: {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ}"(٧).

عن قتادة: "{وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ}، يعني: بذلك الكفار"(٨).

قوله تعالى:{وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [البروج : ٨]، أي:" وما أخذوهم بمثل هذا العقاب الشديد إلا أن كانوا مؤمنين بالله العزيز الذي لا يغالب، الحميد في أقواله وأفعاله وأوصافه"(٩).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وما وجد هؤلاء الكفار الذين فتنوا المؤمنين على المؤمنين والمؤمنات بالنار في شيء، ولا فعلوا بهم ما فعلوا بسبب، إلا من أجل أنهم آمنوا بالله: الشديد في انتقامه ممن انتقم منه، المحمود بإحسانه إلى خلقه"(١٠).

عن ابن عباس:" {وما نَقَمُوا مِنهُمْ} ما كرهوا منهم"(١١).

قال الزجاج:" أي: ما أنكروا عليهم ذنبا إلا إيمانهم"(١٢).

قال ابن أبي زمنين:" ما كرهوا منهم {إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}، ما سفكوا لهم دماء، ولا أخذوا لهم مالا"(١٣).

قال ابن كثير:" أي : وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الذي لا يضام من لاذ بجنابه، المنيع الحميد في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره، وإن كان قد قَدّر على عباده هؤلاء هذا الذي وقع بهم بأيدي الكفار به، فهو العزيز الحميد، وإن خفي سبب ذلك على كثير من الناس"(١٤).

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٤٢/٢٤. وقال:" وهذا التأويل الذي تأوّله قتادة على مذهب من قال: قُتل أصحاب الأخدود من أهل الأيمان".
(٢)تفسير البغوي ٨/ ٣٨٧.
(٣) التفسير الميسر: ٥٩٠.
(٤) تفسير الطبري: ٣٤٢/٢٤.
(٥) تفسير ابن أبي زمنين: ١١٥/٥.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٦٦/٨.
(٧) الكشاف: ٧٣١/٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٣٤٣/٢٤.
(٩) التفسير الميسر: ٥٩٠.
(١٠) تفسير الطبري: ٣٤٣/٢٤.
(١١)تفسير البغوي ٨/ ٣٨٧.
(١٢) معاني القرآن: ٣٠٨/٥.
(١٣) تفسير ابن أبي زمنين: ١١٥/٥.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٣٦٦/٨.

قال الزمخشري: أي:" وما عابوا منهم وما أنكروا إلا الإيمان، كقوله[1]:

ولا عَيْبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ

قال ابن الرقيات[2]:

ما نقموا من بنى أميّة إلّا ... أنّهم يحلمون إن غضبوا

وذكر الأوصاف التي يستحق بها أن يؤمن به ويعبد، وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما. يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه"[3].

قال محمد بن إسحاق: "العزيز في نصرته ممن كفر إذا شاء"[4].

قال أبو العالية:" {عزيز} في نقمته إذا انتقم"[5]. وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك[6].

قوله تعالى:{الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [البروج : ٩]، أي:" هذا الإله الجليل الذي له ملك السماوات والأرض"[7].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: الذي له سلطان السموات السبع والأرضين وما فيهنّ"[8].

قال ابن كثير:" من تمام الصفة أنه المالك لجميع السموات والأرض وما فيهما وما بينهما"[9].

قال الزمخشري:" فكل من فيهما تحق عليه عبادته والخشوع له تقديرا، لأن ما {نَقَمُوا مِنْهُمْ} هو الحق الذي لا ينقمه إلا مبطل منهمك في الغىّ، وإن الناقمين أهل لانتقام الله منهم بعذاب لا يعدله عذاب"[10].

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"[11].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [البروج : ٩]، أي:" وهو -سبحانه- على كل شيء شهيد، لا يخفى عليه شيء"[1].

---

(١) الشعر للنابغة البيت في "ديوانه" ص ٤٤، و"الكتاب" ٢/ ٣٢٦، "المعاني الكبير" لابن قتيبة ١/ ٣٦٠، "الكامل" للمبرد ١/ ٥١، "همع الهوامع" للسيوطي ١/ ١٣٢، "شرح أبيات مغني اللبيب" للبغدادي ٣/ ١٦.
قال البغدادي ٣/ ١٩: وهو من قصيدة يمدح بها عمرو بن الحارث الأصغر من ملوك الشام الغسَّانيين، ويقال نهم: بنو جفنه.
قال السيرافي في "شرح أبيات سيبويه" ٢/ ٥١: يمدح آل جفنه الغسانيين. والفلول: جمع فل، وهو الثلم الذي يكون في السيف. والمعنى: أنهم يغزون كثيرًا ويضاربون الأقران، فسيوفهم قد تفلّلت. والقراع والمقارعة: المضاربة بالسيوف، وقوله "ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم مفللة هو بمنزلة: ليس فيهم عيب على وجه، لأنه إذا كان تفليل سيوفهم هو عيبهم -وهذا المعنى يمدح به- فلا عيب فيه على وجه. وهذا يقوله الناس على طريقة المبالغة في المدح.

(٢) ديوانه: ٧٠، والخزانة ٣/٢٦٩، والأغاني: ٤/١٦٠، والشعر والشعراء ١/٥٢٤، وطبقات فحول الشعراء ٥٣٣ والكامل ٢/٦٤٨ واللسان ١٦/٧١ وفي الجميع "ما نقموا من بني أمية". وفي غريب القرآن لابن قتيبة: ١٩٠:« ما نَقِمَ النَّاسُ من أُميّة إلا..»

(٣) الكشاف: ٤/٧٣١-٧٣٢.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٤٩٨):ص٣/٩٨٣.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٣):ص٥/١٦٦٤.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٥/١٦٦٤.

(٧) انظر: صفوة التفاسير: ٣/٥١٦.

(٨) تفسير الطبري: ٢٤/٣٤٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ٨/٣٦٦.

(١٠) الكشاف: ٤/٧٣٢.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص٤/١٠٨٥. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

قال ابن عباس: "لم يغب عنه شيء"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: والله على فِعْل هؤلاء الكفار من أصحاب الأخدود بالمؤمنين الذين فتنوهم شاهد، وعلى غير ذلك من أفعالهم وأفعال جميع خلقه، وهو مجازيهم جزاءهم"[٣].

قال ابن كثير:" أي : لا يغيب عنه شيء في جميع السموات والأرض، ولا تخفى عليه خافية "[٤].

قال السعدي: أي:" علمًا وسمعًا وبصرًا، أفلا خاف هؤلاء المتمردون على الله، أن يبطش بهم العزيز المقتدر، أو ما علموا أنهم جميعهم مماليك لله، ليس لأحد على أحد سلطة، من دون إذن المالك؟ أو خفي عليهم أن الله محيط بأعمالهم، مجاز لهم على فعالهم؟ كلا إن الكافر في غرور، والظالم في جهل وعمى عن سواء السبيل"[٥].

قال الزمخشري:" وعيد لهم، يعنى: أنه علم ما فعلوا، وهو مجازيهم عليه"[٦].

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠)} [البروج : ١٠]

التفسير:

إن الذين حرقوا المؤمنين والمؤمنات بالنار؛ ليصرفوهم عن دين الله، ثم لم يتوبوا، فلهم في الآخرة عذاب جهنم، ولهم العذاب الشديد المحرق.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا} [البروج : ١٠]، أي:" إن الذين حرقوا المؤمنين والمؤمنات بالنار؛ ليصرفوهم عن دين الله، ثم لم يتوبوا"[٧].

قال الطبري:" يقول: إن الذين ابْتَلَوُا المؤمنين والمؤمنات بالله بتعذيبهم، وإحراقهم بالنار ثم لم يتوبوا من كفرهم وفعلهم"[٨].

قال ابن كثير:" أي : حَرقوا، {ثُمَّ}، لم يقلعوا عما فعلوا، ويندموا على ما أسلفوا"[٩].

قال الزجاج:" أي: أحرقوا المؤمنين والمؤمنات، يقال: فتنت الشيء، أحرقته، والفتين: حجارة سود كأنها محرقة"[١٠].

قال الزمخشري:" جوز أن يريد بالذين فتنوا: أصحاب الأخدود خاصة، وبالذين آمنوا: المطروحين في الأخدود. ومعنى فتنوهم: عذبوهم بالنار وأحرقوهم"[١١].

عن ابن عباس:"{إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ}: حرّقوا المؤمنين والمؤمنات"[١٢].

قال ابن أبزى، والضحاك:" حرّقوهم"[١٣].

قال قتادة:" حرّقوهم بالنار"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩٠.
(٢) التفسير الوسيط للواحدي: ٤٩٩/٣.
(٣) تفسير الطبري: ٣٤٣/٢٤.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٦٦/٨.
(٥) تفسير السعدي: ٩١٨.
(٦) الكشاف: ٧٣٢/٤.
(٧) التفسير الميسر: ٥٩٠.
(٨) تفسير الطبري: ٣٤٣/٢٤-٣٤٤.[باختصار]
(٩) تفسير ابن كثير: ٣٧١/٨.
(١٠) معاني القرآن: ٣٠٨/٥.
(١١) الكشاف: ٧٣٢/٤.
(١٢) أخرجه الطبري ٣٤٣/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري ٣٤٤/٢٤.

عن مجاهد: "{إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا}، قَالَ: عَذَّبُوا"[٢].

قال السعدي:" وعدهم، وأوعدهم، وعرض عليهم التوبة"[٣].

قال الحسن البصري : "انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة"[٤].

عن الحسن البصري -من طريق المبارك بن فَضالة- قال: "كان أصحاب الأخدود خَدُّوا أخدودًا، وملئوها نارًا، فألْقَوا فيها مَن آمن بالله، وتركوا مَن كفر، فألقَوا بضعةً وثمانين مؤمنًا حتى أتَوا على عجوز كبيرة وابنها خلفها صبي صغير، فلما رأت النار كيف تأخذهم جزعتْ، قالت: يا بني، أما ترى! قال لها ابنها: يا أُمّتاه، امضي ولا تُنافِقي. فمضتْ، واقتحم ابنُها على أثرها، قال الحسن: كانت لذعة نار، لا نار عليهم آخر ما عليهم. ثم قال: يا سبحان الله! ما أحلم الله! إنهم يُعذِّبون أولياءه بالنار، وهو يدعوهم إلى التوبة! ثم قرأ: {إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا المُؤْمِنِينَ والمُؤْمِناتِ} يقول: أحرقوا المؤمنين والمؤمنات، ثم لم يتوبوا، أي: فلو تابوا لتاب الله - عز وجل – عليهم"[٥].

قوله تعالى:{فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ} [البروج : ١٠]، أي:" فلهم في الآخرة عذاب جهنم"[٦].

قال الطبري: أي: "في الآخرة"[٧].

عن الربيع :"{فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ}: في الآخرة"[٨].

قال الزجاج:" فلهم عذاب جهنم بكفرهم"[٩].

قوله تعالى:{وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ} [البروج : ١٠]، أي:" ولهم العذاب الشديد المحرق"[١٠].

قال الطبري: أي: "في الدنيا"[١١].

عن الربيع :"{وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ}: في الدنيا"[١٢].

قال الزجاج:" ولهم عذاب الحريق بما أحرقوا المؤمنين والمؤمنات"[١٣].

قال ابن كثير:" وذلك أن الجزاء من جنس العمل"[١٤].

قال الزمخشري:" هي نار أخرى عظيمة تتسع كما يتسع الحريق بإحراقهم المؤمنين.. أو ولهم عذاب الحريق في الدنيا، لما روى أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم"[١٥].

عن الربيع بن أنس: "أن النار التي أحرقوا المؤمنين فيها ارتفعت من الأخدود، فأحرقت الملك وأصحابه، فهو معنى قوله: {ولهم عذاب الحريق}"[١٦].

---

(١) أخرجه الطبري ٣٤٤/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري ٣٤٣/٢٤-٣٤٤.
(٣) تفسير السعدي: ٩١٨.
(٤) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٧١/٨.
(٥)أخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٧١٨ -.
(٦) التفسير الميسر: ٥٩٠.
(٧) تفسير الطبري: ٣٤٤/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري ٣٤٤/٢٤.
(٩) معاني القرآن: ٣٠٨/٥.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٩٠.
(١١) تفسير الطبري: ٣٤٤/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري ٣٤٤/٢٤.
(١٣) معاني القرآن: ٣٠٨/٥.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٣٧١/٨.
(١٥) الكشاف: ٧٣٢/٤.
(١٦) نقلا عن: تفسير السمعاني: ١٩٩/٦.

عن الربيع بن أنس -من طريق أبي جعفر- قال: ... نجّى اللهُ المؤمنين الذين أُلقُوا في النار مِن الحريق بأن قبض أرواحهم قبل أنْ تمسّهم النار، وخرجت النار إلى مَن على شفير الأخدود من الكفار فأحرقتهم، فذلك قول الله: {فَلَهُمْ عَذابُ جَهَنَّمَ} في الآخرة، {ولَهُمْ عَذابُ الحَرِيقِ} في الدنيا"[1].

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١)} [البروج : ١١]

التفسير:

إن الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحات، لهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ذلك الفوز العظيم.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [البروج : ١١]، أي:" إن الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحات"[2].

قال الطبري:" إن الذين أقرّوا بتوحيد الله، وهم هؤلاء القوم الذين حرّقهم أصحاب الأخدود وغيرهم من سائر أهل التوحيد وعملوا بطاعة الله، وأتَمروا لأمره، وانتهَوْا عما نهاهم عنه"[3].

قال النحاس:" أي: أمروا بتوحيد الله سبحانه، وانتهوا إلى أمر الله ونهيه"[4].

قال السعدي:" {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا} بقلوبهم {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} بجوارحهم"[5].

عن قتادة : "{المؤمن}، قال: يعني: الذي آمن بكتابه"[6].

عن السُّدِّيّ، في قوله: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات}، يعني: أطاعوا الله فيما أمرهم به، وفرض عليهم"[7].

قال ابن عباس: «أعمال الصالحة»: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر"[8].

قوله تعالى:{لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [البروج : ١١]، أي:" لهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار"[9].

قال الطبري:" يقول: لهم في الآخرة عند الله بساتين تجري من تحتها الأنهار والخمر واللبن والعسل"[10].

قال السمعاني:" وهذا على ما جرى أمر القرآن، فإنه إذا ذكر الوعد للكفار يذكر الوعد للمؤمنين بجنبه"[11].

عن أبي مالك: قوله :" {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}، يعني: المساكن تجري أسفلها أنهارها"[12].

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٤٠/٢٤.
(٢) التفسير الميسر: ٥٩٠.
(٣) تفسير الطبري: ٣٤٤/٢٤.
(٤) إعراب القرآن: ١٢٠/٥.
(٥) تفسير السعدي: ٩١٨.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٥٠): ص٦٥/١.
(٧)علّقه يحيى بن سلّام ٢/ ٦١٨.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٥١): ص٦٥/١.
(٩) التفسير الميسر: ٥٩٠.
(١٠) تفسير الطبري: ٣٤٤/٢٤.
(١١) تفسير السمعاني: ١٩٩/٦.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٥٣): ص٦٦/١.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنهار الجنة تفجر من تحت تلال، أو من تحت جبال المسك»"[١].

عن مسروق قال: قال عبد الله: "أنهار الجنة تفجر من جبل المسك"[٢].

قال مسروق: "أنهار الجنة تجري في غير أخدود، ثمرها كالقلال، كلما نزعت ثمرة عادت مثلها أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعا"[٣].

قوله تعالى:{ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ} [البروج : ١١]، أي:" ذلك هو الظفر العظيم بغاية المطلوب، الذي لا سعادة ولا فوز بعده"[٤].

قال النحاس:" أي: الظفر بما طلبوا"[٥].

قال الطبري:" يقول: هذا الذي هو لهؤلاء المؤمنين في الآخرة، هو الظفر الكبير بما طلبوا والتمسوا بإيمانهم بالله في الدنيا، وعملهم بما أمرهم الله به فيها ورضيه منهم"[٦].

قال السعدي:" الذي حصل به الفوز برضا الله ودار كرامته"[٧].

وقال الفراء:" يقول: فازوا من عذاب الكفار، وعذاب الآخرة، فأكبر به فوزا"[٨].

عن أبي مالك، قوله: "{ذلك}، يعني: هذا"[٩].

عن سعيد بن جبير: "{وذلك} يعني: ذلك الثواب .."[١٠].

قال الراغب:" الْفَوْزُ: الظّفر بالخير مع حصول السّلامة"[١١].

فوائد الآيات:[١-١١]:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢- فضل يومي الجمعة وعرفة.

٣- بيان ما يبتلى به المؤمنون في هذه الحياة ويصبرون فيكون جزاؤهم الجنة.

٤- الترهيب والترغيب في ذكر جزاء الكافرين والمؤمنين الصالحين.

القرآن

{إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦)} [البروج : ١٢-١٦]

التفسير:

إن انتقام ربك من أعدائه وعذابه لهم لعظيم شديد، إنه هو يُبدئ الخلق ثم يعيده، وهو الغفور لمن تاب، كثير المودة والمحبة لأوليائه، صاحب العرش المجيدُ الذي بلغ المنتهى في الفضل والكرم، فَعَّال لما يريد، لا يمتنع عليه شيء يريده.

قوله تعالى:{إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} [البروج : ١٢]، أي:" إن انتقام ربك من أعدائه وعذابه لهم لعظيم شديد"[١٢].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٥٢): ص٦٥/١.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٥٤): ص٦٦/١.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٦٧٨): ص٨٤٥/٣.

(٤) صفوة التفاسير: ٥١٦/٣.

(٥) إعراب القرآن: ١٢٠/٥.

(٦) تفسير الطبري: ٣٤٤/٢٤.

(٧) تفسير السعدي: ٩١٨.

(٨) معاني القرآن: ٢٥٣/٣.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٤٦٥):ص١٩٦٦/٦.

(١٠)أخرجه ابن أبي حاتم (٤٩٦٠): ص ٣/ ٨٩١.

(١١) المفردات في غريب القرآن: ٦٤٧.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٩٠.

عن عبد الله بن مسعود -من طريق عرفجة- قال: قَسم: {والسَّماءِ ذاتِ البُرُوج} إلى قوله: {وشاهِدٍ ومَشْهُودٍ}، قال: هذا قَسمٌ على: {إنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} إلى آخرها"[1].

قال قتادة:" وقع القسم –هاهنا- :{إنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ}"[2].

عن ابن جُرَيْج، في قوله: "{إن بطش ربك لشديد}، قال: ههنا القَسم"[3].

قال ابن عباس:" إنّ أخْذَه بالعذابِ إذا أخَذَ الظَّلَمة لَشديدٌ"[4].

قال ابن أبي زمنين:" عقوبة ربك {لَشَدِيدٌ}"[5].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إن بطش ربك يا محمد لمن بطش به من خلقه، وهو انتقامه ممن انتقم منه لشديد، وهو تحذير من الله لقوم رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، أن يُحلّ بهم من عذابه ونقمته، نظير الذي حلّ بأصحاب الأخدود على كفرهم به، وتكذيبهم رسوله، وفتنتهم المؤمنين والمؤمنات منهم"[6].

قال ابن كثير:" أي : إن بطشه وانتقامه من أعدائه الذين كَذَّبوا رسله وخالفوا أمره، لشديد عظيم قوي ؛ فإنه تعالى ذو القوة المتين، الذي ما شاء كان كما يشاء في مثل لمح البصر، أو هو أقرب"[7].

قال السعدي:" أي: إن عقوبته لأهل الجرائم والذنوب العظام لقوية شديدة، وهو بالمرصاد للظالمين كما قال الله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}"[8].

قال الزمخشري:" البطش: الأخذ بالعنف، فإذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم: وهو بطشه بالجبابرة والظلمة، وأخذهم بالعذاب والانتقام"[9].

قوله تعالى:{إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ} [البروج : ١٣]، أي:" إنه هو يُبدئ الخلق ثم يعيده"[10].

وفي قوله تعالى:{إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ} [البروج : ١٣]، وجهان من التفسير:

أحدهما: إنه هو يُبْدِئُ الخلق حين خلقه، ويعيده يوم القيامة. قاله الضحاك[11]، وابن زيد[12]، وابن جريج[13].

عن الضحاك:" {يُبْدِئُ ويُعِيدُ}: يعني: الخَلْق"[14].

قال ابن جريج:" يُبدئ الخَلْق، ثم يعيده"[15].

قال ابن زيد:" يُبدئ الخَلقَ حين خَلَقَه، ويعيده يوم القيامة"[16].

قال الزجاج:" أي: يبدئ الخلق ثم يعيده بعد بلاه"[1].

---

(١)أخرجه الحاكم ٢/ ٥١٩. وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٤٠/٢٤.

(٣)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٤)تفسير البغوي ٨/ ٣٨٨، وقال عقبه: «كقوله: {إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود: ١٠٢]».

(٥) تفسير ابن أبي زمنين: ١١٥/٥.

(٦) تفسير الطبري: ٣٤٤/٢٤-٣٤٥.

(٧) تفسير ابن كثير: ٣٧٢/٨.

(٨) تفسير السعدي: ٩١٨.

(٩) الكشاف: ٧٣٢/٤.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٩٠.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٥/٢٤.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٥/٢٤.

(١٣)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٥/٢٤.

(١٥)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٥/٢٤.

قال السعدي أي: هو المنفرد بإبداء الخلق وإعادته، فلا مشارك له في ذلك"[٢].

قال ابن كثير:" أي : من قوته وقدرته التامة يبدئ الخلق ثم يعيده كما بدأه، بلا ممانع ولا مدافع"[٣].

الثاني: إنه هو يُبْدِئُ العذاب ويعيده. قاله ابن عباس[٤].

قال الزمخشري:" أي يبدئ البطش ويعيده، يعنى: يبطش بهم في الدنيا وفي الآخرة. أو دل باقتداره على الإبداء والإعادة على شدة بطشه، وأوعد الكفرة بأنه يعيدهم كما أبدأهم ليبطش بهم إذ لم يشكروا نعمة الإبداء وكذبوا بالاعادة"[٥].

قال الطبري:" وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب، وأشبههما بظاهر ما دلّ عليه التنزيل القولُ الذي ذكرناه عن ابن عباس، وهو أنه يُبْدِئُ العذاب لأهل الكفر به ويعيد، كما قال جلّ ثناؤه: {فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ} في الدنيا، فأبدأ ذلك لهم في الدنيا، وهو يعيده لهم في الآخرة، لأن الله أتبع ذلك قوله: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} فكان للبيان عن معنى شدّة بطشه الذي قد ذكره قبله، أشبه به بالبيان عما لم يَجْرِ له ذكر، ومما يؤيد ما قلنا من ذلك وضوحًا وصحة قوله: {وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ}، فبيَّن ذلك عن أن الذي قبله من ذكر خبره عن عذابه وشدّة عقابه"[٦].

قوله تعالى:{وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ} [البروج : ١٤]، أي:" وهو الغفور لمن تاب، كثير المودة والمحبة لأوليائه"[٧].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وهو ذو المغفرة لمن تاب إليه من ذنوبه، وذو المحبة له"[٨].

قال ابن كثير:" {وَهُوَ الْغَفُورُ}، أي : يغفر ذنب من تاب إليه وخَضَع لديه، ولو كان الذنب من أي شيء كان"[٩].

عن ابن عباس: "{الْغَفُورُ الْوَدُودُ}، يقول: الحبيب"[١٠].

قال ابن عباس: "التودد إلى أوليائه بالمغفرة"[١١].

عن مجاهد :"الواد"[١٢].

قال الزجاج:"{الْوَدُودُ}، أي: المحب أولياءه

وعن ابن زيد: {الْغَفُورُ الْوَدُودُ}، قال: الرحيم"[١٣].

قال الحسن: "يتودد إلى خلقه بما يعطيهم من النعم في وأرزاقهم، وما يغفر لهم من الذنوب"[١٤].

قال ابن جريج:" يَوَدُّ على طاعته مَن أطاعه"[١٥].

---

(١) معاني القرآن: ٣٠٨/٥.
(٢) تفسير السعدي: ٩١٨.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٧٢/٨.
(٤) انظ{: تفسير الطبري: ٣٤٥/٢٤.
(٥) الكشاف: ٧٣٢/٤.
(٦) تفسير الطبري: ٣٤٥/٢٤-٣٤٦.
(٧) التفسير الميسر: ٥٩٠.
(٨) تفسير الطبري: ٣٤٦/٢٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٣٧٢/٨.
(١٠) أخرجه الطبري: ٣٤٦/٢٤.
(١١) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٠/!٧٥.
(١٢) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٠/!٧٥.
(١٣) أخرجه الطبري: ٣٤٦/٢٤.
(١٤) نقلا عن: تفسير ابن أبي زمنين: ١١٦/٥.
(١٥)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

قال الحسين بن واقد:" الغفور للمؤمنين، الودود لأوليائه"[1].

قال الثعلبي:" قيل: معناه: يغفر ويودّ أن يغفر"[2].

قال السعدي:" {وَهُوَ الْغَفُورُ} الذي يغفر الذنوب جميعها لمن تاب، ويعفو عن السيئات لمن استغفره وأناب. {الْوَدُودُ} الذي يحبه أحبابه محبة لا يشبهها شيء فكما أنه لا يشابهه شيء في صفات الجلال والجمال، والمعاني والأفعال، فمحبته في قلوب خواص خلقه، التابعة لذلك، لا يشبهها شيء من أنواع المحاب، ولهذا كانت محبته أصل العبودية، وهي المحبة التي تتقدم جميع المحاب وتغلبها، وإن لم يكن غيرها تبعًا لها، كانت عذابًا على أهلها، وهو تعالى الودود، الواد لأحبابه، كما قال تعالى: {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} والمودة هي المحبة الصافية، وفي هذا سر لطيف، حيث قرن {الودود} بالغفور، ليدل ذلك على أن أهل الذنوب إذا تابوا إلى الله وأنابوا، غفر لهم ذنوبهم وأحبهم، فلا يقال: بل تغفر ذنوبهم، ولا يرجع إليهم الود، كما قاله بعض الغالطين. بل الله أفرح بتوبة عبده حين يتوب، من رجل له راحلة، عليها طعامه وشرابه وما يصلحه، فأضلها في أرض فلاة مهلكة، فأيس منها، فاضطجع في ظل شجرة ينتظر الموت، فبينما هو على تلك الحال، إذا راحلته على رأسه، فأخذ بخطامها، فالله أعظم فرحًا بتوبة العبد من هذا براحلته، وهذا أعظم فرح يقدر. فلله الحمد والثناء، وصفو الوداد، ما أعظم بره، وأكثر خيره، وأغزر إحسانه، وأوسع امتنانه"[3].

قوله تعالى:{ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ} [البروج : ١٥]، أي:" صاحب العرش المجيدُ الذي بلغ المنتهى في الفضل والكرم"[4].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ذو العرش الكريم"[5].

قال ابن كثير:" أي : صاحب العرش المعظم العالي على جميع الخلائق"[6].

قال السعدي:" أي: صاحب العرش العظيم، الذي من عظمته، أنه وسع السماوات والأرض والكرسي، فهي بالنسبة إلى العرش كحلقة ملقاة في فلاة، بالنسبة لسائر الأرض، وخص الله العرش بالذكر، لعظمته، ولأنه أخص المخلوقات بالقرب منه تعالى، وهذا على قراءة الجر، يكون {المجيد} نعتا للعرش، وأما على قراءة الرفع، فإن المجيد نعت لله ، والمجد سعة الأوصاف وعظمتها"[7].

عن ابن عباس: "{ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ}، يقول: الكريم"[8]. وروي عن قتادة مثله[9].

عن أبي خالد، قال:" سمعت سعد الطائي، يقول: العرش ياقوتة حمراء"[10].

قال وهب بن منبه:" إن الله خلق العرش من نوره"[11].

و{الْمَجِيدُ} فيه قراءتان : الرفع على أنه صفة للرب، عز وجل. والجر على أنه صفة للعرش، وكلاهما معنى صحيح[12].

قوله تعالى:{فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ} [البروج : ١٦]، أي:" فَعَّال لما يريد، لا يمتنع عليه شيء يريده"[1].

---

(١)أخرجه أبو الشيخ في العظمة (١٧٧).
(٢) الكشف والبيان: ١٧٥/١٠.
(٣) تفسير السعدي: ٩١٨.
(٤) التفسير الميسر: ٥٩٠.
(٥) تفسير الطبري: ٣٤٦/٢٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٧٢/٨.
(٧) تفسير السعدي: ٩١٨.
(٨) أخرجه الطبري: ٣٤٦/٢٤.
(٩)تفسير الثعلبي ١٠/ ١٧٥.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧٠٢):ص٢٠٠٥/٦.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧٠٢):ص٢٠٠٥/٦.
(١٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٧٢/٨.

قال ابن عباس-في رواية عطاء-:" يريد أنه لا يعجزه شيء يريده، ولا يمتنع منه شيء طلبه"[٢].

قال يحيى بن سلام:" يعني: للَّذي يريد"[٣].

قال السعدي:" أي: مهما أراد شيئًا فعله، إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون، وليس أحد فعالا لما يريد إلا الله. فإن المخلوقات، ولو أرادت شيئًا، فإنه لا بد لإرادتها من معاون وممانع، والله لا معاون لإرادته، ولا ممانع له مما أراد"[٤].

قال ابن كثير:" أي : مهما أراد فعله، لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل ؛ لعظمته وقهره وحكمته وعدله، كما روينا عن أبي بكر الصديق أنه قيل له - وهو في مرض الموت - : «هل نظر إليك الطبيب؟ قال : نعم. قالوا : فما قال لك ؟ قال : قال لي : إني فعال لما أريد»"[٥][٦].

قال الطبري:" يقول: هو غفار لذنوب من شاء من عباده إذا تاب وأناب منها، معاقب من أصرّ عليها وأقام، لا يمنعه مانع، مِنْ فِعْل أراد أن يفعله، ولا يحول بينه وبين ذلك حائل، لأن له مُلك السموات والأرض، وهو العزيز الحكيم"[٧].

قال مقاتل:" يقول: ليس يريد شيئا إلا فعله، يقول إن العبد يفرق من سيده أن يفعل ما يشاء، والسيد يفرق من أميره الذي هو عليه، والأمير يفرق من الملك، والملك يفرق من الله- عز وجل-، والله- عز وجل- لا يفرق من أحد أن يفعل"[٨].

القرآن

{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢)} [البروج : ١٧-٢٢]

التفسير:

هل بلغك -أيها الرسول- خبر الجموع الكافرة المكذبة لأنبيائها، فرعون وثمود، وما حلَّ بهم من العذاب والنكال، لم يعتبر القوم بذلك، بل الذين كفروا في تكذيب متواصل كدأب مَن قبلهم، والله قد أحاط بهم علما وقدرة، لا يخفى عليه منهم ومن أعمالهم شيء. وليس القرآن كما زعم المكذبون المشركون بأنه شعر وسحر، فكذَّبوا به، بل هو قرآن عظيم كريم، في لوح محفوظ، لا يناله تبديل ولا تحريف.

قوله تعالى:{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ} [البروج : ١٧-١٨]، أي:" هل بلغك -أيها الرسول- خبر الجموع الكافرة المكذبة لأنبيائها، فرعون وثمود، وما حلَّ بهم من العذاب والنكال"[٩].

قال الثعلبي: أي:" خبر الجموع الهالكة: {فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ}"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩٠.

(٢) التفسير البسيط للواحدي: ٣٩٧/٢٣.

(٣)التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ١٤٤.

(٤) تفسير السعدي: ٩١٨.

(٥)عن أبي السفر قال: مرض أبو بكر فعادوه فقالوا: ألا ندعو لك الطبيب؟ فقال: " قد رآني الطبيب، قالوا: فأي شيء قال لك؟ قال: قال: إني فعال لما يريد ".

أخرجه أحمد في "الزهد"(٥٨٧):ص٩٣، وابن سعد (١٩٨/٣) ، وابن أبى شيبة (٩٣/٧، رقم ٣٤٤٤٠) ، وأبو نعيم في الحلية (٣٤/١) ، وهناد (٢٣٠/١، رقم ٣٨٢) . وأخرجه أيضا: محب الدين الطبرى فى الرياض النضرة (٢٤٣/٢، رقم ٦٩٤).

(٦) تفسير ابن كثير: ٣٧٢/٨.

(٧) تفسير الطبري: ٣٤٦/٢٤.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٥٠/٤.

(٩) التفسير الميسر: ٥٩٠.

قال الزمخشري:" المعنى: قد عرفت تكذيب تلك الجنود الرسل وما نزل بهم لتكذيبهم"[٢].

قال ابن كثير:" أي : هل بلغك ما أحل الله بهم من البأس، وأنزل عليهم من النقمة التي لم يردها عنهم أحد ؟ وهذا تقرير لقوله :{إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ}، أي : إذا أخذ الظالم أخذه أخذًا أليمًا شديدا، أخذ عزيز مقتدر"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: هل جاءك يا محمد حديث الجنود الذين تجندوا على الله ورسوله بأذاهم ومكروههم [هل أتاك حديث الجنود، فرعون وقومه وثمود]؛ يقول: قد أتاك ذلك وعلمته، فاصبر لأذى قومك إياك لما نالوك به من مكروه كما صبر الذين تجند هؤلاء الجنود عليهم من رسلي، ولا يثنيك عن تبليغهم رسالتي، كما لم يُثْن الذين أرسلوا إلى هؤلاء، فإن عاقبة من لم يصدقك ويؤمن بك منهم إلى عطب وهلاك، كالذي كان من هؤلاء الجنود"[٤].

قال مقاتل:" يعنى: قد أتاك {حَدِيثُ الْجُنُودِ} في القرآن {فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ}، قد عرفت ما فعل الله- عز وجل- بقوم فرعون، حيث ساروا في طلب موسى- عليه السلام- وبني إسرائيل وكانوا ألف ألف وخمسمائة ألف، فساقهم الله- تعالى- بآجالهم إلى البحر، فغرقهم الله أجمعين فمن الذي جاء يخاصمني فيهم، قال: «وثمود» وهم قوم صالح حيث عقروا الناقة وكذبوا صالحا، ثم تمتعوا في دارهم ثلاثة أيام، فجاءهم العذاب يوم السبت غدوة حين نهضت الشمس، {فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِم} [الشمس : ١٤] وجبريل- عليه السلام- الذي كان دمدم، لأنه صرخ صرخة فوقع بيوتهم عليهم فسواها، يقول فسوى البيوت على قبورهم، لأنهم لما استيقنوا بالهلكة عمدوا فحفروا قبورا في منازلهم، وتحنطوا بالمر والصبر، قال: {فَسَوَّاهَا} [الشمس : ١٤]، يقول: استوت على قبورهم، قال: فهل جاء أحد يخاصمني فيهم، فذلك قوله: {وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا} [الشمس : ١٥]، قال: فاحذروا يا أهل مكة فأنا المجيد الحق الذي ليس فوقي أحد"[٥].

عن عمرو بن ميمون قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم على امرأة تقرأ :{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ} فقام يسمع، فقال : "نعم، قد جاءني"[٦].

قوله تعالى:{بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ} [البروج : ١٩]، أي:" لم يعتبر القوم بذلك، بل الذين كفروا في تكذيب متواصل كدأب مَن قبلهم"[٧].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء القوم الذين يكذّبون بوعيد الله أنهم لم يأتهم أنباء من قبلهم من الأمم المكذّبة رسل الله كفرعون وقومه، وثمود وأشكالهم، وما أحلّ الله بهم من النقم بتكذيبهم الرسل، ولكنهم في تكذيبهم بوحي الله وتنزيله، إيثارًا منهم لأهوائهم، واتّباعًا منهم لسنن آبائهم"[٨].

قال ابن كثير:" أي : هم في شك وريب وكفر وعناد"[٩].

قال الثعلبي:" واستجاب للتعذيب، كدأب من قبلهم"[١٠].

قال السمعاني: أي: في تكذيب الرسل"[١١].

---

(١) الكشف والبيان: ١٧٥/١٠.
(٢) الكشاف: ٧٣٣/٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٧٢/٨.
(٤) تفسير الطبري: ٣٤٦/٢٤-٣٤٧.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٥٠/٤.
(٦) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٣٧٢/٨. وهو مرسل.
(٧) التفسير الميسر: ٥٩٠.
(٨) تفسير الطبري: ٣٤٧/٢٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٣٧٣/٨.
(١٠) الكشف والبيان: ١٧٥/١٠.
(١١) تفسير السمعاني: ٢٠١/٦.

قال الزمخشري:" أي: تكذيب واستيجاب للعذاب.. ومعنى الاضراب: أن أمرهم أعجب من أمر أولئك، لأنهم سمعوا بقصصهم وبما جرى عليهم، ورأوا آثار هلاكهم ولم يعتبروا، وكذبوا أشد من تكذيبهم"(١).

قوله تعالى:{وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ} [البروج : ٢٠]، أي:" والله قد أحاط بهم علما وقدرة، لا يخفى عليه منهم ومن أعمالهم شيء"(٢).

قال مقاتل بن حيان:" أحاط علمه بأعمالهم"(٣).

قال الطبري: أي:" بأعمالهم مُحْصٍ لها، لا يخفى عليه منها شيءٌ، وهو مجازيهم على جميعها"(٤).

قال الثعلبي:" عالم بهم لا يخفى عليه شيء من أحوالهم"(٥).

قال السمعاني: "أي: محيط بأفعالهم وأقوالهم"(٦).

قال الزمخشري:" والله عالم بأحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه. والاحاطة بهم من ورائهم: مثل لأنهم لا يفوتونه، كما لا يفوت فائت الشيء المحيط به"(٧).

قال السعدي:" أي: قد أحاط بهم علمًا وقدرة، كقوله: {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} ففيه الوعيد الشديد للكافرين، من عقوبة من هم في قبضته، وتحت تدبيره"(٨).

قال الزجاج:" أي: لا يعجزه منهم أحد. قدرته مشتملة عليهم"(٩).

قال ابن كثير:" أي : هو قادر عليهم، قاهر لا يفوتونه ولا يعجزونه"(١٠).

قال مقاتل:" فلما قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ذلك، وقرأ عليهم سأله رجل من جلسائه عن علم الله- عز وجل- في عباده شيء بدا له من بعد ما خلقهم، أو كان قبل أن يخلقوا؟ فأنزل الله- عز وجل- :{وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ}"(١١).

قوله تعالى:{بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ} [البروج : ٢١]، أي:" وليس القرآن كما زعم المكذبون المشركون بأنه شعر وسحر، فكذَّبوا به، بل هو قرآن عظيم كريم"(١٢).

قال الطبري:" يقول - تكذيبا منه جلّ ثناؤه للقائلين للقرآن هو شعر وسجع -: ما ذلك كذلك، بل هو قرآن كريم"(١٣).

قال ابن كثير:" أي : عظيم كريم"(١٤).

قال الثعلبي:" كريم شريف كثير الخير وليس كما زعم المشركون"(١٥).

قال السعدي:" أي: وسيع المعاني عظيمها، كثير الخير والعلم"(١٦).

عن قتادة وسعيد بن جبير: "{بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ}، يقول: قرآن كريم"(١).

---

(١) الكشاف: ٧٣٣/٤.
(٢) التفسير الميسر: ٥٩٠.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٩١٥٤):ص١٧١٤/٥.
(٤) تفسير الطبري: ٣٤٧/٢٤.
(٥) الكشف والبيان: ١٧٥/١٠.
(٦) تفسير السمعاني: ٢٠١/٦.
(٧) الكشاف: ٧٣٣/٤.
(٨) تفسير السعدي: ٩١٨.
(٩) معاني القرآن: ٣٠٩/٥.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٧٣/٨.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٥١/٤.
(١٢) التفسير الميسر: ٥٩٠.
(١٣) تفسير الطبري: ٣٤٧/٢٤.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٣٧٣/٨.
(١٥) الكشف والبيان: ١٧٥/١٠.
(١٦) تفسير السعدي: ٩١٨.

قال الزمخشري:" أي: هذا الذي كذبوا به {قُرْآنٌ مَجِيدٌ} شريف عالي الطبقة في الكتب وفي نظمه وإعجازه"[٢].

وقال عبد العزيز بن يحيى: "مجيد يعني غير مخلوق"[٣].

قال السمعاني: " في بعض التفاسير أن الرسول لما قرأ عليهم ما ذكرنا من الآيات قالوا له: لعلك غلطت أو سهوت؟ ولعل الذي ينزل عليك ليس من قبل الله؟ فأنزل الله تعالى: {بل هو قرآن مجيد} هو المتجمع بخصال الخير"[٤].

قوله تعالى:{فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ} [البروج : ٢٢]، أي:" في لوح محفوظ، لا يناله تبديل ولا تحريف"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: هو قرآن كريم مُثْبَت في لوح محفوظ"[٦].

قال الزجاج:" القرآن في اللوح وهو أم الكتاب عند الله"[٧].

قال ابن كثير:" أي : هو في الملأ الأعلى محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل"[٨].

قال الزمخشري:" يعنى: اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح {مَحْفُوظٍ} من وصول الشياطين إليه"[٩].

قال السعدي:" {مَحْفُوظٍ} من التغيير والزيادة والنقص، ومحفوظ من الشياطين، وهو: اللوح المحفوظ الذي قد أثبت الله فيه كل شيء. وهذا يدل على جلالة القرآن وجزالته، ورفعة قدره عند الله تعالى"[١٠].

عن قتادة: "{فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ}: عند الله"[١١].

عن مجاهد:" {فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ}، قال: في أُمِّ الكتاب"[١٢].

عن عبد الله بن بريدة، في قوله: {فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ}، قال: "لوح عند الله، وهو أُمّ الكتاب"[١٣].

عن أنس بن مالك: "{بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ}، قال: إن اللوح المحفوظ الذي ذكر الله، {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ} في جَبْهَة إسرافيل"[١٤].

عن أبي الأعْيَس - هو عبد الرحمن بن سَلْمَان - قال : "ما من شيء قضى الله - القرآن فما قبله وما بعده - إلا وهو في اللوح المحفوظ. واللوح المحفوظ بين عيني إسرافيل، لا يؤذن له بالنظر فيه"[١٥].

وقال الحسن البصري : "إن هذا القرآن المجيد عند الله في لوح محفوظ، ينزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٤٧/٢٤.
(٢) الكشاف: ٧٣٣/٤.
(٣) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٧٥/١٠.
(٤) تفسير السمعاني: ٢٠١/٦.
(٥) التفسير الميسر: ٥٩٠.
(٦) تفسير الطبري: ٣٤٧/٢٤.
(٧) معاني القرآن: ٣٠٩/٥.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣٧٣/٨.
(٩) الكشاف: ٧٣٣/٤.
(١٠) تفسير السعدي: ٩١٨.
(١١) أخرجه الطبري: ٣٤٨/٢٤.
(١٢)أخرجه الطبري: ٣٤٨/٢٤. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(١٣)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(١٤) أخرجه الطبري: ٣٤٨/٢٤.
(١٥) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير: ٣٧٣/٨.

عن ابن عباس قال : " إن في صدر اللوح: لا إله إلا الله وحده، دينه الإسلام، ومحمد عبده ورسوله، فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله أدخله، قال: واللوح لوح من درة بيضاء، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق إلى المغرب، وحافتاه الدر والياقوت، ودفتاه ياقوتة حمراء، وقلمه نور، وكلامه معقود بالعرش، وأصله في حجر ملك"[٢].

قال مقاتل: "اللوح المحفوظ عن يمين العرش"[٣].

وعن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إن الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء، قلمه نور، لله فيه في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة، يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويعز ويذل ويفعل ما يشاء»[٤].

القراءة العامة:{محفوظٍ}، خفضًا على معنى أن اللوح هو المنعوت بالحفظ، وقرئ: «مَحْفُوظٌ» رفعًا، ردًّا على القرآن، على أنه من نعته وصفته[٥].

فوائد الآيات:[١٢-٢٢]:

١- تهديد الظلمة بالعذاب عقوبة في الدنيا وفي الآخرة.

٢- إن الله تعالى لكرمه يتودد لأوليائه من عباده.

٣- فائدة القصص هي الموعظة تحصل للعبد فلا يترك واجباً ولا يغشى محرما.

٤- بيان إحاطة الله تعالى بعباده وأنهم في قبضته وتحت سلطانه.

٥- شرف القرآن الكريم، وإثبات اللوح المحفوظ وتقريره.

«آخر تفسير سورة (البروج)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٧٣/٨.

(٢) رواه البغوي في "معالم التنزيل": ٣٨٩/٨. موقوف على ابن عباس وفيه إسحاق بن بشر، قال ابن حبان: لا يحل حديثه إلا على جهة التعجب وقال الدارقطني: متروك. وقال الذهبي: يروي العظائم عن ابن إسحاق وابن جريج والثوري. انظر: الضعفاء لابن حبان: ٣٧\١، الميزان للذهبي: ١٨٤\١. وراجع ابن كثير: ٤٩٨\٤.

(٣) نقلا عن: تفسير البغوي: ٣٨٩/٨، وتفسير ابن كثير: ٣٧٣/٨.

(٤)المعجم الكبير (١٢٥١١):ص٧٢/١٢ وزياد وليث بن أبي سليم ضعيفان، وقد جاء موقوفا على ابن عباس، رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٠٦٠٥):ص٢٦٠/١٠ من طريق بكير بن شهاب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس بنحوه.

عن ابن عباس قال: لوددت أن عندي رجلا من أهل القدر فوجأت رأسه، قالوا: ولم ذاك؟ قال: لأن الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء، دفتاه ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، وعرضه ما بين السماء والأرض، ينظر فيه كل يوم ستين وثلاثمائة نظرة، يخلق بكل نظرة، ويحيي ويعز ويذل ويفعل ما يشاء".

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٧/٢٤-٣٤٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الطارق»

«سورة الطارق»: هي السورة السادسة والثمانون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة البلد»، وآياتها سبع عشرة في عد الجميع، غير أبى جعفر؛ فإنها عند ست عشرة. أسقط : {يَكِيدُونَ كَيْدًا} [الطارق : ١٥]، وعدها الباقون. وكلماتها إحدى وستون. وحروفها مائتان وتسع وثلاثون. فواصل آياتها «ظل بق عار» (١).

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- أسمها التوقيفي: «سورة الطارق»:**

سميت في كتب التفسير(٢)، وكتب السنة(٣)، وفي المصاحف «سورة الطارق»، لوقوع هذا اللفظ في أولها، قال تعالى: {وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١)} [الطارق : ١].

ثانيا:- أسمها الاجتهادي: «سورة السماء والطارق»:

ثبتت هذه التسمية عند الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-(٤)، كما أنها سميت «والسماء والطارق»، بإضافة واو القسم، وبذلك ترجمت في تفسير الطبري(٥)، والثعالبي(٦)، وابن أبي زمنين(٧)، ومكي بن أبي طالب(٨)، وهي تسمية اجتهادية وليست توقيفية.

وهي تسمية اجتهادية من الصحابة-رضي الله عنهم- وهي تسمية لها بأول جملة افتتحت بها السورة، قال تعالى: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ} [البروج : ١].

وروي عن أبي هريرة:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمر أن يقرأ: بالسماوات في العشاء "(٩).

أي: «السماء ذات البروج» و«السماء والطارق»، فمجمعها جمع: سماء، وهذا يدل على أن اسم السورتين: سورة «السماء ذات البروج»، «سورة السماء والطارق»(١٠).

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس، قال: "نزلت {والسماء والطارق} بمكة"(١١).

قال ابن عطية:" هي مكية لا خلاف بين المفسرين في ذلك"(١٢).

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"(١٣).

قال ابن عاشور:" هي مكية بالاتفاق، نزلت قبل سنة عشر من البعثة"(١٤).

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٢/١.

(٢) انظر: مثلا: تأويلات أهل السنة: ٤٩١/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٥٦٨/٣، وتفسير ابن فورك: ١٩٤/٣، والكشف والبيان: ١٧٧/١٠، والنكت والعيون: ٢٤٥/٦، وتفسير السمعاني: ٢٠٢/٦، وتفسير البغوي: ٣٩١/٨، والكشاف: ٧٣٤/٤، والمحرر الوجيز: ٤٦٤/٥، وزاد المسير: ٤٢٨/٤، ومفاتيح الغيب: ١١٧/٣١، وتفسير القرطبي: ١/٢٠، وغيرها.

(٣) انظر: مثلا: صحيح البخاري: ١٦٨/٦، والسنن الكبرى للنسائي: ٣٣٢/١٠، والمستدرك للحاكم: ٥٦٥/٢.

(٤) كما سيأتي في فضائل السورة.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٩/٢٤.

(٦) انظر: تفسير الثعالبي: ٤٠٢/٤.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: ١١٧/٥.

(٨) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٨١٩١/١٢.

(٩) المسند(٨٣٣٣):ص٧٨/١٤. إسناده ضعيف ، وحماد بن عباد السدوسي له ترجمة في "الإكمال" (١٨٤) ، وذكره ابن حبان في "الثقات" ٢٢٠/٦

(١٠) التحرير والتنوير: ٢٣٦/٣٠.

(١١) انظر: الدر المنثور: ٤٧٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي.

(١٢) المحرر الوجيز: ٤٦٤/٥.

(١٣) زاد المسير: ٤٢٨/٤.

(١٤) المحرر الوجيز: ٢٥٧/٣٠.

روي عن عبد الرحمن بن خالد العدواني، عن أبيه:" أنه أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشرق ثقيف، وهو قائم على قوس، أو عصا حين أتاهم يبتغي عندهم النصر، قال: " فسمعته يقرأ: «والسماء والطارق» حتى ختمها "، قال: فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك، ثم قرأتها في الإسلام، قال: فدعتني ثقيف فقالوا: ماذا سمعت من هذا الرجل؟ فقرأتها عليهم، فقال من معهم من قريش: نحن أعلم بصاحبنا، لو كنا نعلم ما يقول حقا لاتبعناه"[1].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

من مناسبتها لما قبلها:

١- أنه ابتدأ هذه بالحلف بالسماء كالسورة قبلها.

٢- أنه ذكر في السابقة تكذيب الكفار للقرآن، وهنا وصف القرآن بأنه القول الفصل، وفيه رد على أولئك المكذبين[2].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

يمكن بيان مقاصد السورة التفصيلية على النحو الآتي:

١- بُدئت السورة الكريمة بالقسم السماءِ وما حوت من نجم وكواكب على أن كلَّ نفس عليها رقيب يحصى أعمالها {وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ} [الطارق : ١] إلى قوله تعالى: {إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ} [الطارق : ٤].

٢- دعت السورة الإنسان أن يفكر وينظر في نشأته ومم خلق؟ ليعلم أن الذي أنشأه بقدرته قوي قادر على إعادته بعد موته للحساب {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ} [الطارق : ٥]، إلى قوله تعالى: {فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ} [الطارق : ١٠].

٣- في السورة قسم آخر بالسماءِ ذات المطر، والأرض التي تنشق عن النبات على أن القرآن فاصل بين الحق والباطل وهو خير كله، ومن حقه -وقد وصفه الله بهذا- أن يكون معظَّما يترفع به قارئه وسامعه عن أن يلم بهزل أو يتفكه بمزاج، ومع ذلك فقد اشتد الكفار في عداوته وإنكاره والكيد له، وقد رَدَّ الله كيدهم بكيد أشد لا يقدرون على دفعه {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ} [الطارق : ١١] إلى قوله تعالى: {وَأَكِيدُ كَيْدًا} [الطارق : ١٦].

٤- ختمت السورة بطلب إمهال الكافرين حتى يأتيهم العذاب: {فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا} [الطارق : ١٧].

قال الفيروزآبادي:" مقصود السورة: القسم على حفظ أحوال الإنسان، والخبر عن حاله فى الابتداء والانتهاء، وكشف الأسرار في يوم الجزاء، والقسم على أن كلمات القرآن جزل، غير

---

(١) مسند احمد(١٨٩٥٨): ص٢٨٨/٣١-٢٨٩، إسناده ضعيف لجهالة عبد الرحمن بن خالد العدواني، فقد تفرد بالرواية عنه عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، ولم يؤثر توثيقه عن غير ابن حبان، وقال الحسيني في "الإكمال": مجهول، وتعقبه الحافظ في "التعجيل" بقوله: صحح ابن خزيمة حديثه، ومقتضاه أن يكون عنده من الثقات. قلنا:

وله علة أخرى، وهي تفرد عبد الله: بن عبد الرحمن الطائفي به، وهو ضعيف يعتبر به في الشواهد والمتابعات، ولم يتابعه أحد هنا.

وأخرجه ابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (١٢٧٥) من طريق ابن أبي شيبة، بهذا الإسناد.

وأخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" ١٣٨/٣-١٣٩، وابن خزيمة (١٧٧٨) ، والطبراني فيه "الكبير" (٤١٢٦) و (٤١٢٧) من طرق عن مروان بن معاوية، به.

وأخرجه ابن أبي عاصم (١٢٧٤) ، والطبراني (٤١٢٨) من طريق أبي عاصم الضحاك بن مخلد، عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، به قال السندي: قوله: "في مشرق ثقيف" ضبط على وزن اسم المفعول من التشريق، قيل: وهو سوق بالطائف.

على قوس: معتمدا عليه.

فقال من معهم من قريش: تنفيرا لهم.

(٢) انظر: تفسير المراغي: ١٠٩/٣٠.

هزل، من غير امتراء، وشفاعة حضرة الكبرياء إلى سيد الأنبياء بإمهال الكافرين، فى العذاب والبلاء، في قوله: {أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا} [الطارق : ١٧] "[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

المنسوخ فيها آية واحدة: {فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا} [الطارق : ١٧]، نسختها آية السيف[٢].

- **فضائل السورة:**

- عن جابر بن سمرة، عن جابر بن سمرة، "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر والعصر بـ« السماء والطارق»، و«السماء ذات البروج»"[٣].
- عن أبي هريرة:" أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء، يعني: «ذات البروج» و«السماء والطارق»"[٤].
- عن نافع:" أن ابن عمر «كان يقرأ في الصبح بالعشر السور من أول المفصل، يرددهن في كل ركعة سورة»[٥]. قال محمد: يقرأ في الفجر في السفر «والسماء ذات البروج»، و«السماء والطارق» ونحوهما.
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: « «من قرأ سورة الطارق أعطاه الله من الأجر بعدد كلّ نجم في السماء عشر حسنات» [٦].[موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٢/١.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٢/١.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة(٣٥٧٠): ص٣١٢/١، وسنن الدارمي(١٣٢٧):ص٨١٨/٢

(٤) أخرجه أحمد (٨٣١٤):ص٢٨٠/٨. إسناده ضعيف، أبو المهزم -واسمه يزيد بن سفيان، وقيل: عبد الرحمن بن سفيان- ضعفه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم، وقال البخاري: تركه شعبة بن الحجاج، وقال الدارقطني: يترك، وقال النسائي: متروك الحديث. ورزيق بن أبي سلمى أورده ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" ٥٠٥/٣ وذكر أنه روى عن الحسن وعطاء وبكر بن عبد الله، وروى عنه عبد الرحمن بن مهدي ومسلم بن إبراهيم، ولم يوثقه أحد، فهو مجهول الحال.

(٥) موطأ مالك رواية محمد بن الحسن الشيباني(٢٠٠):ص٨١.

(٦) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٧٧/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٣٢٠/١٠. [والحديث موضوع].

القرآن

{وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤)} [الطارق : ١-٤]

التفسير:

أقسم الله سبحانه بالسماء والنجم الذي يطرق ليلا وما أدراك ما عِظَمُ هذا النجم؟ هو النجم المضيء المتوهِّج. ما كل نفس إلا أوكل بها مَلَك رقيب يحفظ عليها أعمالها؛ لتحاسب عليها يوم القيامة.

سبب نزول الآيات: [١-٣]:

قال الثعلبي:" نزلت في أبي طالب وذلك لأنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتحفه بخبز ولبن فبينما هو جالس يأكل إذا بخط نجم فامتلأ ماء ثمّ نارا ففزع أبو طالب وقال: أي شيء هذا، فقال رسول الله -عليه السلام- «هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله تعالى»"[١].

قال محمد بن السّائِب الكلبي: "{والسَّماءِ والطّارق} نزلت في أبي طالب، وذلك أنه أتى النبيَّ - صلى الله عليه وسلم -، فأتحفه بخبز ولبن، فبينما هو جالس يأكل إذا انحطّ نجم فامتلأ ماء ثم نارًا، ففزع أبو طالب، وقال: أي شيء هذا؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «هذا نجم رُمي به، وهو آية مِن آيات الله - عز وجل -». فعجب أبو طالب؛ فأنزل الله - عز وجل -: {والسَّماءِ والطّارِق}"[٢].

قوله تعالى:{وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ} [الطارق : ١]، أي:" أقسم بالسماء والنجم الذي يطرق ليلا"[٣].

قال ابن كثير:" يقسم تعالى بالسماء وما جعل فيها من الكواكب النيرة"[٤].

قال الفراء:" الطارق: النجم، لأنه يطلع بالليل، وما أتاك ليلا فهو طارق"[٥].

قال الزجاج:" الطارق: النجم، والنجم يعنى به النجوم، وإنما قيل للنجم: طارق، لأنه طلوعه بالليل، وكل ما أتى ليلا فهو طارق، لأن الليل يسكن فيه، ومن هذا قيل: أطرق فلان إذا أمسك عن الكلام وسكن"[٦].

عن الضحاك:" {الطّارِق}: النجم"[٧].

عن قتادة:" {والسَّماءِ والطّارق}، قال: هو ظهور النجوم بالليل، يقول: تطرقك بالليل"[٨].

عن ابن جريج:" {والسَّماءِ والطّارق}، قال: النجم يخفى بالنهار، ويبدو بالليل"[٩].

عن ابن عباس:" {وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ}، قال: السماء وما يطرق فيها"[١٠].

حكي أبو الليث عن ابن عباس:" قال: الطارق: الكواكب التي تطرق في الليل، وتخفى في النهار"[١].

---

(١) حكاه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٧٧/١٠، والواحدي في "أسباب النزول": ٤٥٣. والخبر بدون إسناد.

(٢)تفسير البغوي ٨/ ٢٩١. قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص ١٨٣: «ذكره الثعلبي والواحدي بغير إسناد».

(٣) التفسير الميسر: ٥٩١.

(٤) تفسير ابن كثير: ٣٧٤/٨.

(٥) معاني القرآن: ٢٥٤/٣.

(٦) معاني القرآن: ٣١١/٥.

(٧) أخرجه الطبري:٣٥١/٢٤.

(٨)أخرجه عبد الرزاق(٣٥٦٩) ص٤١٦/٣، والطبري:٣٥١/٢٤، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٩)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٥١/٢٤.

قال ابن كثير:" قال قتادة وغيره : إنما سمي النجم طارقا ؛ لأنه إنما يرى بالليل ويختفي بالنهار. ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح : نهى أن يطرق الرجل أهله طروقا[٢]، أي : يأتيهم فجأة بالليل. وفي الحديث الآخر المشتمل على الدعاء : «إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن»[٣]"[٤].

وحكي أبو الليث عن سعيد بن جبير، قال: «سألت ابن عباس- رضي الله عنهم- عن قوله: :{وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ}، فقال: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣)} [الطارق : ٢ - ٣]، وسكت. فقلت له: مالك؟ فقال: والله ما أعلم منها، إلا ما أعلم ربي». يعني: تفسير الآية ما ذكر في هذه الآية، وهو قوله: والنجم الثاقب. يعني: هو الطارق"[٥].

قوله تعالى:{وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ} [الطارق : ٢]، أي:" وما أدراك ما عِظَمُ هذا النجم؟"[٦].

قال أبو الليث:" على وجه التعجب والتعظيم"[٧].

قال القشيري:" استفهام، يراد منه تفخيم شأن هذا النجم"[٨].

قال ابن فورك: " أي: إنك لم تدر حتى أعلمتك وكل ما يعلمه الإنسان فالله أعلمه بالضرورة أو بالدليل"[٩].

قوله تعالى:{النَّجْمُ الثَّاقِبُ} [الطارق : ٣]، أي:" هو النجم المضيء المتوهِّج"[١٠].

وفي تفسير قوله تعالى:{النَّجْمُ الثَّاقِبُ} [الطارق : ٣]، وجوه:

أحدها : يعني: المضيء، قاله ابن عباس[١١]، وقتادة[١٢]، وعطاء الخراساني[١٣]، ويحيى بن سلام[١٤]، ومقاتل[١٥]، وأبو عبيدة[١٦].

قال ابن عباس:" هي الكواكب المضيئة، وثقوبه: إذا أضاء"[١٧].

قال يحيى بن سلام:" يعني: الكوكب المضيء"[١٨].

وقال عكرمة : "هو مضيء ومحرق للشيطان"[١٩].

قال النحاس:" أصحّ ما قيل في معنى الثاقب ما رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس الثاقب قال: يقول: المضي"[٢٠].

---

(١) بحر العلوم: ٥٦٨/٣.
(٢)رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٢٤٣) من حديث جابر، رضي الله عنه.
(٣)رواه الإمام أحمد في المسند (٤١٩/٣) من حديث عبد الرحمن بن خنبش، رضي الله عنه.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٧٤/٨-٣٧٥.
(٥) نقلا عن: بحر العلوم للسمرقندي: ٥٦٨/٣.
(٦) التفسير الميسر: ٥٩١.
(٧) بحر العلوم: ٥٦٨/٣.
(٨) لطائف الإشارات: ٧١٤/٣.
(٩) تفسير ابن فورك: ١٩٥/٣.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٩١.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٢/٢٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٢/٢٤.
(١٣) انظر: الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٣١٥):ص١٠٩.
(١٤) انظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٩٢.
(١٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٥٩/٤.
(١٦) انظر: مجاز القرآن: ٢٩٤/٢.
(١٧) أخرجه الطبري: ٣٥٢/٢٤.
(١٨) التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٩٢.
(١٩) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٧٥/٨.
(٢٠) إعراب القرآن: ١٢٣/٥.

عن قتادة: "{النَّجْمُ الثَّاقِبُ}: المضيء"[١].
قال قتادة:" ثقوبه: ضوءه"[٢].
قال عطاء الخراساني:" ثقوبه: استنارته"[٣].
قال أبو عبيدة:" المضيء، أثقب نارك أضئها"[٤].
قال الفراء:" الثاقب: المضيء، والعرب تقول: أثقب نارك، للموقد"[٥].
قال الزجاج:" الثاقب: المضيء، يقال: ثقب يثقب تقوبا. إذا أضاء، ويقال للموقد: أثقب نارك، أي: أضئها"[٦].
قال الراغب:" الثَّاقِب: المضيء الذي يثقب بنوره وإضاءته ما يقع عليه. قال الله تعالى: {فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ} [الصافات: ١٠] ، وقال تعالى: {وَما أَدْراكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ} [الطارق: ٢- ٣] ، وأصله من الثُّقْبَة، والمَثْقَب: الطريق في الجبل، كأنه قد ثقب، وقال أبو عمرو: والصحيح: المِثْقَب[٧]، وقالوا: ثَقَبْتُ النار، أي: ذكيتها"[٨].
الثاني : المتوهَّج، قاله مجاهد[٩].
الثالث : المنقضّ ، قاله عكرمة[١٠].
الرابع: أن الثاقب: هو النجم، حين يرسل على الشياطين، فيثقبه، يعني: فيحرقه. قاله الحسن البصري[١١]، وعطاء[١٢].
وروي عن عكرمة، قال: أن "{الثَّاقِبُ}: الذي يثقب"[١٣].
وحكي الماوردي عن السدي:" الثاقب : الشياطين حين ترمى"[١٤].
ولفظ آخر حكاه ابن كثير عن السدي:" يثقب الشياطين إذا أرسل عليها"[١٥].
قال الماتريدي:" الذي يثقب الشيطان، أي: يخرقه"[١٦].
قال يزيد الرقاشي: "يثقب الشيطان حتى يخرج من الجانب الآخر، فذكر ذلك لابي مجلز رضي الله، عنه، فقال: ليس ذاك، ولكن ثقوبه ضوءه"[١٧].
الخامس : الثاقب في مسيره ومجراه ، قاله الضحاك[١٨].
قال النحاس:" لطلوعه من المشرق كأنه يثقب موضعه"[١٩].
السادس : أن الثاقب الذي قد ارتفع على النجوم كلها، قاله الفراء[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٥٢/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٣٥٢/٢٤.
(٣)الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٣١٥):ص١٠٩.
(٤) مجاز القرآن: ٢٩٤/٢.
(٥) معاني القرآن: ٢٥٤/٣.
(٦) معاني القرآن: ٣١١/٥.
(٧)وفي (شمس العلوم) : المثقب: الطريق، ويقال: إنه أفصح من مفتوح الميم. راجع شمس العلوم ١/ ٥٠.
(٨) المفردات في غريب القرآن: ١٧٣.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٢/٢٤.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٢٤٦/٦.
(١١) انظر: بحر العلوم للسمرقندي: ٥٦٨/٣.
(١٢) حكاه الثعلبي عنه في "الكشف والبيان": ١٧٨/١٠.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٢/٢٤.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ٢٤٦/٦.
(١٥) تفسير ابن كثير: ٣٧٥/٨.
(١٦) تأويلات أهل السنة: ٤٩١/١٠.
(١٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٣٨):ص٣٢٠٥/١٠.
(١٨) انظر: النكت والعيون: ٢٤٦/٦.
(١٩) إعراب القرآن: ١٢٣/٥.

قال الفراء:" والعرب تقول للطائر إذا لحق ببطن السماء ارتفاعا: قد ثقب"[٢].

قال ابن خالويه:" يقال: ثقب الطائر إذا علا في الهواء، وأسف إذا دنا من الأرض، ودوم إذا سكن جناحيه ليستقل"[٣].

وفي هذا النجم ثلاثة أقوال:

أحدها : أنه زُحل، قاله عليّ[٤]، وابن عباس[٥].

روى أبو الجوزاء عن ابن عباس قال: "هو زحل، ومسكنه في السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم، فإذا أخذت النجومُ أمكنتَها من السماء، هبط، فكان معها، ثم رجع إلى مكانه من السماء السابعة، فهو طارق حين ينزل، وطارق حين يصعد"[٦].

قال الثعلبي:" قيل: هو زحل سمي بذلك لارتفاعه، وتقول العرب للطائر إذا لحق ببطن السماء ارتفاعا: قد ثقب"[٧].

وقال السمعاني:" يعني: أنه يثقب السموات بضيائه"[٨].

الثاني : الثريّا ، قاله ابن زيد[٩].

قال السمعاني:" والعرب إذا أطلقت النجم، عنت به الثريا"[١٠].

الثالث: أنه اسم جنس، ذكره علي بن أحمد النّيسابوريّ[١١]. وهو قول الحسن[١٢].

قال الحسن:" {النَّجْمُ}: -ها هنا- جماع النجوم"[١٣].

قال الواحدي:" {النَّجْمُ الثَّاقِبُ}، اسم الجنس، وأُريد به العموم في قول أهل المعاني، وأكثر أهل التفسير"[١٤].

وقال مقاتل:" وذلك أن الله- عز وجل- خلق النجوم ثلاثة: نجوم يهتدى بها، ونجوم رجوم للشياطين، ونجوم مصابيح الأرض، فأقسم الله- عز وجل- بها"[١٥].

قوله تعالى:{إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ} [الطارق : ٤]، أي:" ما كل نفس إلا أوكل بها مَلَك رقيب يحفظ عليها أعمالها؛ لتحاسب عليها يوم القيامة"[١٦].

قال الطبري: أي:" إن كلّ نفس لعليها حافظ من ربها، يحفظ عملها، ويُحصي عليها ما تكسب من خير أو شرّ"[١٧].

---

(١) معاني القرآن: ٢٥٤/٣.

(٢) معاني القرآن: ٢٥٤/٣.

(٣) إعراب ثلاثين سورة: ٤١.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٢٤٦/٦، وزاد المسير: ٤٢٨/٤

(٥) انظر: زاد المسير: ٤٢٨/٤.

(٦) نقلا عن: زاد المسير: ٤٢٨/٤. وحكاه عنه الثعلبي دون تسمية الزحل، فقال:" الطارق: نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم، فإذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم رجع إلى مكانه من السماء السابعة، وهو زحل فهو طارق حين ينزل وطارق حين يصعد".

(٧) الكشف والبيان: ٧٨!/١٠.

(٨) تفسير السمعاني: ٢٠٣/٦.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٢/٢٤.

(١٠) تفسير السمعاني: ٢٠٣/٦.

(١١) انظر: زاد المسير: ٤٢٨/٤.

(١٢) انظر: تفسير ابن فورك: ١٩٥/٣.

(١٣) نقلا عن: تفسير ابن فورك: ١٩٥/٣.

(١٤) التفسير البسيط: ٤٠٤/٢٣.

(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٥٩/٤.

(١٦) التفسير الميسر: ٥٩١.

(١٧) تفسير الطبري: ٣٥٣/٢٤.

قال أبو الليث:" فأقسم الله تعالى بالسماء ونجومها. ويقال: بخالق السماء ونجومها إن كل نفس لما عليها حافظ وهذا جواب القسم، يعني: ما من نفس إلا عليها حافظ من الملائكة، يحفظ قولها وفعلها"[١].

وفي قوله تعالى:{إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ} [الطارق : ٤]، وجهان[٢]:

أحدهما : أن «ما» التي بعد اللام صله زائدة ، وتقديره : إن كل نفس لعليها حافظ ، قاله الأخفش[٣]، وأبو عبيدة[٤]، والزجاج[٥].

الثاني : «لَما» بمعنى: «إلاّ» ، وتقديره : إنْ كل نفس إلاَّ عليها حافظ ، قاله ابن عباس[٦]، ويحيى بن سلام[٧].

قال الفراء:" قرأها العوام «لما»، وخففها بعضهم. الكسائي كان يخففها، ولا نعرف جهة التثقيل، ونرى أنها لغة في هذيل، يجعلون إلا مع إن المخففة «لما» . ولا يجاوزون ذلك. كأنه قال: ما كل نفس إلا عليها حافظ"[٨].

عن ابن عون، قال: "قرأت عند ابن سيرين: {إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ} فأنكره[٩]، وقال: سبحان الله، سبحان الله"[١٠].

عن الحسن البصري -من طريق هارون- أنه كان يقرؤها: "{إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمّا عَلَيْها حافِظٌ} مُشدّدة. ويقول: إلا عليها حافظ، وهكذا كلّ شيء في القرآن بالتثقيل"[١١].

وفي «الحافظ»، وجوه :

أحدها : أنهم الحفظة من الملائكة. قاله ابن عباس[١٢].

قال ابن عباس:" كلّ نفس عليها حفظة من الملائكة"[١٣].

قال السمعاني:" الحافظ: هو الملك"[١٤].

قال ابن فورك:" الحافظ: المانع من هلاك الشيء"[١٥].

قال ابن كثير:" أي : كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات، كما قال تعالى :{لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} الآية [الرعد : ١١]"[١٦].

الثاني : حافظ من الله يحفظ عليه أجله ورزقه ، قاله سعيد بن جبير [١٧].

قال ابن جريج:" يحفظ عمله، وأجله، ورزقه"[١٨].

---

(١) بحر العلوم: ٥٦٨/٣.

(٢)قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائى {لما} خفيفة، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة {لما} مشددة. [انظر: السبعة في القراءات: ٦٧٨].

(٣) انظر: معاني القرآن: ١٢٠/١.

(٤) انظر: مجاز القرآن: ٢٩٤/٢.

(٥) انظر: معاني القرآن: ٣١١/٥.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢١٢):ص٣٤١٥/١٠.

(٧) انظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ١٤٣.

(٨) معاني القرآن: ٢٥٤/٣.

(٩) أي: أنكر التشديد في «لما».

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٥٣/٢٤.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٤/ ٣٥٢، و{لَّمّا} بتشديد الميم قراءة متواترة، قرأ بها ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر، وقرأ بقية العشرة: «لما» بالتخفيف. انظر: الإتحاف ص ٥٧٩.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٣/٢٤.

(١٣) أخرجه الطبري: ٣٥٣/٢٤.

(١٤) تفسير السمعاني: ٢٠٣/٦.

(١٥) تفسير ابن فورك: ١٩٥/٣.

(١٦) تفسير ابن كثير: ٣٧٥/٨.

(١٧) انظر: النكت والعيون: ٢٤٦/٦.

(١٨)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

الثالث : حفظة من الملائكة يحفظون عليه عمله من خير أو شر ، قاله قتادة[١]، ومقاتل[٢].
قال قتادة:" حفظة يحفظون عملك ورزقك وأجلك، إذا توفيته يا ابن آدم قُبِضت إلى ربك"[٣].
قال قتادة:" قرينه يحفظ عمله"[٤].
قال مقاتل:" من الملائكة يكتبون حسناته وسيئاته"[٥].
الرابع : حافظ من الله يحفظ قولها وفعلها ويحفظها حتى يدفعها ويسلمها إلى المقادير، ثم تخلى عنها. قاله الكلبي[٦]، وحصين[٧]، والفراء[٨].
قال الفراء:" الحافظ من الله عز وجل يحفظها، حتى يسلمها إلى المقادير"[٩].
قال ابن عطية:" وهذا قول فاسد المعنى، لأن مدة الحفظ إنما هي بقدر"[١٠].
وروي عن خُصَيف بن عبد الرحمن -من طريق عتّاب بن بشر- في قوله: {إن كل نفس لما عليها حافظ}، يقول: لَمّا عليها مِن الحق حافظ من الله"[١١].
عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وكل بالمؤمن تسعون ومئة ملك يذبون عنه ما لم يقدر عليه، من ذلك النفر تسعة أملاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل من الذباب في اليوم الصائف، وما لو بدا لكم لرأيتموه على جبل، وسهل كلهم باسط يديه فاعرفاه، وما لو وكل العبد فيه إلى نفسه طرفة عين خطفته الشياطين»[١٢].

القرآن
{فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨)} [الطارق : ٥-٨]
التفسير:
فلينظر الإنسان المنكر للبعث مِمَّ خُلِقَ؟ ليعلم أن إعادة خلق الإنسان ليست أصعب من خلقه أوّلا خلق من منيٍّ منصبٍّ بسرعة في الرحم، يخرج من بين صلب الرجل وصدر المرأة. إن الذي خلق الإنسان من هذا الماء لقادر على رجعه إلى الحياة بعد الموت.
قوله تعالى:{فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ} [الطارق : ٥]، أي:" فلينظر الإنسان المنكر للبعث مِمَّ خُلِقَ؟ ليعلم أن إعادة خلق الإنسان ليست أصعب من خلقه أوّلا"[١٣].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فلينظر الإنسان المكذّب بالبعث بعد الممات، المُنكر قُدرة الله على إحيائه بعد مماته، من أيّ شيءٍ خلقه ربه"[١٤].
قال النحاس:" من نظر القلب"[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٣/٢٤.
(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٥٩/٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٣٥٣/٢٤.
(٤) تفسير عبدالرزاق(٣٥٧٣):ص٤١٧/٣.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٥٩/٤.
(٦) انظر: الكشف والبيان: ١٧٩/١٠.
(٧) انظر: الكشف والبيان: ١٧٩/١٠.
(٨) انظر: معاني القرآن: ٢٥٥/٣.
(٩) معاني القرآن: ٢٥٥/٣.
(١٠) المحرر الوجيز: ٤٦٥/٥.
(١١)أخرجه سعيد بن منصور في سننه -التفسير ٨/ ٣١٧ (٢٤٤١).
(١٢) المعجم الكبير للطبراني(٧٧٠٤):ص١٦٧/٨، وانظر: مجمع الزوائد(١١٩٠٣):ص٢٠٩/٧، وقال:" رواه الطبراني، وفيه عفير بن معدان، وهو ضعيف".
(١٣) التفسير الميسر: ٥٩١.
(١٤) تفسير الطبري: ٣٥٣/٢٤.

قال ابن فورك:" النظر: -ها هنا- نظر الاعتبار"[٢].
قال ابن عباس:" هو أبو الأشدين، كان يقوم على الأديم فيقول: يا معشر قريش من أزالني عنه فله كذا"[٣].
عن عكرمة، في قوله: {فَلْيَنْظُرِ الإنْسانُ مِمَّ خُلِقَ}، قال: "هو أبو الأشُدَّيْن، كان يقوم على الأديم، فيقول: يا معشر قريش، مَن أزالني عنه فله كذا وكذا. ويقول: إنّ محمدًا يزعم أنّ خزنة جهنم تسعة عشر، فأنا أكفيكم وحدي عشرة، واكفوني أنتم تسعة"[٤].
قوله تعالى:{خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ} [الطارق : ٦]، أي: خلق من منيٍّ منصبٍّ بسرعة في الرحم"[٥].
قال ابن كثير:" يعني: من ماء مدفوق"[٦].
قال مقاتل:" خلق من ماء الرجل، والمرأة «والتصق بعضه على بعض فخلق منه"[٧].
قوله تعالى:{يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ} [الطارق : ٧]، أي:" يخرج من بين صلب الرجل وصدر المرأة"[٨].
قال ابن كثير:" يعني: يخرج منهما"[٩].
وفي تفسير قوله تعالى:{يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ} [الطارق : ٧]، وجهان:
أحدهما : من بين صلب الرجل وترائبه ، قاله الحسن[١٠]، وقتادة[١١].
قال قتادة:" يخرج من بين صلب الرجل ونحره"[١٢].
الثاني : بمعنى أصلاب الرجال وترائب النساء. قاله ابن عباس[١٣]، وعكرمة[١٤]، وسفيان[١٥].
قال سفيان:" الصُّلب للرجل، والترائب للمرأة"[١٦].
قال ابن عباس:" صلب الرجل وترائب المرأة، لا يكون الولد إلا منهما"[١٧].
وفي «التَّرَائِبِ»، ستة أقوال :
أحدها : أنه الصدر ، قاله سعيد بن جبير[١٨]، وابن عياض[١٩]، وابن زيد[٢٠]، ومنه قول دريد بن الصمة[٢١]:
فإنَّ تُدْبروا نأخذكُم في ظهوركم ... وإنْ تُقْبلُوا نأخذكُم في الترائب

---

(١) إعراب القرآن: ١٢٣/٥.
(٢) تفسير ابن فورك: ١٩٥/٣.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢١٢):ص٣٤١٥/١٠.
(٤)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.
(٥) التفسير الميسر: ٥٩١.
(٦) تفسير الطبري: ٣٥٤/٢٤.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٥٩/٤.
(٨) التفسير الميسر: ٥٩١.
(٩) تفسير الطبري: ٣٥٤/٢٤.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٢٤٧/٦.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٥/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٣٥٥/٢٤.
(١٣)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٤/٢٤.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٥/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ٣٥٥/٢٤.
(١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢١٣):ص٣٤١٥/١٠.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٤/٢٤.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٤/٢٤.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٤/٢٤.
(٢١) النكت والعيون: ٢٤٧/٦، وتفسير القرطبي: ٥/٢٠.

قال ابن زيد:" التراب: الصدر. وهذا الصلب وأشار إلى ظهره"[١].
الثاني : ما بين المنكبين والصدر ، قاله مجاهد[٢].
وروي عن مجاهد: "{التَّرَائِبِ}، قال: أسفل من التراقي"[٣].
وقال سفيان:" التراب فوق الثديين"[٤].
الثالث : أن «التراب»: موضع القلادة ، قاله ابن عباس[٥]، وعكرمة[٦]، ومقاتل[٧]،قال المثقّب العبدي[٨]:
وَمِنْ ذَهَبٍ يُسَنُّ عَلَى تَرِيبٍ ... كَلَوْنِ العَاجِ لَيْسَ بِذِي غُضُونِ
وقال آخر[٩]:
وَالزَّعْفَرَانُ عَلَى تَرَائِبِهَا شَرِقا ... بِهِ اللَّبَّاتُ والنَّحْرُ
قال ابن عباس:" تريبة المرأة وهو موضع القلادة"[١٠].
وقال ابن عباس:" يقول: من بين ثدي المرأة"[١١].
عن أبي رجاء، قال: "سُئل عكرمة عن «التراب»، فقال: هذه، ووضع يده على صدره بين ثدييه"[١٢].
وقال الزجاج:" قال أهل اللغة أجمعون: التراب موضع القلادة من الصدر، وأنشدوا لامرئ القيس[١٣]:
مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ ... تَرائِبُها مَصْقُولَةٌ كالسَّجَنْجَلِ"[١٤].
الرابع : أن التراب: الأضلاع التي أسفل الصلب، قاله سعيد بن جبير[١٥].
وقال الزجاج:" التراب: جاء في التفسير أنها أربعة أضلاع من يمنة الصدر وأربع أضلاع من يسرة الصدر"[١٦].
الخامس : أن «التراب»: أطراف الرجل واليدان والرجلان والعينا ، قاله ابن عباس-أيضا-[١٧]، والضحاك[١٨].
قال الضحاك:" التراب: اليدان والرجلان"[١٩].

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٥٤/٢٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٥/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٣٥٥/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٣٥٥/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٤/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٤/٢٤.
(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٥٩/٤.
(٨)الشاهد للمثقب العبد في شعره ص ٣٢، وديوان المفضليات ٥٧٩، وتفسير الطبري: ٣٥٦/٢٤.
(٩)الشاهد للمخبّل السعدي في ديوانه: ٢٩٣، ولسان العرب (شرق) ، وتاج العروس (شرق) ، وبلا نسبة في تاج العروس (ترب) ، ولسان العرب (ترب) ، والمخصص ٢/ ٢٠ ، ومعاني القرآن للفراء: ١٤٦/٣، وتفسير الطبري: ٣٥٦/٢٤، والبحر المحيط في التفسير: ٤٥٣/٨.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢١٤):ص٣٤١٥/١٠.
(١١) أخرجه الطبري: ٣٥٤/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٣٥٤/٢٤.
(١٣)الشاهد لامرئ القيس في ديوانه ١٥، ولسان العرب (سجل) ، وتهذيب اللغة ٥/ ٣٧٧، وتاج العروس (ترب) و (فيض) ، و (هفف) ، و (سجل) وبلا نسبة في لسان العرب (ترب) و (هفف) وديوان الأدب ٢/ ٨٦.
(١٤) معاني القرآن: ٣١٢/٥.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٦/٢٤.
(١٦) معاني القرآن: ٣١٢/٥.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٥/٢٤.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٥/٢٤.
(١٩) أخرجه الطبري: ٣٥٥/٢٤.

وقال الضحاك:" عيناه ويداه ورجلاه"[1].
السادس : هي عصارة القلب، ومنه يكون الولد. قاله معمر بن أبي حبيبة[2].
قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك عندنا، قولُ من قال: هو موضع القِلادة من المرأة، حيث تقع عليه من صدرها؛ لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب، وبه جاءت أشعارهم"[3].
قوله تعالى:{إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ} [الطارق : ٨]، أي:" إن الذي خلق الإنسان من هذا الماء لقادر على رجعه إلى الحياة بعد الموت"[4].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن هذا الذي خلقكم أيها الناس من هذا الماء الدافق، فجعلكم بشرًا سويًا، بعد أن كنتم ماء مدفوقًا، على رجعه لقادر"[5].
وفي تفسير قوله تعالى:{إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ} [الطارق : ٨]، وجوه:
أحدها : على أن يرد المني في الإحليل ، قاله مجاهد[6].
عن مجاهد: "{إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ}، قال: في الإحليل"[7].
قال مجاهد:" على أن يرد الماء في الإحليل"[8].
قال مجاهد:" على ردّ النطفة في الإحليل"[9].
الثاني : على أن يرد الماء في الصلب ، قاله عكرمة[10].
عن عكرمة: "{إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ}، قال: لِلصُّلب"[11].
قال عكرمة:" إنه على رَدّه في صُلْبه لقادر"[12].
الثالث : على أن يرد الإنسان من الكبر إلى الشباب ، ومن الشباب إلى الصبا ، ومن الصبا إلى النطفة ، قاله الضحاك[13].
قال الضحاك:" يقول: إن شئتُ رددته من الكبر إلى الشباب، ومن الشباب إلى الصِّبا، ومن الصبا إلى النطفة"[14].
الرابع : على ردّ الإنسان ماءً كما كان قبل أن يخلقه منه. وهذا قول الضحاك أيضا-[15].
قال الضحاك:" إن شئتُ رددتُه كما خلقته من ماءٍ"[16].
الخامس : على أن يعيده حيّاً بعد موته ، قاله الحسن[17]، وعكرمة[18]، وقتادة[19].

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٥٥/٢٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٦/٢٤.
(٣) تفسير الطبري: ٣٥٦/٢٤.
(٤) التفسير الميسر: ٥٩١.
(٥) تفسير الطبري: ٣٥٦/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٧/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٧/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢٤.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٨/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٣٥٨/٢٤. قال الطبري:" وعلى هذا التأويل تكون الهاء في قوله: {عَلَى رَجْعِهِ} من ذكر الإنسان".
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٧/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢٤.
(١٧) انظر: النكت والعيون: ٢٤٧/٦.
(١٨) انظر: النكت والعيون: ٢٤٧/٦.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٨/٢٤.

عن قتادة: "{إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ}، إن الله تعالى ذكره على بعثه وإعادته قادر"[١].
السادس : على أن يحبس الماء فلا يخرج. وهذا قول ابن زيد[٢].
قال ابن زيد:" على رجع ذلك الماء لقادرٌ، حتى لا يخرج، كما قدر على أن يخلق منه ما خلق قادر على أن يرجعه"[٣].
قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: إن الله على ردّ الإنسان المخلوق من ماء دافق من بعد مماته حيًّا، كهيئته قبل مماته لقادر، وإنما قلت: هذا أولى الأقوال في ذلك بالصواب؛ لقوله: {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ}، فكان في إتباعه قوله: {إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ}، نبأ من أنباء القيامة، دلالة على أن السابق قبلها أيضًا منه، ومنه {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ} يقول تعالى ذكره: إنه على إحيائه بعد مماته لقادر يوم تُبلى السرائر، فاليوم من صفة الرجع، لأن المعنى: إنه على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر"[٤].

القرآن
{يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠)} [الطارق : ٩-١٠]
التفسير:
يوم تُخْتَبر السرائر فيما أخفته، ويُمَيَّز الصالح منها من الفاسد، فما للإنسان من قوة يدفع بها عن نفسه، وما له من ناصر يدفع عنه عذاب الله.
قوله تعالى:{يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ} [الطارق : ٩]، أي:" يوم تُخْتَبر السرائر فيما أخفته، ويُمَيَّز الصالح منها من الفاسد"[٥].
قال الطبري:" يوم تُخْتَبَرُ سرائر العباد، فيظهر منها يومئذ ما كان في الدنيا مستخفيًا عن أعين العباد من الفرائض التي كان الله ألزمه إياها، وكلّفه العمل بها"[٦].
قال ابن كثير:" أي : يوم القيامة تبلى فيه السرائر، أي : تظهر وتبدو، ويبقى السر علانية والمكنون مشهورا. وقد ثبت في الصحيحين، عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «يرفع لكل غادر لواء عند استه يقال : هذه غَدْرَةُ فلان بن فلان»[٧]"[٨].
عن سفيان: "{يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ}، قال: تُخْتَبَر"[٩].
قال عطاء بن أبي رباح:" ذلك الصوم والصلاة وغسل الجنابة، وهو السرائر، ولو شاء أن يقول: قد صُمْتُ، وليس بصائم، وقد صلّيتُ، ولم يصلّ، وقد اغتسلت، ولم يغتسل"[١٠].
عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من حافظ عليها فهو وليّ الله حقا، ومن اختانهن فهو عدو الله حقا، الصلاة والصوم والغسل من الجنابة»[١١].
عن قتادة: "{يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ}، إن هذه السرائر مختبرة، فأسِرّوا خيرًا وأعلنوه إن استطعتم، ولا قوّة إلا بالله"[١٢].

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٥٨/٢٤. قال الطبري:" وعلى هذا التأويل تكون الهاء في قوله: {عَلَى رَجْعِهِ} من ذكر الإنسان".
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٧/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢٤.
(٤) تفسير الطبري: ٣٥٨/٢٤.
(٥) التفسير الميسر: ٥٩١.
(٦) تفسير الطبري: ٣٥٨/٢٤.
(٧)صحيح البخاري برقم (٣١٨٨) وصحيح مسلم برقم (١٧٣٥).
(٨) تفسير ابن كثير: ٣٧٦/٨.
(٩) أخرجه الطبري: ٣٥٩/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٣٥٨/٢٤.
(١١) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٨٠/١٠.
(١٢) أخرجه الطبري: ٣٥٩/٢٤.

قال الزمخشري:" {السَّرائِرُ}: ما أسرّ في القلوب من العقائد والنيات وغيرها، وما أخفى من الأعمال. وبلاؤها. تعرّفها وتصفحها، والتمييز بين ما طاب منها وما خبث"[١].

وعن الحسن أنه سمع رجلا ينشد[٢]:

سَيَبْقَى لَهَا فِيْ مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا ... سَرِيْرَةُ وِدٍّ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِر

فقال: ما أغفله عما في «وَالسَّماءِ وَالطَّارِقِ»؟"[٣].

قوله تعالى:{فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ} [الطارق : ١٠]، أي:" فما للإنسان من قوة يدفع بها عن نفسه، وما له من ناصر يدفع عنه عذاب الله"[٤].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فما للإنسان الكافر يومئذ من قوّة يمتنع بها من عذاب الله، وأليم نكاله، ولا ناصر ينصره فيستنقذه ممن ناله بمكروه، وقد كان في الدنيا يرجع إلى قوّةٍ من عشيرته، يمتنع بهم ممن أراده بسوءٍ، وناصرٍ من حليفٍ ينصره على من ظلمه واضطهده"[٥].

قال الزمخشري:" فما للإنسان {مِنْ قُوَّةٍ} من منعة في نفسه يمتنع بها، {وَلا ناصِرٍ}، ولا مانع يمنعه"[٦].

قال ابن كثير:" أي : الإنسان يوم القيامة {مِنْ قُوَّةٍ}، أي : في نفسه {وَلا نَاصِرٍ}، أي : من خارج منه، أي : لا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب الله، ولا يستطيع له أحد ذلك "[٧].

عن قتادة: "{فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ}: ينصره من الله"[٨].

قال قتادة:" من قوّة يمتنع بها، ولا ناصر ينصره من الله"[٩].

قال سفيان:" القوّة: العشيرة، والناصر: الحليف"[١٠].

القرآن

{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤)} [الطارق : ١١-١٤]

التفسير:

والسماء ذات المطر المتكرر، والأرض ذات التشقق بما يتخللها من نبات، إن القرآن لقول فصل بَيْنَ الحق والباطل، وما هو بالهزل.

---

(١) الكشاف: ٧٣٦/٤.

(٢)إذا رمت عنها سلوة قال شافع ... من الحب ميعاد السلو المقابر

سيقى لها في مضمر القلب والحشا ... سريرة ود يوم تبلى السرائر

لمجنون بنى عامر صاحب ليلى العامرية. وسلا عنه سلوة وسلوا: صد عنه وأعرض، وشبه بعث الحب إياه وحمله على دوام المودة بقول القائل على طريق التصريحية، وتسمية الحب شافعا: ترشيح. ومن بيانية. ويحتمل أنها تجريدية دلالة على أن الحب بلغ نهاية اللذة حتى حمل على دوام المودة فانتزع منه غيره وأسند له الفعل. ويجوز أنها تبعيضية دالة على أن بعضه يكفى في الشفاعة. وقوله «المقابر» أى دخولها، كناية عن الموت. والمراد: التأبيد، بدليل ما بعده. ومضمر القلب: المضمر في القلب. أو مضمر هو القلب. وتبلى: مبنى للفاعل، أى: تفنى.

ويحتمل بناءه للمفعول، أى: تختبر. والحشا- بالفتح-: عطف على القلب أعم منه، دلالة على أن الحب في غير قلبه أيضا.

(٣) نقلا عن: الكشاف: ٧٣٦/٤.

(٤) التفسير الميسر: ٥٩١.

(٥) تفسير الطبري: ٣٥٩/٢٤.

(٦) الكشاف: ٧٣٦/٤.

(٧) تفسير ابن كثير: ٣٧٦/٨.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٥٩/٢٤.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٥٩/٢٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٥٩/٢٤.

قوله تعالى:{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ} [الطارق : ١١]، أي:" والسماء ذات المطر المتكرر"[١].

وفي قوله تعالى:{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ} [الطارق : ١١]، وجهان من التفسير:

أحدها : ذات المطر، لأنه يرجع في كل عام ، قاله ابن عباس[٢]، وآخرون.

قال ابن الجوزي:" وسمي المطر رجعاً لأنه يجيء ويرجع ويتكرَّر، هذا قول المفسّرين وأهل اللغة"[٣].

قال الفراء:" تبتدئ بالمطر، ثم ترجع به في كل عام"[٤].

قال الزجاج:" ذات المطر لأنه يجيء ويرجع ويتكرر"[٥].

قال أبو عبيدة:" الماء، قال المتنخّل -يصف السيف-[٦]:

أبْيَضُ كالرَّجْعِ رَسُوبٌ إذَا ... مَا ثَاخَ فِي مُحْتَفَلٍ يَخْتَلِي"[٧].

عن ابن عباس: "{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ}، قال: السحاب فيه المطر"[٨].

قال ابن عباس:" ذات السحاب فيه المطر"[٩].

قال ابن عباس:" المطر بعد المطر"[١٠].

قال ابن عباس:" يعني بـ«الرجع»: القطر والرزق كلّ عام"[١١].

قال الحسن:" ترجع بأرزاق الناس كلّ عام"[١٢].

قال أبو رجاء: "سُئل عنها عكرمة، فقال: رجعت بالمطر"[١٣].

عن الضحاك:" {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ}، يعني: المطر"[١٤].

قال مجاهد:" السحاب يمطر، ثم يَرجع بالمطر"[١٥].

قال قتادة:" ترجع بالغيث كلّ عام"[١٦].

قال قتادة: "ترجع بأرزاق العباد كلّ عام، لولا ذلك هلكوا، وهلكت مواشيهم"[١٧].

قال الطبري:" ترْجع بالغيوم وأرزاق العباد كلّ عام؛ ومنه قول المتنخِّل في صفة سيف[١٨]:

أبْيَضُ كالرَّجْعِ رَسُوبٌ إذَا ... مَا ثَاخَ فِي مُحْتَفَلٍ يَخْتَلِي"[١٩].

قال الزمخشري:" {الرَّجْعِ}: تسمية بمصدري: رجع، وآب، وذلك أنّ العرب كانوا يزعمون أنّ السحاب يحمل الماء من بحار الأرض، ثم يرجعه إلى الأرض. أو أرادوا التفاؤل

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩١.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٠/٢٤.
(٣) زاد المسير: ٤٣٠/٤ .
(٤) معاني القرآن: ٢٥٥/٣.
(٥) معاني القرآن: ٣١٢/٥.
(٦)ديوان الستة الجاهليين: ٣١، يصف السيف، يقول: هو أبيض كالماء.
(٧) مجاز القرآن: ٢٩٤/٢.
(٨) أخرجه الطبري: ٣٦٠/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٣٦٠/٢٤.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢١٥):ص٣٤١٥/١٠.
(١١) أخرجه الطبري: ٣٦٠/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٣٦٠/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٣٦٠/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٣٦١/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٣٦٠/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ٣٦١/٢٤.
(١٧) أخرجه الطبري: ٣٦٠/٢٤.
(١٨) سبق تخريجه في قول أبي عبيدة السابق.
(١٩) تفسير الطبري: ٣٥٩/٢٤.

فسموه رجعا. وأوبا، ليرجع ويؤب. وقيل: لأنّ الله يرجعه وقتا فوقتا. قالت الخنساء: كالرجع في المدجنة السارية"[1].

الثاني : ذات النجوم الراجعة ، قاله ابن زيد[2].

قال ابن زيد:" شمسها وقمرها ونجومها يأتين من هاهنا"[3].

قال النحاس:" أهل التفسير على أنه المطر، لأنه يرجع كل عام، إلا ابن زيد، فإنه قال: {وَالسَّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ}: شمسها وقمرها ونجومها"[4].

قوله تعالى:{وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ} [الطارق : ١٢]، أي:" والأرض ذات التشقق بما يتخللها من نبات"[5].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ} [الطارق : ١٢]، وجوه:

أحدها : ذات النبات لانصداع الأرض عنه، قاله ابن عباس[6]، والحسن[7]، وقتادة[8]، والضحاك[9]، وسعيد بن جُبَير[10]، وعكرمة[11]، وأبو مالك[12]، والسدي[13]، والفراء[14]، والطبري[15]، والزجاج[16].

قال ابن الجوزي:" أي: ذات الشقّ، وقيل لها هذا، لأنها تتصدَّع وتتشقَّق بالنبات، هذا قول المفسّرين وأهل اللغة"[17].

قال الفراء:" تتصدع بالنبات"[18].

قال ابن عباس:" صدعها عن النبات"[19].

قال ابن عباس:" ذات النبات"[20].

قال ابن عباس:" يقول: صدعها إخراج النبات في كلّ عام"[21].

عن الضحاك :"{وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ}: النبات"[22].

قال قتادة:" تصدع عن النبات"[23].

قال قتادة:" تصدع عن الثمار وعن النبات كما رأيتم"[1].

---

(١) الكشاف: ٧٣٦/٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٦١/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٣٦١/٢٤.
(٤) إعراب القرآن: ١٢٥/٥.
(٥) التفسير الميسر: ٥٩١.
(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢١٥):ص٣٤١٥/١٠.
(٧) انظر: الطبري: ٣٦١/٢٤، وتفسير ابن كثير: ٣٧٦/٨.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٢/٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٢/٢٤.
(١٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٧٦/٨.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٣٦١/٢٤، وتفسير ابن كثير: ٣٧٦/٨.
(١٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٧٦/٨.
(١٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٧٦/٨.
(١٤) انظر: معاني القرآن: ٢٥٥/٣.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٦١/٢٤.
(١٦) انظر: معاني القرآن: ٣١٣/٥.
(١٧) زاد المسير: ٤٣٠/٤ .
(١٨) معاني القرآن: ٢٥٥/٣.
(١٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢١٥):ص٣٤١٥/١٠.
(٢٠) أخرجه الطبري: ٣٦١/٢٤.
(٢١) أخرجه الطبري: ٣٦١/٢٤.
(٢٢) أخرجه الطبري: ٣٦٢/٢٤.
(٢٣) أخرجه الطبري: ٣٦٢/٢٤.

قال الحسن:" هذه تصدع عما تحتها؛ قال أبو رجاء: وسُئل عنها عكرمة، فقال: هذه تصدع عن الرزق"[٢].
الثاني : ذات الأودية ، لأن الأرض قد انصدعت بها ، قاله ابن جريج[٣].
الثالث : ذات الطرق التي تصدعها المشاة ، قاله مجاهد[٤].
عن مجاهد: "{وَالأرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ}، مثل المأزم[٥] مأزم منى"[٦].
قال مجاهد:" الصدع: مثل المأزم، غير الأودية وغير الجُرُف"[٧].
الرابع : ذات الحرث، لأنه يصدعها. وهذا قول ابن زيد[٨].
قال ابن زيد، في قوله: "{وَالأرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ}، وقرأ: {ثُمَّ شَقَقْنَا الأرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا}، إلى آخر الآية، قال: صدعها للحرث"[٩].
الخامس: ذات الأموات: لانصداعها عنهم للنشور. حكاه القرطبي[١٠].
قوله تعالى:{إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ} [الطارق : ١٣]، أي:" إن القرآن لقول فصل بَيْنَ الحق والباطل"[١١].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن هذا القول وهذا الخبر لقول يفصل بين الحقّ والباطل ببيانه"[١٢].
قال الزجاج:" جواب القسم، يعنى: به القرآن، يفصل بين الحق والباطل"[١٣].
قال الثعلبي:" حق وجد وجزل يفصل بين الحق والباطل"[١٤].
قال القشيري:" أي: إن القرآن لقول جزم"[١٥].
عن ابن عباس: "{إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ}، يقول: حقّ"[١٦].
عن قتادة: "{إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ}، أي: حُكْم"[١٧].
وقال مقاتل:" يقول: إن الذي وصفته في هذه السورة لهو قول الحق"[١٨].
قوله تعالى:{وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ} [الطارق : ١٤]، أي:" ليس فيه شيءٌ من اللهو والباطل والعبث، بل هو جدٌّ كله"[١٩].
قال الطبري:" يقول: وما هو باللعب ولا الباطل"[٢٠].

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٦٢/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٣٦١/٢٤.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٢٤٩/٦.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٦١/٢٤.
(٥)المأزم: كل طريق ضيق بين جبلين، ومنه سمي الموضع الذي بين المشعر وعرفة مأزمين. وفي الصحاح: المأزم المضيق، وموضع الحرب أيضا.
(٦) أخرجه الطبري: ٣٦١/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٣٦١/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٢/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٣٦٢/٢٤.
(١٠) انظر: تفسير القرطبي: ١١/٢٠.
(١١) التفسير الميسر: ٥٩١.
(١٢) تفسير الطبري: ٣٦٢/٢٤.
(١٣) معاني القرآن: ٣١٣/٥.
(١٤) الكشف والبيان: ١٨١/١٠.
(١٥) لطائف الإشارات: ٧١٥/٣.
(١٦) أخرجه الطبري: ٣٦٢/٢٤.
(١٧) أخرجه الطبري: ٣٦٢/٢٤.
(١٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٦٠/٤.
(١٩) صفوة التفاسير: ٥٢٠/٣.
(٢٠) تفسير الطبري: ٣٦٢/٢٤.

قال مقاتل، والزجاج:" يقول: وما هو باللعب"[١].
قال ابن كثير:" أي : بل هو حق جد"[٢].
عن ابن عباس: "{وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ}، يقول: بالباطل"[٣].
عن مجاهد: "{وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ}، قال: باللعب"[٤].
قال سعيد بن جبير:" وما هو باللعب"[٥].
قال عطاء الخراساني:" الهزل: الباطل"[٦].
قال القشيري:" الهزل: ضد الجدّ، فليس القرآن بباطل ولا لعب"[٧].
قال الزمخشري:" يعنى: أنه جدّ كله لا هوادة فيه. ومن حقه- وقد وصفه الله بذلك- أن يكون مهيبا في الصدور، معظما في القلوب، يترفع به قارئه وسامعه وأن يلم بهزل أو يتفكه بمزاح، وأن يلقى ذهنه إلى أنّ جبار السماوات يخاطبه فيأمره وينهاه، ويعده ويوعده، حتى إن لم يستفزه الخوف ولم تتبالغ فيه الخشية، فأدنى أمره أن يكون جادّا غير هازل، فقد نعى الله ذلك على المشركين في قوله: {وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ(٦٠) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ} [النجم : ٦٠-٦١]، {وَالْغَوْا فِيهِ} [فصلت : ٢٦]"[٨].
عن عليٍّ، قال: سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «أتاني جبريل، فقال: يا محمد، إنّ أُمّتَك مختلفةٌ بعدك. قلتُ: فأين المخرج، يا جبريل؟ فقال: كتاب الله، به يُقْصَم كلُّ جبّار، مَن اعتصم به نجا، ومَن تركه هلك، قولٌ فصلٌ ليس بالهزل»"[٩].
عن الحارث الأعور، قال: "دخلتُ المسجد، فإذا الناس قد وقعوا في الأحاديث، فأتيتُ عليًّا، فأخبرتُه، فقال: أوَقَدْ فعلوها؟ سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إنها ستكون فتنة». قلتُ: فما المخرج منها، يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله؛ فيه نبأ مَن قبلكم، وخبر مَن بعدكم، وحُكْم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، مَن تركه مِن جبّار قصمه الله، ومَن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذِّكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تشبع منه العلماء، ولا تلتبس منه الألسن، ولا يَخلَق عن الرّدّ، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنتَهِ الجنُّ إذ سمعتْه أن قالوا: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ} [الجن: ١ - ٢]. مَن قال به صَدَق، ومَن حَكَم به عَدَل، ومَن عمل به أُجِر، ومَن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم»"[١٠].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٦٠/٤، ومعاني القرآن للزجاج: ٣١٣/٥.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٧٦/٨.
(٣) أخرجه الطبري: ٣٦٢/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٣٦٢/٢٤.
(٥)أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ٥٣٩.
(٦)أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ١٠٩.
(٧) لطائف الإشارات: ٧١٥/٣.
(٨) الكشاف: ٧٣٧/٤.
(٩)أخرجه أحمد ٢/ ١١١ - ١١٢ (٧٠٤) بنحوه.
قال الألباني في الضعيفة ٤/ ٢٥٨ (١٧٧٦): «ضعيف جدًّا».
(١٠)أخرجه الترمذي ٥/ ١٧١ - ١٧٢ (٣١٣٠). وأورده الثعلبي ٣/ ١٦٢.
قال الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول، وفي حديث الحارث مقال». وقال ابن كثير في تفسيره ١/ ٢١ تعقيبًا على كلام الترمذي: «قلتُ: لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات، بل قد رواه محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القُرَظيّ، عن الحارث الأعور، فبرئ حمزةُ مِن عهدته، على أنه وإن كان ضعيف الحديث إلا أنه إمام في القراءة، والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور وقد تَكلّموا فيه، بل قد كذّبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده، أمّا إنه تعمّد الكذب في الحديث فلا، والله أعلم. وقصارى هذا الحديث أن يكون مِن كلام أمير المؤمنين علي؟، وقد وهم بعضهم في رفعْه، وهو كلام حسن صحيح على أنه قد رُوي له شاهد عن عبد الله بن مسعود عن النبي - صلى الله عليه وسلم -». وقال ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ ٣/ ١٣٤٨ - ١٣٤٩ (٢٩١٣): «رواه شعيب بن صفوان، عن حمزة الزيات، عن

القرآن
{إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (١٧)} [الطارق : ١٥-١٧]

التفسير:

إن المكذبين للرسول صلى الله عليه وسلم، وللقرآن، يكيدون ويدبرون؛ ليدفعوا بكيدهم الحق ويؤيدوا الباطل، وأكيد كيدًا لإظهار الحق، ولو كره الكافرون، فلا تستعجل لهم -أيها الرسول- بطلب إنزال العقاب بهم، بل أمهلهم وأنظرهم قليلا ولا تستعجل لهم، وسترى ما يحلُّ بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك.

قوله تعالى:{إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا} [الطارق : ١٧]، أي:" إن المكذبين للرسول صلى الله عليه وسلم، وللقرآن، يكيدون ويدبرون؛ ليدفعوا بكيدهم الحق ويؤيدوا الباطل"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء المكذّبين بالله ورسوله والوعد والوعيد يمكرون مكرًا"(٢).

قال القشيري:" أي: يحتالون حيلة"(٣).

قال الثعلبي:" يعني: مشركي مكّة"(٤).

قال النحاس:" أي: للنبي صلّى الله عليه وسلّم وللمؤمنين"(٥).

قال الزجاج:" يعني: به الكفار، أنهم يحاتلون النبي عليه السلام، ويظهرون ما هم خلافه"(٦).

قال ابن كثير:" أخبر عن الكافرين بأنهم يكذبون به ويصدون عن سبيله، فقال :{إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا}، أي : يمكرون بالناس في دعوتهم إلى خلاف القرآن "(٧).

قال الزمخشري:" يعنى: أهل مكة يعملون المكايد في إبطال أمر الله وإطفاء نور الحق"(٨).

قال السمعاني:" الكيد -في اللغة-: هو صنع يصل به إلى الشيء على الخفية والاستتار"(٩).

قوله تعالى:{وَأَكِيدُ كَيْدًا} [الطارق : ١٧]، أي:" وأكيد كيدًا لإظهار الحق، ولو كره الكافرون"(١٠).

قال الطبري:" يقول: وأمكر مكرًا؛ ومكره جلّ ثناؤه بهم: إملاؤه إياهم على معصيتهم وكفرهم به"(١١).

قال النحاس:" أمهلهم"(١٢).

أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي. ولا يُتابع شعيب عليه». وقال الفتني في تذكرة الموضوعات ص ٧٧: «موضوع». وقال الألباني في الضعيفة ١٣/ ٨٨٣ (٦٣٩٣): «ضعيف».

(١) التفسير الميسر: ٥٩١.
(٢) تفسير الطبري: ٣٦٣/٢٤.
(٣) لطائف الإشارات: ٧١٦/٣.
(٤) الكشف والبيان: ١٨١/١٠.
(٥) إعراب القرآن: ١٢٥/٥.
(٦) معاني القرآن: ٣١٣/٥.
(٧) تفسير ابن كثير: ٣٧٦/٨.
(٨) الكشاف: ٧٣٧/٤.
(٩) تفسير السمعاني: ٢٠٤/٦.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٩١.
(١١) تفسير الطبري: ٣٦٣/٢٤.
(١٢) إعراب القرآن: ١٢٥/٥.

قال الثعلبي :" وأريد بهم أمرا"[١].

قال القشيري:" هم يحتالون حيلة، ونحن نحكم فعلا ونبرم خلقا، ونجازيهم على كيدهم، بما نعاملهم به من الاستدراج والإمهال"[٢].

قال الزمخشري: أي:" وأنا أقابلهم بكيدي: من استدراجى لهم وانتظاري بهم الميقات الذي وقته للانتصار منهم"[٣].

قال الزجاج:" كيد الله لهم استدراجهم من حيث لا يعلمون"[٤].

قال السمعاني:" الكيد -من الله-: هو الاستدراج من حيث لا يعلمون الكفار، والاستدراج هو الأخذ قليلا قليلا، وقيل: هي الأخذ من حيث يخفى عليهم، وقيل: {وأكيد كيدا} أي: أعاقبهم عقوبة كيدهم"[٥].

قوله تعالى:{فَمَهِّلِ الكَافِرِينَ} [الطارق : ١٧]، أي:" فلا تستعجل لهم -أيها الرسول- بطلب إنزال العقاب بهم"[٦].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فمهِّل يا محمد الكافرين ولا تعجل عليهم"[٧].

قال ابن كثير:" أي : أنظرهم ولا تستعجل لهم"[٨].

قال الزمخشري:" يعنى: لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به"[٩].

قال السمعاني:" أي: أمهل الكافرين، وهذا قبل آية السيف"[١٠].

قوله تعالى:{أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا} [الطارق : ١٧]، أي:" أمهلهم وأنظرهم قليلا، وسترى ما يحلُّ بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك"[١١].

قال الزجاج:" أي: أمهلهم قليلا"[١٢].

قال الزمخشري:" أي: إمهالا يسيرا، وكرّر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه والتصبير"[١٣].

قال الطبري:" يقول: أمهلهم آنًا قليلا وأنظرهم للموعد الذي هو وقت حلول النقمة بهم"[١٤].

قال ابن كثير:" أي : قليلا. أي : وترى ماذا أحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك، كما قال :{نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ} [لقمان : ٢٤]"[١٥].

قال قتادة:" الرويد: القليل"[١٦].

قال الحسن:" قليلا"[١].

---

(١) الكشف والبيان: ١٨١/١٠.
(٢) لطائف الإشارات: ٧١٦/٣.
(٣) الكشاف: ٧٣٧/٤.
(٤) معاني القرآن: ٣١٣/٥.
(٥) تفسير السمعاني: ٢٠٤/٦.
(٦) التفسير الميسر: ٥٩١.
(٧) تفسير الطبري: ٣٦٣/٢٤.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣٧٦/٨.
(٩) الكشاف: ٧٣٧/٤.
(١٠) تفسير السمعاني: ٢٠٤/٦.
(١١) التفسير الميسر: ٥٩١. [بتصرف]
(١٢) معاني القرآن: ٣١٣/٥.
(١٣) الكشاف: ٧٣٧/٤.
(١٤) تفسير الطبري: ٣٦٣/٢٤.
(١٥) تفسير ابن كثير: ٣٧٦/٨.
(١٦) أخرجه الطبري: ٣٦٣/٢٤.

عن ابن عباس: "{أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا}، يقول: قريبًا"[٢].

قال السدي:" أمْهلهم حتى آمرَ بالقتال"[٣].

قال الضحاك : "فقتلوا يوم بدر"[٤].

قال ابن زيد:" مَهِّلْهم، فلا تعجل عليهم تَرْكَهُمْ، حتى لمَّا أراد الانتصار منهم أمره بجهادهم وقتالهم، والغلظة عليهم"[٥].

قال السمعاني:" أي: أمهلهم قليلا، والعرب تقول: رويدك يا فلان أي: كن على أودة ورفق، وأما هاهنا فهو بمعنى القليل على ما بينا. وقد أخذهم يوم بدر بالسيف، وسيأخذهم بعذاب الآخرة عن قريب"[٦].

قال مقاتل:" فإنهم لما رأوا النبي- صلى الله عليه وسلم- قد أظهر الإيمان، وآمن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-، فلما آمن عمر، قال بعضهم لبعض: ما نرى أمر محمد إلا يزداد يوما بيوم، ونحن في نقصان لا شك، لأنه والله يفوق جمعنا وجماعتنا، ويكثر ونقل ولا شك، إلا أنه سيغلبنا فيخرجنا من أرضنا، ولكن قوموا بنا حتى نستشير في أمره فدخلوا دار الندوة منهم عتبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، والوليد بن المغيرة، وأبو البختري بن هشام، وعمرو بن عمير بن مسعود الثقفي، فلما دخلوا دخل معهم إبليس في صورة رجل شيخ فنظروا إليه فقالوا: يا شيخ من أدخلك علينا؟ ومن أنت؟ قد علمت أنا قد دخلنا هاهنا في أمر ما نريد أن يعلم به أحد. قال إبليس: إني والله، لست من أرض تهامة، وإني رجل من الأزد، ويقال من نجد قدمت من اليمن، وأنا أريد العراق، في طلب حاجة، ولكني رأيتكم حسنة وجوهكم، طيبة رائحتكم فأحببت أن أستريح وأسمع من أحاديثكم. فقال بعضهم لبعض: لا بأس علينا منه إنه والله، ليس من أرض تهامة. قالوا: يا شيخ، أغلق الباب واجلس. فقال أبو جهل بن هشام، ما تقولون في هذا الرجل الذي قد خالف ديننا وسب آلهتنا، ويدعو إلى غير ديننا وليس يزداد أمره إلا كثرة ونحن في قلة وينبغي لنا أن نحتال؟ ثم قال: يا عمرو بن عمير ما تقول فيه؟ قال عمرو: رأيي فيه أن نردفه على بعير فنشد وثاقه فنخرجه من الحرم فيكون شره على غيرنا. قال إبليس: عند ذلك بئس الرأي رأيت يا شيخ، تعمد إلى رجل قد ارتكب منكم ما قد ارتكب وهو أمر عظيم فتطردونه فلا شك أنه يذهب فيجمع جموعا فيخرجكم من أرضكم. قالوا: ما تقول يا أبا البختري؟ قال: أما والله، إن رأيي فيه ثابت. قالوا: ما هو؟. قال: ندخله في بيت فنسد بابه عليه، ونترك له ثلمة قدر ما يتناول منه طعامه وشرابه ونتربص به إلى أن يموت. قال إبليس عند ذلك: بئس والله، الرأي رأيت يا شيخ تعمدون إلى رجل هو عدو لكم فتربونه فلا شك أن يغضب له قومه فيقاتلونكم حتى يخرجوه من أيديكم فما لكم وللشر؟ قالوا: صدق والله فما تقول يا أبا جهل؟ قال: تعمدون إلى كل بطن من قريش فنختار منهم رجالا فنمكنها من السيوف ويمشون كلهم بجماعتهم فيضربونه حتى يقتلوه فلا يستطيع بنو هاشم أن تعادي قريشا كلهم، وتؤدون ديته. قال إبليس: صدق والله، الشاب فخرجوا على ذلك القول راضين بقتله. وسمع عمه أبو طالب واسمه عبد العزى بن عبد المطلب فلم يخبر محمدا لعله أن يجزع من القتل فيهرب فيكون مسبة عليهم، فأنزل الله- عز وجل- : {أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ} [الزخرف : ٧٩]، يقول: أم أجمعوا أمرا على قتل محمد- صلى الله عليه وسلم- فإنا مجمعون أمرا على قتلهم ببدر، وقال: {أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ} [الطور : ٤٢]، وقال: {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (١٧)} [الطارق : ١٥ - ١٧]، قال فسمع أبو طالب ما سمع، قال: يا بن أخي ما

---

(١) حكاه عنه النحاس في "إعراب القرآن": ١٢٥/٥.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٦٣/٢٤.

(٣)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٤) نقلا عن: النكت والعيون: ٢٥٠/٦.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٦٣/٢٤.

(٦) تفسير السمعاني: ٢٠٤/٦.

هذه الهينمة؟ قال: أما نعلم يا عم ما أرادت قريش؟ قال: قد سمعت ما سمعته يا بن أخي. قال: نعم. قال: ومن أخبرك بذلك؟ قال: ربى. قال: أما والله، يا بن أخي إن ربك بك لحفيظ فامض لما أمرت يا بن أخى، فليس عليك غضاضة"[1].

فوائد السورة:

١- تقرير المعاد والبعث والجزاء.

٢- تقرير أن أعما العباد محصية محفوظة وأن الحساب يجري بحسبها.

٣- بيان مادة تكوين الإنسان ومصدر تكوين تلك المادة.

٤- التحذير من إسرار الشر وإخفاء الباطل, وإظهار خلاف ما في الضمائر, فإن الله تعالى عليم بذلك, وسيختبر عباده في كل ما يسرون ويخفون.

٥- إثبات أن القرآن قول فصل ليس فيه من الباطل شيء وقد تأكد هذا بمرور الزمان فقد صدقت أنباؤه ونجحت في تحقيق الأمن والاستقرار أحكامه.

«آخر تفسير سورة (الطارق)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤/٦٦٠-٦٦٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الأعلى»

«سورة الأعلى»: هي السورة السابعة والثمانون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة التكوير»، آياتها تسع عشرة بالإجماع. وكلماتها ثمان وسبعون. وحروفها مائتان وإحدى وسبعون. فواصل آياتها على الألف[١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- أسماؤها التوقيفية:**

١-«سورة الأعلى»:

سماها أكثر المفسرين[٢] وكتاب المصاحف «سورة الأعلى»، لوقوع صفة الأعلى فيها دون غيرها، قال تعالى: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١)} [الأعلى : ١].

٢- سورة «سبح اسم ربك الأعلى»:

هذه السورة وردت تسميتها في السنة[٣]، سورة: «سبح اسم ربك الأعلى». وهي تسمية للسورة بأول آية افتتحت بها، قال تعالى: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١)} [الأعلى : ١].

عن ابن هبيرة: "أن أبا تميم الجيشاني كان إذا استفتح في المفصل قرأ مع كل «سورة سبح اسم ربك الأعلى» و«قل هو الله أحد» و«قل أعوذ برب الفلق» و«قل أعوذ برب الناس»، وقال أبو تميم: إن نبي الله صلى الله عليه وسلم، قال: «إني نسيت الليلة أفضل المسبحات» . فقال أبي بن كعب: فلعلها يا رسول الله سبح اسم ربك الأعلى؟ قال: «نعم»[٤].

- **ثانيا:- أسمها الاجتهادي: «سورة سبح»:**

سمتها بذلك عائشة-رضي الله عنها-[٥]، وابن عباس[٦]، وذكرها بعض المفسرين[٧]، وهو اسم اجتهادي لم يثبت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما يدل على هذه التسمية.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها أنزلت بمكة. قالته عائشة[٨]، وابن عباس[٩]، وابن زبير[١٠].

عن عائشة قالت: "نزلت سورة {سبح اسم ربك} بمكة"[١١].

عن ابن عباس، قال: "نزلت سورة {سبح} بمكة"[١٢].

عن عبدالله بن زبير، قال:" أنزلت سورة {سبح اسم ربك الأعلى} بمكة"[١٣].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٤/١.

(٢) انظر: مثلا: بحر العلوم للسمرقندي: ٥٧٠/٣، والكشف والبيان: ١٨٢/١٠، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٢٠٣/١٢، والنكت والعيون: ٢٥١/٦، وتفسير السمعاني: ٢٠٦/٦، وتفسير البغوي: ٣٩٦/٨، والكشاف: ٧٣٧/٤، وغيرها.

(٣) انظر: صحيح البخاري: ١٦٨/٦، والمستدرك على الصحيحين: ٥٦٦/٢.

(٤) الكنى والأسماء للدولابي(١٣٣):ص٥٤/١.

(٥) انظر: الدر المنثور: ٤٨١/٨. وعزاه إلى أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والحاكم وصححه والبيهقي. وسوف يأتي في فضائل السورة.

(٦) انظر: الدر المنثور: ٤٧٩/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٧٧/٨، وروح المعاني ١٠/٣٠، وفتح القدير للشوكاني: ٣٧٧/٨.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٤٧٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) انظر: الدر المنثور: ٤٧٩/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(١٠) انظر: الدر المنثور: ٤٧٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١١) انظر: الدر المنثور: ٤٧٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٢) انظر: الدر المنثور: ٤٧٩/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(١٣) انظر: الدر المنثور: ٤٧٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: " أول من قدم علينا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم فجعلا يقرئاننا القرآن، ثم جاء عمار، وبلال، وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ثم " جاء النبي صلى الله عليه وسلم فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء، فرحهم به حتى رأيت الولائد[١] والصبيان، يقولون: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء فما جاء، حتى قرأت: {سبح اسم ربك الأعلى} [الأعلى: ١] في سور مثلها"[٢].

الثاني: أنها مدنية كلها. حكي ذلك عن الضحاك[٣].

قال ابن عطية:" هي مكية في قول الجمهور، وحكى النقاش عن الضحاك أنها مدنية، وذلك ضعيف، وإنما دعا إليه قول من قال: إن ذكر صلاة العيد فيها "[٤].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[٥].

قال ابن عاشور:" هي مكية في قول الجمهور، وحديث البراء بن عازب[٦] يدل عليه، وعن ابن عمر وابن عباس أن قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥)} [الأعلى : ١٤ - ١٥]، نزل في صلاة العيد وصدقة الفطر، أي فهما مدنيتان فتكون السورة بعضها مكي وبعضها مدني"[٧].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أنه ذكر فى تلك خلق الإنسان، وأشار إلى خلق النبات بقوله: {وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ} [الطارق : ١٢]. وذكر هنا خلق الإنسان في قوله: {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى} [الأعلى : ٢]. وخلق النبات في قوله: {وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥)} [الأعلى : ٤ - ٥]، وقصة النبات هنا أوضح وببسط أكثر، وخلق الإنسان هناك أكثر تفصيلا[٨].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

يمكن بيان مقاصد السورة التفصيلية على النحو الآتي:

١- تنزيه ذات الله الأعلى، وصفاته، عما لا يليق بها: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١)} [الأعلى : ١].

٢- بيان الإبداع فيما خلق -سبحانه- فجعله مستويًا في إحكام وإتقان، وقدر لكل شيءٍ خلقه ما يصلحه، فهداه إليه: {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣)} [الأعلى : ٢ - ٣].

٣- توجيه العقول والأبصار إلى صنيع القدرة في إخراج النبات من الأرض التي تنشق عنه وتدُرجه من أخضر نافع إلى أن يصير يابسًا أسود وجعله رعيًا للدواب: {وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥)} [الأعلى : ٤ - ٥].

٤- إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الله سيقرئه القرآن فيحفظه ولا ينسى منه شيئًا إلا ما شاءَ الله، وأنه صلى الله عليه وسلم ميسر لليسرى {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧)} [الأعلى : ٦ - ٧] الآيات.

---

(١)(الولائد) جمع وليدة وهي الصبية والأمة.
(٢) صحيح البخاري(٤٩٤١):ص١٦٨/٦
(٣) نقلا عن: المحرر الوجيز: ٤٦٨/٥.
(٤) المحرر الوجيز: ٤٦٤/٥.
(٥) زاد المسير: ٤٣١/٤.
(٦) انظر: صحيح البخاري(٤٩٤١):ص١٦٨/٦
(٧) المحرر الوجيز: ٢٧١/٣٠.
(٨) انظر: تفسير المراغي: ١٢٠/٣٠.

٥- أمْرٌ للرسول صلى الله عليه وسلم أن يُذَكِّر بالقرآن وبما يوحَى إليه ليذَّكر من يخاف الله ويرجو ثوابه: {فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (٩) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠)} [الأعلى : ٩ - ١٠].

٦- إعلامه صلى الله عليه وسلم بأن الأشقى المصر على العناد والكفر سيرفض دعوتك، ويعرض عنك فلا تحزن، وسيصلى النَّار الشديدة، فلا يستريح من العذاب بالموت، ولا يحيا حياة نافعة: {وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢)} [الأعلى : ١١ - ١٢] الآيات.

قال الفيروزآبادي:" مقصود السورة: بيان علو الذات، والصفات، وذكر الخلقة، وتربية الحيوانات، والإشادة بالثمار، والنبات، والأمن من نسخ الآيات، وبيان سهولة الطاعات، وذل الكفار فى قعر الدركات، والتحضيض على الصلاة والزكاة، وفى الدنيا بقاء الخيرات، وفى الآخرة بقاء الدرجات، في قوله: {وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [الأعلى : ١٧] "[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة[٢].

- **فضائل السورة:**

- عن إياس بن عامر، قال: سمعت عقبة بن عامر الجهني، يقول: "لما نزلت: {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الواقعة: ٧٤]، قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجعلوها في ركوعكم»، فلما نزلت: {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: ١] قال: «اجعلوها في سجودكم»"[٣].

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٤/١.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٤/١.

(٣) المسند(١٧٤١٤):ص٦٣٠/٢٨، إسناده محتمل للتحسين، إياس بن عامر الغافقي لم يرو عنه غير ابن أخيه موسى بن أيوب، وذكره ابن أبي حاتم ٢٨١/٢ ولم يأثر فيه جرحا ولا تعديلا، وقال الذهبي في "تلخيص المستدرك" ٢٢٥/١: ليس بالمعروف. كذا قال، وأما أبو سعيد بن يونس صاحب "تاريخ المصريين" فقال: كان من شيعة علي، والوافدين عليه من أهل مصر، وشهد معه مشاهده. وقال العجلي: لا بأس به. وذكره يعقوب بن سفيان في "المعرفة والتاريخ" في ثقات المصريين، وذكره في الثقات أيضا ابن حبان في كتابه ٣٣/٤ و٣٥، وقال في "صحيحه" ٢٢٦/٥: إياس بن عامر من ثقات المصريين. قلنا: وباقي رجال الإسناد ثقات.

وأخرجه الدارمي (١٣٠٥) ، ويعقوب بن سفيان في "المعرفة والتاريخ" ٥٠٢/٢، وأبو يعلى (١٧٣٨) ، وابن خزيمة (٦٠٠) و (٦٧٠) ، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٢٣٥/١، والطبراني في "الكبير" ١٧/ (٨٨٩) ، والحاكم ٤٧٧، وابن عبد البر في "التمهيد" ١١٩/١٦ من طريق أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ، بهذا الإسناد. وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وقال الذهبي في "تلخيصه": الحديث صحيح.

وأخرجه الطيالسي (١٠٠٠) ، وأبو داود (٨٦٩) ، وابن ماجه (٨٨٧) ، وابن خزيمة (٦٠١) و (٦٧٠) ، وابن حبان (١٨٩٨) ، والحاكم ٢٢٥/١، والبغوي في "التفسير" ٢٨/٧، والمزي في ترجمة إياس من "تهذيب الكمال" ٤٠٥/٣ من طريق عبد الله بن المبارك، عن موسى بن أيوب الغافقي، به، وصحح الحاكم إسناده، فتعقبه الذهبي بقول: إياس ليس بالمعروف.

وأخرجه الطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٢٣٥/١ من طريق عم أحمد بن عبد الرحمن بن وهب- وهو عبد الله بن وهب-، والطبراني ١٧/ (٨٩١) من طريق ابن لهيعة، كلاهما عن موسى بن أيوب الغافقي، به.

وأخرجه الطبراني ١٧/ (٨٩٠) من طريق عبد الله بن صالح، عن الليث، عن موسى بن أيوب، عن رجل من قومه سماه، عن عقبة بن عامر. وزاد: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ركع قال: "سبحان ربي العظيم" ثلاث مرات، وإذا سجد قال: "سبحان ربي الأعلى" ثلاث مرات. والرجل المبهم هو بلا شك إياس بن عامر الغافقي.

وأخرجه أبو داود (٨٧٠) عن أحمد بن يونس، عن الليث، عن أيوب بن موسى أو موسى بن أيوب- على الشك- عن رجل من قومه، عن عقبة. بزيادة الطبراني السابقة. وقال: وهذه الزيادة نخاف ألا تكون محفوظة.

قلنا: لكن روي لهذه الزيادة شواهد تتقوى بها وإن كان لا يخلو واحد منها من مقال: فعن عبد الله بن مسعود عند أبي داود (٨٨٦) ، والترمذي (٢٦١) ، وقال: حديث ابن مسعود ليس إسناده بمتصل، عون بن عبد الله بن عتبة لم يلق ابن مسعود. وقال أبو داود: هذا مرسل، عون لم يدرك عبد الله.

- عن أبي هريرة قال: "قلنا يا رسول الله كيف نقول في سجودنا فأنزل الله {سبح اسم ربك الأعلى}، فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقول في سجودنا: سبحان ربي الأعلى"[١].
- عن ابن عباس:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ {سبح اسم ربك الأعلى} قال: سبحان ربي الأعلى"[٢].
- عن ابن عباس قال: "إذا قرأت {سبح اسم ربك الأعلى} فقل: سبحان ربي الأعلى"[٣].
- عن علي بن أبي طالب:" أنه قرأ {سبح اسم ربك الأعلى} فقال: سبحان ربي الأعلى وهو في الصلاة فقيل له: أتزيد في القرآن قال: لا إنما أمرنا بشيء فقلته"[٤].
- عن أبي موسى الأشعري:" أنه قرأ في الجمعة {سبح اسم ربك الأعلى} فقال: سبحان ربي الأعلى"[٥].
- عن عبد الله بن الزبير:" أنه قرأ {سبح اسم ربك الأعلى}، فقال: سبحان ربي الأعلى وهو في الصلاة"[٦].
- عن سعيد بن جبير قال: سمعت ابن عمر يقرأ :«سبحان اسم ربك الأعلى»، فقال: سبحان ربي الأعلى. قال: كذلك هي قراءة أبي بن كعب"[٧].
- وأخرج أحمد والبزار وابن مردويه عن علي، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب هذه السورة {سبح اسم ربك الأعلى}"[٨].
- أخرج أبو عبيد عن تميم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني نسيت أفضل المسبحات، فقال أبي بن كعب فلعلها: {سبح اسم ربك الأعلى} قال: نعم"[٩].
- عن النعمان بن بشير :"أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة بـ {سبح اسم ربك الأعلى} و {هل أتاك حديث الغاشية}، وإن وافق يوم الجمعة قرأهما جميعا"[١].

وعن جبير بن مطعم عند البزار (٣٤٤٧) ، والطبراني (١٥٧٢) ، والدارقطني ٣٤٢/١، وفي إسناده عبد العزيز بن عبيد الله الحمصي، وهو ضعيف.
وعن أبي مالك الأشعري. سيرد ٣٤٣/٥، وفي إسناده شهر بن حوشب، وهو ضعيف.
وعن أقرم بن زيد الخزاعي عند الدارقطني ٣٤٣/١، وفي إسناده من لا يعرف.
وعن أبي بكرة عند البزار (٣٦٨٦) وفيه من لا يعرف أيضا.
قال الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم، يستحبون أن لا ينقص الرجل في الركوع والسجود من ثلاث تسبيحات.
قلنا: وفي الباب أيضا عن حذيفة بن اليمان، لكن دون تقييد الذكر في الركوع والسجود بعدد، وهو عند مسلم (٧٧٢) ، وسيأتي في "المسند" ٣٨٢/٥.
قال السندي: قوله: "اجعلوها" أي: اعملوا بها واجعلوا السبحة التي تدل عليها هي، والمراد: قولوا: سبحان ربي العظيم.
(١) الدر المنثور: ٤٨١/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٢) الدر المنثور: ٤٨٢/٨، وعزاه إلى أحمد وأبو داود وابن مردويه والبيهقي في سننه.
(٣) الدر المنثور: ٤٨٢/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٤) الدر المنثور: ٤٨٢/٨، وعزاه إلى الفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن الأنباري في المصاحف.
(٥) الدر المنثور: ٤٨٢/٨، وعزاه إلى الفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر.
(٦) الدر المنثور: ٤٨٢/٨، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد.
(٧) الدر المنثور: ٤٨٢/٨، وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه.
(٨) الدر المنثور: ٤٨٠/٨.
(٩) الدر المنثور: ٤٨٠/٨.

- عن أبي عتبة الخولاني:" أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الجمعة ب {سبح اسم ربك الأعلى} و {هل أتاك حديث الغاشية}"[٢].
- عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيد بـ {سبح اسم ربك الأعلى} و{هل أتاك حديث الغاشية}"[٣].
- عن سمرة بن جندب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيدين بـ {سبح اسم ربك الأعلى} و{هل أتاك حديث الغاشية}"[٤].
- عن أنس:" أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر والعصر بـ {سبح اسم ربك الأعلى} و{هل أتاك حديث الغاشية}"[٥].
- عن جابر بن سمرة:" أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر بـ {سبح اسم ربك الأعلى}"[٦].
- عن عمران بن حصين:" أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر فلما سلم قال: هل قرأ أحد منكم بـ {سبح اسم ربك الأعلى} فقال رجل: أنا. قال: قد علمت أن بعضكم خالجنيها"[٧].
- عن أبي بن كعب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بـ {سبح اسم ربك الأعلى} و{قل يا أيها الكافرون}"[٨].
- عن عائشة، قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الوتر في الركعة الأولى بـ {سبح} وفي الثانية: {قل يا أيها الكافرون}، وفي الثالثة {قل هو الله أحد}، والمعوذتين"[٩].
- عن ابن عمر:" أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الوتر بـ {سبح اسم ربك الأعلى} و {قل يا أيها الكافرون} و{قل هو الله أحد}"[١٠].
- عن جابر بن عبد الله قال: "أمّ معاذ قوما في صلاة المغرب فمر به غلام من الأنصار وهو يعمل على بعير له فأطال بهم معاذ فلما رأى ذلك الغلام ترك الصلاة وانطلق في طلب بعيره فرفع ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أفتان أنت يا معاذ ألا يقرأ أحدكم في المغرب بـ {سبح اسم ربك الأعلى} {والشمس وضحاها}"[١١].
- عن جابر:" أن معاذ بن جبل صلى بأصحابه العشاء فطول عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اقرأ {بالشمس وضحاها} و {سبح اسم ربك الأعلى} {والليل إذا يغشى}، و{سبح اسم ربك الأعلى}"[١٢].

---

(١) الدر المنثور: ٤٨٠/٨. وعزاه إلى ابن أبي شيبة وأحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة.
(٢) الدر المنثور: ٤٨٠/٨. وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن ماجة.
(٣) الدر المنثور: ٤٨٠/٨. وعزاه إلى ابن ماجة.
(٤) الدر المنثور: ٤٨٠/٨. وعزاه إلى أحمد وابن ماجة والطبراني.
(٥) الدر المنثور: ٤٨٠/٨. وعزاه إلى البزاز.
(٦) الدر المنثور: ٤٨٠/٨. وعزاه إلى ابن أبي شيبة ومسلم.
(٧) الدر المنثور: ٤٨٠/٨. وعزاه إلى ابن أبي شيبة ومسلم والبيهقي في سننه.
(٨) الدر المنثور: ٤٨٠/٨. وعزاه إلى أبي داود والنسائي وابن ماجة وابن حبان والدارقطني والحاكم والبيهقي.
(٩) الدر المنثور: ٤٨١/٨. وعزاه إلى أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والحاكم وصححه والبيهقي.
(١٠) الدر المنثور: ٤٨١/٨، وعزاه إلى البزار. وأخرج محمد بن نصر عن أنس مثله.
(١١) الدر المنثور: ٤٨١/٨، وعزاه إلى ابن أبي شيبة.
(١٢) الدر المنثور: ٤٨١/٨، وعزاه إلى ابن ماجة.

- عن الكلبي قال: وفد حضرمي بن عامر على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أتقرأ شيئا من القرآن فقرأ {سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى} والذي أمتن على الحبلى فأخرج منها نسمة تسعى بين شغاف وحشا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تزيدن فيها فإنها شافية كافية"[1].
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة الأعلى أعطاه الله من الأجر عشر حسنات، بعدد كل حرف أنزل الله سبحانه على إبراهيم وموسى ومحمد» [2].[موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) الدر المنثور: ٤٨١/٨، وعزاه إلى ابن سعد.
(٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٨٢/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٣٢٦/١٠. [والحديث موضوع].

القرآن

{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥)} [الأعلى : ١-٥]

التفسير:

نَزِّه اسم ربك الأعلى عن الشريك والنقائص تنزيهًا يليق بعظمته سبحانه، الذي خلق المخلوقات، فأتقن خلقها، وأحسنه، والذي قدَّر جميع المقدرات، فهدى كل خلق إلى ما يناسبه، والذي أنبت الكلأ الأخضر، فجعله بعد ذلك هشيمًا جافًا متغيرًا إلى السَّواد بعد اخضراره.

قوله تعالى:{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى : ١]، أي:" نَزِّه اسم ربك الأعلى عن الشريك والنقائص تنزيهًا يليق بعظمته سبحانه"[١].

قال السعدي:" يأمر تعالى بتسبيحه المتضمن لذكره وعبادته، والخضوع لجلاله، والاستكانة لعظمته، وأن يكون تسبيحا، يليق بعظمة الله تعالى، بأن تذكر أسماؤه الحسنى العالية على كل اسم بمعناها الحسن العظيم"[٢].

قال الراغب:{رَبِّكَ الْأَعْلَى}، " معناه: أعلى من أن يقاس به، أو يعتبر بغيره"[٣].

قال ابن عاشور:" الافتتاح بأمر النبيء صلى الله عليه وسلم بأن يسبح اسم ربه بالقول، يؤذن بأنه سيلقي إليه عقبه بشارة وخيرا له وذلك قوله: {سنقرئك فلا تنسى} [الأعلى: ٦]، الآيات، كما سيأتي، ففيه براعة استهلال، والخطاب للنبيء صلى الله عليه وسلم، والتسبيح: التنزيه عن النقائص وهو من الأسماء التي لا تضاف لغير اسم الله تعالى وكذلك الأفعال المشتقة منه لا ترفع ولا تنصب على المفعولية إلا ما هو اسم الله وكذلك أسماء المصدر منه نحو: سبحان الله، وهو من المعاني الدينية، فالأشبه أنه منقول إلى العربية من العبرانية"[٤].

اختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى : ١]، على أقوال:

أحدها: أي: عظّم ربك الأعلى، قاله ابن عباس[٥]، والسدي[٦]، والاسم صلة، قصد بها تعظيم المسّمى، كما قال لبيد[٧]:

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلامِ عَلَيْكُما ... وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كاملاً فَقَد اعْتَذَرْ

ومنه قوله تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} [الأنعام : ١٢١]، أي:" مما لم يذكر الله عليه"[٨].

قال السمعاني:" في الآية دليل أن الاسم والمسمى واحد"[٩].

وقالت المعتزلة: "الاسم غير المسمى"[١٠][١١].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩١.

(٢) تفسير السعدي: ٩٢٠.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٥٨٣.

(٤) التحرير والتنوير: ٢٧٢/٣٠-٢٧٣.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٢٥١/٦، وزاد المسير: ٤٣١/٤، وتفسير القرطبي: ١٣/٢٠.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٢٥١/٦، وتفسير القرطبي: ١٣/٢٠.

(٧)"ديوانه" ص ٢١٤، و"كتاب الأضداد" لابن الأنباري ص ٣٢١، و"تهذيب اللغة" (عذر)، و"الخصائص" ٣/ ٢٩، و"لسان العرب" (عذر) ٥/ ٢٨٥٥.

والشاعر يوصي ابنتيه بالبكاء عليه بعد موته حولًا كاملاً، وقبل هذا البيت قال:

فقوما فقولا بالذي قد علمتما ... ولا تخمشا وجهًا ولا تحلقا شعر.

(٨)مهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، أبو بكر الباقلاني: ٢٦٠.

(٩) تفسير السمعاني: ٢٠٦/٦.

(١٠) نقلا عن: تفسير ابن فورك: ٢٤٥/٣.

(١١) قال أبو حامد الغزالي:" فإن قيل فقد قال الله تعالى {سبح اسم ربك الأعلى}[سورة الأعلى الآية ١]، والذات هي المسبحة دون الاسم قلنا «الاسم» -هاهنا-: زيادة على سبيل الصفة وعادة العرب بمثله جارية وهو كقوله عز وجل {ليس كمثله شيء} [سورة الشورى الآية ١١]، ولا يجوز أن يستدل فيقال فيه إثبات المثل إذ قال {ليس

قال الفراء:" قوله عز وجل: {سبح اسم ربك}، و«باسم ربك»، كل ذلك قد جاء وهو من كلام العرب"[١].

قال الواحدي:" قال الفراء: «{سبح اسم ربك}، و«فسبح باسم ربك»، كل ذلك قد جاء، وهو كلام العرب»[٢]. هذا كلامه، وكأنة جعلهما بمعنى واحد، وبينهما فرق؛ لأن معنى «سبح باسم ربك»: نزه الله بذكر اسمه المنزه المنبئ عن تنزيهه وعلوه عما يقول الظالمون. و«سبح اسم ربك»: نزهه من السوء، وقيل: سبحان ربي الأعلى، وهذا معنى قول المفسرين، وقد روى عن علي، وابن عباس، وابن الزبير -رضي الله عنهم- أنهم قرؤوا قوله: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ} فقالوا: «سبحان ربي الأعلى»، فإذا قلت: سبح باسم ربك، كان المعنى: سبح بذكر اسمه، وإذا قلت: سبحان اسم ربك، كان المعنى سبح ربك، لأن الاسم هو المسمى"[٣].

الثاني : نزّه اسم ربك عن أن يسمى به أحد سواه ، ذكره الطبري[٤].

قال الطبري:" ينهاه بذلك أن يفعل ما فعل من ذلك المشركون من تسميتهم آلهتهم بعضها اللات وبعضها العزّى"[٥].

قال النحاس:" أي لا تقل العزّى لأنها مشتقة من العزيز، ولا اللات لأنهم اشتقوا من قولهم الله"[٦].

كمثله شيء} [سورة الشورى الآية ١١]، كما يقال ليس كولده أحد إذ فيه إثبات الولد بل الكاف فيه زيادة ولا يبعد أن يكنى عن المسمى بالاسم إجلالا للمسمى كما يكنى عن الشريف بالجناب والحضرة والمجلس فيقال السلام على حضرته المباركة ومجلسه الشريف والمراد به السلام عليه ولكن يكنى عنه بما يتعلق به نوعا من التعلق إجلالا وكذلك الاسم وإن كان غير المسمى فهو متعلق بالمسمى ومطابق له وهذا لا ينبغي أن يلتبس على البصير في أصل الوضع كيف وقد استدل القائلون بأن الاسم غير المسمى بقوله عز وجل {ولله الأسماء الحسنى} [سورة الأعراف الآية ١٨٠] وبقوله صلى الله عليه وسلم إن: «لله تعالى تسعة وتسعين اسما مئة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة»، وقالوا لو كان هو المسمى لكان المسمى تسعا وتسعين وهو محال لأن المسمى واحد فاضطر أولئك إلى الاعتراف هاهنا بأن الاسم غير المسمى وقالوا يجوز أن يرد بمعنى التسمية لا بمعنى المسمى كما سلم الآخرون بأن الاسم قد يرد بمعنى المسمى وإن كان هو غير المسمى في الأصل وعليه نزلوا قوله تعالى {سبح اسم ربك الأعلى}[سورة الأعلى الآية ١]، ولم يحسن كل واحد من الفريقين في الاستدلال والجواب جميعا

أما قوله {سبح اسم ربك الأعلى}[سورة الأعلى الآية ١]، فقد ذكرنا ما فيه وعليه وأما هذا الاستدلال فجوابهم عنه بأن الاسم والمسمى واحد وإنما أريد بالاسم هاهنا التسمية فقط خطأ من وجهين

أحدهما: أن من يقول الاسم هو المسمى لا يعجز عن أن يقول المسمى هاهنا تسعة وتسعون لأن المراد بالمسمى مفهوم الاسم عند هذا القائل ومفهوم العليم غير مفهوم القدير والقدوس والخالق وغير ذلك بل لكل اسم مفهوم ومعنى على حياله وإن كان الكل يرجع إلى وصف ذات واحدة فكأن هذا القائل يقول الاسم هو المعنى ويمكن أن يقول لله تعالى المعاني الحسنى فإن المسميات هي المعاني وفيها كثرة لا محالة.

والثاني: أن قوله المراد بالاسم هاهنا التسمية خطأ فإنا قد بينا أن التسمية هو ذكر الاسم أو وصفه والتسمية تتعدد وتكثر بكثرة المسمين وإن كان الاسم واحد كما أن الذكر والعلم يكثر بكثرة الذاكرين والعالمين وإن كان المذكور والمعلوم واحدا فكثرة التسمية لا تفتقر إلى كثرة الأسماء لأن ذلك يرجع إلى أفعال المسمين فما أريد بالأسماء هاهنا التسميات بل أريد الأسماء والأسماء هي الألفاظ الموضوعة الدالة على المعاني المختلفة فلا حاجة إلى هذا التعسف في التأويل قيل الاسم هو المسمى أو لم يقل فهذا القدر يكفيك في كشف هذه المسألة وإن كانت المسألة لقلة جدواها لا تستحق هذا الإطناب ولكن قصدنا بالشرح تعليم طريق التعرف لأمثال هذه المباحث لتستعمل في مسائل أهم من هذه المسألة فإن أكثر تطواف النظر في هذه المسألة حول الألفاظ دون المعاني والله أعلم". [المقصد الأسنى: ٣٨-٣٩]

(١) معاني القرآن: ٢٥٦/٣.

(٢) انظر: معاني القرآن: ٢٥٦/٣، قال:" قوله عز وجل: {سبح اسم ربك}، و«باسم ربك»، كل ذلك قد جاء وهو من كلام العرب".

(٣) التفسير البسيط: ٤٢٩/٢٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٨/٢٤.

(٥) تفسير الطبري: ٣٦٨/٢٤.

(٦) إعراب القرآن: ١٢٦/٥.

الثالث: أي: نزه ربك عن السوء، وقل: سبحان ربي الأعلى. قاله الزجاج[١].

وحكي الطبري: "نزه الله عما يقول فيه المشركون كما قال: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ}"[٢].

وحكي النحاس:" معناه: نزّه اسم ربك الأعلى وعظّمه عن أن تنسبه إلى ما نسبه إليه المشركون لأنه الأعلى أي: القاهر لكلّ شيء، أي: العالي عليه"[٣].

وقال مقاتل:" يقول سبحانه: نزه اسم ربك الأعلى، يقول نزهه من الشرك بشهادة أن لا إله إلا الله"[٤].

الرابع : معناه: ارفع صوتك بذكر ربك، حكاه الماوردي[٥]، ومنه قول جرير[٦] :

قَبَحَ الإلهُ وَجوه تَغْلبَ كلّما ... سَبَحَ الحجيجُ وكبّروا تكبيرا

الخامس: معناه: سبح اسم ربّك في صلاتك متخشعا مشغولا بها. حكاه الطبري[٧]، والنحاس[٨].

قال الطبري:" يعني بذلك: صلّ وأنت له ذاكر، ومنه وجل خائف"[٩].

السادس: أي: اذكر اسم ربك وأنت معظم له خاشع متذلل. حكاه الطبري[١٠]، والنحاس[١١].

السابع: معناه: صَلِّ بأمر ربك الأعلى، وهو أن تقول: سبحان ربك الأعلى. رواه أبو صالح عن ابن عباس[١٢].

وقال ابن أبي زمنين:" صل لربك الأعلى"[١٣].

قال السمعاني:" وقيل: صل لربك المتعالي"[١٤].

قال الماتريدي:" وهذا محتمل؛ لأن الصلاة بنفسها تسبيح؛ لأنه بالافتتاح يقطع وجوه المعاملات بينه وبين الخلق، ويمنع نفسه عن حوائجها؛ فيجعلها لله تعالى، وهذا هو التوحيد والإيمان؛ لأنه بالإيمان يجعل الأشياء كلها لله تعالى سالمة؛ فصارت الصلاة تسبيحا لعينها، لا للتسبيح المجعول فيها[١٥].

روى نافع عن ابن عمر قال: "لا تقل: على اسم الله، فإن اسم الله هو الأعلى"[١٦].

روي أن عليّاً وابن عباس وابن عمر كانوا إذا افتتحوا قراءة هذه السورة قالوا : «سبحان ربي الأعلى»، امتثالاً لأمره تعالى في ابتدائها ، فصار الاقتداء بهم في قراءتها، لا أن سبحان ربي الأعلى من القرآن، كما قاله بعض أهل الزيغ، وقيل: إنها في قراءة أُبيّ : «سبحان ربي الأعلى»، وكان ابن عمر يقرؤها كذلك[١٧].

---

(١) انظر: معاني القرآن: ٣١٥/٥.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٨/٢٤.
(٣) إعراب القرآن: ١٢٦/٥.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٦٩/٤.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٢٥١/٦.
(٦)ديوانه: ٤٥٠، ونقائض جرير والأخطل: ٨٧، من قصيدته الدامغة في هجاء الأخطل.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٨/٢٤.
(٨) انظر: إعراب القرآن: ١٢٦/٥.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٨/٢٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٨/٢٤.
(١١) انظر: إعراب القرآن: ١٢٦/٥.
(١٢) انظر: تفسير الثعلبي ١٠/ ١٨٣، وتفسير البغوي ٨/ ٤٠٠، وزاد المسير: ٤٣١، وتفسير القرطبي: ١٤/٢٠.
(١٣) تفسير ابن أبي زمنين: ١٢٠/٥.
(١٤) تفسير السمعاني: ٢٠٦/٦.
(١٥) تأويلات أهل السنة: ٥٠٠/١٠.
(١٦) نقلا عن: تفسير القرطبي: ١٤/٢٠.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٧/٢٤، وتفسير القرطبي: ١٤/٢٠.

عن ابن عمر:" أنه كان يقرأ: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعْلَى}: «سبحان ربي الأعلى»، {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى}، قال: وهي في قراءة أُبيّ بن كعب كذلك"(١).

عن عبد خير، قال: "سمعت عليًا رضي الله عنه قرأ: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعْلَى}، فقال: سبحان ربي الأعلى"(٢).

عن أبي إسحاق الهمداني:" أن ابن عباس، كان إذا قرأ {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعْلَى}، يقول: سبحان ربي الأعلى، وإذا قرأ: {لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ}، فأتى على آخرها: {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى}؟ يقول: سبحانك اللهمّ وبَلَى"(٣).

عن زياد بن عبد الله، قال: "سمعت ابن عباس يقرأ في صلاة المغرب: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعْلَى} سبحان ربي الأعلى"(٤).

عن قتادة : "{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعْلَى}، ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها، قال: سبحان ربي الأعلى"(٥).

عن الضَّحّاك :"أنه كان يقرؤها كذلك، ويقول: مَن قرأها فليقُل: سبحان ربي الأعلى"(٦).

قال القرطبي:" وهذا كله يدل على أن الاسم هو المسمى، لأنهم لم يقولوا: سبحان اسم ربك الأعلى"(٧).

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: معناه: نزه اسم ربك أن تدعو به الآلهة والأوثان، لما ذكرت من الأخبار، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة أنهم كانوا إذا قرءوا ذلك قالوا: سبحان ربي الأعلى، فَبَيَّن بذلك أن معناه كان عندهم معلوما: عظم اسم ربك ونزهه"(٨).

قال ابن عطية:" {سَبِّحِ} في هذه الآية، بمعنى: نزه وقدّس وقل: «سبحانه عن النقائص والغير جمعا وما يقول المشركون»، والاسم الذي هو: «ألف، سين، ميم»، يأتي في مواضع من الكلام الفصيح يراد به المسمى، ويأتي في مواضع يراد به التسمية نحو قوله عليه السلام: «إن لله تسعة وتسعين اسما» وغير ذلك، ومتى أريد به المسمى فإنما هو صلة كالزائد كأنه قال في هذه الآية: سبح ربك، أي نزهه، وإذا كان الاسم واحدا من الأسماء كزيد وعمرو، فيجيء في الكلام على ما قلت، تقول زيد قائد تريد المسمى، وتقول: زيد ثلاثة أحرف تريد به التسمية، وهذه الآية تحتمل هذا الوجه الأول، وتحتمل أن يراد بالاسم التسمية نفسها على معنى نزه اسم ربك عن أن يسمى به صنم أو وثن، فيقال له إله ورب ونحو ذلك، و{الْأَعْلَى}: يصح أن يكون صفة للاسم، ويحتمل أن يكون صفة للرب"(٩).

وقد بين ابن تيمية-رحمه الله- :«أنه أمره بتسبيح ربه في كلا الآيتين: الواقعة، والأعلى، ولكن ليس أمر بصيغة معينة، فإذا قال: سبحان الله وبحمده، وسبحانك اللهم وبحمدك، فقد سبح ربه الأعلى والعظيم، فالله هو الأعلى، وهو العظيم، واسمه "الله" يتناول سائر الأسماء بطريق التضمن، وان كان التصريح بالعلو والعظمة ليس هو فيه، ففي اسم "الله" التصريح بالإلهية، واسمه "الله" أعظم من اسمه "الرب"»(١٠).

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٦٧/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٣٦٧/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٣٦٧/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٣٦٨/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٣٦٨/٢٤.
(٦)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٧) تفسير القرطبي: ١٤/٢٠.
(٨) تفسير الطبري: ٣٦٨/٢٤.
(٩) المحرر الوجيز: ٤٦٨/٥.
(١٠) انظر: مجموع الفتاوى: ١٦/ ١١٧.

قوله تعالى:{الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى} [الأعلى : ٢]، أي:" الذي خلق المخلوقات، فأتقن خلقها، وأحسنه"[١].

قال الطبري:" يقول: الذي خلق الأشياء فسوىّ خلقها، وعدّلها، والتسوية التعديل"[٢].

قال الزجاج:" خلق الإنسان مستويا، أشهده على نفسه بأنه ربه، وخلقه على الفطرة"[٣].

قال الضحاك: "خلق آدم فسوى خلقه"[٤].

قوله تعالى:{وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى} [الأعلى : ٣]، أي:" والذي قدَّر جميع المقدرات، فهدى كل خلق إلى ما يناسبه"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: والذي قدّر خلقه فهدى"[٦].

وفي قوله تعالى:{فَهَدَى} [الأعلى : ٣]، أربعة وجوه من التفسير:

أحدها: هدى الإنسان للشِّقوة والسعادة، وهَدى الأنعام لمراتعها. قاله مجاهد[٧]،والحسن[٨].

قال الحسن:" بيّن له السبيل؛ سبيل الهدى، وسبيل الضلالة"[٩].

قال الزجاج:" هداه السبيل إما شاكرا وإما كفورا"[١٠].

وقال الواسطي: قدّر السعادة والشقاوة عليهم ثم يسّر لكل واحد من الطالعين سلوك ما قدّر عليه"[١١].

قال سهل:" قدر عليهم الشقاوة والسعادة، ثم تولى أهل السعادة، ووكل أهل الشقاوة إلى أنفسهم، قال: والهدى هدايان: أحدهما البيان، والآخر التولي من الله تعالى، ألا ترون كيف يهتدي إلى سبب معاشه إلى ثدي أمه لتولي الله إياه وإلهامه إياه"[١٢].

الثاني: جعل لكلّ دابة ما يُصلحها، وهداها له. قاله عطاء[١٣].

الثالث: قدر الولد في الرحم تسعة أشهر، أقل، أو أكثر، وهدى للخروج من الرحم. قاله السدي[١٤].

الرابع: هدى الذكور لمأتى الإناث. وهذا قول عباس[١٥].

وقال ابن عباس:" {ثُمَّ هَدَى}، يعني: هدى بعضهم إلى بعض، ألف بين قلوبهم وهداهم للتزويج أن يزوّج بعضهم بعضا"[١٦].

قال الكلبي:" أعطى الرجل المرأة، والجمل الناقة، والذكر أعطاه الأنثى، ثم هداه لذلك"[١٧].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩١.
(٢) تفسير الطبري: ٣٦٨/٢٤.
(٣) معاني القرآن: ٣١٥/٥.
(٤) النكت والعيون: ٢٥٢/٦.
(٥) التفسير الميسر: ٥٩١.
(٦) تفسير الطبري: ٣٦٨/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٣٦٩/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٢١٦):ص٣٤١٦/١٠.
(٨)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٢٠ -.
(٩)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٢٠ -.
(١٠) معاني القرآن: ٣١٥/٥.
(١١) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٨٣/١٠.
(١٢) تفسير التستري: ١٩٢.
(١٣)تفسير الثعلبي ١٠/ ١٨٣.
(١٤) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٨٣/١٠.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:٣١٦/١٨.
(١٦) أخرجه الطبري:٣١٧/١٨.
(١٧) انظر: تفسير عبدالرزاق(١٨١٦):ص٣٧٢/٢.

قال يحيي بن سلام:" يعني: قدَّر الخلق، الذَّكر والأنثى، {فَهَدَى}، يعني: ألهَم كيف يأتيها وتأتيه"[١]

قال الفراء:" {قَدَّرَ}: خلقه، {فَهَدَى} الذكر لمأتى الأنثى من البهائم"[٢].

قال ابن قتيبة: "هدى الذكر لإتيان الأنثى"[٣].

قال الثعلبي:" وقيل: قدّر الأرزاق فهداهم لطلبها، وقيل: قدّر الذنوب على عباده ثم هداهم إلى التوبة"[٤].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك عندنا، أن الله عمّ بقوله: {فَهَدَى} الخبر عن هدايته خلقه، ولم يخصص من ذلك معنى دون معنى، وقد هداهم لسبيل الخير والشرّ، وهدى الذكور لمأتى الإناث، فالخبر على عمومه حتى يأتي خبر تقوم به الحجة، دالّ على خصوصه"[٥].

قال السعدي:" وهذه الهداية العامة، التي مضمونها أنه هدى كل مخلوق لمصلحته، وتذكر فيها نعمه الدنيوية"[٦].

قال ابن سابط: "ما أبهمت عليه البهائم فلم تبهم، عن أربع: تعلم إن الله ربها، ويأتي الذكر الأنثى، وتهتدي لمعايشها وتخاف الموت"[٧].

قوله تعالى:{وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى} [الأعلى : ٤]، أي:" والذي أنبت الكلأ الأخضر"[٨].

قال الطبري:" يقول: والذي أخرج من الأرض مرعى الأنعام من صنوف النبات وأنواع الحشيش"[٩].

قال ابن الجوزي:" أي: أنبت العشب، وما ترعاه البهائم[١٠].

قال النحاس:" المرعى: ما تأكله البهائم"[١١].

قال السعدي:" أي: أنزل من السماء ماء فأنبت به أنواع النبات والعشب الكثير، فرتع فيها الناس والبهائم وكل حيوان"[١٢].

عن إبراهيم:" {وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى}، قال: النبات"[١٣]. وروي عن أبي رزين مثله[١٤].

قال قتادة:" نبت كما رأيتم بين أصفر وأحمر وأبيض"[١٥].

قوله تعالى:{فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى} [الأعلى : ٥]، أي:" فجعله بعد ذلك هشيمًا جافًا متغيرًا إلى السَّواد بعد اخضراره"[١٦].

---

(١)التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ١٠٣.

(٢) معاني القرآن: ٢٥٦/٣.

(٣) غريب القرآن:٢٧٩. وقال في تأويل مشكل القرآن:٢٤٨/١:" {أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَه}" أي: صورته من الإناث، {ثُمَّ هَدى}، أي: ألهمه إتيان الأنثى".

(٤) الكشف والبيان: ١٨٣/١٠.

(٥) تفسير الطبري: ٣٦٩/٢٤.

(٦) تفسير السعدي: ٩٢٠.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٥٧):ص٢٤٢٥/٧.

(٨) التفسير الميسر: ٥٩١.

(٩) تفسير الطبري: ٣٦٩/٢٤.

(١٠) زاد المسير: ٤٣٢/٤.

(١١) إعراب القرآن: ١٢٧/٥.

(١٢) تفسير السعدي: ٩٢٠.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢١٧):ص٣٤١٦/١٠.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٩/٢٤.

(١٥) أخرجه الطبري: ٣٦٩/٢٤.

(١٦) التفسير الميسر: ٥٩١.

وفي تفسير قوله تعالى:{فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى} [الأعلى : ٥]، وجهان:
أحدهما: أن في الكلام تقديماً وتأخيراً، ومن ثم في معناه وجهان:
الوجه الأول: أن تقدير الكلام: والذي أخرج المرعى أحوى، أي: أخضر غضا يضرب إلى السواد من شدة الخضرة والري، فجعله بعد خضرته غثاء، أي: يابسا. و«الغثاء» ما يبس من النبت، فحملته الأودية والمياه. ذكره أبو عبيدة[١]، وبه قال الزجاج[٢]، ومنه ذي الرّمة[٣]:
قَرْحاء حَوَّاء أشْراطِيَّةٌ وَكَفَتْ ... فِيهَا الذِّهَابُ وَحَفَّتْهَا الْبَرَاعِيمُ
وقوله الآخر[٤]:
لَمياءُ في شَفَتَيْها حُوَّةٌ لَعَسٌ ... وفي اللثَّاتِ وفي أنيابِها شَنَبُ
صفراء في نعج بيضاء في دعج ... كأنها فضة قد مسّها ذهب
قال الزجاج: أي:" أخرجه أخضر يضرب إلى الحوة، والحوة: السواد، فجففه حتى صيره هشيما جافا كالغثاء الذي تراه فوق ماء السيل"[٥].
قال الزجاج: " الغثاء: الهالك والبالي من ورق الشجر الذي إذا جرى السيل رأيته مخالطا زبده"[٦].
الوجه الثاني: أن التقدير: والذي أخرج المرعى أحوى فصار غثاء، والأحوى : ألوان النبات الحي من أخضر وأحمر وأصفر وأبيض ، ويعبر عن جميعه بالسواد، كما سمي به: سواد العراق ، وقال امرؤ القيس [٧]:
وغيثٍ دائمِ التهْتا ... نِ حاوي النبتِ أدْهم
والغثاء : الميت اليابس[٨].
روي نحو هذا المعنى عن قتادة[٩].
قال قتادة:" الغثاء: الشيء البالي, و{أَحْوَى}: أصفر , وأخضر , وأبيض , ثم ييبس يكون يابسا بغير خضرة"[١٠].
وقال قتادة : "وهو مثل ضربه الله تعالى للكفار لذهاب الدنيا بعد نضارتها"[١١].

---

(١) انظر: مجاز القرآن: ٢٩٥/٢.
(٢) معاني القرآن: ٣١٥/٥.
(٣)ديوانه: ٥٧٣، والكامل ص ٤٤٩ والطبري ٣٠/ ٨٤ والصحاح واللسان والتاج (ذهب، برعم).
من قصيدته المشهورة التي يشبب فيها بخرقاء.
قوله: حواء: من الحوة: خضرة شديدة تضرب إلى السواد. قرحاء: فيها زهر أبيض كقرحة الفرس، والقرحة: بياض في وجه الفرس. أشراطية:
مطرت بنوء الشرطين: نجمان من الحمل. وكفت: قطرت. الذهاب:
الأمطار فيها ضعف. البراعيم: أوعية الزهر قبل أن يتفتق واحدها برعوم.
(٤)ديوانه ص ٣٢، والخصائص ٣/ ٢٩١، والدرر ٦/ ٥٦، ولسان العرب (شنب) ، (لعس) ، (حوا) ، والمقاصد النحوية ٤/ ٢٠٣، وهمع الهوامع ٢/ ١٢٦، وبلا نسبة في شرح الأشموني ٢/ ٤٣٨.
الحوة :حمرة تضرب إلى السواد وتكون في الشفة والعرب تستحب ذلك.
ومعنى البيت الأول: قال الأزهري: والحوَّه في الشفاه شبيه باللمى واللمس، براوية "لمس" بدلاً من "لعس"، والشنب: اختلفوا فيه، قال بعضهم: هو تحزيز أطراف الأسنان، وقيل: هو صفاؤها ونقاؤها، وقيل: هو تفليجها، وقيل: هو طيب نكهتها.
انظر "تهذيب اللغة": ٥/ ٢٩٣: مادة: (حوى)، "لسان العرب": ١/ ٥٠٧: مادة: (شنب).
(٥) معاني القرآن: ٣١٥/٥.
(٦) معاني القرآن: ٤/ ١٣.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٢٥٣/٦.
(٨) النكت والعيون: ٢٥٣/٦.
(٩) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٥٧٦):ص٤١٨/٣.
(١٠) تفسير عبدالرزاق(٣٥٧٦):ص٤١٨/٣.
(١١) نقلا عن: النكت والعيون: ٢٥٣/٦.

القول الثاني : والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أسود، من قدمه واحتراقه. أي: فكذلك يميتكم بعد الحياة. وهو معنى قول ابن عباس[١]، ومجاهد[٢].

عن مجاهد : "{فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى}، قال: غثاء السيل. {أَحْوَى}، قال: أسود"[٣].

عن ابن عباس: "{فَجَعَلَهُ غُثَاءً}، قال: هشيما[٤]، {أَحْوَى} قال: متغيرا"[٥].

قال قتادة:" يعود يبسًا بعد خُضرة"[٦].

قال الحسن: "{أحْوى} الأسود مِن شدة الخُضرة"[٧].

قال ابن زيد:" كان بقلا ونباتًا أخضر، ثم هاج فيبُس، فصار غُثاء أحوى تذهب به الرياح والسيول"[٨].

قال الماتريدي:" {أَحْوَى}، أي: أسود من قدمه"[٩].

قال الفراء:" إذا صار النبت ييبسا فهو: غثاء. والأحوى: الذي قد اسود عن العتق"[١٠].

قال أبو عبيدة:" هيّجه حتى يبس، فجعله أسود من احتراقه، غثاء هشيما.."[١١].

قال النحاس: "القول الثاني: أولى بالصواب، وإنما يقع التقديم والتأخير إذا لم يصحّ المعنى على غيره، ولا سيما وقد روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس:" "{فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى}، يقول: هشيما متغيّرا»[١٢]"[١٣].

قال مقاتل:" يقول: الذي أخرج الحشيش والكلأ في الشتاء، فتراه رطبا فيجعله بعد الرطوبة والخضرة إلى اليبوسة"[١٤].

قال الطبري: يقول: " فجعل ذلك المرعى غُثاء، وهو ما جفّ من النبات ويبس، فطارت به الريح؛ وإنما عُني به –هاهنا- أنه جعله هشيمًا يابسًا متغيرًا إلى الحُوَّة، وهي السواد من بعد البياض أو الخضْرة، من شدّة اليبس"[١٥].

قال السعدي:" ثم بعد أن استكمل ما قدر له من الشباب، ألوى نباته، وصوح عشبه، {فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى}، أي: أسود أي: جعله هشيمًا رميمًا"[١٦].

القرآن

{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧)} [الأعلى : ٦-٧]

التفسير:

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٢٠):ص٣٤١٦/١٠، والطبري: ٣٦٩/٢٤.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٢١):ص٣٤١٦/١٠، والطبري: ٣٧٠/٢٤.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٢١):ص٣٤١٦/١٠، والطبري: ٣٧٠/٢٤.

(٤)قال ابن قتيبة: " «الهشيم»: من النبت المتفتت. وأصله: من هشمت الشيء إذا كسرته. ومنه سمي الرجل: هاشما".[غريب القرآن: ٢٦٨]

قال الزجاج: " الهشيم: النبات الجاف الذي تسفيه الريح".[معاني القرآن: ٣/ ٢٩١]

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٢٠):ص٣٤١٦/١٠، والطبري: ٣٦٩/٢٤. بلفظ:" يقول: هشيمًا متغيرًا".

(٦) أخرجه الطبري: ٣٧٠/٢٤.

(٧)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٢٠ -.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٧٠/٢٤.

(٩) تأويلات أهل السنة: ٥٠٢/١٠.

(١٠) معاني القرآن: ٢٥٦/٣.

(١١) مجاز القرآن: ٢٩٥/٢.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٢٠):ص٣٤١٦/١٠، والطبري: ٣٦٩/٢٤.

(١٣) إعراب القرآن: ١٢٧/٥.

(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٦٩/٤.

(١٥) تفسير الطبري: ٣٦٩/٢٤.

(١٦) تفسير السعدي: ٩٢٠.

سنقرئك -أيها الرسول- هذا القرآن قراءة لا تنساها، إلا ما شاء الله مما اقتضت حكمته أن ينسيه لمصلحة يعلمها. إنه -سبحانه- يعلم الجهر من القول والعمل، وما يخفى منهما.

سبب النزول:

عن عبد الله بن عباس، قال: "كان النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - إذا أتاه جبريل بالوحي لم يفرغ جبريل مِن الوحي حتى يُزمَّل مِن ثِقَل الوحي، حتى يتكلَّم النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - بأوله؛ مخافة أن يُغشى عليه فيَنسى، فقال له جبريل: لِمَ تفعل ذلك؟ قال: «مخافة أن أنسى». فأنزل الله: {سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى إِلّا ما شاءَ اللَّهُ}، فالنبيُّ - صلى الله عليه وسلم - نسي آيات مِن القرآن ليس بحلال ولا حرام، ثم قال له جبريل: إنه لم يَنزل على نبيٍّ قبلك إلا نسي وإلا رُفع بعضه. وذلك أنّ موسى أهبط الله عليه ثلاثة عشر سِفرًا، فلما ألقى الألواح انكسرتْ وكانت مِن زُمُرّد، فذهب أربعة، وبقي تسعة"[١].

قال ابن عباس:" كان النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - يستذكر القرآن مخافة أن ينساه، فقيل له: كفيناك ذلك. ونزلت: {سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى}"[٢]. وروي عن سعد بن أبي وقاص، نحوه[٣].

قال مجاهد، وابن سائب الكلبي:" كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا نزل عليه جبريل - عليه السلام - لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأولها مخافة أن ينساها؛ فأنزل الله تعالى: {سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى} فلم ينسَ بعد ذلك شيئًا"[٤].

قوله تعالى:{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} [الأعلى :٦- ٧]، أي:" سنقرئك -أيها الرسول- هذا القرآن قراءة لا تنساها، إلا ما شاء الله مما اقتضت حكمته أن ينسيه لمصلحة يعلمها"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: سنقرئك يا محمد هذا القرآن فلا تنساه، إلا ما شاء الله"[٦].

وفي قوله تعالى:{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى} [الأعلى :٦]، وجهان من التفسير:

أحدهما : أنه إخبار من الله تعالى أنه لا ينسى ما يقرئه من القرآن. وهذا قول ابن عباس-في رواية-[٧]، ومجاهد[٨]، وقتادة[٩].

عن مجاهد: قوله:"{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى}، قال: كان يتذكر القرآن في نفسه مخافة أن ينسى"[١٠].

قال قتادة:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينسى شيئا إلا ما شاء الله"[١١].

عن مالك بن أنس: "{سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى}، قال: تأويل ذلك: أن سنقرئك، فتَحْفَظ"[١٢].

قال مقاتل:" نجمعه في فلا تنساه أبدا"[١٣].

---

(١)أخرجه الطبراني في الكبير ١٢/ ١٢٠ (١٢٦٤٩). قال الهيثمي في المجمع ٧/ ١٣٦ (١١٤٨٥): «وفيه جويبر، وهو ضعيف».

(٢)عزاه السيوطي إلى ابن مردويه.

(٣)أخرجه الحاكم ٢/ ٥٢١.

(٤)تفسير البغوي ٨/ ٤٠١، وتفسير الثعلبي ١٠/ ١٨٤.

(٥) التفسير الميسر: ٥٩١.

(٦) تفسير الطبري: ٢٤/٣٧٠-٣٧١.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٦/٢٥٣.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٢٢):ص١٠/٣٤١٦.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٢٤):ص١٠/٣٤١٦-٣٤١٧.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٢٢):ص١٠/٣٤١٦.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٢٤):ص١٠/٣٤١٦-٣٤١٧.

(١٢)أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع -تفسير القرآن ٢/ ١٣٨ (٢٧٧).

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤/٦٦٩.

قال السعدي:" أي: سنحفظ ما أوحينا إليك من الكتاب، ونوعيه قلبك، فلا تنسى منه شيئًا، وهذه بشارة كبيرة من الله لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، أن الله سيعلمه علمًا لا ينساه"[١].

الثاني : أن معنى قوله : {فَلَا تَنْسَى}، أي: فلا تترك العمل إلا ما شاء الله أن يترخص لك فيه مما ينسخه. وهو معنى قول ابن عباس –في رواية أخرى-[٢]، واختيار الطبري[٣].

عن ابن عباس:" {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ}، يقول: إلا ما شئت أنا فأنسيك"[٤].

قال الطبري:" بالصواب عندي قول من قال: معنى ذلك: فلا تنسى إلا أن نشاء نحن أن نُنسيكه بنسخه ورفعه، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأن ذلك أظهر معانيه"[٥].

قوله تعالى:{إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى} [الأعلى : ٧]، أي:" إنه -سبحانه- يعلم الجهر من القول والعمل، وما يخفى منهما"[٦].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن الله يعلم الجهر يا محمد من عملك ما أظهرته وأعلنته، وما يخفى منه فلم تظهره مما كتمته، يقول: هو يعلم جميع أعمالك سرّها وعلانيتها؛ يقول: فاحذره أن يطلع عليك وأنت عامل في حال من أحوالك بغير الذي أذن لك به"[٧].

قال السعدي:" ومن ذلك أنه يعلم ما يصلح عباده أي: فلذلك يشرع ما أراد، ويحكم بما يريد"[٨].

عن قتادة :" {إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى}، قال: الوسوسة"[٩].

عن سعيد بن جبير:" {إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى}، قال: ما أخفيت في نفسك"[١٠].

قال محمد بن حامد: "يعلم إعلان الصدقة وإخفاءها"[١١].

القرآن

{وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى (٨)} [الأعلى : ٨]

التفسير:

ونيسرك لليسرى في جميع أمورك، ومن ذلك تسهيل تَلَقّي أعباء الرسالة، وجعل دينك يسرًا لا عسر فيه.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره ونسهلك يا محمد لعمل الخير وهو اليُسرَى، واليُسرَى: هو «الفُعلى»، من: اليسر"[١٢].

وفي تفسير الآية الكريمة، وجوه:

أحدها : نيسرك لأن تعمل خيراً ، قاله ابن عباس[١٣].

عن ابن عباس: "{وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى}، قال: للخير"[١].

---

(١) تفسير السعدي: ٩٢٠.
(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٢٣):ص٣٤١٦/١٠.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٧١/٢٤.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٢٣):ص٣٤١٦/١٠.
(٥) تفسير الطبري: ٣٧١/٢٤.
(٦) التفسير الميسر: ٥٩١.
(٧) تفسير الطبري: ٣٧٢/٢٤.
(٨) تفسير السعدي: ٩٢٠.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٢٤):ص٣٤١٦/١٠-٣٤١٧.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٢٥):ص٣٤١٧/١٠.
(١١) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٨٤/١٠.
(١٢) تفسير الطبري: ٣٧٢/٢٤.
(١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٢٦):ص٣٤١٧/١٠.

الثاني : للجنة، قاله ابن مسعود[٢].
قال الواحدي:" والمعنى على هذا: نيسرك للعمل المؤدي إليها"[٣].
الثالث : ويوفقك للشريعة اليسرى، وهي الحنفية السمحة. حكاه الثعلبي[٤].
وحكي الماوردي عن الضحاك:" للدين واليسر وليس بالعسر"[٥].
وقال مقاتل:" يقول: ونبدلك مكان آية بأيسر منها"[٦].
الرابع: وقيل: هو متصل بالكلام الأول، معناه: نعلم الْجَهْرَ مما تقرأه يا محمد على جبريل إذا فرغ من التلاوة عليك، وَما يَخْفى ما تقرأه في نفسك مخافة أن تنساه. ثم وعده فقال: {وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرى}، أي: يهون عليك الوحي حتى تحفظه وتعلمه وتعمل به. حكاه الثعلبي[٧].
قال الشوكاني: الأولى حمل الآية على العموم، أي: نوفقك للطريقة اليسرى في الدين والدنيا في كل أمر من أمورهما التي تتوجه إليك"[٨].
قال السعدي:" هذه أيضًا بشارة كبيرة، أن الله ييسر رسوله صلى الله عليه وسلم لليسرى في جميع أموره، ويجعل شرعه ودينه يسرا "[٩].

القرآن
{فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (٩) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠)} [الأعلى : ٩-١٠]
التفسير:
فعظ قومك -أيها الرسول- حسبما يسرناه لك بما يوحى إليك، واهدهم إلى ما فيه خيرهم. وخُصَّ بالتذكير من يرجى منه التذكُّر، ولا تتعب نفسك في تذكير من لا يورثه التذكر إلا عتوًّا ونفورًا. سيتعظ الذي يخاف ربه.
قوله تعالى:{فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى} [الأعلى : ٩]، أي:" فعظ قومك -أيها الرسول- حسبما يسرناه لك بما يوحى إليك، واهدهم إلى ما فيه خيرهم. وخُصَّ بالتذكير من يرجى منه التذكُّر، ولا تتعب نفسك في تذكير من لا يورثه التذكر إلا عتوًّا ونفورًا"[١٠].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فذكّر عباد الله يا محمد عظمته، وعِظْهم، وحذّرهم عقوبته، إن نفعت الذكرى الذين قد آيستُك من إيمانهم، فلا تنفعهم الذكرى"[١١].
قال السعدي:" أي: ما دامت الذكرى مقبولة، والموعظة مسموعة، سواء حصل من الذكرى جميع المقصود أو بعضه. ومفهوم الآية أنه إن لم تنفع الذكرى، بأن كان التذكير يزيد في الشر، أو ينقص من الخير، لم تكن الذكرى مأمورًا بها، بل منهيًا عنها، فالذكرى ينقسم الناس فيها قسمين: منتفعون وغير منتفعين"[١٢].
عن مجاهد{فَذَكِّرْ}: قال:" بالقرآن"[١٣].
قوله تعالى:{سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى} [الأعلى : ١٠]، أي:" سيتعظ الذي يخاف ربه"[١].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٢٦):ص٣٤١٧/١٠.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٢٥٤/٦.
(٣) التفسير البسيط: ٤٤١/٢٣.
(٤) انظر: الكشف والبيان: ١٨٤/١٠.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٢٥٤/٦.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٦٩/٤.
(٧) انظر: الكشف والبيان: ١٨٤/١٠.
(٨) فتح القدير: ٥/ ٤٢٤.
(٩) تفسير السعدي: ٩٢٠.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٩١.
(١١) تفسير الطبري: ٣٧٢/٢٤.
(١٢) تفسير السعدي: ٩٢٠.
(١٣) النكت والعيون: ٢٥٤/٦.

قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه: سَيَذَّكَّرُ يا محمد إذا ذكرت الذين أمرتك بتذكيرهم من يخشى الله، ويخاف عقابه"[٢].

قال السعدي:" فإن خشية الله تعالى، وعلمه بأن سيجازيه على أعماله، توجب للعبد الانكفاف عن المعاصي والسعي في الخيرات"[٣].

قال الماتريدي:" أي: يتعظ بها من يخشى اللَّه تعالى أو المعاد، قال اللَّه - تعالى -: {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ}، أي: بالقرآن، وذلك أن الذي يحملهم على الإيمان بالآخرة إيمانهم بهذا الكتاب؛ لأن في القرآن تذكيرًا للآخرة، وأمرا بالاستعداد لها؛ فلذلك خشيته تحمله على الاتعاظ بالذكرى والانتفاع بها، والخشية هي الخوف اللازم في القلوب"[٤].

قال قتادة:" والله ما خشي الله عبد قط إلا ذكره"[٥]. وفي لفظ:" فاتقوا الله، ما خشي الله عبد قطّ إلا ذكره"[٦].

وقال قتادة:" واللهِ، ما خشي اللهَ عبدٌ قطّ إلا ذكَّره، ولا يتنكّب عبدٌ هذا الذِّكْر زُهدًا فيه وبُغضًا لأهله إلا شَقيٌّ بَيِّنُ الشقاء"[٧].

قال السمعاني: "يقال: نزل هذا في عبد الله بن أم مكتوم، وقيل: هو على العموم والمعنى: من يخشى الله"[٨].

وقال الحسين بن واقد: "هو أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-"[٩].

القرآن

{وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (١٣) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥)} [الأعلى : ١١-١٥]

التفسير:

ويبتعد عن الذكرى الأشقى الذي لا يخشى ربه، الذي سيدخل نار جهنم العظمى يقاسي حرَّها، ثم لا يموت فيها فيستريح، ولا يحيا حياة تنفعه. قد فاز مَن طهر نفسه من الأخلاق السيئة، وذكر الله، فوحَّده ودعاه وعمل بما يرضيه، وأقام الصلاة في أوقاتها؛ ابتغاء رضوان الله وامتثالا لشرعه.

قوله تعالى:{وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى} [الأعلى : ١١]، أي:" ويبتعد عن الذكرى الأشقى الذي لا يخشى ربه"[١٠].

قال الطبري:" يقول: ويتجنَّب الذكرى أشقى الفريقين، وهم الذين لم تنفعهم الذكرى"[١١].

قال ابن أبي زمنين:" يتجنب التذكرة المشرك"[١٢].

قال البغوي: أي:" الشقي في علم الله"[١٣].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩١.
(٢) تفسير الطبري: ٣٧٢/٢٤.
(٣) تفسير السعدي: ٩٢٠.
(٤) تأويلات أهل السنة: ٥٠٥/١٠.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٤/ ٣٧٢، وابن أبي حاتم(١٩٢٢٧):ص٣٤١٧/١٠.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٤/ ٣٧٢.
(٧)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.
(٨) تفسير السمعاني: ٢١٠/٦.
(٩) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ١٢٨/٥.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٩٢.
(١١) تفسير الطبري: ٣٧٢/٢٤.
(١٢) تفسير ابن أبي زمنين: ١٢١/٥.
(١٣) تفسير البغوي: ٤٠١/٨.

قال السمعاني: " يقال: هو الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة"[١].
قال الحسين بن واقد: " عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف"[٢].
قال قتادة:" فلا والله لا يتنكَّب عبد هذا الذكر زهدًا فيه وبُغضًا لأهله، إلا شَقِيٌّ بَيِّن الشقاء"[٣].
قوله تعالى:{الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى} [الأعلى : ١٢]، أي:" الذي سيدخل نار جهنم العظمى يقاسي حرَّها"[٤].
قال الطبري:" يقول: الذي يَرِد نار جهنم، وهي النار الكبرى، ويعني بالكبرى لشدّة الحرّ والألم"[٥].
قال البغوي: أي:" العظيمة والفظيعة، لأنها أعظم وأشد حرا من نار الدنيا"[٦].
قال السعدي:" وهي النار الموقدة، التي تطلع على الأفئدة"[٧].
قال الفراء:" هي السفلى من أطباق النار"[٨].
قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: "هو الطبق الأسفل من جهنم"[٩].
عن الحسن: "الكبرى نار جهنم، والصغرى نار الدنيا"[١٠].
قوله تعالى:{ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى} [الأعلى : ١٣]، أي:" ثم لا يموت فيها فيستريح، ولا يحيا حياة تنفعه"[١١].
قال الطبري:" يقول: ثم لا يموت في النار الكبرى ولا يحيا، وذلك أن نفس أحدهم تصير فيها في حلقه، فلا تخرج فتفارقه فيموت، ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا. وقيل: لا يموت فيها فيستريح، ولا يحيا حياة تنفعه"[١٢].
قال الماتريدي:" {لَا يَمُوتُ} فيستريح، {وَلَا يَحْيَى} حياة يتلذذ بها"[١٣].
قال السمعاني: " أي: لا يموت فيستريح، ولا يحيا حياة فيها راحة، ويقال: لا يموت، ولا يجد روح الحياة"[١٤].
قال السعدي:" أي: يعذب عذابًا أليمًا، من غير راحة ولا استراحة، حتى إنهم يتمنون الموت فلا يحصل لهم، كما قال تعالى: {لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا}"[١٥].
قال مقاتل:" يقول: لا يموت في النار فيستريح، ولا يحيا حياة طيبة، ولكنه في بلاء ما دام في النار يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ويحترق كل يوم سبع مرات، ثم يعاد إلى العذاب ليس له طعام إلا من لحمه، فذلك قوله: {وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ} [الحاقة : ٣٦]، يأكل النار وتأكله وهو في النار، لباسه النار، وعلى رأسه نار، وفي عنقه نار، وفي كل مفصل منه

---

(١) تفسير السمعاني: ٢١٠/٦.
(٢) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ١٢٨/٥.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٤/ ٣٧٢، وابن أبي حاتم(١٩٢٢٧):ص٣٤١٧/١٠.
(٤) التفسير الميسر: ٥٩٢.
(٥) تفسير الطبري: ٣٧٢/٢٤-٣٧٣.
(٦) تفسير البغوي: ٤٠١/٨.
(٧) تفسير السعدي: ٩٢٠.
(٨) معاني القرآن: ٢٥٦/٣.
(٩) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٢١٠/٦.
(١٠) تفسير القرطبي: ٢١/٢٠.
(١١) التفسير الميسر: ٥٩٢.
(١٢) تفسير الطبري: ٣٧٣/٢٤.
(١٣) تأويلات أهل السنة: ٥٠٦/١٠.
(١٤) تفسير السمعاني: ٢١٠/٦.
(١٥) تفسير السعدي: ٩٢٠.

سبعة ألوان من ألوان العذاب، لا يرحم أبدا، ولا يشبع أبدا، ولا يموت أبدا، ولا يعيش معيشة طيبة أبدا، الله عليه غضبان، والملائكة غضاب، وجهنم غضبانة"[١].

قوله تعالى:{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} [الأعلى : ١٤]، أي:" قد فاز مَن طهر نفسه من الأخلاق السيئة"[٢].

وفي قوله تعالى:{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} [الأعلى : ١٤]، وجوه من التفسير:

أحدها : من تطهّر من الشرك بالإيمان، قاله ابن عباس[٣]، وعكرمة[٤]، وعطاء[٥]. وهو الصحيح لأن الجمهور على أن السورة مكية.

قال ابن عباس:" مَنْ تَزَكَّى من الشرك"[٦].

وقال عطاء:" من آمن"[٧].

وقال عكرمة:" من قال: "لا إله إلا الله. قاله"[٨].

قال الثعلبي:" أي: تطهّر من الشرك، وقال: لا إله إلّا الله"[٩].

عن ابن سابط عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى}- قال: «من شهد أن لا إله إلّا الله وخلع الأنداد وشهد أني رسول الله»، {وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى}، قال: «هي الصلوات الخمس، والمحافظة عليها حين ينادى بها، والاهتمام بمواقيتها"[١٠].

قال الطبري:" قد نجح وأدرك طلبته من تطهَّر من الكفر ومعاصي الله، وعمل بما أمره الله به، فأدّى فرائضه"[١١].

وقال ابن كثير: أي : طهَّر نفسه من الأخلاق الرذيلة، وتابع ما أنزل الله على رسوله، صلوات الله وسلامه عليه"[١٢].

الثاني : من كان صالح عمله زكياً نامياً ، قاله الحسن[١٣]، والربيع[١٤].

قال الحسن:" من كان عمله زاكيًا"[١٥].

الثالث: من عمل صالحا وورعا. قاله قتادة[١٦].

وقال قتادة:" بعمل صالح"[١٧]. وفي لفظ:" يعمل وَرِعًا"[١٨].

قال سهل:" أي: فاز وسعد من اتقى الله في السر والعلانية"[١٩].

الرابع : من أكثر الاستغفار. قاله عطاء"[٢٠].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٠/٤.
(٢) التفسير الميسر: ٥٩٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٣/٢٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٣/٢٤.
(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٣٠):ص٣٤١٧/١٠.
(٦) أخرجه الطبري: ٣٧٣/٢٤.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٣٠):ص٣٤١٧/١٠.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٣/٢٤.
(٩) الكشف والبيان: ١٨٥/١٠.
(١٠) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٠/!٨٥-١٨٦.
(١١) تفسير الطبري: ٣٧٣/٢٤.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٣٨١/٨.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٣/٢٤.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ٢٥٥/٦، وزاد المسير: ٤٣٢/٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٣٧٣/٢٤.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٣/٢٤.
(١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٣٢):ص٣٤١٧/١٠.
(١٨) أخرجه الطبري: ٣٧٣/٢٤.
(١٩) تفسير التستري: ١٩٢.
(٢٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٣١):ص٣٤١٧/١٠.

الخامس : عُنِي بذلك صدقة الفطر. وهذا قول أبي سعيد الخدري[١]، وأبي العالية[٢]، ومحمد بن سيرين[٣]، وعطاء -أيضا-[٤]، وقتادة[٥].

قال محمد بن سيرين:" أدى صدقة الفطر ثم خرج فصلى بعد ما أدى"[٦].

عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: إذا خرج أحدكم يريد الصلاة فلا عليه أن يتصدق بشيء، لأن الله يقول: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى}"[٧].

وروى أبو هارون عن أبي سعيد الخدري،" في قوله سبحانه: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى}، قال: أعطى صدقة الفطر"[٨].

عن أبي خلدة، قال: "دخلت على أبي العالية، فقال لي: إذا غَدَوت غدًا إلى العيد فمرّ بي، قال: فمررت به، فقال: هل طَعِمت شيئا؟ قلت: نعم، قال: أفَضْت على نفسك من الماء؟ قلت: نعم، قال: فأخبرني ما فعلت بزكاتك؟ قلت: قد وجَّهتها، قال: إنما أردتك لهذا، ثم قرأ: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى}، وقال: إن أهل المدينة لا يَرَونَ صدقة أفضل منها ومن سِقَاية الماء"[٩].

روي بسند ضعيف عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلى الله عليه وسلم:" أنه كان يأمر بزكاة الفطر قبل أن يصلى العيد ويتلو هذه الآية قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وفي لفظ قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زكاة الفطر قال: قد أفلح من تزكى فقال: هي «زكاة الفطر»"[١٠].

السادس : أنها زكوات الأموال كلها ، قاله ابن عباس[١١]، وأبو الأحوص[١٢]، وقتادة[١٣].

قال قتادة:" تزكى رجل من ماله، وأرضى خالقه"[١٤].

عن عطاء، قال: "قلت لابن عباس -رضي الله عنهما- أرأيت قوله: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} [الأعلى : ١٤]، للفطر! قال: لم أسمع بذلك، ولكن الزكاة كلها، ثم عاودته فيها، فقال لي: والصدقات كلها"[١٥].

وعن سعيد بن جبير:" {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى}، يعني: من ماله"[١٦].

وقال قتادة:" من أرضى خالقه من ماله"[١٧].

قال أبو الأحوص:" من استطاع أن يرضَخَ فليفعل، ثم ليقم فليصلّ"[١٨].

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٤١):ص٣٤١٨/١٠، والكشف والبيان: ١٨٥/١٠.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٤/٢٤.
(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٣٥):ص٣٤١٨/١٠.
(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٣٤):ص٣٤١٨/١٠.
(٥) انظر: زاد المسير: ٤٣٢/٤.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٣٥):ص٣٤١٨/١٠.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٤١):ص٣٤١٨/١٠.
(٨) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٨٥/١٠.
(٩) أخرجه الطبري: ٣٧٤/٢٤.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٣٣):ص٣٤١٨/١٠.
(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٣٦):ص٣٤١٨/١٠.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٤/٢٤.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٤/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٣٧٤/٢٤.
(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٣٦):ص٣٤١٨/١٠.
(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٣٨):ص٣٤١٨/١٠.
(١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٣٩):ص٣٤١٨/١٠.
(١٨) أخرجه الطبري: ٣٧٤/٢٤.

قال أبو الأحوص:" إذا أتى أحدكم سائل وهو يريد الصلاة، فليقدّم بين يدي صلاته زكاته، فإن الله يقول: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} فمن استطاع أن يقدّم بين يدي صلاته زكاةً فليفعل"[١].

قال أبو الأحوص:" لو أن الذي يتصدق بالصدقة صلى ركعتين ثم قرأ قد أفلح من تزكى الآية"[٢].

قوله تعالى:{وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} [الأعلى : ١٥]، أي:" وذكر الله، فوحَّده ودعاه وعمل بما يرضيه، وأقام الصلاة في أوقاتها؛ ابتغاء رضوان الله وامتثالا لشرعه"[٣].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ} [الأعلى : ١٥]، قولان:

أحدهما: وحَّد الله سبحانه وتعالى. قاله ابن عباس[٤].

قال مقاتل:" وشهد أن لا إله إلا الله"[٥].

الثاني : وذكر الله ودعاه ورغب إليه. حكاه الطبري[٦].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك أن يقال: وذكر الله فوحَّده، ودعاه ورغب إليه؛ لأن كلّ ذلك من ذكر الله، ولم يُخصص الله تعالى من ذكره نوعًا دون نوع"[٧].

وفي تفسير قوله تعالى:{ فَصَلَّى} [الأعلى : ١٥]، ثلاثة أقوال :

أحدها : فصلى الصلوات الخمس، قاله ابن عباس[٨]، ومقاتل[٩]، وبه قال الطبري[١٠]، وهو الصحيح، لأن الجمهور على أن السورة مكية.

قال الطبري:" عُنِيَ بقوله: {فَصَلَّى} : الصلوات، وذكر الله فيها بالتحميد والتمجيد والدعاء"[١١].

قال ابن كثير: "أي : أقام الصلاة في أوقاتها ؛ ابتغاء رضوان الله وطاعة لأمر الله وامتثالا لشرع الله"[١٢].

ري جابر رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: في قوله تعالى: {وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى}، قال: «هي الصلوات الخمس، والمحافظة عليها حين ينادى بها، والاهتمام بمواقيتها». رفعه جابر[١٣].

قال ابن أبي زمنين:" وكانت الصلاة يومئذ ركعتين غدوة، وركعتين عشية"[١٤].

الثاني : أن الصلاة –هاهنا-: الدعاء. حكاه الطبري[١٥].

الثالث : صلاة التطوع، قاله أبو الأحوص[١٦].

قال أبو الأحوص:" هو أن يتطوع بصلاة بعد زكاة"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٧٤/٢٤.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٤٠):ص٣٤١٨/١٠.
(٣) التفسير الميسر: ٥٩٢.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٤/٢٤.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٠/٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٤/٢٤.
(٧) تفسير الطبري: ٣٧٥/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٥/٢٤.
(٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٠/٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٥/٢٤.
(١١) تفسير الطبري: ٣٧٥/٢٤.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٣٨١/٨.
(١٣) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٠/أ٨٥-١٨٦.
(١٤) تفسير ابن أبي زمنين: ١٢١/٥.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٤/٢٤.
(١٦) انظر: النكت والعيون: ٢٥٥/٦، وزاد المسير: ٤٣٣/٤.

الثالث : عُنِيَ به: صلاة العيد يوم الفطر. وهذا قول أبي سعيد الخدري[٢]، وابن عمر[٣]، ومحمد بن سيرين[٤].

روى أبو هارون عن أبي سعيد الخدري، في قوله سبحانه: {وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى}، قال: خرج إلى العيد فصلى"[٥].

روى عبيد الله بن عمر عن نافع قال: "كان ابن عمر إذا صلّى الغداة- يعني: من يوم العيد- قال: يا نافع أخرجت الصدقة؟ فإن قلت: نعم، مضى إلى المصلّى. وإن قلت: لا، قال: فالآن فأخرج، فإنما نزلت هذه الآية في هذا: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى}"[٦].

عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جدّه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى}، قال: «أخرج زكاة الفطر، وخرج إلى المصلى فصلّى»[٧].

قال الثعلبي:" ولا أدري ما وجه هذا التأويل، لأن هذه السورة مكيّة بالإجماع، ولم يكن بمكّة عيد، ولا زكاة فطر. -والله أعلم-"[٨].

قال ابن الجوزي:" القول قول ابن عباس في الآيتين[{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥)} [الأعلى : ١٤ - ١٥]]، فإن هذه السورة مكية بلا خلاف، ولم يكن بمكة زكاة، ولا عيد"[٩].

عن جعفر بن برقان، قال: "كتب إلينا عمر بن عبد العزيز: إنّ هذا الرجف شيء يعاقب الله به عباده، وقد كتب إلى أهل الأمصار أن يخرجوا يوم كذا وكذا في شهر كذا وكذا في ساعة كذا وكذا فاخرجوا، ومَن أراد منكم أن يتصدّق فليفعل؛ فإنّ الله تعالى قال: {قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى}"[١٠].

فوائد الآيات: [١-١٥]:

١- وجوب تسبيح اسم الله وتنزيهه عما لا يليق به كوجوب تنزيه ذات الله تعالى عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله.

٢- مشروعية قول سبحان ربي الأعلى عند قراءة هذه الآية سبح اسم ربك الأعلى.

٣- وجوب التسبيح بها في السجود في كل سجدة من الصلاة سبحان ربي الأعلى ثلاثا فأكثر.

٤- مشروعية قراءة هذه السورة في الوتر فيقرأ في الركعة الأولى بالفاتحة والأعلى وفي الثانية بالفاتحة والكافرون، وفي ركعة الوتر بالفاتحة والصمد أو الصمد والمعوذتين.

٥- أحب الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سورة الأعلى لأنها سورة ربه وأن ربه بشره فيها بشارتين عظيمتين الأولى أنه ييسره لليسرى، ومن ثم ما خير رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين شيئين إلا اختار أيسرهما والثانية أنه حفظه من النسيان بأن جعله لا ينسى. ولذا كان يصلي بهذه السورة الجمع والأعياد والوتر في كل ليلة فصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٦- الترغيب في الزكاة والذكر والصلاة، ويحصل هذا للمسلم كل عيد فطر إذ يخرج زكاة الفطر أولا ثم يأتي المسجد يكبر، ثم يصلي حتى أن بعضهم يرى أن هذه الآية نزلت في ذلك.

---

(١) نقلا عن: النكت والعيون: ٢٥٥/٦.
(٢) انظر: الكشف والبيان: ١٨٥/١٠.
(٣) انظر: الكشف والبيان: ١٨٥/١٠.
(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٣٥):ص٣٤١٨/١٠.
(٥) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٨٥/١٠.
(٦) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٨٥/١٠.
(٧) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٨٥/١٠.
(٨) الكشف والبيان: ١٠/!٨٥.
(٩) زاد المسير: ٤٣٣/٤.
(١٠)أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ٣٠٤ - ٣٠٥.

القرآن

{بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦)} [الأعلى : ١٦]

التفسير:

إنكم -أيها الناس- تفضِّلون زينة الحياة الدنيا على نعيم الآخرة.

قال الطبري:" يقول للناس: بل تؤثرون أيها الناس زينة الحياة الدنيا على الآخرة"[١].

قال مقاتل:" يقول بل تختارون الحياة الدنيا"[٢].

وقال ابن أبي زمنين:" يقوله للمشركين، أي: يزعمون أن الدنيا باقية، وأن الآخرة لا تكون"[٣].

قال ابن كثير:" أي : تقدمونها على أمر الآخرة، وتبدونها على ما فيه نفعهم وصلاحهم في معاشهم ومعادهم"[٤].

قال عكرمة:" يعني: هذه الأمة، وإنكم ستؤثرون الحياة الدنيا"[٥].

قال قتادة:" فاختار الناس العاجلة إلا من عصم الله"[٦].

قال سهل:" ما ينبغي للمؤمن أن يكون في الدنيا إلا كمثل رجل ركب خشبة في البحر، وهو يقول: يا رب يا رب، لعل أن ينجيه منها، وما من عبد مؤمن زهد في الدنيا إلا وكّل الله به ملكاً حكيماً يغرس في قلبه أنواع الحكم، كما يغرس أهل الدنيا في بساتينهم من طرف الأشجار"[٧].

عن عَرْفَجَة الثقفي، قال: "استقرأت ابن مسعود {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى}، فلما بلغ: {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}، ترك القراءة وأقبل على أصحابه، وقال: آثرنا الدنيا على الآخرة، فسكت القوم، فقال: آثرنا الدنيا؛ لأنا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها، وزُويت عنا الآخرة، فاخترنا هذا العاجل، وتركنا الآجل"[٨].

قال ابن كثير:" وهذا منه على وجه التواضع والهضم، أو هو إخبار عن الجنس من حيث هو، والله أعلم "[٩].

وقرأ أبو عمرو: "«بَلْ يؤْثِرُونَ» بالياء، وقال: يعني: الأشقياء"[١٠].

عن أبي موسى الأشعري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:«من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى»[١١].

عن أنس، قال: "قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا إله إلا الله تمنع العباد من سخط الله، ما لم يُؤثروا صفقة دنياهم على دينهم، فإذا آثروا صفقة دنياهم على دينهم ثم قالوا: لا إله إلا الله. رُدّت عليهم، وقال الله: كذبتم»"[١٢].

---

(١) تفسير الطبري: ٣٧٥/٢٤.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٠/٤.

(٣) تفسير ابن أبي زمنين: ١٢١/٥.

(٤) تفسير ابن كثير: ٣٨٢/٨.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٤٢):ص٣٤١٩/١٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٧٥/٢٤.

(٧) تفسير التستري: ١٩٢.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٧٥/٢٤.

(٩) تفسير ابن كثير: ٣٨٢/٨.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٥/٢٤.

(١١) المسند(١٩٦٩٧):ص٤٧٠/٣٢، والمستدرك للحاكم(٧٨٥٣):ص٣٤٣/٤، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". وتعقبه الذهبي بقوله: "فيه انقطاع"، وفي (٧٨٩٧):ص٣٥٤/٤، قال الحاكم: هذا حديث صحيح". وأقره الذهبي". فجل من لا يسهو.

(١٢)أخرجه أبو يعلى في مسنده ٧/ ٩٥ (٤٠٣٤)، والبيهقي في الشعب ١٣/ ١٠٠ - ١٠١ (١٠٠١٥، ١٠٠١٦) واللفظ له.

عن ابن عمر، أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا يلقى اللهَ أحدٌ بشهادة أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، إلا دخل الجنة، ما لم يخلط معها غيرها». ردَّدها ثلاثًا، قال قائل من قاصية الناس: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، وما يخلط معها غيرها؟ قال: «حُبّ الدنيا، وأثرة لها، وجمعًا لها، ورضًا بها، وعمل الجبّارين»[1].

القرآن

{وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧)} [الأعلى : ١٧]

التفسير:

والدار الآخرة بما فيها من النعيم المقيم، خير من الدنيا وأبقى.

قال الطبري:" يقول: وزينة الآخرة خير لكم أيها الناس وأبقى، لأن الحياة الدنيا فانية، والآخرة باقية، لا تنفَدُ ولا تفنى"[2].

قال ابن كثير:" أي : ثواب الله في الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى، فإن الدنيا دنيَّة فانية، والآخرة شريفة باقية، فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى، ويهتم بما يزول عنه قريبا، ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد ؟!"[3].

قال قتادة:" {وَالآخِرَةُ خَيْرٌ} في الخير {وَأَبْقَى} في البقاء"[4].

عن عائشة، قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «الدنيا دار مَن لا دار له، ومال مَن لا مال له، ولها يجمع مَن لا عقل له»[5].

القرآن

{إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١٩)} [الأعلى : ١٨-١٩]

التفسير:

إن ما أخبرتم به في هذه السورة هو مما ثبت معناه في الصُّحف التي أنزلت قبل القرآن، وهي صُحف إبراهيم وموسى عليهما السلام.

قوله تعالى:{إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى} [الأعلى : ١٨]، أي:" إن ما أخبرتم به في هذه السورة هو مما ثبت معناه في الصُّحف التي أنزلت قبل القرآن"[6].

وفي قوله تعالى:{إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى} [الأعلى : ١٨]، وجوه من التفسير:

قال ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ ٥/ ٢٥٩٠ - ٢٥٩١ (٦٠١٧): «رواه عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر، عن نافع بن مالك أبي سهيل عن أنس، وعمر هذا ضعيف». وقال الهيثمي في المجمع ٧/ ٢٧٧ (١٢١٨٨): «رواه البزار، وإسناده حسن». وقال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة ٧/ ٤٣٣ (٧٢٦٢): «رواه أبو يعلى الموصلي بسند ضعيف؛ لضعف عمر بن حمزة».

(١)أخرجه البيهقي في الشعب ١٣/ ١٠١ (١٠٠١٧)، من طريق علي بن عياش، ثنا سعيد بن سنان، حدثني أبو الزّاهرية، عن أبي شجرة، عن عبد الله بن عمر به.

إسناده ضعيف جدًّا؛ فيه سعيد بن سنان الحنفي أو الكندي أبو مهدي الحمصي، قال عنه ابن حجر في التقريب (٢٣٣٣): «متروك، ورماه الدارقطني وغيره بالوضع».

(٢) تفسير الطبري: ٣٧٥/٢٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٣٨٢/٨.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٧٥/٢٤.

(٥)أخرجه أحمد ٤٠/ ٤٨٠ (٢٤٤١٩).

قال السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٣٥٠ (٤٩٤)، والعجلوني في كشف الخفاء ١/ ٤٦٩ (١٣١٥): «رجاله ثقات». وقال المناوي في التيسير ٢/ ١٣: «أسانيد صحيحة». وقال في فيض القدير ٣/ ٥٤٦ (٤٢٧٤): «قال المنذري في الترغيب والترهيب ٤/ ٨٦ (٤٩١٢)، والحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ص ١١٠٣: إسناده جيد». وقال الهيثمي مجمع الزوائد ١٠/ ٢٨٨ (١٨٠٧٨): «رجال أحمد رجال الصحيح، غير دويد وهو ثقة». وقال الألباني في الضعيفة ٤/ ٤٠٥ (١٩٣٣): «ضعيف».

(٦) التفسير الميسر: ٥٩٢.

أحدها : يعني: أن الآخرة خير وأبقى في الصحف الأولى ، قاله قتادة[١]، وابن زيد[٢].
قال قتادة:" تتابعت كتب الله كما تسمعون أن الآخرة خير وأبقى"[٣].
قال قتادة:" في الصحف الأولى: إن الآخرة خير من الدنيا"[٤].
عن ابن زيد، في قوله: "{إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأولى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى}، قال: في الصحف التي أنزلها الله على إبراهيم وموسى أن الآخرة خير من الأولى"[٥].
قال النحاس:" والله أعلم بما أراد إلا أن قول قتادة حسن، لأنه لما يليه، وسبيل الشيء أن يكون لما يليه إلّا أن تأتي حجة قاطعة تغير ذلك"[٦].
الثاني : هذه السورة، قاله ابن عباس[٧]، وعكرمة[٨]، والسدي[٩]، ونحوه عن أبي العالية[١٠]، وقتادة[١١].
قال ابن عباس:" نسخت هذه السورة من صحف إبراهيم وموسى"[١٢].
قال السدي:" أن هذه السورة في صحف إبراهيم وموسى مثل ما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم"[١٣].
عن عكرمة: "{إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأولى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى}، يقول: الآيات التي في {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى}"[١٤].
وعن ابن عباس قال : "لما نزلت :{إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأولى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى} قال النبي صلى الله عليه وسلم : "كان كل هذا - أو : كان هذا - في صحف إبراهيم وموسى"[١٥].
وعن ابن عباس قال : "لما نزلت {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى} قال : كلها في صحف إبراهيم وموسى، فلما نزلت :{وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى} [النجم : ٣٧] قال : وفّى {أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [النجم : ٣٨]"[١٦].
وقال أبو العالية:" قصة هذه السورة لفي الصحف الأولى"[١٧].
وقال قتادة:" إن هذا الذي قصّ الله في هذه السورة، لفي الصحف الأولى"[١٨].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٦/٢٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٦/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٣٧٦/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٢٤٦):ص٣٤١٩/١٠.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٤٧):ص٣٤١٩/١٠.
(٥) أخرجه الطبري: ٣٧٦/٢٤.
(٦) إعراب القرآن: ١٢٩/٥.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٤٣):ص٣٤١٩/١٠.
(٨) أخرجه الطبري: ٣٧٦/٢٤.
(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٤٤):ص٣٤١٩/١٠، زاد المسير: ٤٣٣/٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٦/٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٦/٢٤.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٤٣):ص٣٤١٩/١٠.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٤٤):ص٣٤١٩/١٠.
(١٤) أخرجه الطبري: ٣٧٦/٢٤.
(١٥)سنن النسائي الكبرى برقم (١١٦٦٨). قال ابن كثير: ٣٨٣/٨:" يعني أن هذه الآية كقوله في سورة "النجم" :{أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى} [النجم : ٣٦ - ٤٢]".
(١٦)مسند البزار برقم (٢٢٨٥) "كشف الأستار" وقال الهيثمي في المجمع (١٣٧/٧) : "فيه عطاء بن السائب وقد اختلط، وبقية رجاله رجال الصحيح".
(١٧) أخرجه الطبري: ٣٧٦/٢٤.
(١٨) أخرجه الطبري: ٣٧٦/٢٤.

وعن عكرمة عن، ابن عباس، قال:" يقول: «إن هذه السورة {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}» ، وقوله: {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى} [النجم: ٣٧] إلى آخره، من صحف إبراهيم وموسى"[١].

الثالث: من ذكر اسم ربه فصلى وعمل بالخير، فهو في الصحف الأولى كما هو في القرآن. قاله الفراء[٢]، وابن قتيبة[٣].

قال ابن قتيبة:" لم يُرد أن معنى السورة في الصحف الأولى، ولا الألفاظ بعينها. وإنما أراد: أن الفَلاحَ لِمَنْ تَزَكَّى، وذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى، في الصحف الأولى، كما هو في القرآن"[٤].

الرابع: أنه من قوله عزّ وجلّ: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} [الأعلى : ١٤]، إلى قوله: {وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [الأعلى : ١٧]. قاله الطبري[٥]، والزجاج[٦].

قال ابن كثير:" وهذا اختيار حسن قوي"[٧].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: إن قوله: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}، لفي الصحف الأولى، صحف إبراهيم خليل الرحمن، وصحف موسى بن عمران، وإنما قلت: ذلك أولى بالصحة من غيره؛ لأن هذا إشارة إلى حاضر، فلأن يكون إشارة إلى ما قرب منها أولى من أن يكون إشارة إلى غيره"[٨].

الخامس: أنها كتب الله كلها، قاله الحسن[٩].

عن الحسن :" {إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى} [الأعلى : ١٨]، قال: في كتب الله كلها"[١٠].

قال القشيري:" إن هذا الوعظ لفي الصحف المتقدمة، وكذلك في صحف إبراهيم وموسى وغيرهما لأنّ التوحيد، والوعد والوعيد.. لا تختلف باختلاف الشرائع"[١١].

وحكى وهب بن منبه :"أن جميع الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه مائة صحيفة وخمس صحف وأربعة كتب ، منها خمسة وثلاثون صحيفة أنزلها على شيث بن آدم وخمسون صحيفة أنزلها على إدريس ، وعشرون صحيفة أنزلها على إبراهيم ، وأنزل التوراة على موسى ، والزبور على داود ، والإنجيل على عيسى ، والفرقان على محمد عليهم السلام"[١٢].

عن أبي ذرّ، قال: قلتُ: يا رسول الله، كم أنزل الله من كتاب؟ قال: «مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل على شِيث خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة، والإنجيل، والزّبور، والفرقان». قلتُ: يا رسول الله، فما كانت صحف إبراهيم؟ قال: «أمثال كلّها؛ أيّها الملك المُتسلّط المُبْتلى المغرور، لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكن بعثتُك لتردّ عني دعوة المظلوم، فإني لا أردّها ولو كانت مِن كافر، وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبًا على عقله أن يكون له ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربّه، وساعة يحاسب فيها نفسه ويتفكّر فيما صنع، وساعة

---

(١) تفسير مجاهد: ٧٢٣.
(٢) انظر: معاني القرآن: ٢٥٧/٣.
(٣) انظر: غريب القرآن: ٥٢٤.
(٤) غريب القرآن: ٥٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٧/٢٤.
(٦) انظر: معاني القرآن: ٣١٦/٥.
(٧) تفسير ابن كثير: ٣٨٣/٨.
(٨) تفسير الطبري: ٣٧٧/٢٤.
(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٤٨):ص٣٤١٩/١٠. وحكاه الماوردي في "النكت والعيون": ٢٥٦/٦ دون عزو.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٤٨):ص٣٤١٩/١٠.
(١١) لطائف الإشارات: ٧١٩/٣.
(١٢) نقلا عن: النكت والعيون: ٢٥٦/٦.

يخلو فيها لحاجته من الحلال؛ فإنّ في هذه الساعة عونًا لتلك الساعات، واستجمامًا للقلوب وتفريغًا لها، وعلى العاقل أنْ يكون بصيرًا بزمانه، مُقبلًا على شأنه، حافظًا للسانه، فإنّ مَن حسب كلامه من عمله أقلَّ الكلام إلا فيما يعنيه، وعلى العاقل أنْ يكون طالبًا لثلاث؛ مَرَمَّة[1] لمعاش، أو تزوُّدٌ لمعاد، أو تلذُّذٌ في غير مُحرّم». قلتُ: يا رسول الله، فما كانت صحف موسى؟ قال: «كانت عِبرًا كلها؛ عجبتُ لمن أيقن بالموت ثم يفرح، ولمن أيقن بالنار ثم يضحك، ولمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم يطمئن إليها، ولمن أيقن بالقَدَر ثم يَنصَب، ولمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل». قلت: يا رسول الله، هل أنزل الله عليك شيئًا مما كان في صحف إبراهيم وموسى؟ قال: «يا أبا ذرّ، نعم: {قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكّى وذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيا والآخِرَةُ خَيْرٌ وأَبْقى إنَّ هَذا لَفِي الصُّحُفِ الأُولى صُحُفِ إبْراهِيمَ ومُوسى}»[2].

قوله تعالى:{صُحُفِ إبْرَاهِيمَ وَمُوسَى} [الأعلى : ١٩]، أي:" وهي صُحف إبراهيم وموسى -عليهما السلام-"[3].

قال السمعاني:" أي: الكتب التي أنزلها الله تعالى على إبراهيم وموسى، وقد أنزل على إبراهيم صحفا، وأنزل على موسى التوراة، فهي المراد بالآية"[4].

قال الطبري:" وأما الصحف: فإنها جمع صحيفة، وإنما عُنِي بها: كتب إبراهيم وموسى"[5].

قال النحاس:" الصحيفة: الكتاب"[6].

قال تاج القراء:" الصحيفة المكتوب فيه. والكتاب: المكتوب، وقيل: الصحف، الأوراق، والكتب السطور"[7].

قال الراغب:" الصَّحِيفَةُ: المبسوط من الشيء، كصحيفة الوجه، والصَّحِيفَةُ: التي يكتب فيها، وجمعها: صَحَائِفُ وصُحُفٌ. قال تعالى: {صُحُفِ إبْراهِيمَ وَمُوسى} [الأعلى: ١٩]، {يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً فِيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ} [البينة: ٢- ٣] ، قيل: أريد بها القرآن، وجعله صحفا فيها كتب من أجل تضمّنه لزيادة ما في كتب الله المتقدّمة. والمُصْحَفُ: ما جعل جامعا لِلصُّحُفِ المكتوبة، وجمعه: مَصَاحِفُ، والتَّصْحِيفُ: قراءة المصحف وروايته على غير ما هو لاشتباه حروفه، والصَّحْفَةُ مثل قصعة عريضة"[8].

عن أبي الخلد، قال: "نزلت صحف إبراهيم في أوّل ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لستّ ليال خلون من رمضان، وأنزل الزبور لاثنتي عشرة ليلة، وأنزل الإنجيل لثماني عشرة، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين"[9].

فوائد الآيات: [١٦-١٩]:

١- التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة لفناء الدنيا وبقاء الآخرة.

٢- توافق الكتب السماوية دليل أنها وحي الله وكتبه أنزلها على رسله عليهم السلام.

---

(١)المرمة: متاع البيت. اللسان (رمم).

(٢)أخرجه الشجري في ترتيب الأمالي الخميسية ١/ ٢٦٨ - ٢٧٠ (٩١٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٣/ ٢٧٦ - ٢٧٩ مطولًا، وأخرجه ابن حبان ٢/ ٧٦ - ٧٩ (٣٦١) دون ذكر الآية.

قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ٢/ ٣٩١: «معان وعلي بن يزيد والقاسم؛ ثلاثتهم ضعفاء، وقد خالف ابن حبان في هذا الحديث أبو الفرج بن الجوزي، فأورده في كتابه الموضوعات، واتهم به إبراهيم بن هشام، ولا شكّ أنه تَكلّم فيه أئمة الجرح والتعديل مِن أجل هذا الحديث».

(٣) التفسير الميسر: ٥٩٢.

(٤) تفسير السمعاني: ٦/٢١١.

(٥) تفسير الطبري: ٢٤/٣٧٧.

(٦) إعراب القرآن: ٥/١٢٩.

(٧)غرائب التفسير وعجائب التأويل: ٢/١٣٧٠.

(٨) المفردات في غريب القرآن: ٤٧٦.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٤/٣٧٧.

«آخر تفسير سورة (الأعلى)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الغاشية»

«سورة الغاشية»: هي السورة الثامنة والثمانون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الذاريات» وقبل «سورة الكهف»، وآياتها ست وعشرون. وكلماتها اثنتان وتسعون. وحروفها ثلاثمائة وأحد وثمانون. فواصل آياتها: «عمرته»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- أسمها التوقيفي: «سورة الغاشية»:**

سميت في المصاحف والتفاسير[٢] «سورة الغاشية» . وكذلك عنونها الترمذي في كتاب التفسير من «جامعه»[٣]، والنسائي-أيضا[٤]-، لوقوع لفظ «الغاشية» في أولها، قال تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١)} [الغاشية : ١].

- **ثانيا:- أسمها الاجتهادي: «سورة هل أتاك حديث الغاشية »:**

ثبتت في السنة[٥]، وبعض كتب التفسير[٦]، تسميتها «هل أتاك حديث الغاشية»، ففي «الموطأ» أن الضحاك بن قيس سأل النعمان بن بشير: «ماذا كان يقرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوم الجمعة، على إثر سورة الجمعة؟ قال: كان يقرأ: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الغَاشِيَةِ} [الغاشية ٨٨: ١]»[٧].

وهذا ظاهر في التسمية لأن السائل سأل عما يقرأ مع سورة الجمعة فالمسؤول عنه السورة الثانية، وبذلك عنونها البخاري في كتاب التفسير من «صحيحه»[٨].

وربما سميت «سورة هل أتاك» بدون كلمة «حديث الغاشية»، وهو اختصار.

عن عبيد الله بن عبد الله، قال:" كتب الضحاك بن قيس إلى النعمان بن بشير يسأله: أي شيء قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة، سوى سورة الجمعة؟ فقال: «كان يقرأ هل أتاك»"[٩].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس، قال: " نزلت سورة «الغاشية» بمكة"[١٠]. وروي عن ابن الزبير مثله[١١].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٦/١.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٩/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٥٠٨/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٥٧٣/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٢٣/٥، وتفسير ابن فورك: ٢٠٤/٣، والكشف والبيان: ١٨٧/١٠، والنكت والعيون: ٢٥٧/٦، والتوسيط للواحدي: ٤٧٣/٤، وتفسير السمعاني: ٢١٢/٦، وتفسير البغوي: ٤٠٤/٨، والكشاف: ٧٤١/٤، والمحرر الوجيز: ٤٧٢/٥، وزاد المسير: ٤٣٤/٤، ومفاتيح الغيب: ١٣٨/٣١، وتفسير القرطبي: ٢٠/ ٢٥، وغيرها.

(٣) انظر: سنن الترمذي: ٢٩٦/٥.

(٤) انظر: السنن الكبرى للنسائي: ٣٣٤/١٠.

(٥) انظر الروايات في: فضائل السورة.

(٦) انظر مثلا: تفسير ابن أبي زمنين: ١٢٣/٥، وتأويلات أهل السنة: ٣٦٦/١٠.

(٧) موطأ مالك(١٩):ص١١١/١، أخرجه أبو مصعب الزهري، ٤٦٤ في الجمعة؛ والحدثاني، ١٤٧ في الصلاة؛ والشيباني، ٢٢٦ في الصلاة؛ والشافعي، ١٠٤٠؛ وابن حنبل، ١٨٤٠٥ في م٤ ص٢٧٠ عن طريق عبد الرحمن بن مهدي، وفي، ١٨٤٦١ في م٤ ص٢٧٧ عن طريق عبد الرحمن بن مهدي؛ والنسائي، ١٤٢٣ في الجمعة عن طريق قتيبة؛ وأبو داود، ١١٢٣ في الجمعة عن طريق القعنبي؛ وابن حبان، ٢٨٠٧ في م٧ عن طريق الحسين بن إدريس عن أحمد بن أبي بكر؛ والدارمي، ١٥٦٦ في الأذان عن طريق خالد بن مخلد؛ وشرح معاني الآثار، ٢٣٨٣ عن طريق أبي بكرة عن أبي عاصم؛ والقابسي، ٢٧٦، كلهم عن مالك به.

(٨) انظر: صحيح البخاري: ١٦٨/٦.

(٩) صحيح مسلم(٨٧٨):ص٥٩٨/٢،و السنن الكبرى للبيهقي(٥٧٢٤):ص٢٨٤/٣.

(١٠) انظر: الدر المنثور: ٤٩٠/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(١١) انظر: الدر المنثور: ٤٩٠/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

قال ابن عطية:" هي مكية لا خلاف في ذلك بين أهل التأويل"[١].
قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[٢].
قال القرطبي:" هي مكية في قول الجميع"[٣].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أنه أشير في السورة السابقة إلى المؤمن والكافر والجنة والنار إجمالا، وبسط الكلام فيها هنا[٤].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

فقد اشتملت «سورة الغاشية» على فوائد جمة، فمن ذلك:
١- التنبيه على عظم شان يوم القيامة وأن الناس يكونون فيه على فريقين؛ أشقياء وسعداء.
٢- ذكر أصناف عذاب الأشقياء من الذل والعمل الشاق وصلي النار، والسقي من الحميم وطعام الضريع.
٣- أن حقيقة نار الآخرة وما فيها وأحوال أهلها لا تماثل حقائق ما في الدنيا.
٤- أن وجوه المؤمنين يوم القيامة تكون ناعمة، أي يظهر عليها أثر النعيم بالبشر والسرور.
٥- أن الجنة عالية وهي درجات، كما قال تعالى: {وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى} [طه : ٧٥].
٦- أن في مجالس الجنة سرر مرفوعة أي رقيقة، وأكواب موضوعة في المجالس زينة وأعدادًا، ونمارق أي وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض، وزرابي مبثوثة أي مبسوطة.
٧- أن من نعيم الجنة ما هو حسِّي من المطاعم والمشارب والأشجار والقصور والأنهار والحور العين، ومنها ما هو نعيم أعظم كرؤية الله ورضاه عنهم.
٨- أن خلق الإبل من عظيم الآيات، فقد هيئت في خلقها للركوب والحمل، ومذللة للإنسان مع فيها من المنافع أكلًا وشربًا.
٩- أن من آيات الله نصب الجبال، وما في ذلك من تثبيت الأرض، فهي لها كالأوتاد، وفيها من المنافع ما أودعه الله فيها من المعادن المختلفة.
١٠- أن من آيات الله سطح الأرض وهو بسطها للقرار عليها، ولذلك سميت: مهادًا وفراشًا، وفي جوفها وسطحها ما لا يحصى من النعيم والآيات، {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ} [الذاريات : ٢٠].

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: التخويف بظهور القيامة، وبيان حال المستوجبين للعقوبة، وذكر حال المستحقين للمثوبة وإقامة الحجة على وجود الحق ووعظ الرسول - صلى الله عليه وسلم - للأمة، على سبيل الشفقة، وأن المرجع إلى الله تعالى فى العاقبة فى قوله تعالى: {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} [الغاشية : ٢٦]"[٥].

- **الناسخ والمنسوخ:**

المنسوخ: فيها آية واحدة: {لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ} [الغاشية : ٢٢]، نسختها آية السيف[٦].

- **فضائل السورة:**
  - عن أبي سنان، عن سعيد بن جبير، سمعته يقول: " لأن أصلي مع إمام يقرأ: هل أتاك حديث الغاشية أحب إلي من أن أقرأ مائة آية في صلاتي "[١].

---

(١) المحرر الوجيز: ٤٧٢/٥.
(٢) زاد المسير: ٤٣٤/٤.
(٣) تفسير القرطبي: ٢٥/٢٠.
(٤) انظر: تفسير المراغي: ١٣٠/٣٠.
(٥)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٦/١.
(٦) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٦/١.

- عن النعمان بن بشير، «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيدين والجمعة هل أتاك حديث الغاشية، وسبح اسم ربك الأعلى، وإذا اجتمع العيدان في يوم قرأ بهما»[٢].
- عن أبي عنبة الخولاني:" أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في الجمعة بـ {سبح اسم ربك الأعلى} و {هل أتاك حديث الغاشية}[٣].
- عن ابن عباس: "أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في العيد بـ {سبح اسم ربك الأعلى} و {هل أتاك حديث الغاشية}"[٤].
- عن سمرة بن جُندب:" أن رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلم - كان يقرأُ في صَلاة الجمعة بـ {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} و {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ}"[٥].
- عن أنس:" أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر والعصر بـ {سبح اسم ربك الأعلى} و{هل أتاك حديث الغاشية}"[٦].
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حِساباً يَسِيراً» [٧].[موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) مصنف عبدالرزاق الصنعاني(٢٠٢٢):ص٥٣٩/١.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة(٥٧٢٧):٤٩٦/١.
(٣) سنن ابن ماجة(١١٢٠):ص٢٠٨/٢. إسناده ضعيف جدا، سعيد بن سنان متروك، وبعضهم اتهمه، وأبو عنبة الخولاني مختلف في صحبته.
(٤) سنن ابن ماجة(١٢٨٣):ص٣٢٩/٢. صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف موسى بن عبيدة: وهو الربذي.
وأخرجه عبد الرزاق (٥٧٠٥)، وابن أبي شيبة ٢/ ١٧٧، وعبد بن حميد (٦٨٧)، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" ١/ ٤١٣، والطبراني في "الكبير" (١٠٧٨٨)، وابن عبد البر في "التمهيد" ١٦/ ٣٢٩.
ويشهد له حديث النعمان بن بشير السالف.
(٥) سنن أبي داود(١١٢٥):ص٣٣٨/٢.
إسناده صحيح.
وأخرجه النسائي في "الكبرى" (١٧٥١) من طريق خالد بن الحارث، عن شعبة، بهذا الإسناد.
وهو في "مسند أحمد" (٢٠١٥٠)، و"صحيح ابن حبان" (٢٨٠٨).
قال الطحاوي في"شرح معاني الآثار"١/ ٤١٤: فلما جاء عن رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - في هذه الآثار أنه قرأ في العيدين والجمعة غير ما جاء عنه في الآثار الأُول، لم يجُز أن يُحمل ذلك على التضاد والتكاذب، ولكنا نحمله على الاتفاق والتصادق، فنجعل ذلك كله قد كان من رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -، فقرأ بهذا مرة وبهذا مرة، فحكى عنه كل فريق من الفريقين ما حضره منه، ففي ذلك دليل على أن لا توقيت للقراءة في ذلك، وأن للإمام أن يقرأ في ذلك مع فاتحة الكتاب أي القرآن شاء، وكذلك ما روي عن رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - أيضاً أنه كان يقرأ في ذلك يوم الجمعة.
(٦) الدر المنثور: ٤٨٠/٨. وعزاه إلى البزاز.
(٧) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٨٧/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ١٨٧/١٠. [والحديث موضوع].

القرآن

{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١)} [الغاشية : ١]

التفسير:

هل أتاك -أيها الرسول- خبر القيامة التي تغشى الناس بأهوالها؟

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {هَلْ أَتَاكَ} يا محمد {حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ}، يعني: قصتها وخبرها"[١].

وفي معنى «الْغَاشِيَةِ»، قولان:

أحدهما: أنها القيامة تغشى الناس بالأهوال ، قاله ابن عباس[٢]، والضحاك[٣]، وابن قتيبة[٤].

قال ابن عباس:" {الْغَاشِيَةِ}، من أسماء يوم القيامة، عظَّمه الله، وحذّره عباده"[٥].

عن ابن عباس، والضحاك:" الغاشية: الساعة"[٦]. وفي رواية عن الضحاك:" الغاشية: القيامة"[٧].

قال الحسن:" يعني: القيامة، تغشى الناسَ بعذابها وعقابها"[٨].

وعن قتادة:" {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ}، قال: حديث الساعة"[٩].

قال ابن قتيبة:" {الْغَاشِيَةِ} القيامة؛ لأنها تَغْشاهم"[١٠].

الثاني : أنها النار تغشى وجوه الكفار ، قاله سعيد بن جبير[١١]، ومقاتل[١٢].

قال سعيد بن جبير:" الغاشية: غاشية النار"[١٣].

قال الطبري:" الصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ}، لم يخبرنا أنه عنى غاشية القيامة، ولا أنه عنى غاشية النار. وكلتاهما غاشية، هذه تغشى الناس بالبلاء والأهوال والكروب، وهذه تغشي الكفار باللفح في الوجوه، والشُّواظ والنحاس، فلا قول في ذلك أصحّ من أن يقال كما قال جلّ ثناؤه، ويعمّ الخبر بذلك كما عمه"[١٤].

و«هل»، فيها وجهان :

أحدهما : أنها في موضع «قد»، وتقدير الكلام: قد أتاك حديث الغاشية، قاله مقاتل[١٥]، وقطرب[١٦].

قال مقاتل:" يعني: قد أتاك حديث أهل النار من قوله: «تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون، وكل شيء في القرآن «هل أتاك» يقول: قد أتاك"[١٧].

---

(١) تفسير الطبري: ٣٨١/٢٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٨١/٢٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٨١/٢٤.

(٤) انظر: غريب القرآن: ٥٢٥.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٨١/٢٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٨١/٢٤.

(٧)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٨)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٢٣ -.

(٩)أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٥٠):ص٣٤٢٠/١٠. وعزاه السيوطي إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(١٠) غريب القرآن: ٥٢٥.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٣٨١/٢٤-٣٨٢.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٧/٤.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٨١/٢٤-٣٨٢.

(١٤) تفسير الطبري: ٣٨٢/٢٤.

(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٧/٤.

(١٦) انظر: النكت والعيون: ٢٢٥٧/٦.

(١٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٧/٤.

الثاني : أنها خرجت مخرج الاستفهام لرسوله ، ومعناه ألم يكن قد أتاك حديث الغاشية ، فقد أتاك ، وهو معنى قول الكلبي[١].

عن عمرو بن ميمون قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم على امرأة تقرأ هل أتاك حديث الغاشية فقام يسمع ويقول: «نعم قد جاءني»[٢].

القرآن

{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧)} [الغاشية : ٢-٧]

التفسير:

وجوه الكفار يومئذ ذليلة بالعذاب، مجهدة بالعمل متعبة، تصيبها نار شديدة التوهج، تُسقى من عين بلغت منتهى الحرارة، ليس لأصحاب النار طعام إلا من نبت ذي شوك لاصق بالأرض، وهو مِن شر الطعام وأخبثه، لا يُسْمن بدن صاحبه من الهُزال، ولا يسدُّ جوعه ورمقه.

قوله تعالى:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ} [الغاشية : ٢]، أي:" وجوه الكفار يومئذ ذليلة بالعذاب"[٣].

قال الطبري:" وجوه يومئذ- وهي وجوه أهل الكفر به- ذليلة"[٤].

عن قتادة: "{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ}، أي: ذليلة"[٥].

قال قتادة:" خاشعة في النار"[٦].

عن سعيد بن جبير: "{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ}، قال: يعني في الآخرة"[٧].

قوله تعالى:{عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ} [الغاشية : ٣]، أي:" مجهدة بالعمل متعبة"[٨].

وفي قوله تعالى:{عَامِلَةٌ} [الغاشية : ٣]، وجهان:

أحدهما : عاملة في الدنيا بالمعاصي ، قاله عكرمة[٩]، والسدي[١٠].

الثاني : أنها تكبرت في الدنيا عن طاعة الله تعالى، فأعملها في النار بالانتقال من عذاب إلى عذاب ، قاله قتادة[١١].

قال الحسن:" لم تعمل لله في الدنيا، فأعملها في النار"[١٢].

وفي قوله تعالى:{نَاصِبَةٌ} [الغاشية : ٣]، وجهان:

أحدهما : ناصبة في أعمال المعاصي. وهو معنى قول عمر بن الخطاب[١٣]، وابن عباس[١]،سعيد بن جبير[٢]، وزيد بن أسلم[٣]، وحكاه الزجاج[٤]، والماوردي[٥].

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٢٢٥٧/٦.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٥١):ص٣٤٢٠/١٠.

(٣) التفسير الميسر: ٥٩٢.

(٤) تفسير الطبري: ٣٨٢/٢٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٨٢/٢٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٨٢/٢٤.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٥٢):ص٣٤٢٠/١٠.

(٨) التفسير الميسر: ٥٩٢.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٥٤):ص٣٤٢٠/١٠.

(١٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٨٥/٨.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٢/٢٤.

(١٢) أخرجه الطبري: ٣٨٢/٢٤.

(١٣) رواه الحافظ أبو بكر البرقاني كما في "تفسير ابن كثير": ٣٨٥/٨، ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٩٩/٢) عن جعفر بن سليمان، عن أبي عمران به، ورواه الحاكم في المستدرك (٥٢٢/٢) من طريق الخضر بن أبان، عن سيار، عن جعفر به، وقال الحاكم : "هذه حكاية في وقتها، فإن أبا عمران الجوني لم يدرك زمان عمر".

عن ابن عباس : {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣)} [الغاشية : ٢ - ٣]، قال: يعني: اليهود والنصارى تخشع ولا ينفعها عملها"[٦].

عن ابن عباس:" {عامِلَةٌ ناصِبَةٌ}، قال: النصارى"[٧].

عن ابن عباس:" {عامِلَةٌ ناصِبَةٌ}، قال: الرُّهبان"[٨].

قال ابن عباس:" تعمل وتَنصَب في النار[٩].

عن سعيد بن جبير، وزيد بن أسلم:" {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ عامِلَةٌ ناصِبَةٌ} هم الرُّهبان، وأصحاب الصوامع"[١٠].

قال الزجاج:" قيل: إنها عاملة ناصبة في الدنيا لغير ما يقرب إلى الله تعالى، وقيل إنهم الرهبان ومن أشبههم"[١١].

عن جعفر، قال :" سمعت أبا عمران الجَوني يقول : مر عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، بدير راهب، قال : فناداه : يا راهب يا راهب فأشرف. قال : فجعل عمر ينظر إليه ويبكي. فقيل له : يا أمير المؤمنين، ما يبكيك من هذا ؟ قال : ذكرت قول الله، عز وجل في كتابه :{عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً} فذاك الذي أبكاني"[١٢].

الثاني : ناصبة في النار بالعذاب والأغلال، قاله قتادة[١٣]، وعكرمة[١٤]، والسدي[١٥].

قال قتادة:" عاملة ناصبة في النار"[١٦].

قال عكرمة:" عاملة في الدنيا بالمعاصي، تنصب في النار يوم القيامة"[١٧].

قال ابن زيد:" لا أحد أنصَبُ ولا أشدّ من أهل النار"[١٨].

قال الضحاك:" يُكلّفون ارتقاء جبل مِن حديد في النار"[١٩].

عن الحسن:" أنه قرأ: {عامِلَةٌ ناصِبَةٌ}، قال: لم تعمل لله في الدنيا، فأعْملها في النار"[٢٠].

---

(١) الدر المنثور: ٤٩١/٨، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٢)تفسير الثعلبي ١٠/ ١٨٨.

(٣)تفسير الثعلبي ١٠/ ١٨٨.

(٤) انظر: معاني القرآن: ٣١٨/٥.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٢٥٨/٦.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٥٣):ص٣٤٢٠/١٠، وانظر: الدر المنثور: ٤٩١/٨.

(٧)علقه البخاري في صحيحه ٦/ ١٦٨. وذكر الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/ ٧٠٠ أنّ ابن أبي حاتم وصله من طريق علي بن أبي طلحة.

(٨)أخرجه الثعلبي -كما في الفتح ٨/ ٧٠٠ -.

(٩) .

(١٠)تفسير الثعلبي ١٠/ ١٨٨.

(١١) معاني القرآن: ٣١٨/٥.

(١٢) رواه الحافظ أبو بكر البرقاني كما في "تفسير ابن كثير": ٣٨٥/٨، ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٩٩/٢) عن جعفر بن سليمان، عن أبي عمران به، ورواه الحاكم في المستدرك (٥٢٢/٢) من طريق الخضر بن أبان، عن سيار، عن جعفر به، وقال الحاكم : "هذه حكاية في وقتها، فإن أبا عمران الجوني لم يدرك زمان عمر".

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٢/٢٤.

(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٥٤):ص٣٤٢٠/١٠.

(١٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٨٥/٨.

(١٦) أخرجه الطبري: ٣٨٢/٢٤.

(١٧) الدر المنثور: ٤٩١/٨، وأخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٥٤):ص٣٤٢٠/١٠. [مختصرا]

(١٨) أخرجه الطبري: ٣٨٢/٢٤.

(١٩)تفسير الثعلبي ١٠/ ١٨٧، وتفسير البغوي ٨/ ٤٠٨.

(٢٠) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار ٦/ ٤٢٧ - ٤٢٨ (١٢٩) من طريق يونس.

قوله تعالى:{تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً} [الغاشية : ٤]، أي:" تصيبها نار شديدة التوهج"[١].
قال الطبري:" ترد هذه الوجوه نارًا حامية قد حميت واشتد حرها"[٢].
عن ابن عباس : "{تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً}، قال حارة"[٣].
قال ابن مسعود:" تخوض في النار كما تخوض الإبل في الوَحْل"[٤].
قوله تعالى:{تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ} [الغاشية : ٥]، أي:" تُسقى من عين بلغت منتهى الحرارة"[٥].
وفي قوله تعالى:{عَيْنٍ آنِيَةٍ} [الغاشية : ٥]، وجوه من التفسير:
أحدها : حاضرة. قاله ابن زيد[٦].
الثاني : قد بلغت إناها وحان شربها ، قاله مجاهد[٧].
الثالث : يعني: قد أنى حرها فانتهى واشتد ، قاله ابن عباس[٨].
قال ابن عباس:" هي التي قد أطال أنينها"[٩].
قال ابن عباس: " انتهى حرها"[١٠].
عن ابن عباس : {تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً}، قال حارة"[١١].
قال السدي:" انتهى حرها فليس فوقه حر"[١٢].
قال الحسن:" من عين أنَى حرّها: يقول: قد بلغ حرّها"[١٣].
قال الحسن:" أنَى طبخها منذ يوم خلق الله الدنيا"[١٤]. وفي لفظ:" منذ يوم خلق الله السموات والأرض"[١٥].
قال قتادة:" قد أنَى طبخها منذ خلق الله السموات والأرض"[١٦].
قال الطبري:" يقول: تسقى أصحاب هذه الوجوه من شَرَاب عين قد أنى حرّها، فبلغ غايته في شدة الحرّ"[١٧].
قوله تعالى:{لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ} [الغاشية : ٦]، أي:" ليس لأصحاب النار طعام إلا من نبت ذي شوك لاصق بالأرض، وهو مِن شر الطعام وأخبثه"[١٨].
وفي قوله تعالى:{لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ} [الغاشية : ٦]، وجوه من التفسير:
أحدها : أنها شجرة تسميها قريش: الشبرق ، كثيرة الشوك ، قاله ابن مسعود[١٩]، وابن عباس[١]، عباس[١]، ومجاهد[٢]، وعكرمة[٣]، قال الشاعر [٤]:

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩٢.
(٢) تفسير الطبري: ٣٨٣/٢٤.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٥٥):ص٣٤٢٠/١٠.
(٤)تفسير الثعلبي ١٠/ ١٨٨، وتفسير البغوي ٨/ ٤٠٤.
(٥) التفسير الميسر: ٥٩٢.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٣/٢٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٣/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٣/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٣٨٣/٢٤.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٥٣):ص٣٤٢٠/١٠.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٥٥):ص٣٤٢٠/١٠.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٥٧):ص٣٤٢١/١٠.
(١٣) أخرجه الطبري: ٣٨٣/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٣٨٣/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٣٨٣/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ٣٨٣/٢٤.
(١٧) تفسير الطبري: ٣٨٣/٢٤.
(١٨) التفسير الميسر: ٥٩٢.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٤/٢٤-٣٨٥.

رَعَى الشِّبْرِقَ الرَّيَّانَ حَتَّى إِذَا ذَوَى ... وَعَادَ ضَرِيعًا عَادَ عَنْهُ النَّحَائِصُ

قال ابن عباس:" الضريع: الشِّبْرق"[٥].

قال مجاهد:" الشِّبرق اليابس"[٦].

قال قتادة:" هو الشبرق إذا يبس يسمى الضريع"[٧].

قال قتادة:" الضريع:-بلغة قريش- في الربيع: الشبرق، وفي الصيف: الضريع"[٨].

قال قتادة:" من شرّ الطعام، وأبشعه وأخبثه"[٩].

قال عكرمة:" هي شجرة ذات شوك، لاطئة بالأرض، فإذا كان الربيع سمَّتها قريش: الشِّبرق، فإذا هاج العود سمتها: الضَّريع"[١٠].

قال ابن قتيبة:" «الضَّريعُ»: نبتٌ يكون بالحجاز، يقال لرَطْبه الشِّبْرِقُ "[١١].

قال الطبري:" يقول: ليس لهؤلاء الذين هم أصحاب الخاشعة العاملة الناصبة يوم القيامة طعام، إلا ما يطعمونه من ضَرِيع. والضريع عند العرب: نبت يُقال له: الشِّبْرق، وتسميه أهل الحجاز: الضَّريع، إذا يبس، ويسميه غيرهم: الشِّبْرق، وهو سمّ"[١٢].

الثاني : السُّلاء، قال أبو الجوزاء[١٣].

قال أبو الجوزاء:" الضريع: السُّلاء، وهو الشوك"[١٤].

الثالث : أنها الحجارة ، قاله سعيد بن جبير[١٥].

الرابع : الزقوم. قاله سعيد بن جبير[١٦].

الخامس : أنه النوى المحرق ، حكاه يوسف بن يعقوب عن بعض الأعراب[١٧].

السادس: أنه شجر من نار ، قاله عباس-أيضا-[١٨]، وابن زيد[١٩].

قال ابن زيد:" الضريع: الشَّوك من النار. قال: وأما في الدنيا فإنَّ الضريع: الشوك اليابس الذي ليس له ورق، تدعوه العرب الضريع، وهو في الآخرة شوك من نار"[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٤/٢٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٤/٢٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٤/٢٤.

(٤) البيت منسوب إلى أبي ذؤيب الهذلي، كما في : النكت والعيون: ٢٥٩/٦، ووالكشاف: ٧٢٤/٤، والمحرر الوجيز: ٤٧٣/٥، ومفاتيح الغيب: ١٤٠/٣١، وتفسير القرطبي: ٣٠/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٤٦٠/١٠، ولم نعثر عليه في ديوان أبي ذؤيب.

«النحائص» : جمع نحوص، وهي الأتان الوحشية التي في بطنها ولد.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٨٤/٢٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٨٤/٢٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٨٤/٢٤.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٥٩):ص٣٤٢١/١٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٨٤/٢٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٨٤/٢٤.

(١١) غريب القرآن: ٥٢٥.

(١٢) تفسير الطبري: ٣٨٤/٢٤.

(١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٦١):ص٣٤٢١/١٠.

(١٤)عزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. وفي مصنف ابن أبي شيبة في (ت: محمد عوامة) ١٩/ ٤٨٨ - ٤٨٩ (٣٦٨٠٧) بلفظ: «السلم»، وهو كذلك في بعض نسخ الدر المنثور و تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٦١):ص٣٤٢١/١٠. و"السَّلَم": نوع من العضاه وهو كلّ شجر له شوك. أما السُّلاء: فشوك النخل، واحدتها سلاءة. اللسان (سلأ، سلم، عضه).

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٥/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٦٢):ص٣٤٢١/١٠

(١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٦٣):ص٣٤٢١/١٠

(١٧) انظر: النكت والعيون: ٢٦٠/٦.

(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٥/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٥٥):ص٣٤٢٠/١٠

(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٥/٢٤.

قوله تعالى:{لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ} [الغاشية : ٧]، أي:" لا يُسْمن بدن صاحبه من الهُزال، ولا يسدُّ جوعه ورمقه"[٢].

قال الطبري:" يقول: لا يُسمن هذا الضريع يوم القيامة أكلته من أهل النار، (ولا يُغني من جوع) يقول: ولا يُشْبعهم من جوع يصيبهم"[٣].

قال أبو الجوزاء:" وكيف يسمن من كان طعامه الشوك"[٤].

عن أبي الدّرداء، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يُلقى على أهل النار الجوعُ، حتى يعدل ما هم فيه مِن العذاب، فيستغيثون بالطعام، فيُغاثون بطعام مِن ضريع، لا يُسمن ولا يُغني مِن جوع»[٥].

عن ابن عباس:"{لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ}، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «شيء يكون في النار شبه الشوك، أمرّ مِن الصبر، وأنتن مِن الجِيفة، وأشدّ حرًّا مِن النار، سمّاه الله: الضريع، إذا طعمه صاحبه لا يدخل البطن، ولا يرتفع إلى الفم، فيبقى بين ذلك، ولا يُغني من جوع»[٦].

قال أبو الدرداء، والحسن البصري: "إنّ الله تعالى يُرسل على أهل النار الجوع، حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون، فيُغاثون مِن الضّريع، ثم يستغيثون، فيُغاثون بطعام ذا غُصّة، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء، فيستسقون، فيُعطشهم ألف سنة، ثم يُسقون من عين آنية، شَربةً لا هنيئة ولا مريئة، فإذا أدنوه من وجوههم سلخ جلود وجوههم وشواها، فإذا وصل إلى بطونهم قطعها، فذلك قوله عز جل: {وسُقُوا ماءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعاءَهُمْ} [محمد: ١٥]"[٧].

القرآن

{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦)} [الغاشية : ٨-١٦]

التفسير:

وجوه المؤمنين يوم القيامة ذات نعمة؛ لسعيها في الدنيا بالطاعات راضية في الآخرة، في جنة رفيعة المكان والمكانة، لا تسمع فيها كلمة لغو واحدة، فيها عين تتدفق مياهها، فيها سرر عالية، وأكواب معدة للشاربين، ووسائد مصفوفة، الواحدة جنب الأخرى، وبُسُط كثيرة مفروشة.

قوله تعالى:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ} [الغاشية : ٨]، أي:" وجوه المؤمنين يوم القيامة ذات نعمة"[٨].

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٨٥/٢٤.

(٢) التفسير الميسر: ٥٩٢.

(٣) تفسير الطبري: ٣٨٥/٢٤.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٦١):ص٣٤٢١/١٠.

(٥)أخرجه الترمذي ٤/ ٥٤١ - ٥٤٣ (٢٧٦٨) مطولًا، وابن جرير ١٧/ ١٢٣ - ١٢٤، والثعلبي ٨/ ٣٤٥.
قال الترمذي: «قال عبد الله بن عبد الرحمن -يعني الدارمي-: والناس لا يرفعون هذا الحديث، إنما روي هذا الحديث عن الأعمش، عن شِمْر بن عطية، عن شَهْر بن حَوْشَب، عن أمّ الدّرداء، عن أبي الدّرداء قوله، وليس بمرفوع، وقطبة بن عبد العزيز هو ثقة عند أهل الحديث». وذكر الدارقطني في العلل ٦/ ٢٢٠ (١٠٨٦) الاختلاف في أسانيده، بين إرساله وإسناده، وبين رفعه ووقفه، وأنّ وقفه مسندًا موقوفًا أصح من غيره.

(٦)أخرجه الواحدي في التفسير الوسيط ٤/ ٤٧٤ (١٣٣٧) مختصرًا. وأورده الديلمي في الفردوس ٢/ ٤٣٤ (٣٩٠٥) واللفظ له، والثعلبي ١٠/ ١٨٨. وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه.
قال ابن كثير في البداية والنهاية ٢٠/ ١٥٧: «وهذا حديث غريب جدًّا». وقال السيوطي: «بسند واهٍ».

(٧)تفسير الثعلبي ١٠/ ١٨٨، وتفسير البغوي ٨/ ٤٠٨.

(٨) التفسير الميسر: ٥٩٢.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {وُجُوهٌ} يوم القيامة هي ناعمة بتنعيم الله أهلها في جناته، وهم أهل الإيمان بالله"[١].

قال ابن كثير:" لما ذكر حال الأشقياء، ثنى بذكر السعداء فقال :{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ}، أي : يوم القيامة {نَّاعِمَةٌ}، أي : يعرف النعيم فيها"[٢].

قال القشيري:" أي: متنعّمة، ذات نعمة ونضارة"[٣].

قال مقاتل:" يعني: فرحة شبه الله- عز وجل- وجوههم بوجوه قوم فرحين، إذا أصابوا الشراب طابت أنفسهم، فاجتمع الدم في وجوههم، فاجتمع فرح القلوب وفرح الشراب، فهو ضاحك الوجه، مبتسم ، طيب النفس"[٤].

قوله تعالى:{لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ} [الغاشية : ٩]، أي:" لسعيها في الدنيا بالطاعات راضية في الآخرة"[٥].

قال الطبري:" يقول: لعملها الذي عملت في الدنيا من طاعة ربها راضية، وقيل: {لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ} والمعنى: لثواب سعيها في الآخرة راضية"[٦].

قال ابن كثير:" وإنما حَصَل لها ذلك بسعيها"[٧].

عن سفيان :" رضيت عملها"[٨].

قال البغوي:" حين أعطيت الجنة بعملها"[٩].

قال القشيري:" حين وجدت الثواب على سعيها، والقبول لها"[١٠].

قال مقاتل:" يعني: قد رضي الله- عمله فأثابه الله- عز وجل- ذلك بعمله"[١١].

قوله تعالى:{فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ} [الغاشية : ١٠]، أي:" في جنة رفيعة المكان والمكانة"[١٢].

قال الطبري:" هي بستان رفيعة"[١٣].

قال ابن كثير:" أي : رفيعة بهية في الغرفات آمنون"[١٤].

قال القشيري:" عالية في درجتها ومنزلتها وشرفها"[١٥].

وفي قوله تعالى:{فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ} [الغاشية : ١٠]، وجهان:

أحدهما : أن الجنة أعلى من النار فسميت لذلك عالية، قاله الضحاك[١٦]، ومقاتل[١٧].

قال مقاتل:" وإنما سماها «عالية»، لأن جهنم أسفل منها وهي دركات، والجنة درجات"[١٨].

الثاني : أعالي الجنة وغرقها، لأنها منازل العلو والارتفاع. ذكره الماوردي[١].

---

(١) تفسير الطبري: ٣٨٥/٢٤.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٨٦/٨.
(٣) لطائف الإشارات: ٧٢١/٣.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٨/٤.
(٥) التفسير الميسر: ٥٩٢.
(٦) تفسير الطبري: ٣٨٥/٢٤.
(٧) تفسير ابن كثير:٣٨٦/٨.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٦٤):ص٣٤٢١/١٠.
(٩) تفسير البغوي: ٤٠٩/٨.
(١٠) لطائف الإشارات: ٧٢١/٣.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٨/٤.
(١٢) التفسير الميسر: ٥٩٢.
(١٣) تفسير الطبري: ٣٨٦/٢٤.
(١٤) تفسير ابن كثير:٣٨٦/٨.
(١٥) لطائف الإشارات: ٧٢١/٣.
(١٦) انظر: النكت والعيون: ٢٦٠/٦.
(١٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٨/٤.
(١٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٨/٤.

فعلى هذا في ارتفاعهم فيها وجهان[٢]:
أحدهما : ليلتذوا بالعلو والارتفاع .
الثاني : ليشاهدوا ما أعد الله لهم فيها من نعيم .
قوله تعالى:{لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً} [الغاشية : ١١]، أي:" لا تسمع فيها كلمة لغو واحدة"[٣].
قال ابن كثير:" أي : لا يسمع في الجنة التي هم فيها كلمة لغو. كما قال :{لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إلا سَلامًا} [مريم : ٦٢] وقال :{لا لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ} [الطور : ٢٣] وقال :{لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا إلا قِيلا سَلامًا سَلامًا} [الواقعة : ٢٥، ٢٦]"[٤].
قال الأخفش : "أي: لا تسمع [فيها] كلمة لغو"[٥]. وفي المراد بها، أقوال:
أحدها: لا تسمع أذًى ولا باطلا. قاله ابن عباس[٦].
وحكي الماوردي عن ابن عباس:" يعني: كذباً"[٧].
وحكي القرطبي عن ابن عباس:" يعني: كذبا وبهتانا وكفرا بالله عز وجل، قاله ابن عباس"[٨].
الثاني: لا تسمع فيها باطلا ولا شاتمًا. قاله قتادة[٩].
وحكي الماوردي عن قتادة، قال:" الإثم"[١٠].
الثالث : أنه الشتم ، قاله مجاهد[١١].
قال مقاتل:" لا يسمع بعضهم من بعض غيبة، ولا كذب، لا شتم"[١٢].
الرابع : أي: باطلا ، قاله يحيى بن سلام[١٣]، والطبري[١٤].
قال الطبري:" يعني بـ«اللاغية»: كلمة لغو واللَّغو: الباطل، فقيل للكلمة التي هي لغو لاغية، كما قيل لصاحب الدرع: دارع، ولصاحب الفرس: فارس، ولقائل الشعر شاعر، وكما قال الحُطيئة[١٥]:
أغَرَرْتَنِي وزَعَمْتَ أنَّ ... كَ لابنٌ بِالصَّيْفِ تَامِرْ
يعني: صاحب لبن، وصاحب تمر"[١٦].
الخامس : المعصية ، قاله الحسن[١٧].
وحكي ابن عطية عن بعضهم:" لا تسمع فيها فئة أو جماعة لاغية ناطقة بسوء"[١٨].
السادس : الحلف. فلا تسمع في الجنة حالف يمين برة ولا فاجرة ، قاله الكلبي[١]، ومقاتل[٢].

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٢٦٠/٦.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٢٦٠/٦.
(٣) التفسير الميسر: ٥٩٢.
(٤) تفسير ابن كثير:٣٨٦/٨.
(٥) انظر: معاني القرآن للأخفش: ٥٧٧/٢.
(٦) أخرجه الطبري: ٣٨٦/٢٤.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٢٦٠/٦.
(٨) تفسير القرطبي: ٣٣/٢٠.
(٩) أخرجه الطبري: ٣٨٦/٢٤.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٢٦٠/٦.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٦/٢٤، وتفسير مجاهد: ٧٢٤.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٨/٤-٦٧٩.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٢٦٠/٦.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٦/٢٤.
(١٥)لبيت في ديوانه، تحقيق: نعمان محمد (ص:٥٦).
(١٦) تفسير الطبري: ٣٨٦/٢٤.
(١٧) انظر: النكت والعيون: ٢٦٠/٦، وتفسير القرطبي: ٣٣/٢٠.
(١٨) المحرر الوجيز: ٤٧٤/٥.

السابع : لا يسمع في كلامهم كلمة تلغى، أي: تسقط، لأن أهل الجنة لا يتكلمون إلا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من نعيمه الدائم، قاله الزجاج[٣].

واختاره القرطبي، وقال: هذا القول هو أحسنها، لأنه يعم ما ذكر"[٤].

قرأ رفع، ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: «لا يُسمع فيها لاغية». بالياء مضمومة «لاغية» ، وقرأ عبيد، وعباس، واليزيدي، وأبو زيد، وعبد الوارث، وعلي بن نصر عن أبي عمرو: «ولا يُسْمَعُ» بضم الياء، وروي عن هارون، والنضر بن شميل، عن هارون وعبد الوهاب عن أبي عمرو بالياء، والتاء جميعًا[٥].

قوله تعالى:{فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ} [الغاشية : ١٢]، أي:" فيها عين تتدفق مياهها"[٦].

قال ابن كثير:" أي : سارحة. وهذه نكرة في سياق الإثبات، وليس المراد بها عينا واحدة، وإنما هذا جنس، يعني : فيها عيون جاريات"[٧].

قال الطبري:" يقول: في الجنة العالية عين جارية في غير أخدود"[٨].

عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم «أنهار الجنة تفجر من تحت تلال- أو من تحت جبال- المسك»[٩].

عن الكلبي: {فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ}، قال:" لا أدري بماء أو بغيره"[١٠].

قوله تعالى:{فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ} [الغاشية : ١٣]، أي:" فيها سرر عالية"[١١].

قال ابن عباس: "ألواحًا من ذهب، مكللة بالزبرجد، والدُّرِّ، والياقوت مرتفعة في السماء، ما لم يجيء أهلها، فإذا أراد أن يجلس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها، ثم ترتفع إلى موضعها"[١٢].

قال الطبري:" السرر: جمع سرير"[١٣].

قال ابن كثير:" أي : عالية ناعمة كثيرة الفرش، مرتفعة السَّمْك، عليها الحور العين. قالوا : فإذا أراد وَلِيُّ الله أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له"[١٤].

قال السمعاني:" أي: مرتفعة عن أرض الجنة. ويقال في التفسير: السرر مرتفعة، عليها فرش محشوة، كل فرش كجنبذ. وفيه أيضا أنها تتطامن للمؤمن، فإذا صعد عليها ارتفعت"[١٥].

قال سهل:" يعني الفرش مرفوعة، على كل سرير سبعون فراشاً، كل فراش في ارتفاع غرفة من غرف الدنيا. ذكر الله تعالى هذه النعم ليرغبهم فيها، ويحذرهم عقوبته على قدر

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٢٦٠/٦.
(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٤٦/٤.
(٣) انظر: معاني القرآن: ٣١٨/٥.
(٤) تفسير القرطبي: ٣٣/٢٠.
(٥)انظر: كتاب "السبعة في القراءات" لابن مجاهد: ٦٨١، "القراءات وعلل النحويين فيها" ٢/ ٧٦٩، "الحجة" ٦/ ٣٩٩، "المبسوط" ٤٠٦، "حجة القراءات" ٧٦٠، "إتحاف فضلاء البشر" ٤٣٧.
(٦) التفسير الميسر: ٥٩٢.
(٧) تفسير ابن كثير:٣٨٦/٨.
(٨) تفسير الطبري: ٣٨٧/٢٤.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٦٧):ص٣٤٢١-٣٤٢٢، ورواه ابن حبان في صحيحه برقم (٢٦٢٢) "موارد" من طريق القراطيسي، عن أسد بن موسى به.
(١٠) التفسير البسيط للواحدي: ٤٦٩/٢٣، والتفسير الكبير" ٣١/ ١٥٦، "فتح القدير" ٥/ ٤٣٠.
(١١) التفسير الميسر: ٥٩٢.
(١٢) التفسير البسيط للواحيد: ٤٦٩/٢٣-٤٧٠.
(١٣) تفسير الطبري: ٣٨٧/٢٤.
(١٤) تفسير ابن كثير:٣٨٦/٨.
(١٥) تفسير السمعاني: ٢١٤/٦.

سلطانه، وكرامته على قدر عظيم شأنه وسلطانه، فلم ينجع ذلك في قلوب كفار مكة فذكر قدرته كي يعتبروا"[١].

وفي وصف «السرر» بأنها مرفوعة، ثلاثة وجوه[٢]:

أحدها : لأن بعضها مرفوع فوق بعض .

الثاني : مرفوعة في أنفسهم لجلالتها وحبهم لها.

الثالث : أنها مرفوعة المكان لارتفاعها وعلوها .

فعلى هذا في وصفها بالعلو والارتفاع وجهان :

أحدهما : ليلتذ أهلها بارتفاعها ، قاله ابن شجرة[٣].

الثاني : ليشاهدوا بارتفاعهم ما أُعطوه من مُلك وأُوتوه من نعيم ، قاله الطبري[٤]، وابن عيسى[٥].

قال الطبري:" مرفوعة، ليرى المؤمن إذا جلس عليها جميع ما خوّله ربه من النعيم والملك فيها، ويلحق جميع ذلك بصره"[٦].

قال النحاس:" أي: لينظروا إلى الله من فوق سريره، [و] إلى ما خوّله الله جلّ وعزّ من نعمه"[٧].

وروي عن ابن عباس:"{فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ}، يعني: موضونة"[٨].

وقال مقاتل:" منسوجة بقضبان الدر والذهب عليها سبعون فراشا، كل فراش قدر غرفة من غرف الدنيا"[٩].

قوله تعالى:{وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ} [الغاشية : ١٤]، أي:" وأكواب معدة للشاربين"[١٠].

قال الطبري:" هي جمع: كوب، وهي الأباريق التي لا آذان لها"[١١].

قال السدي:" الأكواب: التي ليست لها آذان"[١٢].

قال مجاهد:" الأكواب ما ليس لها آذان"[١٣]. وفي رواية:" ليس لها عرى ولا آذان"[١٤].

قال ابن عباس:" الأكواب: الجرار من الفضة"[١٥].

عن أبي رجاء، قال: "سئل الحسن عن الأكواب، قال: هي الأباريق التي يصبّ لهم منها"[١٦].

قال قتادة:" الأكواب التي يغترف بها ليس لها خراطيم، وهي أصغر من الأباريق"[١٧].

---

(١) تفسير التستري: ١٩٢.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٢٦١/٦.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٢٦١/٦.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٧/٢٤.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٢٦١/٦.
(٦) تفسير الطبري: ٣٨٧/٢٤.
(٧) إعراب القرآن: ١٣٢/٥.
(٨) أخرجه الطبري: ٣٨٧/٢٤.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٩/٤.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٩٢.
(١١) تفسير الطبري: ٣٨٧/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٦٤١/٢١.
(١٣) أخرجه الطبري: ١٠١/٢٣.
(١٤) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٣.
(١٥) أخرجه الطبري: ١٠١/٢٣.
(١٦) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٣.
(١٧) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٣.

قال الضحاك:" الأكواب جرار ليست لها عرى، وهي بالنبطية كوبا، وإياها عنى الأعشى بقوله:
صَرِيفِيَّةٌ طَيِّبٌ طَعْمُها لَهَا زَبَدٌ بَينَ كُوب ودَنٌ"[1].
وفي قوله تعالى: {مَوْضُوعَةٌ} [الغاشية : ١٤]، وجهان :
أحدهما : في أيديهم للاستمتاع بالنظر إليها لأنها من ذهب وفضة. حكاه الماوردي[2].
الثاني : يعني: أنها مستعملة على الدوام ، لاستدامة شربهم منها ، قاله المفضل[3].
قال الطبري:" أنها موضوعة على حافة العين الجارية، كلما أرادوا الشرب وجدوها ملأى من الشراب"[4].
قال ابن كثير:" يعني : أواني الشرب معدة مُرصدة لمن أرادها من أربابها"[5].
قوله تعالى:{وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ} [الغاشية : ١٥]، أي:" ووسائد مصفوفة، الواحدة جنب الأخرى"[6].
وفي قوله تعالى:{وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ} [الغاشية : ١٥]، وجهان:
أحدهما : الوسائد ، واحدها: نمرقة ، قاله ابن عباس[7]، وقتادة[8].
قال ابن قتيبة:" «النَّمَارِقُ»: الوسائد، واحدتها: "نُمْرقة" و"نِمْرُقة"[9].
قال الطبري:" يعني بالنمارق: الوسائد والمرافق؛ والنمارق: واحدها نُمْرُقة"[10].
الثاني : المرافق، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس[11]، قال الشاعر [12]:
وريم أحمّ المقلتين محبّب ... زرابيُّه مبثوثةٌ ونمارقُه
وقال ابن عباس:" يعني: بالنمارق: المجالس"[13].
قوله تعالى:{وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ} [الغاشية : ١٦]، أي:" وبُسُط كثيرة مفروشة"[14].
وفي قوله تعالى:{وَزَرَابِيُّ} [الغاشية : ١٦]، قولان:
أحدهما : هي البسط الفاخرة ، قاله ابن عباس[15]، وابن عيسى[16]، والزجاج[17].
وعن الحسن :" {وزَرَابِيُّ}، قال: البُسُط"[18].
الثاني : هي الطنافس المخملة، قاله الكلبي[19]، والفراء[20]، وابن قتيبة[21]، والطبري[1].

---

(١) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٣.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٢٦١/٦.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٢٦١/٦.
(٤) تفسير الطبري: ٣٨٧/٢٤.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٨٦/٨.
(٦) التفسير الميسر: ٥٩٢.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٦٥):ص٣٤٢١/١٠.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٧/٢٤.
(٩) غريب القرآن: ٥٢٥.
(١٠) تفسير الطبري: ٣٨٧/٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٧/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٦٦):ص٣٤٢١/١٠.
(١٢) بلا نسبة في: النكت والعيون: ٢٦١/٦.
(١٣) أخرجه الطبري: ٣٨٧/٢٤.
(١٤) التفسير الميسر: ٥٩٢.
(١٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٦٥):ص٣٤٢١/١٠.
(١٦) انظر: النكت والعيون: ٢٦١/٦.
(١٧) انظر: معاني القرآن: ٣١٨/٥.
(١٨)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(١٩) انظر: النكت والعيون: ٢٦١/٦.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٨/٢٤.
(٢١) انظر: غريب القرآن: ٥٢٥.

قال الفراء:" هي: الطنافس التي لها خمل رقيق"[٢].
وفي «المبثوثة»، أربعة وجوه :
أحدها : مبسوطة ، قاله قتادة[٣].
قال الطبري:" فيها طنافس وبُسُط كثيرة مبثوثة مفروشة، والواحدة: زِرْبية، وهي الطِّنفسة التي لها خمل رقيق"[٤].
عن قتادة: "{وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ}: المبسوطة"[٥].
عن عبد الله بن عمار، قال: "رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصلي على عبقريّ، وهو الزرابيّ"[٦].
الثاني : بعضها على بعض، قاله عكرمة[٧].
الثالث : الكثيرة ، قاله الفراء[٨].
الرابع : كثيرة متفرِّقة في المجالس، قاله ابن قتيبة[٩].
قال السمعاني:" ومعنى المتفرقة: أنها قد فرقت في المجالس، وفرشت المجالس بها"[١٠].
عن أسامة بن زيد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «"ألا هل من مُشَمِّر للجنة، فإن الجنة لا خَطَر لها، هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة، وحُلل كثيرة، ومقام في أبد في دارٍ سليمة، وفاكهة وخضرة، وحبرة ونعمة، في محلة عالية بهية ؟". قالوا : نعم يا رسول الله، نحن المشمرون لها. قال : " قولوا : إن شاء الله". قال القوم: إن شاء الله»[١١].
عن عبد الله بن أبي الهذيل: "أنّ موسى أو غيره من الأنبياء قال: يا ربّ، كيف يكون هذا منك؟! أولياؤك في الأرض خائفون يُقتلون، ويطلبون فلا يُعطون، وأعداؤك يأكلون ما شاؤوا، ويشربون ما شاؤوا! ونحو هذا، فقال: انطلِقوا بعبدي إلى الجنة. فينظر ما لم يَر مثله قطّ؛ إلى أكواب موضوعة، ونمارق مصفوفة، وزرابيّ مبثوثة، وإلى الحُور العين، وإلى الثمار، وإلى الخدم كأنهم لؤلؤ مكنون، فقال: ما ضرّ أوليائي ما أصابهم في الدنيا إذا كان مصيرهم إلى هذا؟! ثم قال: انطلِقوا بعبدي. فانطُلق به إلى النار، فخرج منها عُنق، فصَعِق العبد، ثم أفاق، فقال: ما نفع أعدائي ما أعطيتُهم في الدنيا إذا كان مصيرهم إلى هذا؟ قال: لا شيء"[١٢].
فوائد الآيات:[١-١٦]:
١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر عرض سريع لها.
٢- من أسماء القيامة «الغاشية»، لأنها تغشى الناس بأهوالها.
٣- بيان أن في النار نصباً وتعباً. على عكس الجنة فإنها لا نصب فيها ولا تعب.
٤- من مؤلمات النفس البشرية لغو الكلام وكذبه باطله وهو ما ينزه عنه المؤمنون أنفسهم.

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٧/٢٤.
(٢) معاني القرآن: ٢٥٨/٣.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٨/٢٤.
(٤) تفسير الطبري: ٣٨٧/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٣٨٨/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٣٨٨/٢٤.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٦٧):ص٣٤٢١/١٠.
(٨) انظر: معاني القرآن: ٢٥٨/٣.
(٩) انظر: غريب القرآن: ٥٢٥.
(١٠) تفسير السمعاني: ٢١٤/٦.
(١١)البعث لابن أبي داود برقم (٧١) وسنن ابن ماجة برقم (٤٣٣٢) وقال البوصيري في الزوائد (٣٢٥/٣) : "هذا إسناد فيه مقال، الضحاك المعافري ذكره ابن حبان في الثقات، وقال الذهبي في طبقات التهذيب : "مجهول". وسليمان بن موسى مختلف فيه وباقي رجال الإسناد ثقات".
(١٢)أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١١٥.

القرآن

{أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)} [الغاشية : ١٧-٢٠]

التفسير:

أفلا ينظر الكافرون المكذِّبون إلى الإبل: كيف خُلِقَت هذا الخلق العجيب؟ وإلى السماء كيف رُفِعَت هذا الرَّفع البديع؟ وإلى الجبال كيف نُصبت، فحصل بها الثبات للأرض والاستقرار؟ وإلى الأرض كيف بُسِطت ومُهِّدت؟

قوله تعالى:{أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ} [الغاشية : ١٧]، أي:" أفلا ينظر الكافرون المكذِّبون إلى الإبل: كيف خُلِقَت هذا الخلق العجيب؟"(١).

قال ابن كثير:" يقول تعالى آمرًا عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته :{أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلى الإبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ} ؟ فإنها خَلق عجيب، وتركيبها غريب، فإنها في غاية القوة والشدة، وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل، وتنقاد للقائد الضعيف، وتؤكل، وينتفع بوبرها، ويشرب لبنها. ونبهوا بذلك لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل"(٢).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لمُنكري قدرته على ما وصف في هذه السورة من العقاب والنكال الذي أعدّه لأهل عداوته، والنعيم والكرامة التي أعدّها لأهل ولايته: أفلا ينظر هؤلاء المنكرون قُدرة الله على هذه الأمور، إلى الإبل كيف خلقها وسخرها لهم وذلّلها وجعلها تحمل حملها باركة، ثم تنهض به، والذي خلق ذلك غير عزيز عليه أن يخلق ما وصف من هذه الأمور في الجنة والنار، يقول جلّ ثناؤه: أفلا ينظرون إلى الإبل فيعتبرون بها، ويعلمون أن القُدرة التي قدر بها على خلقها، لن يُعجزه خلق ما شابهها"(٣).

قال الزمخشري: أي: " نظر اعتبار {كَيْفَ خُلِقَتْ} خلقا عجيبا، دالا على تقدير مقدر، شاهدا بتدبير مدبر، حيث خلقها للنهوض بالأثقال وجرها إلى البلاد الشاحطة(٤) فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر، ثم تنهض بما حملت، وسخرها منقادة لكل من اقتادها بأزمّتها: لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا، وبرأها طوال الأعناق لتنوء بالأوقار. وعن بعض الحكماء. أنه حدث عن البعير وبديع خلقه، وقد نشأ في بلاد لا إبل بها، ففكر ثم قال: يوشك أن تكون طوال الأعناق، وحين أراد بها أن تكون سفائن البر صبرها على احتمال العطش، حتى إن أظماءها(٥) لترتفع إلى العشر فصاعدا، وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم"(٦).

قال الفراء:" عجبهم من حمل الإبل أنها تحمل وقرها باركة ثم تنهض به، وليس شيء من الدواب يطيق ذلك إلا البعير"(٧).

قال الزجاج:" نبههم الله على عظيم من خلقه قد ذلله للصغير يقوده وينتجه وينهضه. ويحمل عليه الثقيل من الحمل وهو بارك فينهض بثقيل حمله، وليس ذلك في شيء من الحوامل غيره، فأراهم عظيما من خلقه ليدلهم بذلك على توحيده"(٨).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩٢.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٨٧/٨.
(٣) تفسير الطبري: ٣٨٧/٢٤.
(٤) أي: البعيدة. أفاده الصحاح.
(٥) قوله «حتى إن أظماءها» في الصحاح. «الظمء» ما بين الوردين: وهو حبس الإبل عن الماء إلى غاية الورد، والجمع: الأظماء.
(٦) الكشاف: ٧٤٤/٤.
(٧) معاني القرآن: ٢٥٨/٣.
(٨) معاني القرآن: ٣١٨/٥.

عن قتادة، قال: "لما نعت الله ما في الجنة، عجب من ذلك أهل الضلالة، فأنزل الله: {أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ}، فكانت الإبل من عيش العرب ومن خوَلهم"[١].

عن أبي إسحاق عمن سمع شريحا يقول: "اخرجوا بنا ننظر إلى الإبل كيف خُلقت"[٢].

وعن سعيد بن جبير قال: "لقيت شريحا القاضي فقلت: أين تريد؟ قال: أريد الكناسة: قلت: وما تصنع بها؟ قال: أنظر إلى الإبل كيف خلقت"[٣].

قال مقاتل:" لأن العرب لم يكونوا رأوا الفيل، وإنما ذكر لهم ما أبصروا، ولو أنه قال: أفلا ينظرون إلى الفيلة كيف خلقت، لم يتعجبوا لها، لأنهم لم يروها"[٤].

وفي «الإبل» -ها هنا- وجهان[٥] :

أحدهما : -وهو أظهرهما وأشهرهما-: أنها الإبل من النَعَم .

الثاني : أنها السحاب. حكاه النحاس[٦].

قال النحاس:" والصحيح أنها الجمال وذلك المعروف في كلام العرب"[٧].

قال الماوردي:" فإن كان المراد بها «السحاب» فلما فيها من الآيات الدالة على قدرة الله والمنافع العامة لجميع خلقه"[٨].

قال الماوردي: "وإن كان المراد بها من النَعَم فإن الإبل أجمع للمنافع من سائر الحيوانات ، لأن ضروبه أربعة : حلوبة ، وركوبة ، وأكولة ، وحمولة والإبل تجمع هذه الخلال الأربع ، فكانت النعمة بها أعم ، وظهور القدرة فيها أتم"[٩].

قوله تعالى:{وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ} [الغاشية : ١٨]، أي:" وإلى السماء كيف رُفِعَت هذا الرَّفع البديع؟"[١٠].

قال مقاتل:" من فوقهم خمسمائة عام"[١١].

قال الزجاج:" يعنى: بغير عمد"[١٢].

قال النحاس:" أي: كيف رفعت فوقهم بغير عمد يرونها، ليستدلّوا على عظيم قدرته"[١٣].

قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه: أفلا ينظرون أيضا إلى السماء كيف رفعها الذي أخبركم أنه معِدّ لأوليائه ما وصف، ولأعدائه ما ذكر، فيعلموا أن قُدرته القدرة التي لا يُعجزه فعل شيء أراد فعله"[١٤].

قوله تعالى:{وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ} [الغاشية : ١٩]، أي:" وإلى الجبال كيف نُصبت، فحصل بها الثبات للأرض والاستقرار؟"[١٥].

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٨٨/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٣٨٨/٢٤.
(٣) نقلا عن: الكشاف: ٧٤٤/٤-٧٤٥.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٩/٤.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٢٦٢/٦.
(٦) انظر: إعراب القرآن: ١٣٣/٥.
(٧) انظر: إعراب القرآن: ١٣٣/٥.
(٨) انظر: النكت والعيون: ٢٦٢/٦.
(٩) النكت والعيون: ٢٦٢/٦.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٩٢.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٩/٤.
(١٢) معاني القرآن: ٣١٨/٥.
(١٣) انظر: إعراب القرآن: ١٣٣/٥.
(١٤) تفسير الطبري: ٣٨٧/٢٤-٣٨٨.
(١٥) التفسير الميسر: ٥٩٢.

قال الطبري:" يقول: وإلى الجبال كيف أقيمت منتصبة لا تسقط، فتنبسط في الأرض، ولكنها جعلها بقدرته منتصبة جامدة، لا تبرح مكانها، ولا تزول عن موضعها"[١].

قال مقاتل:" على الأرض أوتادا لئلا تزول بأهلها"[٢].

قال النحاس:" أي: أقيمت منتصبة لا تسقط"[٣].

قال الزجاج:" «نصبت»: مرساة مثبتة لا تزول"[٤].

قال ابن كثير:" أي : جعلت منصوبة قائمة ثابتة راسية لئلا تميد الأرض بأهلها، وجعل فيها ما جعل من المنافع والمعادن "[٥].

عن قتادة: "{وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ}، تصاعد إلى الجبل الصَّيخود عامة يومك، فإذا أفضيت إلى أعلاه، أفضيت إلى عيون متفجرة، وثمار متهدلة ثم لم تحرثه الأيدي ولم تعمله، نعمة من الله، وبُلغة الأجل"[٦].

قوله تعالى:{وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ} [الغاشية : ٢٠]، أي:" وإلى الأرض كيف بُسِطت ومُهِّدت؟"[٧].

قال الطبري:" يقول: وإلى الأرض كيف بُسطت، يقال: جبل مُسَطَّح: إذا كان في أعلاه استواء"[٨].

قال الزجاج:" أي: دحيت وبسطت"[٩].

قال ابن قتيبة:" {سُطِحَتْ}، أي: بُسِطت"[١٠].

عن قتادة: "{وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ}، أي: بُسطت"[١١].

قال مقاتل:" يعني: كيف بسطت من تحت الكعبة مسيرة خمسمائة عام"[١٢].

قال ابن كثير:" أي : كيف بسطت ومدت ومهدت، فنبَّه البدوي على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذي هو راكب عليه، والسماء التي فوق رأسه، والجبل الذي تجاهه، والأرض التي تحته - على قدرة خالق ذلك وصانعه، وأنه الرب العظيم الخالق المتصرف المالك، وأنه الإله الذي لا يستحق العبادة سواه. وهكذا أقسم "ضِمَام" في سؤاله على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما رواه الإمام أحمد حيث قال : ... عن أنس قال : «كنا نهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية فقال : يا محمد، إنه أتانا رسولُك فزعَم لنا أنك تَزعُم أن الله أرسلك. قال : "صدق". قال : فمن خلق السماء ؟ قال : "الله". قال : فمن خلق الأرض ؟ قال : "الله". قال : فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل ؟ قال : "الله". قال : فبالذي خلق السماء والأرض ونصب هذه الجبال، آللهُ أرسلك ؟ قال : "نعم". قال : وزعم رسولُك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا. قال : "صدق". قال : فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟ قال : "نعم". قال : وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا ؟ قال : "صدق". قال : فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا ؟. قال : "نعم". قال : وزعم رسولك أن علينا حَجّ البيت من استطاع إليه سبيلا. قال : "صدق".

---

(١) تفسير الطبري: ٣٨٨/٢٤.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٩/٤.
(٣) انظر: إعراب القرآن: ١٣٣/٥.
(٤) معاني القرآن: ٣١٨/٥.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٨٧/٨.
(٦) أخرجه الطبري: ٣٨٩/٢٤.
(٧) التفسير الميسر: ٥٩٢.
(٨) تفسير الطبري: ٣٨٨/٢٤.
(٩) معاني القرآن: ٣١٨/٥.
(١٠) غريب القرآن: ٥٢٥.
(١١) أخرجه الطبري: ٣٨٩/٢٤.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٩/٤.

قال : ثم ولى فقال : والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن شيئا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "إن صدق ليدخُلنّ الجنة"»[1]"[2].

عن ابن عمر قال :«كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما كان يحدث عن امرأة في الجاهلية على رأس جبل، معها ابن لها ترعى غنما، فقال لها ابنها : يا أمه، من خلقك ؟ قالت : الله. قال : فمن خلق أبي ؟ قالت : الله. قال : فمن خلقني ؟ قالت : الله. قال : فمن خلق السماء ؟ قالت : الله. قال : فمن خلق الأرض ؟ قالت : الله. قال : فمن خلق الجبل ؟ قالت : الله. قال : فمن خلق هذه الغنم ؟ قالت : الله. قال : إني لأسمع لله شأنا. وألقى نفسه من الجبل فتقطع. قال ابن عمر : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يحدثنا هذا. قال ابن دينار : كان ابن عمر كثيرًا ما يحدثنا بهذا"»[3].

قوله تعالى:{أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ} [الغاشية : ١٧]، الآيات ، وفي ذكره لهذه ثلاثة أوجه :

أحدها : ليستدلوا بما فيها من العبر على قدره الله تعالى ووحدانيته. حكاه الماوردي[4].

الثاني : ليعلموا بقدرته على هذه الأمور أنه قادر على بعثهم يوم القيامة ، قاله يحيى بن سلام[5].

الثالث : أن الله تعالى لما نعت لهم ما في الجنة عجب منه أهل الضلالة ، فذكر لهم ذلك مع ما فيه من العجاب ليزول تعجبهم ، وهو معنى قول قتادة[6].

قال قتادة:" يقول: أليس الذي خلق هذا بقادر على أن يخلق ما أراد في الجنة"[7].

قال النحاس:" المعنى: أفلا يفكرون فيعلموا أن من خلق هذه الأشياء قادر على خلق ما يريد"[8].

قال الزمخشري:" فإن قلت: كيف حسن ذكر الإبل مع السماء والجبال والأرض ولا مناسبة؟ قلت: قد انتظم هذه الأشياء نظر العرب في أوديتهم وبواديهم، فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم، ولم يدع من زعم أن الإبل السحاب إلى قوله، إلا طلب المناسبة، ولعله لم يرد أن الإبل من أسماء السحاب، كالغمام والمزن والرباب والغيم والغين، وغير ذلك، وإنما رأى السحاب مشبها بالإبل كثيرا في أشعارهم، فجوز أن يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز"[9].

القرآن

{فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (٢٢)} [الغاشية : ٢١-٢٢]

التفسير:

فعِظْ -أيها الرسول- المعرضين بما أُرْسِلْتَ به إليهم، ولا تحزن على إعراضهم، إنما أنت واعظ لهم، ليس عليك إكراههم على الإيمان.

---

(١)المسند (١٤٣/٣) وصحيح مسلم برقم (١٢).

(٢) تفسير ابن كثير: ٣٨٧/٨-٣٨٨.

(٣) رواه أبو يعلى كما تفسير ابن كثير: ٣٨٨/٨، ورواه ابن عدي في الكامل (١٧٨/٤) عن أبي يعلى به مثله. وقال : "غير محفوظ، لا يحدث به عن ابن دينار غير عبد الله بن جعفر".

قال ابن كثير:٣٨٨/٨:" في إسناده ضعف، وعبد الله بن جعفر هذا هو المديني، ضَعّفه ولده الإمام علي بن المديني وغيره".

(٤) انظر: النكت والعيون: ٢٦٢/٦.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٢٦٢/٦.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٩/٢٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٨٩/٢٤.

(٨) انظر: إعراب القرآن: ١٣٣/٥.

(٩) الكشاف: ٧٤٥/٤.

قوله تعالى:{فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ} [الغاشية : ٢١]، أي:" فعِظْ -أيها الرسول- المعرضين بما أُرْسِلْتَ به إليهم، ولا تحزن على إعراضهم، إنما أنت واعظ لهم"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {فَذَكِّرْ} يا محمد عبادي بآياتي، وعظهم بحججي وبلّغهم رسالتي إنما أرسلتك إليهم مذكرا لتذكرهم نعمتي عندهم، وتعرّفهم اللازم لهم، وتعظهم"[٢].

قال النحاس:" أي: فذكّر عبادي حججي وآياتي، ليس عليك إلا التذكير"[٣].

قال ابن كثير:" أي : فذكر - يا محمد - الناس بما أرسلت به إليهم، فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب"[٤].

قال قتادة:" أي: كِلْ إليّ عبادي"[٥].

قال الزجاج:" هذا قبل أن يؤمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بالحرب"[٦].

قوله تعالى:{لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ} [الغاشية : ٢٢]، أي:" ليس عليك إكراههم على الإيمان"[٧].

وفي تفسير قوله تعالى:{لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ} [الغاشية : ٢٢]، خمسة وجوه:

أحدها : لست عليهم بجبار، قاله ابن عباس[٨]، ومجاهد[٩].

قال ابن عباس:" بجبار، فاعف عنهم واصفح"[١٠].

الثاني :بقاهر. قاله قتادة[١١].

الثالث: برب، قاله الحسن[١٢]، ومعنى الكلام:" لست عليهم بمسيطر أن تكرههم على الإيمان"[١٣].

الرابع : لست عليهم بملك. قاله مقاتل[١٤].

قال مقاتل:" ثم نسختها آية السيف"[١٥].

الخامس : لست عليهم بمسلط ، قاله الضحاك[١٦]، وابن زيد[١٧]، والفراء[١٨]، وابن قتيبة[١٩]، والزجاج[٢٠]، والطبري[٢١].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩٢.
(٢) تفسير الطبري: ٣٨٩/٢٤.
(٣) انظر: إعراب القرآن: ١٣٣/٥.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٨٨/٨.
(٥) أخرجه الطبري: ٣٩٠/٢٤.
(٦) معاني القرآن: ٣١٨/٥.
(٧) التفسير الميسر: ٥٩٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٠/٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٠/٢٤.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٩٦):ص٣٤٢٢/١٠.
(١١)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٦٨. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٢٩٣/٦.
(١٣) النكت والعيون: ٢٩٣/٦.
(١٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٩/٤.
(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٧٩/٤.
(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٩٧):ص٣٤٢٢/١٠.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٠/٢٤.
(١٨) انظر: معاني القرآن: ٢٥٨/٣.
(١٩) انظر: غريب القرآن: ٥٢٥.
(٢٠) انظر: معاني القرآن: ٣١٩/٥.
(٢١) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٩/٢٤-٣٩٠.

قال النحاس:" أصله :السين، مشتق من: السطر، لأن معنى: السطر هو الذي لا يخرج عن الشيء قد منع من ذلك. ويقال: تسيطر إذا تسلّط وتبدل من السين صاد، لأن بعدها طاء"[١].

قال الطبري:" يقول: لست عليهم بمسلّط، ولا أنت بجبار تحملهم على ما تريد. يقول: كِلهم إليّ، ودعهم وحكمي فيهم؛ يقال: قد تسيطر فلان على قومه: إذا تسلط عليهم"[٢].

قال ابن زيد:" : لست عليهم بمسلط أن تكرههم على الإيمان، قال: ثم جاء بعد هذا: {جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ} وقال {اقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ} وارصدوهم لا يخْرُجُوا فِي البلاد {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}، قال: فنسخت {لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ}، قال: جاء اقتله أو يُسْلِم؛ قال: والتذكرة كما هي لم تنسخ وقرأ: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}"[٣].

قال النحاس:" قيل: إنها منسوخة بقوله جلّ وعزّ: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ [التوبة: ٥]، وقيل: ليست منسوخة لأنهم إذا أظهروا الإسلام تركوا على جملتهم ولم يتسلّط عليهم"[٤].

عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا: لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله »، ثم قرأ: {إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ}"[٥].

القرآن

{إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (٢٤)} [الغاشية : ٢٣-٢٤]

التفسير:

لكن الذي أعرض عن التذكير والموعظة وأصرَّ على كفره، فيعذبه الله العذاب الشديد في النار.

قوله تعالى:{إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ} [الغاشية : ٢٣]، أي:" لكن الذي أعرض عن التذكير والموعظة وأصرَّ على كفره"[٦].

قال ابن كثير:" أي : تولى عن العمل بأركانه، وكفر بالحق بجنانه ولسانه. وهذه كقوله :{فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى} [القيامة : ٣١، ٣٢]"[٧].

عن علي بن خالد :«أن أبا أمامة الباهلي مَرَّ على خالد بن يزيد بن معاوية، فسأله عن ألين كلمة سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "ألا كلكم يدخل الجنة، إلا من شَرَد على الله شَرَاد البعير على أهله"»[٨].

وفي نوع الاستثناء في قوله تعالى:{إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ} [الغاشية : ٢٣]، وجهان[٩]:

أحدهما: أنه استثناء متصل، والمعنى: {إِلَّا مَنْ تَوَلَّى} فإنك مصيطر عليه. والآية على هذا لا نسخ فيها.

الثاني: أنه استثناء منقطع، معناه: لست عليهم بمسيطر، إلا من تولى وكفر، يعذّبه الله.

---

(١) انظر: إعراب القرآن: ١٣٣/٥.

(٢) تفسير الطبري: ٣٨٩/٢٤-٣٩٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٩٠/٢٤.

(٤) انظر: إعراب القرآن: ١٣٣/٥.

(٥)أخرجه أحمد في المسند():ص١١٩/٢٢-١٢٠، وابن أبي شيبة ١٢٣/١٠ و٣٧٦/١٢، ومسلم (٢١) (٣٥)، والترمذي في سننه (٣٣٤١)، والنسائي في "الكبرى" (١١٦٧٠)، وأخرجه الطبري في "التفسير": ٣٩٠/٢٤، وابن منده في "الإيمان" (٣٠) ، والحاكم ٥٢٢/٢، والبيهقي في "الأسماء والصفات" ص ٩٦.[إسناده صحيح]

(٦) التفسير الميسر: ٥٩٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ٣٨٨/٨.

(٨)المسند (٢٥٨/٥).

(٩) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٥٨/٣، وإعراب القرآن للنحاس: ١٣٤/٥، وتفسير الطبري: ٣٩١/٢٤، والمحرر الوجيز: ٤٧٥/٥.

قال ابن عطية:" وهذا هو القول الصحيح لأن السورة مكية، والقتال إنما نزل بالمدينة"[١].

عن مجاهد: "{إلا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ}، قال: حسابه على الله"[٢].

قرأ ابن عباس وزيد بن أسلم وقتادة وزيد بن على «ألا من تولى»، بفتح الهمزة على معنى: استفتاح الكلام، «ومَنْ» على هذه القراءة شرطية[٣].

قوله تعالى:{فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ} [الغاشية : ٢٤]، أي:" فيعذبه الله العذاب الشديد في النار"[٤].

قال الطبري:" هو عذاب جهنم، يقول: فيعذبه الله العذاب الأكبر على كفره في الدنيا، وعذاب جهنم في الآخرة"[٥].

قال الزجاج:" أي: عذاب جهنم"[٦].

قال مقاتل:" وإنما سماه الله :«الأكبر»، لأن الله كان أوعدهم القتل والجوع في الدنيا، فقال الأكبر لأنه أكبر من الجوع والقتل، وهو عذاب جهنم"[٧].

قال ابن عطية:" {الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ}: عذاب الآخرة لأنهم قد عذبوا في الدنيا بالجوع والقتل وغيره"[٨].

وقرأ ابن مسعود: «فإنه يعذبه الله»[٩].

القرآن

{إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (٢٦)} [الغاشية : ٢٥-٢٦]

التفسير:

إنَّ إلينا مرجعهم بعد الموت، ثم إن علينا جزاءهم على ما عملوا.

قوله تعالى:{إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ} [الغاشية : ٢٥]، أي:" إنَّ إلينا مرجعهم بعد الموت"[١٠].

قال مقاتل:" يعنى: مصيرهم"[١١].

قال الطبري:" يقول: إن إلينا رجوع من كفر ومعادهم"[١٢].

قال ابن قتيبة:" {إِيَابَهُمْ}: رجوعهم"[١٣].

عن عطاء الخراساني:" {إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ}، قال: مرجعهم"[١٤].

عن السدي :"{إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ}، قال: منقلبهم"[١٥].

قال ابن كثير:" أي : مرجعهم ومنقلبهم"[١٦].

---

(١) المحرر الوجيز: ٤٧٥/٥.
(٢) أخرجه الطبري: ٣٩١/٢٤.
(٣) انظر: المحرر الوجيز: ٤٧٥/٥.
(٤) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(٥) تفسير الطبري: ٣٩١/٢٤.
(٦) معاني القرآن: ٣١٩/٥.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٠/٤.
(٨) المحرر الوجيز: ٤٧٥/٥.
(٩) انظر: المحرر الوجيز: ٤٧٥/٥.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٠/٤.
(١٢) تفسير الطبري: ٣٩١/٢٤.
(١٣) غريب القرآن: ٥٢٥.
(١٤)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم. وينظر: فتح الباري ٨/ ٧٠١.
(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٩٨):ص٣٤٢٢/١٠.
(١٦) تفسير ابن كثير: ٣٨٨/٨.

قرأ الجمهور: «إيابهم» مصدر من آب يؤوب إذا رجع، وهو الحشر، والمراد إلى الله، وقرأ أبو جعفر بن القعقاع «إيّابهم» بشد الياء على وزن فعال بكسر الفاء أصله :فيعال، من: أيب، فعل، أصله: فيعل، ويصح أن يكون أوب فيجيء: إيوابا، وسهلت الهمزة وكان اللازم في الإدغام يردها أوابا، لكن استحسنت فيه الياء على غير قياس[١].

قوله تعالى:{ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} [الغاشية : ٢٦]، أي:" ثم إن علينا جزاءهم على ما عملوا"[٢].

قال الطبري:" يقول: ثم إن على الله حسابه، وهو يجازيه بما سلف منه من معصية ربه، يُعْلِمُ بذلك نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أنه المتولي عقوبته دونه، وهو المجازي والمعاقب، وأنه الذي إليه التذكير وتبليغ الرسالة"[٣].

قال النحاس:" أي: حسابهم على كفرهم ليجازيهم على ذلك"[٤].

قال ابن كثير:" أي : نحن نحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر"[٥].

قال مقاتل:" يعنى: جزاءهم على الله هيّن"[٦].

قال السدي: {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ}" يعني: جزاءهم"[٧].

عن قتادة: "{إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ}، يقول: إن إلى الله الإياب وعليه الحساب"[٨].

فوائد الآيات:[١٧-٢٦]:

١- تقرير البعث والجزاء بالدعوة إلى النظر إلى الأدلة الموجبة للإيمان به.

٢- بيان أن الداعي إلى الله تعالى مهمته الدعوة دون هداية القلوب فإنها إلى الله تعالى وحده.

بيان أن مصير البشرية إلى الله تعالى وهي حال تقتضي الإيمان به تعالى وطاعته طلبا للنجاة من عذابه والفوز برحمته. وهو مطلب كل عاقل لو أن الناس يفكرون.

«آخر تفسير سورة (الغاشية)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز: ٤٧٥/٥.
(٢) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(٣) تفسير الطبري: ٣٩١/٢٤.
(٤) إعراب القرآن: ١٣٤/٥.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٨٨/٨.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٠/٤.
(٧)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٢٥ -.
(٨) أخرجه الطبري: ٣٩١/٢٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الفجر»

«سورة الفجر»: هي السورة التاسعة والثمانون بحسب الرسم القرآني، وهي العاشرة في عداد نزول السور. نزلت بعد «سورة الليل» وقبل «سورة الضحى»، وآياتها ثلاثون في عد الشام، والكوفة، وتسع وعشرون في البصرة، واثنتان وثلاثون في الحجاز، وكلماتها مائة وسبع وعشرون، وحروفها خمسمائة وتسع وتسعون. المختلف فيها أربع: {نَعَّمَهُ} [الفجر : ١٥]، {رِزْقَهُ } [الفجر : ١٦]، {بِجَهَنَّمَ } [الفجر : ٢٣]، {فِي عِبَادِي} [الفجر : ٢٩]، فواصل آياتها «هاروت ندم» [١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-أسمها التوقيفي: «سورة الفجر»:**

اشتهرت تسميتها بـ«سورة الفجر» بدون الواو في المصاحف والتفاسير[٢]، وكتب السنة[٣]، ووجه تسميتها بذلك لافتتاحها بقوله تعالى: {وَالْفَجْرِ (١)} [الفجر : ١].

- **ثانيا:-أسمها الاجتهادي: «سورة والفجر»:**

ثبتت هذه التسمية عند الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-[٤]، إذ أنها سميت «والفجر»، بإضافة واو القسم، وبذلك ترجمت في بعض كتب السنة[٥]، والتفسير[٦]، وعلوم القرآن[٧]، وهي تسمية لها بأول جملة افتتحت بها السورة، قال تعالى: {وَالْفَجْرِ (١)} [الفجر : ١].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس، قال: " نزلت {والفجر} بمكة"[٨].

وعن عبدالله بن الزبير، قال :"أنزلت {والفجر} بمكة"[٩].

قال ابن عطية:" هي مكية عند جمهور المفسرين، وحكى أبو عمرو الداني في كتابه المؤلف في تنزيل القرآن عن بعض العلماء أنه قال: هي مدنية، والأول أشهر وأصح"[١٠].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[١١].

قال القرطبي:" سورة الفجر مكية"[١٢].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها:

١- أنه ذكر في تلك الوجوه الخاشعة والوجوه الناعمة، وذكر فى هذه طوائف من المكذبين المتجبرين الذين وجوههم خاشعة، وطوائف من الذين وجوههم ناعمة.

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٨/١.

(٢) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٣٩٣/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٥١٥/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٥٧٧/٣، والكشف والبيان: ١٩١/١٠، والنكت والعيون: ٢٦٤/٦، وغيرها.

(٣) انظر: سنن الترمذي: ٢٩٧/٥، والسنن الكبرى للنسائي: ٣٣٤/١٠، .

(٤) كما سيأتي في مكان نزول السورة.

(٥) انظر: صحيح البخاري: ١٦٩/٦، والمستدرك على الصحيحين: ٥٦٨/٢.

(٦) انظر مثلا: تفسير ابن أبي زمنين: ٥/، ١٢٦، وتفسير ابن فورك: ٢١٠/٣.

(٧) انظر: مثلا: كتب فيه لغتت القرآن للفراء: ١٥٧، ومجاز القرآن لأبي عبيدة: ٢٩٧/٢، ومعاني القراءات للأزهري: ١٤٢/٣، وجمال القراء: ٣١٤.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٤٩٧/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس في ناسخه وابن مردويه والبيهقي.

(٩) انظر: الدر المنثور: ٤٩٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٠) المحرر الوجيز: ٤٧٦/٥.

(١١) زاد المسير: ٤٣٧/٤.

(١٢) تفسير القرطبي: ٣٨/٢٠.

٢- أن القسم الذي في أول السورة كالدليل على صحة ما تضمنته خاتمة السورة السابقة من الوعد والوعيد[١].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من مقاصد سورة الفجر:

١- تقرير عقيدة البعث يوم القيامة وأنه أمر لا مراء فيه؛ لذلك يقول الله تعالى "هل في ذلك قسم لذي حجر" أي أن ما أقسم الله به كافي ليقتنع أصحاب العقول بالبعث، ويأتي سبب تسمية العقل بالحجر لأنه يحجر على صاحبه، فيجب استعمال العقل مجسًا للأمور وللتفريق بين الخير والشر.

٢- بيان مصير الأمم السابقة؛ حتى يعلم الإنسان أن الله قد أهلك من أهو أشد منه قوة وأكثر عددًا، وأنه لا يعجزه إهلاك المكذبين.

٣- التأكيد على حقيقة البعث بذكر قصة عاد إرم حيث كانوا يعيشون في خيام وأبنية مرتفعة العمدان نظرًا لتمكنهم وشدة قوتهم وطول أجسامهم لدرجة أنهم لا مثيل لهم على مر الزمان.

٤- ضرب الله المثل أيضًا بقوم ثمود الذين جابوا الصخر بالواد حيث تحكموا في الصخور ونحتوا من الجبال بيوتًا لهم، بالإضافة إلى قوم فرعون في أرض مصر، حيث بلغت قوتهم حدًا عظيمًا لدرجة أنهم بنوا الأهرامات كقبور لهم.

٥- عندما يستغل الإنسان الإمكانيات التي منحها الله لها في غير ما أمر الله به، يكون الإنسان قد طغى وجاوز الحد المسموح، وبالتالي يكون مصيره هو الهلاك في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة.

٦- يجب على الإنسان أن يعلم أنه مهما طغى وأمهله الله تعالى، فإن ربه له بالمرصاد، فهو لن يهمله أبدًا.

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: تشريف العيد، وعرفة، وعشر المحرم، والإشارة إلى هلاك عاد، وثمود، وأضرابهم، وتفاوت حال الإنسان في النعمة، وحرصه على جمع الدنيا، والمال الكثير، وبيان حال الأرض في القيامة، ومجيء الملائكة، وتأسف الإنسان يومئذ على التقصير، والعصيان، وأن مرجع المؤمن عند الموت إلى الرحمة، والرضوان، ونعيم الجنان، في قوله: {وَادْخُلِي جَنَّتِي} [الفجر : ٣٠]"[٢].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة[٣].

- **فضائل السورة:**

– عن جابر، قال : "صلى معاذ صلاةً، فجاء رجل فصلى معه فطَول، فصلى في ناحية المسجد ثم انصرف، فبلغ ذلك معاذا فقال : منافق. فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل الفتى، فقال : يا رسول الله، جئت أصلي معه فَطَوّل عَلَيّ، فانصرفت وصليتُ في ناحية المسجد، فعلقت ناضحي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أفَتَّان يا معاذ ؟ أين أنت مِن {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعْلَى}، {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، {وَالْفَجْرِ}، {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى}»"[٤].

---

(١) انظر: تفسير المراغي: ١٤٠/٣٠.

(٢)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٨/١.

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٨/١.

(٤)سنن النسائي الكبرى برقم (١١٦٧٣)، وانظر: الدر المنثور: ٤٩٧/٨.

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة وَالْفَجْرِ في الليالي العشر غفر له ومن قرأها سائر الأيّام كانت له نورا يوم القيامة»[1].[موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

(١) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٩١/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٣٤١/١٠. [والحديث موضوع].

القرآن

{وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (٥)} [الفجر : ١-٥]

التفسير:

أقسم الله سبحانه بوقت الفجر، والليالي العشر الأوَل من ذي الحجة وما شرفت به، وبكل شفع وفرد، وبالليل إذا يَسْري بظلامه، أليس في الأقسام المذكورة مَقْنَع لذي عقل؟

قوله تعالى:{وَالْفَجْرِ} [الفجر : ٥]، أي:" أقسم بوقت الفجر"[١].

قال عبدالله بن الزبير:" الفجر: قسم أقسم الله به"[٢].

عن ميمون بن مهران، قال: "إنّ الله تعالى يُقسم بما يشاء من خَلْقه، وليس لأحد أن يُقسم إلا بالله"[٣].

قوله تعالى: {وَالْفَجْرِ}، هو انفجار الصبح من أفق المشرق، وهما فجران[٤]:

فالأول منهما: مستطيل كذنب السرحان يبدو كعمود نور لا عرض له، ثم يغيب لظلام يتخلله، ويسمى هذا الفجر المبشر للصبح ، وبعضهم يسميه الكاذب لأنه كذب بالصبح . وهو من جملة الليل لا تأثير له في صلاة ولا صوم .

وأما الثاني: فهو مستطيل النور منتشر في الأفق ويسمى الفجر الصادق لأنه صدقك عن الصبح ، قال الشاعر[٥]:

شعف الكلاب الضاريات فؤاده ... فاذا يرى الصبح المصدّق يفزع

وبه يتعلق حكم الصلاة والصوم ، وقد ذكرنا ذلك من قبل .

وفي قسم الله بـ«الفجر»، أقوال :

أحدها : عُنِي به جميع النهار، وعبّر عنه بـ«الفجر»، لأنه أوله، روى هذا المعنى أبو نصر عن ابن عباس[٦].

عن ابن عباس: "{وَالْفَجْرِ}، قال: النهار"[٧].

الثاني : أن الفجر: الصبح الذي يبدأ به النهار من كل يوم، قاله علّي -رضي الله عنه-[٨]، وعكرمة[٩]، وزيد بن أسلم[١٠]، والأسود بن يزيد[١١]، والسدي[١٢]. ورواه أبو صالح عن ابن عباس[١٣].

قال الأسود بن يزيد :" هو فجركم هذا"[١٤].

عن مجاهد[١]، والضحاك[٢]:" {والفَجْرِ}، قال: فجر النهار".

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩٣.

(٢) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٠٧):ص٤٩/١.

(٣)أخرجه ابن أبي شيبة (القسم الأول من الجزء الرابع) ص ١٩.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٢٦٤/٦-٢٦٥.

(٥) البيت لأبي ذؤيب، انظر: "ديوان الهذليين" ١/ ١٠، و"المفضليات" ص ٤٢٥، و"اللسان" (شعف) ٤/ ٢٢٨٠، و"تهذيب اللغة" (شعف) ٢/ ١٨٩٠.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٥/٢٤، وتفسير ابن كثير: ٣٩٠/٨.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٩٥/٢٤.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٢٦٥/٦، وتفسير ابن كثير: ٣٩٠/٨.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٥/٢٤.

(١٠) انظر: الكشف والبيان: ١٩١/١٠.

(١١) انظر: معاني القرآن للفراء:٢٥٩/٣.

(١٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٩٠/٨.

(١٣) انظر: زاد المسير: ٤٣٧/٤، وتفسير ابن كثير: ٣٩٠/٨.

(١٤) رواه الفراء في "معاني القرآن":٢٥٩/٣.

قال سهل:" ظاهرها الفجر: الصبح"[٣].
وقال القرظي: "انفجار الصبح من كلّ يوم إلى انقضاء الدّنيا"[٤].
قال الطبري:" هذا قسم، أقسم ربنا جلّ ثناؤه بالفجر، وهو فجر الصبح"[٥].
الثالث : أنه عنى به صلاة الصبح، رواه عطية عن ابن عباس[٦].
الرابع : أنه أراد به فجر يوم النحر خاصة، وهو خاتمة الليالي العشر. قاله مسروق[٧]، ومجاهد[٨]، ومحمد بن كعب[٩]، ومقاتل[١٠].
قال مجاهد:" فجر يوم النحر وليس كل فجر"[١١].
قال مقاتل:" يعني: غداة جمع يوم النحر"[١٢].
الخامس: أنه فجر أول يوم من ذي الحجة، لأنّ الله سبحانه قرن الأيّام بها. قاله الضحاك[١٣].
السادس : أنه أول يوم من المحرم، تنفجر منه السنة. قاله قتادة[١٤].
وروي عثمان بن محصن عن ابن عباس: أنه "فجر المحرّم"[١٥].
في بعض التفاسير: "أنّ الفجر الصخور والعيون تتفجّر بالمياه"[١٦].
قال علي بن عبيد الله: "الفجر: ضوء النهار إذا انشق عنه الليل، وهو مأخوذ من الانفجار، يقال: انفجر النهر ينفجر انفجاراً: إذا انشق فيه موضع لخروج الماء: ومن هذا سمي الفاجر فاجراً، لأنه خرج عن طاعة الله"[١٧].
قوله تعالى:{وَلَيَالٍ عَشْرٍ} [الفجر : ٥]، أي: "وأقسم بالليالي العشر الأوَل من ذي الحجة وما شرفت به"[١٨].
وفي قوله تعالى: قوله تعالى:{وَلَيَالٍ عَشْرٍ} [الفجر : ٥]، ستة أقوال:
أحدها : أنها ليالي عشر ذي الحجة، رواه العوفي عن ابن عباس[١٩]، وبه قال ابن الزبير[٢٠]، ومسروق[٢١]، ومجاهد[٢٢]، وعكرمة[٢٣]، والضحاك[١]، وقتادة[٢]، والسدي[٣]، ومقاتل[٤]، وسهل وسهل بن عبدالله[٥]، وهو اختيار الإمام ابن كثير[٦].

---

(١)تفسير مجاهد ص ٧٢٦.
(٢)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٣) تفسير التستري: ١٩٣.
(٤) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٩١/١٠.
(٥) تفسير الطبري: ٣٩٥/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٥/٢٤.
(٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٩٠/٨.
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٣٢):ص٣٤٢٣/١٠.
(٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٩٠/٨.
(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٧/٤.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٣٢):ص٣٤٢٣/١٠.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٧/٤.
(١٣) انظر: الكشف والبيان: ١٩١/١٠، وزاد المسير: ٤٣٧/٤.
(١٤) انظر: الكشف والبيان: ١٩١/١٠، وزاد المسير: ٤٣٧/٤.
(١٥) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٩١/١٠.
(١٦) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٩١/١٠.
(١٧) نقلا عن: زاد المسير: ٤٣٧/٤.
(١٨) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٦/٢٤.
(٢٠) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٠٧):ص٤٩/١، وتفسير الطبري: ٣٩٦/٢٤.
(٢١) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٦/٢٤.
(٢٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٦/٢٤.
(٢٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٦/٢٤.

عن مجاهد: "{وَلَيَالٍ عَشْرٍ}، قال: عشر ذي الحجة"[٧].
قال مسروق:" عشر ذي الحجة، وهي التي وعد الله موسى صلى الله عليه وسلم"[٨].
قال مسروق:" ليال العشر، قال: هي أفضل أيام السنة"[٩].
قال ابن عباس:" إن الليالي العشر التي أقسم الله بها، هي ليالي العشر الأول من ذي الحجة"[١٠].
قال ابن عباس:" عشرة الأضحى"[١١]. وفي لفظ، قال: "هي ليال العشر الأول من ذي الحجة"[١٢]. وفي لفظ: "أول ذي الحجة إلى يوم النحر"[١٣].
قال الضحاك:" يعني: عشر الأضحى"[١٤].
قال قتادة:" كنا نحدَّث أنها عشر الأضحى"[١٥].
قال قتادة:" هي العشر الأول من ذي الحجة، أتمها الله لموسى"[١٦].
قال عبدالله بن الزبير:" أول ذي الحجة إلى يوم النحر"[١٧].
قال سهل:" يعني: عشر ذي الحجة وهي الأيام المعلومات"[١٨].
قال مقاتل:" فهي عشر ليال قبل الأضحى، وأما سماها الله- عز وجل- ليال عشر لأنها تسعة أيام وعشر ليال"[١٩].
قال الأسود بن يزيد :" عشر الأضحى"[٢٠].
الثاني : أنها عشر المحرّم من أوّله. قاله ابن زيد[٢١].
قال ابن زيد:" أوّل ذي الحجة؛ وقال: هي عشر المحرّم من أوّله"[٢٢].
الثالث : هي العشر الأواخر من شهر رمضان، رواه أبو ظبيان عن ابن عباس[٢٣].
الرابع : هي العشر الأول من رمضان، قاله الضحاك[٢٤].
الخامس : هي العشر الأول من المحرم، قاله يمان بن رئاب[٢٥].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٧/٢٤.
(٢) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٥٨٩):ص٤٢٢/٣.
(٣) انظر: زاد المسير: ٤٣٧/٤.
(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٧/٤.
(٥) انظر: تفسير التستري: ١٩٣.
(٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٩٠/٨. وقال هو اختيار غير واحد من السلف والخلف.
(٧) أخرجه الطبري: ٣٩٦/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٣٩٦/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٣٩٧/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٣٩٦/٢٤.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٣٣):ص٣٤٢٣/١٠.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٣٣):ص٣٤٢٣/١٠.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٣٣):ص٣٤٢٣/١٠.
(١٤) أخرجه الطبري: ٣٩٧/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٣٩٦/٢٤.
(١٦) تفسير عبدالرزاق(٣٥٨٩):ص٤٢٢/٣.
(١٧) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٠٧):ص٤٩/١، وتفسير الطبري: ٣٩٦/٢٤.
(١٨) تفسير التستري: ١٩٣.
(١٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٧/٤.
(٢٠) رواه الفراء في "معاني القرآن":٢٥٩/٣.
(٢١) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٧/٢٤.
(٢٢) أخرجه الطبري: ٣٩٧/٢٤.
(٢٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٣٥):ص٣٤٢٣/١٠.
(٢٤) انظر: زاد المسير: ٤٣٧/٤.
(٢٥) انظر: زاد المسير: ٤٣٧/٤.

السادس : هي عشر موسى عليه السلام التي أتمها الله سبحانه له ، قاله مجاهد[١].

قال مجاهد:" ليس عمل في ليال من ليالي السنة أفضل منه في ليالي العشر، وهي عشر موسى التي أتمَّها الله له"[٢].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك عندنا: أنها عشر الأضحى لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه، وأن عبد الله بن أبي زياد القَطْوانيّ، حدثني قال: ثني زيد بن حباب، قال: أخبرني عياش بن عقبة، قال: ثني جُبير بن نعيم، عن أبي الزبير، عن جابر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «{وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ}، قال: عَشْرُ الأضْحَى»"[٣].

قوله تعالى:{وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ} [الفجر : ٥]، أي:" وأقسم وبكل شفع وفرد"[٤].

واختلف أهل التفسير في «الشفع والوتر»، على أقوال:

أحدها: أن الشفع: يوم عرفة ويوم الأضحى، والوتر: ليلة النحر، رواه أبو أيوب الأنصاري عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[٥].

الثاني: أنّ الشّفع يوم النحر، والوتر: يوم عرفة. رواه جابر بن عبد الله عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[٦]، وبه قال ابن عباس[٧]، وعكرمة[٨]، والضحاك[٩].

قال ابن عباس: الشفع: يوم النحر والوتر: يوم عرفة"[١٠]. وفي لفظ: " الوتر: يوم عرفة، والشفع: يوم الذبح"[١١].

قال الأسود بن يزيد :" «والشفع» : يوم الأضحى، و«الوتر»: يوم عرفة"[١٢].

قال الضحاك:" عرفة وَتْر، والنحر شفع، عرفة يوم التاسع، والنحر يوم العاشر"[١٣].

قال الضحاك:" أقسم الله بهنّ لما يعلم من فضلهنّ على سائر الأيام، وخير هذين اليومين لما يُعلم من فضلهما على سائر هذه الليالي{وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ}، قال: الشفع: يوم النحر، والوَتر: يوم عرفة"[١٤].

الثالث: أن الشفع والوتر: الصلاة، منها الشفع، ومنها الوتر، رواه عمران بن حصين عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[١٥]، وبه قال قتادة[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٦/٢٤-٣٩٧.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٩٦/٢٤-٣٩٧.

(٣) تفسير الطبري: ٣٩٧/٢٤.

(٤) التفسير الميسر: ٥٩٣.

(٥)ضعيف جدا. أخرجه الطبراني في «الكبير» ٤٠٧٣ من حديث أبي أيوب، وقال في «المجمع» ٧/ ١٣٧ فيه واصل بن السائب وهو متروك.

(٦)أخرجه النسائي في «التفسير» ٦٩١ و ٦٩٢ وأحمد ٣/ ٣٢٧ والطبري ٣٧٠٧٣ والحاكم ٤/ ٢٢٠ والبزار ٢٢٨٦ «كشف» من حديث جابر، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٣٧: رجال أحمد والبزار رجال الصحيح غير عياش بن عقبة، وهو ثقة اهـ. قلت: ومداره على أبي الزبير، وهو مدلس، وقد عنعن، فالإسناد ضعيف. وقال الحافظ ابن كثير ٤/ ٦٠٠ رجاله لا بأس بهم، وعندي أن المتن في رفعه نكارة، والله أعلم اه. وهو كما قال: فإن هناك روايات أخرى مرفوعة وموقوفة على خلاف ذلك، فلو صح مرفوعا لما اختلف الصحابة والتابعون في تفسير هذه الآيات، والله أعلم.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٧/٢٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٧/٢٤.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٧/٢٤.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٤٤):ص٣٤٢٤/١٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٩٧/٢٤.

(١٢) رواه الفراء في "معاني القرآن":٢٥٩/٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٣٩٧/٢٤.

(١٤) أخرجه الطبري: ٣٩٧/٢٤.

(١٥)ضعيف. أخرجه الترمذي ٣٣٤٢ وأحمد ٤/ ٤٣٧- ٤٣٨ والطبري ٣٧٠٩٩ والحاكم ٢/ ٥٢٢ من حديث عمران بن حصين، وإسناده ضعيف فيه راو لم يسم، وضعفه الترمذي بقوله: غريب اه وقد سقط الراوي الذي لم

قال قتادة:" إن من الصلاة شفعا، وإن منها وترا"[٢].
قال قتادة:" هي الصلاة المكتوبة فيها الشفع والوتر"[٣].
قال الربيع بن أنس:" ذلك صلاة المغرب، الشفع: الركعتان، والوتر: الركعة الثالثة"[٤].
الرابع: أن الشفع: الخلق كله، والوتر: الله تعالى، رواه العوفي عن ابن عباس[٥]، وبه قال مجاهد-في رواية-[٦]، وأبو صالح[٧].
قال ابن عباس:" الله وتر، وأنتم شفع"[٨].
عن أبي صالح:" {وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ}، قال: خلق الله من كل شيء زوجين، والله وَتْر واحد صَمَد"[٩].
قال مجاهد:" كلّ خلق الله شفع، السماء والأرض والبرّ والبحر والجنّ والإنس والشمس والقمر، والله الوَتر وحده"[١٠].
قال مجاهد:" الوتر: الله، وما خلق الله من شيء فهو شفع"[١١].
عن مجاهد، في قوله: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ}، قال: الكفر والإيمان، والسعادة والشقاوة، والهدى والضلالة، والليل والنهار، والسماء والأرض، والجنّ والإنس، والوَتْر: الله؛ قال: وقال في الشفع والوتر مثل ذلك"[١٢].
قال مجاهد:" كل شيء خلقه الله شفع، السماء والأرض، والبر والبحر، والجن والإنس والشمس والقمر، نحا مجاهد في هذا ما ذكروه في قوله تعالى: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الذاريات : ٤٩]، أي: لتعلموا أن خالق الأزواج واحد"[١٣].
وقال مجاهد:" الشفع: الزوج، والوتر: الله"[١٤]. وفي رواية:" الله الوتر، وخلقه: الشفع الذكر والأنثى"[١٥].
وقال ابن عطاء:" {وَالْفَجْرِ}: محمّد صلّى الله عليه لأنّ به تفجّرت أنوار الإيمان وغابت ظلم الكفر. {وَلَيالٍ عَشْرٍ} ليالي موسى التي أكمل بها ميعاده بقوله تعالى: {وَأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ}، {وَالشَّفْعِ}: الخلق، {وَالْوَتْرِ}: الحقّ"[١٦].
الخامس: أن الْوَتْر: آدم شفّعه الله بزوجته حواء، رواه مجاهد عن ابن عباس[١٧]، وحكاه الثعلبي دون نسبة[١].

يسم من إسناد الحاكم فجرى على ظاهره، وحكم بصحته! وسكت الذهبي! وهو من صنع أحد الرواة، ورجح ابن كثير رحمه الله ٤/ ٦٠٠ كونه مقوفا، وهو كما قال. والله أعلم.
(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٩/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٤٠٠/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٣٩٩/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٣٩٩/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٨/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٨/٢٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٩/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٣٩٨/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٣٩٩/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٣٩٨/٢٤. وفي رواية ابن أبي حاتم(١٩٢٣٨):ص٣٤٢٤/١٠:" : كل خلق الله شفع السماء والأرض والبر والبحر والإنس والجن والشمس والقمر ونحو هذا شفع، والوتر الله وحد".
(١١) أخرجه الطبري: ٣٩٩/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٣٩٨/٢٤-٣٩٩.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٤٥):ص٣٤٢٤/١٠.
(١٤) أخرجه الطبري: ٣٩٩/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٢٤٣):ص٣٤٢٤/١٠.
(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٣٩):ص٣٤٢٤/١٠.
(١٦) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٩٤/١٠.
(١٧) انظر: زاد المسير: ٤٣٨/٤.

السادس: أن الشفع يومان بعد يوم النحر، وهو النفر الأول، والوتر: اليوم الثالث، وهو النّفر الأخير، قاله عبد الله بن الزّبير[٢]، واستدلّ بقوله عزّ وجلّ: {فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ} [البقرة : ٢٠٣]. وبه قال ابن زيد[٣].

قال عبدالله بن الزبير:" الشفع: يومان بعد يوم النحر، والوتر: يوم النفر الآخر، يقول الله: {فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْه} [البقرة : ٢٠٣]"[٤].

عن عبد الله بن الزبير:" أنه سئل عن الشفع والوتر، فقال: الشفع قول الله: {فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} [البقرة : ٢٠٣]، والوتر اليوم الثالث"، وفي لفظ: "الشفع أوسط أيام التشريق والوتر آخر أيام التشريق"[٥].

عن ابن عبد السلام عن أبي سعيد بن عوف، حدثنا بمكة قال: "سمعت عبد الله بن الزبير يخطب الناس، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن الشفع والوتر. فقال: الشفع قول الله عز وجل: فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه، والوتر قوله: ومن تأخر فلا إثم عليه"[٦].

عن أبي سعيد بن عوف قال: سمعت عبد الله بن الزبير يقول على المنبر: يا معشر الحاجّ إنّكم جئتم من القريب والبعيد على الضعيف والشديد، فأسهرتم الأعين وأنصبتم الأنفس وأتعبتم الأبدان، فلا يبطلنّ أحدكم حجّه وهو لا يشعر، ينظر نظرة بعينه أو يبطش بطشة بيده، أو يمشي مشية برجله، يا أهل مكّة وسّعوا عليهم ما وسّع الله عليكم وأعينوهم ما استعانوكم عليه، فإنّهم وفد الله وحاجّ بيت الله ولهم عليكم حقّ، فاسألوني فعلينا كان التنزيل، ونحن حصرنا التأويل، فقام إليه رجل من ناحية زمزم فقال: دخلت فأرة جرابي وأنا محرم؟ فقال: اقتلوا الفويسقة، فقام آخر فقال: أخبرنا بـ«الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ» و«الليالي العشر»، فقال: أمّا «الشفع والوتر»، فقول الله سبحانه: {فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ}، فهما الشفع والوتر، وأمّا «الليالي العشرة»، فالثمان وعرفة والنحر، فقام آخر فقال: أخبرنا عن يوم «الْحَجِّ الْأَكْبَرِ»؟ فقال: هو يوم النحر ثلاث تتلوها"[٧].

قال ابن زيد:" الشفع: يومان بعد يوم النحر، والوتر: يوم النَّفْر الآخر، يقول الله: {فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ} [البقرة : ٢٠٣]"[٨].

السابع: أن الشفع: صلاة الغداة، والوتر: صلاة المغرب، حكاه عطية[٩].

الثامن: أن الشفع: الركعتان من صلاة المغرب، والوتر: الركعة الثالثة، قاله أبو العالية[١٠]، والربيع بن أنس[١١].

قال أبو العالية:" ذلك صلاة المغرب، الشفع: الركعتان، والوتر: الركعة الثالثة"[١٢].

التاسع: أن الشفع والوتر: الخلق كله، منه شفع، ومنه وتر، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس[١]، وبه قال ابن زيد[٢]، ومجاهد -في رواية-[٣]، والحسن[٤].

---

(١) انظر: الكشف والبيان: ١٩٣/١٠.
(٢) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٠٧):ص٤٩/١، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٤١):ص٣٤٢٤/١٠.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٧/٢٤.
(٤) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٠٧):ص٤٩/١.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٤١):ص٣٤٢٤/١٠.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٤٢):ص٣٤٢٤/١٠.
(٧) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٩٢/١٠-١٩٣.
(٨) أخرجه الطبري: ٣٩٨/٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٨/٢٤.
(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٣٧):ص٣٤٢٣/١٠.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٢٦٦/٦، وزاد المسير: ٤٣٨/٤.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٣٧):ص٣٤٢٣/١٠.

العاشر: أنه العدد، منه شفع، ومنه وتر، وهذا مروي عن الحسن-أيضا-[٥].
عن قتادة، أنه سُئل عن «الشفع والوتر»، فقال: "قال الحسن: هو العدد"[٦].
وروي عن معمر، قال: "قال الحسن في ذلك: الخلق كله شفع {وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ}، قال: كان أبي يقول: كلّ شيء خلق الله شفع ووتر، فأقسم بما خلق، وأقسم بما تبصرون وبما لا تبصرون"[٧].
الحادي عشر: أن الشفع: عشر ذي الحجة، والوتر: أيام منى الثلاثة، قاله الضحاك[٨].
الثاني عشر: أنّ الشّفع: هو الله، لقوله عزّ وجلّ: {ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ} [المجادلة : ٧]، والوتر: هو الله، لقوله عزّ وجلّ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، قاله سفيان بن عيينة[٩].
الثالث عشر: أن الشفع: هو آدم وحواء. والوتر: الله تعالى، قاله مقاتل بن سليمان[١٠]، وسهل بن عبدالله[١١].
وقال سهل:" {وَالشَّفْعِ} آدم وحواء -وقيل جميع ما خلق الله من الأضداد: الليل والنهار والنور والظلمة والموت والحياة- {وَالْوَتْرِ}: هو الله تعالى"[١٢].
الرابع عشر: أن الشفع: الأيام والليالي، والوتر: اليوم الذي لا ليلة بعده، وهو يوم القيامة، قاله مقاتل بن حيان[١٣].
الخامس عشر: الشفع: درجات الجنان، لأنها ثمان، والوتر: دَرَكات النار لأنها سبع، فكأنّ الله تعالى أقسم بالجنة والنار، قاله الحسين بن الفضل[١٤].
السادس عشر: الشفع: تضاد أوصاف المخلوقين بين عِزٍ وذُلٍّ، وقدرة وعجز، وقوة وضعف، وعلم وجهل، وموت وحياة. والوتر: انفراد صفات الله عزّ وجلّ، عِزٌّ بلا ذل، وقدرة بلا عجز، وقوة بلا ضعف، وعلم بل جهل، وحياة بلا موت، قاله أبو بكر الورَّاق[١٥].
السابع عشر: أن الشفع: الصفا والمروة، والوتر: البيت. حكاه الثعلبي[١٦].
الثامن عشر: أن الشفع: مسجد مكة والمدينة، والوتر: بيت المقدس. حكاه الثعلبي[١٧].
التاسع عشر: أنّ الشّفع: القران في الحج والتمتع، والوتر: الإفراد. حكاه الثعلبي[١٨].
العشرون : أن الشفع: العبادات المتكررة كالصلاة، والصوم، والزكاة، والوتر: العبادة التي لا تتكرر، كالحجّ، حكاه الثّعلبيّ حكاه الثعلبي[١٩].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٨/٢٤.
(٢) انظر: زاد المسير: ٤٣٨/٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٨/٢٤.
(٤) انظر: زاد المسير: ٤٣٨/٤.
(٥) انظر: : تفسير الطبري: ٤٠٠/٢٤، وزاد المسير: ٤٣٨/٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٤٠٠/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٣٩٩/٢٤.
(٨) انظر: النكت والعيون: ٢٦٦/٦، وزاد المسير: ٤٣٨/٤.
(٩) انظر: الكشف والبيان: ١٩٣/١٠، وزاد المسير: ٤٣٨/٤.
(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٧/٤.
(١١) انظر: تفسير التستري: ١٩٣.
(١٢) تفسير التستري: ١٩٣.
(١٣) انظر: الكشف والبيان: ١٩٣/١٠، وزاد المسير: ٤٣٩/٤.
(١٤) انظر: الكشف والبيان: ١٩٣/١٠، وزاد المسير: ٤٣٩/٤.
(١٥) انظر: الكشف والبيان: ١٩٣/١٠-١٩٤.
(١٦) انظر: الكشف والبيان: ١٩٣/١٠.
(١٧) انظر: الكشف والبيان: ١٩٣/١٠.
(١٨) انظر: الكشف والبيان: ١٩٣/١٠.
(١٩) انظر: الكشف والبيان: ١٩٤/١٠.

الواحد والعشرون : أن الشَّفْع: النفس والروح إذا كانتا معا، وَالْوَتْر: الروح بلا نفس والنفس بلا روح، فكأنّ الله سبحانه أقسم بها في حالتي الاجتماع والافتراق. حكاه الثعلبي[١].
الثاني والعشرون : أن الشَّفْع: الأفعال، وَالْوَتْر: النيّة، وهو الإخلاص. حكاه الثعلبي[٢].
الثالث والعشرون : أن الشَّفْع: الفرائض، وَالْوَتْر: السنن. حكاه الثعلبي[٣].
الرابع والعشرون : أن الشفع: الزّكاة، وهو الزوج، والوتر: الخسا، وهو الفرد، قاله أبو عبيدة[٤]، وأنشد له قول الكميت[٥]:
إذا نَحْنُ في تِعْدَادِ خَصْلِكَ لَمْ نَقُلْ ... خَسَا وَزَكا أَعْيَيْنَ مِنَّا المُعَدِّدَا
قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالشفع والوتر، ولم يخصص نوعا من الشفع ولا من الوتر دون نوع بخبر ولا عقل، وكلّ شفع ووتر فهو مما أقسم به مما قال أهل التأويل إنه داخل في قسمه هذا لعموم قسَمه بذلك"[٦].
قوله تعالى:{وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ} [الفجر : ٥]، أي:" وأقسم بالليل إذا يَسْري بظلامه"[٧].
وفي قوله تعالى:{وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ} [الفجر : ٥]، قولان:
أحدهما: أن الفعل له، ومن ثم فيه قولان:
أحدهما: إذا يسري ذاهباً، حكاه ابن الجوزي عن الجمهور[٨]، وهو اختيار الزجاج، والطبري[٩].
عن ابن عباس: "{وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ}، يقول: إذا ذهب"[١٠].
قال عبدالله بن الزبير:" حين يذهب، يتبع بعضه بعضا"[١١]. وفي لفظ:" حتى يُذهِب بعضه بعضا"[١٢].
الثاني: إذا يسري مقبلا، قاله قتادة[١٣].
عن أبي العالية، ومجاهد، وقتادة، وزيد بن أسلم: "{وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ}، قال: إذا سار"[١٤].
عن أبي العالية:" {واللَّيْلِ إذا يَسْرِ}، يقول: إذا أقبل"[١٥].
عن الضحاك:" {واللَّيْلِ إذا يَسْرِ}، قال: يجري"[١٦].
وقال مقاتل:" يعني: إذا أقبل"[١٧].
وحكي الماوردي عن ابن عباس:" إذا أظلم"[١٨].
وقال ابن زيد:" الليل إذا يسير"[١].

---

(١) انظر: الكشف والبيان: ١٩٤/١٠.
(٢) انظر: الكشف والبيان: ١٩٤/١٠.
(٣) انظر: الكشف والبيان: ١٩٤/١٠.
(٤) انظر: مجاز القرآن: ٢٩٧/٢.
(٥)البيت في "الزاهر" ٢/ ١٨٧، وفي شعر الكميت جمع دواد سلوم ١/ ١٦٢، وفيه: (إذا نحن في تكرار وصفك ...)، وانظر: اللسان (خسا).
(٦) تفسير الطبري: ٤٠٠/٢٤.
(٧) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(٨) انظر: زاد المسير: ٤٣٩/٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٠١/٢٤، قال:" والليل إذا سار فذهب، يقال منه: سرى فلان ليلا يَسْري: إذا سار"..
(١٠) أخرجه الطبري: ٤٠١/٢٤.
(١١) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٠٧):ص٤٩/١.
(١٢) أخرجه الطبري: ٤٠١/٢٤.
(١٣) انظر: زاد المسير: ٤٣٩/٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٤٠١/٢٤، وانظر: قول زيد بن أسلم في "تفسير ابن كثير": ٣٩٣/٨-٣٩٤
(١٥)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(١٦)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.
(١٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٧/٤.
(١٨) انظر: النكت والعيون: ٢٦٦/٦-٢٦٧.

قال ابن كثير:" وقال مجاهد، وأبو العالية، وقتادة، ومالك، [و] زيد بن أسلم وابن زيد :{وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ}: إذا سار. وهذا يمكن حمله على ما قاله ابن عباس، أي : ذهب. ويحتمل أن يكون المراد إذا سار، أي : أقبل. وقد يقال : إن هذا أنسب ؛ لأنه في مقابلة قوله :{وَالْفَجْرِ} فإن الفجر هو إقبال النهار وإدبار الليل، فإذا حمل قوله :{وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ} على إقباله كان قَسَمًا بإقبال الليل وإدبار النهار، وبالعكس، كقوله :{وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ} [التكوير : ١٧، ١٨]. وكذا قال الضحاك :{وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ}، أي : يجري"[٢].

والقول الثاني: أن الفعل لغيره، والمعنى: إذا يسري فيه، كما يقال: ليل نائم، أي: ينام فيه، قاله الأخفش[٣]، وابن قتيبة[٤].

قال كثير بن عبد الله بن عمرو : "سمعت محمد بن كعب القرظي، يقول في قوله :{وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ} قال : اسر يا سار ولا تبين إلا بجَمْع"[٥].

وفي المراد بهذا الليل ثلاثة أقوال[٦]:

أحدها: أنه عام في كل ليلة، وهذا الظاهر.

الثاني: أنه ليلة المزدلفة، وهي ليلة جَمْعٍ، لاختصاصها باجتماع الناس فيها لطاعة الله. قاله مجاهد[٧]، وعكرمة[٨].

عن عكرمة: "{وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ}، قال: ليلة جمع"[٩].

عن عكرمة:" {واللَّيْلِ إذا يَسْرِ}، قال: ليلة جَمع. قال: وكانوا يقولون: سرى الليلُ بجَمع فمضى. يعني: مضى الليل والناس بجَمع. قال عكرمة: هذا القَسم في أيام العشر كلّه"[١٠].

قال مقاتل:" هي ليلة الأضحى"[١١].

عن محمد بن كعب القُرَظيّ :" أنه قيل له: ما {واللَّيْلِ إذا يَسْرِ}؟ قال: هذه الإفاضة، اسْرِ، يا ساري، ولا تَبِيتنّ إلا بجَمع"[١٢].

الثالث: ليلة القدر، لسراية الرحمة فيها واختصاصها بزيادة الثواب فيها. حكاه الماورديّ[١٣].

قرأ ابن كثير، ويعقوب «يسري» بياءٍ في الوصل والوقف، وافقهما في الوصل نافع وأبو عمرو. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي «يسر» بغير ياءٍ في الوصل والوقف. قال الفراء، والزجاج: الاختيار حذفها لمشاكلتها لرؤوس الآيات، ولاتّباع المصحف[١٤].

---

(١) أخرجه الطبري: ٤٠١/٢٤.

(٢)تفسير ابن كثير: ٣٩٣/٨-٣٩٤.

(٣)حكي في القرطبي: ٢٠/ ٤٢ عن الأخفش وابن قتيبة. وذكره الفخر ٨/ ٤٢٢.

(٤) انظر: غريب القرآن: ٥٢٦.

(٥) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٣٩٤/٨.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٢٦٦/٦، وزاد المسير: ٤٣٩/٤.

(٧) انظر: زاد المسير: ٤٣٩/٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٠١/٢٤.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٠١/٢٤.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير ٨/ ٤١٦ - . وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وعبد بن حميد.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٧/٤.

(١٢)أخرجه ابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير ٨/ ٤١٦ -.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ٢٦٦/٦.

(١٤) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٦٠/٣، ومعاني القرآن للزجاج: ٣٢١/٥.

قال الفراء:" وحذفها أحب إليَّ لمشاكلتها رءوس الآيات، ولأن العرب قَدْ تحذف الياء، وتكتفي بكسر ما قبلها منها".

قال الزجاج:" واتباع المصحف وحذف الياء أحَبُّ إليَّ لأن القراءة بذلك أكثر. ورُووس الآي فَوَاصِلُ تحذف معها اليَاءَات وتدل عليه الكسرات".

ق الأب وعبيدة في مجاز القرآن: ٢٩٧/٢:" لعرب تحذف هذه الياء فى هذه فى موضع الرفع ومثل ذلك «لا

قوله تعالى:{هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ} [الفجر : ٥]، أي:" أليس في الأقسام المذكورة مَقْنَع لذي عقل؟"[١].

وفي «ذي الحجر» لأهل التفسير خمسة أقوال :

أحدها : لذي عقل ، قاله ابن عباس[٢]، والحسن-في رواية-[٣]، ومجاهد[٤]، وقتادة[٥]، وابن زيد[٦]، وبه قال الأخفش[٧]، والفراء[٨]، وأبي عبيدة[٩]، وابن قتيبة[١٠]، والطبري[١١].

قال ابن عباس:" لأولي النُّهى"[١٢].

قال ابن عباس:" لذي عقل، لذي نُهَي"[١٣].

قال ابن عباس:" لذي لُبّ، لذي حِجَى"[١٤].

قال ابن عباس:" ذو الحِجْر والنُّهى والعقل"[١٥].

قال ابن عباس-في رواية مجاهد-:" لذي عقل، لذي رأي، لذي قدرة، لذي نهى"[١٦].

قال مجاهد:" لذي عقل، لذي رأي"[١٧].

وقال الحسن: "لذي لُبّ"[١٨].

قال قتادة:" لذي حِجى، لذي عقل ولُبّ"[١٩].

قال ابن زيد:" لذي عقل، وقرأ: {لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}، و {لأولِي الألْبابِ}، وهم الذين عاتبهم الله وقال: العقل واللُّبّ واحد، إلا أنه يفترق في كلام العرب"[٢٠].

قال الطبري: المعنى:" إن في هذا القسم مكتفى لمن عقل عن ربه مما هو أغلظ منه في الإقسام"[٢١].

قال ابن كثير:" أي : لذي عقل ولب وحجا ودين"[٢٢].

وقال الفراء:" العرب تقول: إنه لذو حجر إذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها، كأنه أخذ من قولك: حجرت على الرجل"[٢٣].

أدر».

(١) التفسير الميسر: ٥٩٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٢/٢٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٣/٢٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٣/٢٤.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٣/٢٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٣/٢٤.

(٧) انظر: معاني القرآن: ٣١٣/١.

(٨) معاني القرآن: ٢٦٠/٣.

(٩) انظر: مجاز القرآن: ٢٩٧/٢.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٦/٢٤.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٢/٢٤.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٠٢/٢٤.

(١٣) أخرجه الطبري: ٤٠٢/٢٤.

(١٤) أخرجه الطبري: ٤٠٢/٢٤.

(١٥) أخرجه الطبري: ٤٠٢/٢٤.

(١٦) تفسير مجاهد: ٧٢٧.

(١٧) أخرجه الطبري: ٤٠٣/٢٤.

(١٨) أخرجه الطبري: ٤٠٣/٢٤.

(١٩) أخرجه الطبري: ٤٠٣/٢٤.

(٢٠) أخرجه الطبري: ٤٠٣/٢٤.

(٢١) تفسير الطبري: ٤٠٢/٢٤.

(٢٢) تفسير ابن كثير: ٣٩٤/٨.

(٢٣) معاني القرآن: ٢٦٠/٣.

قال الزجاج:" أي: لذي عقل ولب، ومعنى القسم توكيد ما يذكر وتصحيحه بأن يقسم"[١].

قال مقاتل:" فأقسم الله بيوم النحر، والعشر، وبآدم وحواء، وأقسم بنفسه، فلما فرغ منها قال: {هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ}، يعني: إن في ذلك القسم كفاية لذي اللب، يعنى ذا عقل، فيعرف عظم هذا القسم"[٢].

الثاني : لذي حلم ، قاله الحسن[٣].

الثالث : لذي دين، قاله محمد بن كعب[٤].

الرابع : لذي ستر من النار، قاله أبو مالك[٥].

الخامس : لذي علم، قاله أبو رجاء[٦].

السادس: لذي نهى وحلم وحياء. قاله عطاء الخراساني[٧].

والحجر : "المنع ، ومنه اشتق اسم الحجر لامتناعه بصلابته ، ولذلك سميت الحجرة لامتناع ما فيها بها ، ومنه سمي حجر المَولَّى عليه لما فيه من منعه عن التصرف ، فجاز أن يحمل معناه على كل واحد من هذه التأويلات لما يضمنه من المنع"[٨].

قال ابن الجوزي:" وسمي العقل حجْراً، لأنه يحجر صاحبه عن القبيح، وسمي عقلا، لأنه يعقل عمّا لا يحسن، وسمي العقل النُّهى، لأنه ينهى عما لا يحل. ومعنى الكلام: أن من كان ذا لبٍّ عَلِم أن ما أقسم الله به من هذه الأشياء، فيه دلائل على توحيد الله وقدرته، فهو حقيق أن يقسم به لدلالته"[٩].

قال ابن كثير :"وإنما سمي العقل حجْرًا لأنه يمنع الإنسان من تعاطي ما لا يليق به من الأفعال والأقوال، ومنه حجْرُ البيت لأنه يمنع الطائف من اللصوق بجداره الشامي. ومنه حجر اليمامة، وحَجَرَ الحاكم على فلان : إذا منعه التصرف، {وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا} [الفرقان : ٢٢]، كل هذا من قبيل واحد، ومعنى متقارب، وهذا القسم هو بأوقات العبادة، وبنفس العبادة من حج وصلاة وغير ذلك من أنواع القرب التي يتقرب بها إليه عباده المتقون المطيعون له، الخائفون منه، المتواضعون لديه، الخاشعون لوجهه الكريم"[١٠].

القرآن

{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨)} [الفجر : ٦-٨]

التفسير:

ألم تر -أيها الرسول- كيف فعل ربُّك بقوم عاد، قبيلة إرم، ذات القوة والأبنية المرفوعة على الأعمدة، التي لم يُخلق مثلها في البلاد في عِظَم الأجساد وقوة البأس؟

قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٨) إِرَمَ} [الفجر : ٨-٩]، أي:" ألم تر -أيها الرسول- كيف فعل ربُّك بقوم عاد، قبيلة إرم؟"[١١].

---

(١) معاني القرآن: ٣٢٢/٥.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٧/٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٣/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٥١):ص٣٤٢٥/١٠.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٢٦٧/٦.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٥٢):ص٣٤٢٥/١٠.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٢٦٧/٦.

(٧)الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي: ١٠٥.

(٨) النكت والعيون: ٢٦٧/٦.

(٩) زاد المسير: ٤٣٩/٤.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٩٤/٨.

(١١) التفسير الميسر: ٥٩٣.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تنظر يا محمد بعين قلبك، فترى كيف فعل ربك بعاد؟"[١].

قال ابن كثير:" هؤلاء كانوا متمردين عتاة جبارين، خارجين عن طاعته مكذبين لرسله، جاحدين لكتبه. فذكر تعالى كيف أهلكهم ودمرهم، وجعلهم أحاديث وعبَرا"[٢].

وفي قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٨) إِرَمَ} [الفجر : ٨-٩]، وجوه:

أحدها : أن «إرم»: هي الأرض، قاله قتادة[٣].

الثاني : دمشق ، قاله عكرمة[٤]، ورواه ابن أبي ذئب عن المقْبري[٥].

الثالث : الإسكندرية ، قاله محمد بن كعب[٦].

قال ابن كثير :" ومن زعم أن المراد بقوله :{إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ} مدينة إما دمشق، كما روي عن سعيد بن المسيب وعكرمة، أو اسكندرية كما رُوي عن القُرَظي أو غيرهما، ففيه نظر، فإنه كيف يلتئم الكلام على هذا :{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ} إن جعل ذلك بدلا أو عطف بيان، فإنه لا يتسق الكلام حينئذ. ثم المراد إنما هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد، وما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يُرَد، لا أن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم، وإنما نبهت على ذلك لئلا يُغْتَرَّ بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية، من ذكر مدينة يقال لها :{إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ} مبنية بلبن الذهب والفضة، قصورها ودورها وبساتينها، وإن حصباءها لآلئ وجواهر، وترابها بنادق المسك، وأنهارها سارحة، وثمارها ساقطة، ودورها لا أنيس بها، وسورها وأبوابها تصفر، ليس بها داع ولا مجيب. وأنها تنتقل فتارة تكون بأرض الشام، وتارة باليمن، وتارة بالعراق، وتارة بغير ذلك من البلاد - فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين، من وضع بعض زنادقتهم، ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك.

وذكر الثعلبي[٧] وغيره أن رجلا من الأعراب - وهو عبد الله بن قِلابة - في زمان معاوية ذهب في طلب أباعر له شردت، فبينما هو يتيه في ابتغائها، إذ طلع على مدينة عظيمة لها سور وأبواب، فدخلها فوجد فيها قريبًا مما ذكرناه من صفات المدينة الذهبية التي تقدم ذكرها، وأنه رجع فأخبر الناس، فذهبوا معه إلى المكان الذي قال فلم يروا شيئا.

---

(١) تفسير الطبري: ٤٠٣/٢٤.

(٢) تفسير ابن كثير: ٣٩٤/٨.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٢٦٨/٦.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٥٨):ص٣٤٢٦/١٠.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٤/٢٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٤/٢٤.

(٧) انظر: الكشف والبيان: ١٩٧/١٠، روي الثعلبي بسنده عن عن وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة أنّه خرج في طلب إبل له شردت، فبينما هو في صحاري عدن إذا هو قد وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن، وحول الحصن قصور كبيرة وأعلام طوال، فلمّا دنى منها ظنّ أنّ فيها أحدا يسأله عن إبله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته وعقلها وسلّ سيفه ودخل من باب الحصن، فلمّا دخل في الحصن إذا هو ببابين عظيمين لم ير أعظم منهما، والبابان مرصّعان بالياقوت الأبيض والأحمر فلمّا رأى ذلك دهش وأعجبه ففتح أحد البابين، فإذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها، وإذا قصور كل قصر معلّق تحته أعمدة من زبرجد وياقوت وفوق كلّ قصر منها غرف:

اعتبر يا أيها المغرور بالعمر المديد ... أنا شداد بن عاد صاحب الحصن المشيد
وأخو القوّة والبأساء والملك الحشيد ... دار أهل الأرض لي من خوف وعيدي ووعيد
وملكت الشرق والغرب بسلطان شديد ... وبفضل الملك والعدّة فيه والعديد
فأتى هود وكنّا في ضلال قبل هود ... فدعانا لو قبلناه إلى الأمر الرشيد
وعصيناه ونادى هل من محيد ... فأتتنا صيحة تهوي من الأفق البعيد
فتوافينا كزرع وسط بيداء حصيد".

وقد ذكر ابن أبي حاتم قصة {إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ} هاهنا مطولة جدا، فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها، ولو صح إلى ذلك الأعرابي فقد يكون اختلق ذلك، أو أنه أصابه نوع من الهَوَس والخبال فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج، وليس كذلك. وهذا مما يقطع بعدم صحته. وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجهلة والطامعين والمتحيلين، من وجود مطالب تحت الأرض، فيها قناطير الذهب والفضة، وألوان الجواهر واليواقيت واللآلئ والإكسير الكبير، لكن عليها موانع تمنع من الوصول إليها والأخذ منها، فيحتالون على أموال الأغنياء والضعفة والسفهاء، فيأكلونها بالباطل في صرفها في بخاخير وعقاقير، ونحو ذلك من الهذيانات، ويَطْنزون بهم. والذي يجزم به أن في الأرض دفائن جاهلية وإسلامية وكنوزًا كثيرة، من ظفر بشيء منها أمكنه تحويله فأما على الصفة التي زعموها فكذب وافتراء وبهت، ولم يصح في ذلك شيء مما يقولون إلا عن نقلهم أو نقل من أخذ عنهم، والله سبحانه وتعالى الهادي للصواب"[1].

الرابع : أن «إرم»: أمة من الأمم ، قاله مجاهد[2]، قال الشاعر[3]:

كما سحرت به إرم وعاد ..... فأضحوا مثل أحلام النيام

قال أبو عبيدة:" هما عادان: عاد الأخيرة، وعاد الأولى وهى:{إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ}، ذات الطول"[4].

الخامس : أنه اسم قبيلة من عاد، قاله قتادة[5]، والسدي[6].

قال قتادة:" كنا نحدّث أن إرم قبيلة من عاد، بيت مملكة عاد"[7].

قال قتادة:" «إرَمَ»: قبيلة من عاد كان يقال لهم: إرم، جدّ عاد"[8].

قال ابن كثير:" وهذا قول حسن جيد قوي"[9].

السادس : أن «إرم»: اسم جد عاد ، قاله محمد بن إسحاق[10]، وحكى عنه أنه أبوه ، وأنه عاد بن إرم بن عوض بن سام بن نوح.

عن ابن إسحاق: "{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ}، يقول الله: بعاد إرم، إن عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح"[11].

قال ابن كثير:" وهؤلاء عاد الأولى، وهم أولاد عاد بن إرم بن عَوص بن سام بن نوح، قاله ابن إسحاق وهم الذين بعث الله فيهم رسوله هودًا، عليه السلام، فكذبوه وخالفوه، فأنجاه الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم، وأهلكهم بريح صرصر عاتية، {سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ} [الحاقة : ٧، ٨]وقد ذكر الله قصتهم في القرآن في غير ما موضع، ليعتبر بمصرعهم المؤمنون، فقوله تعالى :{إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ} عطف بيان ؛ زيادة تعريف بهم "[12].

السابع : أن «إرم» : أمة قديمة، يعني : عادا الأولى. رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد[13].

الثامن : أنه الهلاك ، يقال : أرم بنو فلان ، أي: هلكوا ، قاله ابن عباس[1]، والضحاك[2].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٩٥/٨-٣٩٦.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٤/٢٤.
(٣) البيت لزهير في ديوانه: ١٠٠، (طبعة دار صادر ودار بيروت عام ١٣٧٩ هـ) .
(٤) مجاز القرآن: ٢٩٧/٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٤/٢٤.
(٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٩٥/٨.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٠٤/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٤٠٤/٢٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٣٩٥/٨.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٤/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٤٠٤/٢٤.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٣٩٤/٨.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٤/٢٤.

قال ابن عباس:" يعني بالإرم: الهالك؛ ألا ترى أنك تقول: أرم بنو فلان؟"[٣].

عن الضحاك:" {بِعَادٍ إِرَمَ}: الهلاك؛ ألا ترى أنك تقول أُرِمَ بنو فلان: أي هَلَكوا"[٤].

التاسع : أن الله تعالى رمّهم رّماً فجعلهم رميماً ، فلذلك سماهم ، قاله السدي[٥].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك أن يُقال: إن إرم إما بلدة كانت عاد تسكنها، فلذلك ردّت على عاد للإتباع لها، ولم يجر من أجل ذلك، وإما اسم قبيلة فلم يُجر أيضا، كما لا يُجْرى أسماء القبائل، كتميم وبكر، وما أشبه ذلك إذا أرادوا به القبيلة، وأما اسم عاد فلم يجر، إذ كان اسما أعجميا. فأما ما ذُكر عن مجاهد أنه قال: عُنِيَ بذلك القديمة، فقول لا معنى له، لأن ذلك لو كان معناه لكان محفوظا بالتنوين، وفي ترك الإجراء الدليل على أنه ليس بنعت ولا صفة. وأشبه الأقوال فيه بالصواب عندي أنها اسم قبيلة من عاد، ولذلك جاءت القراءة بترك إضافة عاد إليها، وترك إجرائها، كما يقال: ألم تر ما فعل ربك بتميم نهشل؟ فيترك إجراء نهشل، وهي قبيلة، فترك إجراؤها لذلك، وهي في موضع خفض بالردّ على تميم، ولو كانت إرم اسم بلدة، أو اسم جدّ لعاد لجاءت القراءة بإضافة عاد إليها، كما يقال: هذا عمروُ زبيدٍ وحاتمُ طيئ، وأعشى هَمْدانَ، ولكنها اسم قبيلة منها فيما أرى، كما قال قتادة، والله أعلم، فلذلك أجمعت القرّاء فيها على ترك الإضافة وترك الإجراء"[٦].

قال ابن كثير:" وقولُ ابن جرير : يحتمل أن يكون المراد بقوله :{إِرَمَ} قبيلة أو بلدة كانت عاد تسكنها فلذلك لم تُصرَف فيه نظر ؛ لأن المراد من السياق إنما هو الإخبار عن القبيلة، ولهذا قال بعده :{وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ}"[٧].

قوله تعالى:{ذَاتِ الْعِمَادِ} [الفجر : ٨]، أي:" ذات القوة والأبنية المرفوعة على الأعمدة"[٨].

وفي قوله تعالى:{ذَاتِ الْعِمَادِ} [الفجر : ٨]، وجوه:

أحدها : ذات الطُّول، قاله ابن عباس[٩]، وأبو عبيدة[١٠]، مأخوذ من قولهم: رجل معمّد ، إذا كان طويلاً .

قال ابن عباس:" يعني: طولهم مثل العماد"[١١].

قال مجاهد:" كان لهم جسم في السماء"[١٢].

وقال مقاتل:" يعني: ذات الأساطين وهي أساطين الرهبانيين التي تكون في الفيافي والرمال، فشبه الله- عز وجل- طولهم إذ كانوا قياما في البرية بأنه مثل العماد، وكان طول أحدهم ثمانية عشر ذراعا ويقال اثني عشر ذراعا في السماء مثل أعظم أسطوانة تكون"[١٣].

الثاني : ذات العماد، لأنهم كانوا أهل خيام وأعمدة، ينتجعون الغيوث، قاله مجاهد[١٤]، وقتادة[١]، وقتادة[١]، والفراء[٢].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٥/٢٤.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٢٦٨/٦.
(٣) أخرجه الطبري: ٤٠٥/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٤٠٥/٢٤.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٢٦٨/٦.
(٦) تفسير الطبري: ٤٠٥/٢٤.
(٧) تفسير ابن كثير: ٣٩٦/٨.
(٨) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٥/٢٤-٤٠٦.
(١٠) انظر: مجاز القرآن: ٢٩٧/٢.
(١١) أخرجه الطبري: ٤٠٥/٢٤-٤٠٦.
(١٢) أخرجه الطبري: ٤٠٥/٢٤-٤٠٦.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٧/٤-٦٨٨.
(١٤) انظر: تفسير الطبري :٤٠٦/٢٤.

قال الفراء:" {إرم} تابعة لعاد، و{العماد}: أنهم كانوا أهل عمد ينتقلون إلى الكلأ حيث كان، ثم يرجعون إلى منازلهم"[٣].

قال ابن كثير:" لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشَّعر التي ترفع بالأعمدة الشداد، وقد كانوا أشد الناس في زمانهم خلقة وأقواهم بطشا، ولهذا ذكَّرهم هود بتلك النعمة وأرشدهم إلى أن يستعملوها في طاعة ربهم الذي خلقهم، فقال :{وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [الأعراف : ٦٩]. وقال تعالى : {فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً} [فصلت : ١٥]"[٤].

عن مجاهد: "{الْعِمَادِ}، قال: أهل عَمُود لا يقيمون"[٥].

قال قتادة:" ذُكر لنا أنهم كانوا أهل عَمُود لا يقيمون، سيارة"[٦].

قال قتادة:" كانوا أهلَ عمود"[٧].

الثالث : ذات القوة والشدة ، مأخوذ من قوة: الأعمدة ، قاله الضحاك[٨].

عن الضحاك:" {ذَاتِ الْعِمَادِ}، يعني: الشدّة والقوّة"[٩].

عن ثور بن زيد الديلي قال: "قرأت كتابا قد سمى حيث قرأه: أنا شداد بن عاد وأنا الذي رفعت العماد، وأنا الذي شددت بذراعي نظر واحد وأنا الذي كنزت كنزا على سبعة أذرع، لا يخرجه إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم"[١٠].

عن المقدام عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه ذكر إرم ذات العماد فقال: "كان الرجل منهم يأتي على الصخرة فيحملها على الحي فيهلكهم"[١١].

الرابع : قيل ذلك لهم لبناء بناه بعضهم، فشيَّد عَمَده، ورفع بناءه، قاله ابن زيد[١٢].

قال ابن زيد، في قوله: "{إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ}، قال: عاد قوم هود بنَوها وعملوها حين كانوا في الأحقاف، قال: {لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا}، مثل تلك الأعمال في البلاد، قال: وكذلك في الأحقاف في حضرموت، ثم كانت عاد، قال: وثم أحقاف الرمل، كما قال الله: بالأحقاف من الرمل، رمال أمثال الجبال تكون مظلة مجوّفة"[١٣].

قال الطبري:" وأشبه الأقوال في ذلك بما دلّ عليه ظاهر التنزيل قول من قال: عُنِيَ بذلك أنهم كانوا أهل عمود، سيارة لأن المعروف في كلام العرب من العماد، ما عمل به الخيام من الخشب والسواري التي يحمل عليها البناء، ولا يعلم بناء كان لهم بالعماد بخبر صحيح، بل وجه أهل التأويل قوله: {ذَاتِ الْعِمَادِ} إلى أنه عُنِيَ به طول أجسامهم، وبعضهم إلى أنه عُنِيَ به عماد خيامهم، فأما عماد البنيان، فلا يعلم كثير أحد من أهل التأويل وجهه إليه، وتأويل القرآن إنما يوجه إلى الأغلب الأشهر من معانيه ما وجد إلى ذلك سبيلا دون الأنكر"[١٤].

---

(١) انظر: تفسير الطبري :٤٠٦/٢٤.
(٢) انظر: معاني القرآن: ٢٦٠/٣.
(٣) معاني القرآن: ٢٦٠/٣.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٩٤/٨-٣٩٥.
(٥) أخرجه الطبري: ٤٠٦/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٤٠٦/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٠٦/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري :٤٠٦/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٦٠):ص٣٤٢٦/١٠.
(٩) أخرجه الطبري: ٤٠٦/٢٤.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٥٥):ص٣٤٢٥/١٠.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٥٤):ص٣٤٢٥/١٠.
(١٢) انظر: تفسير الطبري :٤٠٦/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٤٠٦/٢٤.
(١٤) تفسير الطبري: ٤٠٦/٢٤-٤٠٧.

قال ابن كثير :" فعلى كل قول سواء كانت العماد أبنية بنوها، أو أعمدة بيوتهم للبدو، أو سلاحا يقاتلون به، أو طول الواحد منهم - فهم قبيلة وأمة من الأمم، وهم المذكورون في القرآن في غير ما موضع، المقرونون بثمود كما هاهنا، والله أعلم"[١].

قوله تعالى:{الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ} [الفجر : ٨]، أي:" التي لم يُخلق مثلها في البلاد في عِظَم الأجساد وقوة البأس"[٢].

وفي قوله تعالى:{الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ} [الفجر : ٨]، وجهان:

أحدهما : لم يخلق مثل مدينتهم ذات العماد في البلاد ، قاله عكرمة[٣]، وابن زيد[٤].

قال الطبري:" وهذا قول لا وجه له، لأن العماد واحد مذكر، والتي للأنثى، ولا يوصف المذكر بالتي، ولو كان ذلك من صفة العماد لقيل: الذي لم يخلق مثله في البلاد، وإن جعلت التي لإرم، وجعلت الهاء عائدة في قوله: {مِثْلُهَا} عليها، وقيل: هي دمشق أو إسكندرية، فإن بلاد عاد هي التي وصفها الله في كتابه فقال: {وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ} والأحقاف: هي جمع حِقْف، وهو ما انعطف من الرمل وانحنى، وليست الإسكندرية ولا دمشق من بلاد الرمال، بل ذلك الشِّحْرَ من بلاد حضرموت، وما والاها"[٥].

قال ابن كثير :"وقول ابن زيد ومن ذهب مذهبه ضعيف ؛ لأنه لو كان أراد ذلك لقال : التي لم يعمل مثلها في البلاد، وإنما قال :{لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ}"[٦].

الثاني : لم يخلق مثل قوم عاد في البلاد ، لطولهم وشدتهم ، قاله الحسن[٧]، وقتادة[٨].

قال ابن كثير:" أي : القبيلة التي لم يخلق مثلها في بلادهم، لقوتهم وشدتهم وعظم تركيبهم"[٩].

قال قتادة:" ذكر أنهم كانوا اثني عشر ذراعا طولا في السماء"[١٠].

قال مقاتل:" يقول ما خلق الله- عز وجل-: مثل قوم عاد في الآدميين، ولا مثل إرم في قوم عاد"[١١].

قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه: ألم تر كيف فعل ربك بعاد، إرم التي لم يخلق مثلها في البلاد، يعني: مثل عاد، والهاء عائدة على «عاد». وجائز أن تكون عائدة على إرم لما قد بينا قبل أنها قبيلة. وإنما عُنِيَ بقوله: لم يُخْلق مثلها في العِظَم والبطش والأيد"[١٢].

القرآن

{وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩)} [الفجر : ٩]

التفسير:

وكيف فعل بثمود قوم صالح الذين قطعوا الصخر بالوادي واتخذوا منه بيوتًا؟

قال مقاتل:" ثمود هو أبوهم، وبذلك سماهم، وهم قوم صالح"[١٣].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٩٥/٨.
(٢) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٢٦٨/٦.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٧/٢٤.
(٥) تفسير الطبري: ٤٠٧/٢٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٩٥/٨.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٢٦٨/٦.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٧/٢٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٣٩٥/٨.
(١٠) أخرجه الطبري: ٤٠٧/٢٤.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٨/٤.
(١٢) تفسير الطبري: ٤٠٧/٢٤.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٨/٤.

وفي تفسير الآية قولان:
أحدهما : يعني: قطعوا الصخر ونقبوه ونحتوه حتى جعلوه بيوتاً، قاله ابن عباس[١]، ومجاهد[٢]، وقتادة[٣]، والضحاك[٤]، وابن زيد[٥]، ومقاتل[٦]، والفراء[٧]، وأبو عبيدة[٨]، والطبري[٩]، كما قال تعالى : {وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ} [الشعراء : ١٤٩].
عن ابن عباس: "{وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ}، يقول: فخرقوها"[١٠].
قال ابن عباس:" يعني: ثمود قوم صالح، كانوا ينحتون من الجبال بيوتا"[١١].
قال مجاهد:" جابوا الجبال، فجعلوها بيوتا"[١٢].
قال قتادة:" نَقبوا الصخر"[١٣].
قال قتادة:" جابوها ونحتوها بيوتا"[١٤].
قال الضحاك:" يقول: قَدُّوا الحجارة"[١٥].
قال ابن زيد:" ضربوا البيوت والمساكن في الصخر في الجبال، حتى جعلوا فيها مساكن"[١٦].
قال ابن كثير:" يعني : يقطعون الصخر بالوادي"[١٧].
قال الفراء:" خرقوا الصخر، فاتخذوه بيوتا"[١٨].
قال مقاتل:" يعني: الذين نقبوا الصخر بالوادي، وذلك أنهم كانوا يعمدون إلى أعظم جبل فيثقبونه فيجعلونه بيتا، ويجعلون بابه منها، وغلقه منها، فذلك قوله: {وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ} [الشعراء : ١٤٩]"[١٩].
الثاني : معناه: طافوا لأخذ الصخر بالوادي، حكاه أبو عبيدة[٢٠]، كما قال الشاعر[٢١]:
ولاَ رأيْتُ قَلوصاً قبلَها حَمَلَتْ ... سِتِّين وَسْقاً ولا جابَتْ بها بلداً
وقول الآخر[٢٢]:

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٨/٢٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٨/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٨/٢٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٨/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٨/٢٤.
(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٨/٤.
(٧) انظر: معاني القرآن: ٢٦١/٣.
(٨) انظر: مجاز القرآن: ٢٩٧/٢.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٧/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٤٠٨/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٤٠٨/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٤٠٨/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٤٠٨/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٤٠٨/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٤٠٨/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ٤٠٨/٢٤.
(١٧) تفسير ابن كثير: ٣٩٦/٨.
(١٨) معاني القرآن: ٢٦١/٣.
(١٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٨/٤.
(٢٠) انظر: مجاز القرآن: ٢٩٧/٢.
(٢١) البيت أبي وجزة، وهو يصف صحيفة كتب له فيها بستّين وسقا، انظر: الحيوان: ٢٠٣/٢، والكامل في اللغة والأدب: ١٥٢/١، والتذكرة الحمدونية: ٢٠٣/٢.
(٢٢)البيت للنابغة الجعدي، كما في الأغاني: (٥/ ٢٨)، واللسان (عثم) والبيت في مدح عبد الله بن الزبير، وأبو ليلى هو النابغة الجعدي.

أتاكَ أَبُو لَيْلَى يَجُوبُ بِهِ الدُّجَى ... دُجَى اللَّيلِ جَوّابُ الفَلاةِ عَمِيمُ

قال أبو عبيدة:" ويجوب الفلاة -أيضا-: يدخل فيها ويقطعها"[١].

وأما «الواد»، فقد زعم محمد بن إسحاق أنه وادي القرى[٢].

وروى أبو الأشهب عن أبي نضرة، قال: كان رسول الله عليه السلام في غزوة تبوك، فأتى على وادي ثمود وهو على فرس شقراء، فقال: «أسرعوا السير فإنكم في واد ملعون»[٣].

قال قتادة:" ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لما مرّ بوادي ثمود، وهو عامد إلى تبوك قال: فأمر أصحابه أن يسرعوا السير، وأن لا ينزلوا به، ولا يشربوا من مائه، وأخبرهم أنه وادٍ ملعون"[٤].

القرآن

{وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠)} [الفجر : ١٠]

التفسير:

وكيف فعل بفرعون مَلِك «مصر» ، صاحب الجنود الذين ثبَّتوا مُلْكه، وقوَّوا له أمره؟

قال مقاتل:" فرعون: واسمه مصعب بن جبر، ويقال: الوليد بن مصعب"[٥].

وفي تفسير الآية أربعة أقوال:

أحدها : أن الأوتاد الجنود، فلذلك سمي بذي الأوتاد لكثرة جنوده ، قاله ابن عباس[٦].

قال ابن عباس:" الأوتاد: الجنود الذين يشدّون له أمره"[٧].

قال النحاس:" أي: ذي الجنود الكثيرة المحتاجة لضرب الأوتاد في أسفارها"[٨].

قال الثعلبي: يعني: " أراد ذا الجنود والجموع الذين يقوّون أمره ويسدّدون مملكته، وسمّي الأجناد أوتادا لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتّدونها في أسفارهم"[٩].

الثاني : لأنه كان يعذب الناس بالأوتاد يشدها في أيديهم ، قاله ابن عباس-أيضا-[١٠]، والحسن[١١]، وسعيد بن جبير[١٢]، ومجاهد[١٣].

قال الزجاج:" لأنه كان له أربع أساطين، إذا عاقب الانسان ربط منه كل قائمة إلى اسطوانة من تلك الأساطين"[١٤].

قال مجاهد:" كان يوتد الناس بالأوتاد"[١٥].

قال الحسن:" كان يُعَذِّب بالأوتاد"[١٦].

---

(١) مجاز القرآن: ٢٩٧/٢.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٢٦٩/٦.
(٣) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٥٣/٢.
(٤) أخرجه الطبري: ٣٧٩/١٥.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٨/٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٩/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٠٩/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٢٦١):ص٣٤٢٦/١٠.
(٨) إعراب القرآن: ١٣٨/٥.
(٩) الكشف والبيان: ١٩٧/١٠.
(١٠)أخرجه الثعلبي ١٠/ ١٩٨، والبغوي ٨/ ٤١٩.
(١١)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤١٠/٢٤.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٩/٢٤.
(١٤) معاني القرآن: ٣٢٢/٥.
(١٥) أخرجه الطبري: ٤٠٩/٢٤.
(١٦)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

قال السدي:" كان فرعون إذا أراد أن يقتل أحدًا ربطه بأربعة أوتاد على صخرة، ثم أرسَل عليه صخرة مِن فوقه، فشَدخه، وهو ينظر إليها، قد رُبِط بكلّ وتد منها قائمة"[١].

عن أبي رافع، قال:" وتَّد فرعونُ لامرأته أربعة أوتاد، ثم جعل على ظهرها رحًا عظيمة حتى ماتت"[٢].

قال سعيد بن جبير:" كان يجعل رجلا هاهنا ورجلا هاهنا، ويدا هاهنا ويدا هاهنا بالأوتاد"[٣].

قال الكلبي : "بمثل ذلك عذب فرعون زوجته آسية بنت مزاحم عندما آمنت حتى ماتت"[٤].

عن أبي رافع، قال: "أوتد فرعون لامرأته أربعة أوتاد، ثم جعل على ظهرها رحا عظيمة حتى ماتت"[٥].

قال الفراء:" كان إذا غضب على الرجل مده بين أربعة أوتاد حتى يموت معذبا، وكذلك فعل بامرأته آسية ابنة مزاحم، فسمى بهذا لذلك"[٦].

قال مقاتل:" وذلك أنه أوثق الماشطة على أربع قوائم مستلقية، ثم سرح عليها الحيات والعقارب، فلم يزلن يلسعنها ويلدغنها، ويدخلون من قبلها ويخرجون من فيها حتى ذابت كما يذوب الرصاص لأنها تكلمت بالتوحيد، وذلك أنها كانت تمشط هيجل بنت فرعون، فوقع المشط من يدها فقالت: «باسم الله وخيبة لمن كفر بالله»، فقالت ابنة فرعون: وأيّ إله هذا الذي تذكرين؟ قالت: إله موسى. فذهبت، فأخبرت أباها، فكان من أمرها ما كان، فذلك قوله: {وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ}، يقول: إنه أوثق امرأة على أربع قوائم من أجل أنها عرفتني"[٧].

عن عبد الله بن عباس -من طريق إسحاق بن بشر، عن ابن سمعان، عن عطاء-:" أنّ فرعون إنما سُمّي {ذي الأوتاد} لأنه كانت امرأة -وهي امرأة خازن فرعون حزبيل، وكان مؤمنًا كتم إيمانه مائة سنة، وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون- فبينما هي ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها، فقالت: تعس مَن كفر بالله. فقالت بنت فرعون: وهل لك مِن إلهٍ غير أبي؟ فقالت: إلهي وإله أبيك وإله السماوات والأرض واحد لا شريك له. فقامت، فدخلت على أبيها وهي تبكي، فقال: ما يبكيك؟ قالت: الماشطة امرأة خازنك تزعم أنّ إلهك وإلهها وإله السماوات والأرض واحد لا شريك له. فأرسَل إليها، فسألها عن ذلك، فقالت: صدقتْ. فقال لها: ويحكِ، اكفري بإلهكِ وأقِرِّي بأني إلهكِ. قالت: لا أفعل. فمدَّها بين أربعة أوتاد، ثم أرسَل عليها الحيّات والعقارب، وقال لها: اكفري بإلهكِ، وإلا عذّبتُك بهذا العذاب شهرين. فقالت له: ولو عذَّبتني سبعين شهرًا ما كفرتُ بالله. وكان لها ابنتان، فجاء بابنتها الكبرى، فذبحها على قُربٍ منها، وقال لها: اكفري بالله، وإلا ذبحتُ الصغرى على قلبكِ. وكانت رضيعًا، فقالتْ: لو ذبحتَ مَن على وجه الأرض على فِيَّ ما كفرتُ بالله - عز وجل -. فأتى بابنتها الصغرى، فلما أُضجعتْ على صدرها وأرادوا ذبحها جزعت المرأة، فأطلق الله لسان ابنتها، فتكلّمتْ، وهي مِن الأربعة الذين تَكلّموا أطفالًا، وقالت: يا أُمّاه، لا تجزعي؛ فإنّ الله قد بنى لكِ بيتًا في الجنة، اصبري فإنّك تُفْضِين إلى رحمة الله وكرامته. فذُبحتْ، فلم تلبث أن ماتتْ، فأسكنها الله الجنة. قال: وبعث في طلب زوجها حزبيل، فلم يقدروا عليه، فقيل لفرعون: إنّه قد رُئِي في موضع كذا وكذا في جبل كذا. فبعث رجلين في طلبه، فانتهيا إليه وهو يُصلّي، ويليه

---

(١)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.
(٢)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٧١.
(٣) أخرجه الطبري: ٤١٠/٢٤.
(٤) نقلا عن: النكت والعيون: ٢٦٩/٦.
(٥) معاني القرآن: ٢٦١/٣.
(٦) معاني القرآن: ٢٦١/٣.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٨/٤-٦٨٩.

صفوف من الوحوش خلفه يُصلُّون، فلمّا رأيا ذلك انصرفا، فقال حزبيل: اللهم، إنّك تعلم أنّي كتمتُ إيماني مائة سنة، ولم يظهر عَلَيَّ أحد، فأيّما هذان الرجلين كتم عليَّ فاهدِه إلى دينك، وأعْطِه مِن الدنيا سُؤْلَه، وأيّما هذين الرجلين أظهر عليَّ فعجِّل عقوبته في الدنيا، واجعل مصيره في الآخرة إلى النار. فانصرف الرجلان إلى فرعون، فأمّا أحدهما فاعتبر وآمن، وأمّا الآخر فأخبر فرعون بالقصة على رؤوس الملأ، فقال له فرعون: وهل كان معك غيرك؟ قال: نعم، فلان. فدعا به، فقال: أحقٌّ ما يقول هذا؟ قال: لا، ما رأيتُ مما قال شيئًا. فأعطاه فرعون وأجزل، وأمّا الآخر فقتله، ثم صلبه. قال: وكان فرعون قد تزوج امرأة مِن نساء بني إسرائيل يقال لها: آسية بنت مزاحم، فرأتْ ما صنع فرعونُ بالماشطة، فقالت: وكيف يسعني أنْ أصبر على ما يأتي به فرعون، وأنا مسلمة وهو كافر؟ فبينما هي كذلك تُؤامِر نفسها إذ دخل عليها فرعون، فجلس قريبًا منها، فقالت: يا فرعون، أنتَ شرُّ الخَلْق وأخبثهم، عمدتَ إلى الماشطة فقتلتَها! قال: فلعلّ بك الجنون الذي كان بها؟ قالت: ما بي مِن جنون، وإنّ إلهي وإلهها وإلهك وإله السماوات والأرض واحد لا شريك له. فمزَّق عليها ثيابها، وضربها، وأرسَل إلى أبويها فدعاهما، فقال لهما: ألا تريان أنّ الجنون الذي كان بالماشطة أصابها؟ قالت: أعوذ بالله مِن ذلك، إني أشهد أنّ ربي وربَّك وربّ السماوات والأرض واحدٌ لا شريك له. فقال لها أبوها: يا آسية، ألستِ مِن خير نساء العماليق، وزوجكِ إله العماليق؟ قالت: أعوذ بالله مِن ذلك، إن كان ما يقول حقًّا فقولا له أن يتوّجني تاجًا تكون الشمس أمامه، والقمر خلفه، والكواكب حوله. فقال لهما فرعون: اخرجا عني. فمدَّها بين أربعة أوتاد يُعذّبها، ففتح الله لها بابًا إلى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون، فعند ذلك قالت: {رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين} [التحريم: ١١]. فقبض الله روحها، وأسكنها الجنة"[١].

الثالث : أن الأوتاد: بنيان ومنارات، يعذّب الناس عليها. قاله سعيد بن جبير[٢].

وعن الضحاك:" أن الأوتاد: البنيان، فسمي بذي الأوتاد لكثرة بنائه"[٣].

وقال محمد بن كعب: "يعني: ذا البناء المحكم"[٤].

الرابع : لأنه كانت له مظال وملاعب على أوتاد وحبال يلعب له تحتها ، قاله قتادة[٥].

قال قتادة:" ذي البناء، كانت مظال يلعب له تحتها، وأوتادا تضرب له"[٦].

قال قتادة:" كانت له أوتاد، وأرسان وملاعب يلعب له عليها"[٧].

قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: عُنِيَ بذلك: الأوتاد التي تُوتَد، من خشب كانت أو حديد، لأن ذلك هو المعروف من معاني الأوتاد، ووصف بذلك لأنه إما أن يكون كان يعذّب الناس بها، كما قال أبو رافع وسعيد بن جُبير، وإما أن يكون كان يُلعب له بها"[٨].

القرآن

{الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤)} [الفجر : ١١-١٤]

التفسير:

---

(١)أخرجه الثعلبي ١٠/ ١٩٨، والبغوي ٨/ ٤١٩.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤١٠/٢٤.

(٣) نقلا عن: النكت والعيون: ٢٦٩/٦.

(٤) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٩٨/١٠.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٩/٢٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٠٩/٢٤، وعبدالرزاق(٣٦٠٢):ص٤٢٥/٣، مختصرا.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٣٣٥):ص٣٢٣٦/١٠.

(٨) تفسير الطبري: ٤١٠/٢٤.

هؤلاء الذين استبدُّوا، وظلموا في بلاد الله، فأكثروا فيها بظلمهم الفساد، فصب عليهم ربُّك عذابا شديدا. إنَّ ربك -أيها الرسول- لبالمرصاد لمن يعصيه، يمهله قليلا ثم يأخذه أَخْذَ عزيز مقتدر.

قوله تعالى:{الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ} [الفجر : ١١]، أي:" هؤلاء الذين استبدُّوا، وظلموا في بلاد الله"(١).

قال ابن كثير:" أي : تمردوا وعتوا"(٢).

قال الطبري: يعني: " عادًا وثمود وفرعون وجنده، تجاوزوا ما أباحه لهم ربهم، وعتوا على ربهم إلى ما حظره عليهم من الكفر به {فِي الْبِلَادِ} التي كانوا فيها"(٣).

قال مقاتل:" جمع عادا وثمود وفرعون، فقال: {الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ}، يعني: الذين عملوا فيها بالمعاصي"(٤).

قوله تعالى:{فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ} [الفجر : ١٢]، أي:" فأكثروا فيها بظلمهم الفساد"(٥).

قال السدي:" بالمعاصي"(٦).

قال ابن كثير:" وعاثوا في الأرض بالإفساد والأذية للناس "(٧).

قال الطبري: " فأكثروا في البلاد المعاصي، وركوب ما حرّم الله عليهم"(٨).

قال مقاتل:" يقول: فأكثروا فيها المعاصي"(٩).

قوله تعالى:{فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ} [الفجر : ١٣]، أي:" فصب عليهم ربُّك عذابا شديدا"(١٠).

قال الطبري: " فأنزل بهم يا محمد ربك عذابه، وأحلّ بهم نقمته، بما أفسدوا في البلاد، وطغَوْا على الله فيها"(١١).

قال ابن كثير:" أي : أنزل عليهم رجزا من السماء، وأحل بهم عقوبة لا يردها عن القوم المجرمين "(١٢).

وفي قوله تعالى:{فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ} [الفجر : ١٣]، وجوه:

أحدها : خلط عذاب، وهو ما خلط لهم من أنواع العذاب، بعضها ببعض، كقوله: {فليذوقوه حميمٌ وغساقٌ وآخر من شكله أزواجٌ} [ص: ٥٦ - ٥٧]، حكاه الماوردي(١٣)، ومنه قول الآخر(١٤):

أحارثُ إنّا لو تُساطُ دماؤنا ... تَزَيَّلْنَ حتى لا يَمسَّ دَمٌ دَمَا

قال البيضاوي:" {سَوْطَ عَذَابٍ}: هو ما خلط لهم من أنواع العذاب، وأصله: الخلط، وإنما سمي به الجلد المضفور الذي يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض"(١٥).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٩٧/٨.
(٣) تفسير الطبري: ٤١٠/٢٤.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٩/٤.
(٥) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(٦)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٧) تفسير ابن كثير: ٣٩٧/٨.
(٨) تفسير الطبري: ٤١٠/٢٤.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٩/٤.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(١١) تفسير الطبري: ٤١٠/٢٤.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٣٩٧/٨.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٢٧٠/٦.
(١٤) البيت للمتلمّس في الأصمعيات: ٢٤٥، والبيان والتبيين: ٤١/٣، والحيوان: ٧٠/٣، والشعر والشعراء: ١٧٩، والعقد الفريد: ٢٠٦/٦.
(١٥) تفسير البيضاوي: ٣١٠/٥.

الثاني: أي: عذاب يخالط اللحم والدم، من قولهم: يسوطه سوطا، أي: خلطه، فالسوط: خلط الشيء بعضه ببعض، قاله ابن عيسى[١]، ومنه قول كعب بن زهير[٢]:

لكِنَّها خُلَّةٌ، قدْ سِيطَ مِنْ دَمِها ... فَجْعٌ وَوَلْعٌ، وإخْلافٌ وتَبْدِيلُ

قال السمين الحلبي:" السوط: في الأصل مصدر ساطه يسوطه، أي: خلطه ..فسمي به هذه الآلة المعروفة التي يعاقب بها، وهو ما يضفر من الجلود لأنه يخلط اللحم بالدم. فقوله: {سوط عذابٍ} على التشبيه بما يعرفون ألمه وإيجاعه، وإلا فشتان ما بين السوطين! وما أبلغ هذه الاستعارة عند أهل الذوق! وقيل: سمي سوطًا لاختلاط طاقاته بعضها ببعضٍ"[٣].

قال الراغب:" السَّوْطُ: الجلد المضفور الذي يضرب به، وأصل السَّوْطِ: خلط الشيء بعضه ببعض، يقال: سُطْتُهُ وسَوَّطْتُهُ، فالسّوط يسمّى سوطا لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض"[٤].

الثالث : أن هذا على الاستعارة، لأنّ السوط عندهم غاية العذاب، فجرى ذلك لكلّ عذاب، حكاه الثعلبي[٥]، قال الشاعر[٦]:

أَلَمْ تَرَ أنَّ اللَّهَ أظْهَرَ دِيْنَهُ ... وَصَبَّ عَلَى الْكُفَّارِ سَوْطَ عَذَابِ

قال القشيري:" أي: شدة العذاب"[٧].

وقال أبو الليث:" يعني: شديد العذاب حتى أهلكهم"[٨].

قال الشوكاني:" قيل: ذكر «السوط» للدلالة على شدة ما نزل بهم، وكان السوط عندهم هو نهاية ما يعذب به"[٩].

الرابع : قسط عذاب، كالعذاب بالسوط الذي يعرف إلا أنه أعظم، قاله ابن عيسى [١٠]، وابن فورك[١١]، وابن أبي زمنين[١٢].

وقال غلام ثعلب:" قِطْعَة عَذَاب "[١٣].

قال الشوكاني:" معنى «سوط عذاب»: نصيب عذاب"[١٤].

وقال السدي:"أي: "كلّ يوم لون آخر من العذاب"[١٥].

وعن قتادة:" يعني: "لونا من العذاب صبّه عليهم"[١٦].

وعن عمرو بن عبيد :" كان الحسن: إذا قرأ هذه الآية، قال: إن عند الله أسواطا كثيرة، فأخذهم بسوط منها"[١٧].

الخامس : أنه وجع من العذاب ، قاله السدي[١].

---

(١) انظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل: ١٣٣٨/٢.
(٢) البيت له في اللسان، وتاج العروس، مادة(سوط)، .
(٣) عمدة الحفاظ: ٢٣٤/٢.
(٤) المفردات في غريب القرآن: ٤٣٤.
(٥) انظر: الكشف والبيان: ١٩٩/١٠.
(٦) البيت بلا نسبة في الكشف والبيان: ٢٠٠/١٠، وتفسير القرطبي: ٤٩/٢٠، واللباب في علوم الكتاب: ٣٢٢/٢٠.
(٧) لطائف الإشارات: ٧٢٦/٣.
(٨) بحر العلوم: ٥٧٩/٣.
(٩) فتح القدير: ٥٣١/٥.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٢٦٩/٦.
(١١) انظر: تفسير ابن فورك: ٢١٤/٣.
(١٢) تفسير ابن أبي زمنين: ١٢٨/٥.
(١٣) انظر: ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن: ٥٧٥.
(١٤) فتح القدير: ٥٣١/٥.
(١٥) انظر: الكشف والبيان: ١٩٩/١٠.
(١٦) انظر: الكشف والبيان: ١٩٩/١٠.
(١٧) نقلا عن: الكشاف: ٧٤٨/٤، ومفاتيح الغيب: ١٥٤/٣١، وتفسير القرطبي: ٥٠/٢٠

السادس : أن العذاب الذي عذّبهم به سماه: سوط عذاب، قاله مجاهد[٢]، وقتادة[٣]، وابن زيد[٤].

عن مجاهد: {سَوْطَ عَذَابٍ}، قال: ما عذّبوا به"[٥].

وقال قتادة : "كان سوط عذاب هو الغرق"[٦].

قال قتادة:" كلّ شيء عذّب اللهُ به فهو سَوْط عذاب"[٧].

قال الفراء:" هذه كلمة تقولها العرب لكل نوع من العذاب، تدخل فيه السوط. جرى به الكلام والمثل. ونرى ذلك: أن السوط من عذابهم الذي يعذبون به، فجرى لكل عذاب إذ كان فيه عندهم غاية العذاب"[٨].

السابع : يعني: نقمته، وكانت نقمته عذابا. قاله مقاتل[٩].

الثامن : أنهم كانوا يعدون الضرب بالسياط إلى أن يموت أشد العذاب، فذكر العذاب بذكر «السوط» -هاهنا-، على معنى أنه بلغ النهاية في عذابهم. حكاه السمعاني[١٠].

وحكي الماتريدي: أنه" عذبهم بسوطهم الذي كانوا به يعذبون الخلق، ويضربونهم"[١١].

قال الزمخشري:" يقال: صب عليه السوط، وغشاه وقنعه، وذكر السوط: إشارة إلى أن ما أحله بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس إلى ما أعدّلهم في الآخرة، كالسوط إذا قيس إلى سائر ما يعذب به"[١٢].

قال ابن عطية:" «الصب» يستعمل في السوط لأنه يقتضي سرعة في النزول..وإنما خص «السوط» بأن يستعار للعذاب لأنه يقتضي من التكرار والترداد ما لا يقتضيه السيف ولا غيره"[١٣].

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} [الفجر : ١٤]، أي:" إنَّ ربك -أيها الرسول- لبالمرصاد لمن يعصيه، يمهله قليلا ثم يأخذه أخْذ عزيز مقتدر"[١٤].

عن الضحاك في هذه الآية، قال: إذا كان يوم القيامة، يأمر الربّ بكرسيه، فيوضع على النار، فيستوي عليه، ثم يقول: وعزّتي وجلالي، لا يتجاوزني اليوم ذو مَظلِمة، فذلك قوله: {لَبِالْمِرْصَادِ}"[١٥].

وفي قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} [الفجر : ١٤]، وجوه من التفسير:[١٦]:

أحدها : أي: بالانتظار، وهو معنى قول أبو بكر الأصم[١٧]، والفراء[١٨]، كما قال طرفة[١٩]:

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٦٥):ص٣٤٢٧/١٠، والدر المنثور: ٥٠٧/٨.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤١١/٢٤.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٢٧٠/٦.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤١١/٢٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٤١١/٢٤.

(٦) نقلا عن: النكت والعيون: ٢٧٠/٦.

(٧)أخرجه ابن أبي حاتم -كما في فتح الباري ٨/ ٧٠٢ -.

(٨) معاني القرآن: ٢٦١/٣.

(٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٩/٤.

(١٠) انظر: تفسير السمعاني: ٢٢٠/٦.

(١١) انظر: تأويلات أهل السنة: ٥١٩/١٠.

(١٢) الكشاف: ٧٤٨/٤.

(١٣) المحرر الوجيز: ٤٧٨/٥-٤٧٩.

(١٤) التفسير الميسر: ٥٩٣.

(١٥) أخرجه الطبري: ٤١١/٢٤-٤١٢.

(١٦) انظر: غريب القرآن للسجستاني: ٤٥٧، وتأويلات أهل السنة: ٥١٩/١٠، والنكت والعيون: ٢٦٩/٦.

(١٧) انظر: تأويلات أهل السنة: ٥١٩/١٠.

(١٨) انظر: معاني القرآن: ٢٦١/٣.

(١٩) انظر: جمهرة أشعار العرب ١٠٣، واللسان (أنن) ، وغيرهما. من قصيدة له حكيمة، يقول قبله: وعَاذِلَةٍ هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُومُنِي ... فَلَمَّا غَلَتْ فِي اللَّوْمِ قُلْتُ لها: اقْصِدِي

أعَاذِلُ إنّ الجَهْلَ من لَدّةِ الفتى، ... وإنّ المَنَايَا للرّجَالِ بِمَرْصَدِ

قال أبو بكر الأصم: "يرصد عذابه بأعدائه ينتظر به آجالهم، ثم يوقع بهم العذاب إذا أتى الأجل"[١].

قال الفراء:" يقول: إليه المصير"[٢].

قال السدي:" السُّدِّيّ: أرصد النار على طريقهم حتّى يهلكهم"[٣].

الثاني : أي: بالطريق المعلم الذي يرتصدون به، فلا يجاوزه ظلم ظالم، ولا يفوته هارب. وهو معنى قول سفيان بن عيينة[٤]، وعمرو بن قيس[٥]، ومقاتل[٦].

قال مقاتل:" يعني: بالصراط، وذلك أن جهنم عليها سبع قناطر، كل قنطرة مسيرة سبعين عاما، على كل قنطرة ملائكة قيام، وجوههم مثل الجمر، وأعينهم مثل البرق، بأيديهم المحاسر والمحاجن والكلاليب يسألون في أول قنطرة عن الإيمان، وفي الثانية، يسألون عن الصلوات الحمس، وفي الثالثة، يسألون عن الزكاة، وفي الرابعة، يسألون عن صوم رمضان، وفي الخامسة، يسألون عن حج البيت، وفي السادسة، يسألون عن العمرة، وفي السابعة، يسألون عن مظالم الناس، فذلك قوله: {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ}"[٧].

عن سفيان: "{إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ}، يعني: جهنم عليها ثلاث قناطر: قنطرة فيها الرحمة، وقنطرة فيها الأمانة، وقنطرة فيها الربّ تبارك وتعالى"[٨].

عن الضحاك في هذه الآية، قال: "إذا كان يوم القيامة، يأمر الربّ بكرسيه، فيوضع على النار، فيستوي عليه، ثم يقول: وعزّتي وجلالي، لا يتجاوزني اليوم ذو مَظلِمة، فذلك قوله: {لَبِالْمِرْصَادِ}"[٩].

عن سالم بن أبي الجعد، في قوله: {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصادِ}، قال: "إنّ لجهنم ثلاث قناطر؛ قنطرة فيها الأمانة، وقنطرة فيها الرَّحِم، وقنطرة فيها الرّبّ -تبارك وتعالى-، وهي المرصاد، لا ينجو منها إلا ناجٍ، فمَن نجا مِن ذينك لم ينج مِن هذا"[١٠].

عن عمرو بن قيس -من طريق الحكم بن بشير- قال: "بلغني: أنّ على جهنم ثلاث قناطر؛ قنطرة عليها الأمانة، إذا مَرُّوا بها تقول: يا ربّ، هذا أمين، يا ربّ، هذا خائن. وقنطرة عليها الرَّحِم، إذا مَرُّوا بها تقول: يا ربّ، هذا واصل، يا ربّ، هذا قاطع. وقنطرة عليها الرّبّ: {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصادِ}"[١١].

عن صفوان بن عمرو، عن أيفع بن عبد الكلاعي : أنه سمعه وهو يعظ الناس يقول : "إن لجهنم سبع قناطر - قال : والصراط عليهن، قال : فيحبس الخلائق عند القنطرة الأولى،

أعَاذِلَ، إن اللَّوْمَ في غير كُنْهِهِ ... عَلَيّ ثُنَى، مِنْ غَيِّكِ المُتَرَدِّدِ
أعَاذِلَ، إنَّ الجهْل مِنْ لَدَّةِ الفَتَى ... وَإنَّ المَنَايَا لِلرِّجَال بِمَرْصَدِ
أعَاذِلَ، مَا أدْنَى الرشادَ مِنَ الفَتَى ... وأبْعَدَهُ مِنْهُ إذَا لَمْ يُسَدَّدِ
أعَاذِلَ، من تُكْتَبْ لَهُ النَّارُ يَلْقَهَا ... كِفاحًا، وَمَنْ يُكْتَبْ لَهُ الفَوْزُ يُسْعَدِ
أعَاذِلَ، قد لاقيتُ ما يَزَعُ الفتى ... وَطَابَقْتُ في الحِجْلَيْنِ مَشْيَ المُقَيَّد

(١) نقلا عن: تأويلات أهل السنة: ٥١٩/١٠.
(٢) معاني القرآن: ٢٦١/٣.
(٣)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٠٠، وتفسير البغوي ٨/ ٤٢١.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤١١/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤١١/٢٤.
(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٩/٤.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٩/٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٤١١/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٤١١/٢٤-٤١٢.
(١٠)عزاه السيوطي إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر.
(١١) أخرجه الطبري: ٤١٢/٢٤.

فيقول :{وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ} [الصافات : ٢٤]، قال : فيحاسبون على الصلاة ويُسألون عنها، قال : فيهلك فيها من هلك، وينجو من نجا، فإذا بلغوا القنطرة الثانية حُوسبوا على الأمانة كيف أدوها، وكيف خانوها ؟ قال : فيهلك من هلك وينجو من نجا. فإذا بلغوا القنطرة الثالثة سُئلوا عن الرحم كيف وَصَلُوها وكيف قطعوها ؟ قال : فيهلك من هلك وينجو من نجا. قال : والرحم يومئذ متدلية إلى الهُويّ في جهنم تقول : اللهم من وصلني فَصِلْه، ومن قطعني فاقطعه. قال : وهي التي يقول الله عز وجل :{إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ}"[١].

عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا معاذ، إن المؤمن لدى الحق أسير. يا معاذ، إن المؤمن لا يسكن روعه ولا يأمن اضطرابه حتى يُخَلَّف جسر جهنم خلف ظهره. يا معاذ، إن المؤمن قيده القرآن عن كثير من شهواته، وعن أن يهلك فيها هو بإذن الله، عز وجل، فالقرآن دليله، والخوف محجته، والشوق مطيته، والصلاة كهفه، والصوم جنته، والصدقة فكاكه، والصدق أميره، والحياء وزيره، وربه، عز وجل، من وراء ذلك كله بالمرصاد"[٢].

الثالث: يعني: أنه يرصد عليهم ما عملوا، فلا يشتد عليه، ولا يعزب عنه شيء من علمهم؛ بل يحفظ عليهم ما استتر منه وما ظهر. وهو معنى قول ابن عباس[٣]، والحسن[٤].

قال النحاس:" من أحسن ما قيل فيه إنه مجاز، أي: يرصد أعمال العباد، أي: لا يفوته شيء"[٥].

قال الزجاج:" أي: يرصدا من كفر به وعبد غيره بالعذاب"[٦].

قال ابن الجوزي:" أي: يرصد مَنْ كفر به بالعذاب، والمرصد: الطريق"[٧].

قال ابن كثير:" يعني : يرصد خلقه فيما يعملون، ويجازي كلا بسعيه في الدنيا والآخرى، وسيعرض الخلائق كلهم عليه، فيحكم فيهم بعدله، ويقابل كلا بما يستحقه. وهو المنزه عن الظلم والجور"[٨].

عن ابن عباس: "{إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ}، يقول: يَرى ويسمع"[٩].

عن الحسن: "{إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ}، قال: بمرصاد أعمال بني آدم"[١٠].

قال عطاء بن أبي رباح: "لا يفوته أحد"[١١].

وقال الطبري:" إن ربك يا محمد لهؤلاء الذين قصصت عليك قَصَصَهم، ولِضُرَبائهم من أهل الكفر، لبالمِرصاد يرصدهم بأعمالهم في الدنيا وفي الآخرة، على قناطر جهنم، ليكردسهم فيها إذا وردوها يوم القيامة"[١٢].

فوائد الآيات:[١-١٤]:

---

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٣٩٨/٨. قال ابن كثير:" هكذا أورد هذا الأثر، ولم يذكر تمامه".

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٣٩٧/٨، ورواه أبو نعيم في الحلية (٣١/١٠) من طريق إسحاق بن أبي حسان، عن أحمد بن أبي الحواري به، ورواه أبو نعيم في الحلية (٢٦/١) من طريق عبد الملك بن أبي كريمة، عن أبي حاجب، عن عبد الرحمن، عن معاذ مرفوعا بنحوه.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤١١/٢٤.

(٤) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٦٠٥):ص٤٢٥/٣، والطبري: ٤١٢/٢٤.

(٥) إعراب القرآن: ١٣٨/٥.

(٦) معاني القرآن: ٣٢٢/٥.

(٧) زاد المسير: ٤٤٣/٤.

(٨) تفسير ابن كثير: ٣٩٧/٨.

(٩) أخرجه الطبري: ٤١١/٢٤.

(١٠) أخرجه عبدالرزاق(٣٦٠٥):ص٤٢٥/٣، والطبري: ٤١٢/٢٤.

(١١)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٠٠.

(١٢) تفسير الطبري: ٤١١/٢٤.

١- فضل الليالي العشر من أول ذي الحجة إلى العاشر منه.
٢- بيان مظاهر قدرة الله في إهلاك الأمم العاتية والشعوب الظالمة مستلزم لقدرته تعالى على البعث والجزاء والتوحيد والنبوة وهو ما أنكره أهل مكة.
٣- التحذير من عذاب الله ونقمه فإنه تعالى بالمرصاد فليحذر المنحرفون عن سبيل الله والحاكمون بغير شرعه والعاملون بغير هداه أن يصب عليهم سوط عذاب.

القرآن

{فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥)} [الفجر : ١٥]

التفسير:

فأما الإنسان إذا ما اختبره ربه بالنعمة، وبسط له رزقه، وجعله في أطيب عيش، فيظن أن ذلك لكرامته عند ربه، فيقول: ربي أكرمن.

سبب نزول الآيتين:[١٥، ١٦]:

قال مقاتل:" نزلت الآية في أمية بن خلف الجمحي، وعبد الله بن نفيل، أتاه يأمره بالمعروف، وينهاه عن المنكر، ويذكره ذلك، فقال له أمية بن خلف: ويحك أليس الله يقول: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ} [محمد : ١١]، قال عبد الله بن نفيل: نعم. قال: فماله أغناني وأفقرك؟ قال: كذلك أراد الله. قال أمية: بل أغناني الله لكرامتي عليه، وأفقرك لهوانك عليه. قال عبد الله بن خطل عند ذلك: لخليق أن يكون الله فعل ذلك، فأنزل الله- تعالى-: {فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦)} [الفجر : ١٥ - ١٦]"[١].

قوله تعالى:{فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ} [الفجر : ١٥]، أي:" فأما الإنسان إذا ما اختبره ربه بالنعمة، وبسط له رزقه، وجعله في أطيب عيش"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فأما الإنسان إذا ما امتحنه ربه بالنعم والغنى {فأكْرَمَهُ} بالمال، وأفضل عليه، {وَنَعَّمَهُ} بما أوسع عليه من فضله"[٣].

قال ابن عطية:" {ابْتَلاهُ}، معناه: اختبره، {ونَعَّمَهُ}، معناه: جعله ذا نعمة"[٤].

قال سهل:" يعني: بعض المؤمنين إذا اختبره ربه"[٥].

قوله تعالى:{فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ} [الفجر : ١٥]، أي:" فيظن أن ذلك لكرامته عند ربه، فيقول: ربي أكرمن"[٦].

قال الطبري:" فيفرح بذلك ويسرّ به ويقول: ربي أكرمني بهذه الكرامة"[٧].

قال السمعاني:" أي: أنا كريم عليه حيث أعطاني هذه النعم"[٨].

قال ابن كثير:" فيعتقد أن ذلك من الله إكرام له وليس كذلك، بل هو ابتلاء وامتحان. كما قال تعالى :{أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لا يَشْعُرُونَ} [المؤمنون : ٥٥، ٥٦]"[٩].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٩/٤-٦٩٠.
(٢) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(٣) تفسير الطبري: ٤١٢/٢٤.
(٤) المحرر الوجيز: ٤٧٩/٥.
(٥) تفسير التستري: ١٩٣.
(٦) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(٧) تفسير الطبري: ٤١٢/٢٤.
(٨) تفسير السمعاني: ٢٢١/٦.
(٩) تفسير ابن كثير: ٣٩٨/٨.

قال سهل:" بما أعطاني من السعة والرزق وذلك له استدراج واغترار.. ومنهم من يزين له ما هو فيه ومنهم من تغلبه الشهوة"[١].

عن قتادة:" {وأمّا إذا ما ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أهانَنِ}: ما أسرع كفر ابن آدم، يقول الله -جلّ ثناؤه-: كلا إنّي لا أُكرِم مَن أكرمتُ بكثرة الدنيا، ولا أُهين مَن أهنتُ بقِلّتها، ولكن إنما أُكرِم مَن أكرمتُ بطاعتي، وأُهين مَن أهنتُ بمعصيتي"[٢].

عن قتادة، قوله: "{فَأَمَّا الإنْسَانُ إذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أكْرَمَنِ}، وحقّ له"[٣].

قال مجاهد:" ظنَّ كرامة الله في كثرة المال، وهوانه في قِلّته، وكذب، إنما يُكرم بطاعته مَن أكرم، ويُهين بمعصيته مَن أهان"[٤].

قال الحسن: "لا يزال العبد بخير ما علم ما الذي يفسد عمله"[٥].

القرآن

{وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦)} [الفجر : ١٦]

التفسير:

وأما إذا ما اختبره، فضيَّق عليه رزقه، فيظن أن ذلك لهوانه على الله، فيقول: ربي أهانن.

قوله تعالى:{وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ} [الفجر : ١٦]، أي:" وأما إذا ما اختبره، فضيَّق عليه رزقه"[٦].

قال الطبري:" يقول: وأما إذا ما امتحنه ربه بالفقر، فضيَّق عليه رزقه وقتَّره، فلم يكثر ماله، ولم يوسع عليه"[٧].

قال ابن كثير:" إذا ابتلاه وامتحنه وضَيَّق عليه في الرزق"[٨].

عن ابن زيد:"{فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ}، قال: ضيقه عليه"[٩].

قوله تعالى:{فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ} [الفجر : ١٦]، أي:" فيظن أن ذلك لهوانه على الله، فيقول: ربي أهانن"[١٠].

قال الطبري:" فيقول ذلك الإنسان: ربي أهانني، يقول: أذلني بالفقر، ولم يشكر الله على ما وهب له من سلامة جوارحه، ورزقه من العافية في جسمه"[١١].

قال ابن كثير:" يعتقد أن ذلك من الله إهانة له"[١٢].

عن ابن زيد: "{فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ}، قال: ضَيَّقه"[١٣].

عن قتادة: "{وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ}، ما أسرع كفر ابن آدم، يقول الله -جلّ ثناؤه-: كلا إنّي لا أُكرِم مَن أكرمتُ بكثرة الدنيا، ولا أُهين مَن أهنتُ بقِلّتها، ولكن إنما أُكرِم مَن أكرمتُ بطاعتي، وأُهين مَن أهنتُ بمعصيتي"[١].

---

(١) تفسير التستري: ١٩٣.
(٢) أخرجه الطبري: ٤١٣/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٤١٢/٢٤.
(٤)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.
(٥) نقلا عن: تفسير التستري: ١٩٣.
(٦) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(٧) تفسير الطبري: ٤١٢/٢٤.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣٩٨/٨.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٧٣):ص٣٤٢٨/١٠.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(١١) تفسير الطبري: ٤١٢/٢٤.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٣٩٨/٨.
(١٣) أخرجه الطبري: ٤١٣/٢٤.

وقرأ أبو جعفر:« فَقَدَّرَ» بالتشديد[٢].

القرآن

{كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠)} [الفجر : ١٧-٢٠]

التفسير:

ليس الأمر كما يظن هذا الإنسان، بل الإكرام بطاعة الله، والإهانة بمعصيته، وأنتم لا تكرمون اليتيم الذي مات أبوه وهو صغير، ولا تحسنون معاملته، ولا يَحُثُّ بعضكم بعضًا على إطعام المحتاج الذي لا يملك ما يكفيه ويسد حاجته، وتأكلون حقوق الآخرين في الميراث أكلا شديدًا، وتحبون المال حبًا مفرطًا.

قوله تعالى:{كَلَّا} [الفجر : ١٧]، أي:" ليس الأمر كما يظن هذا الإنسان، بل الإكرام بطاعة الله، والإهانة بمعصيته"[٣].

وفي قوله تعالى «كَلَّا» في هذا الموضع، وجهان:

احدهما: أنه تعالى أنكر أن يكون سبب كرامته من أكرم كثرة ماله، وسبب إهانته من أهان قلة ماله. قله الحسن[٤]، ومجاهد[٥]، وقتادة[٦]، ومقاتل[٧]، واختيار الطبري[٨].

عن الحسن في قوله{فَأَمَّا الْإِنْسَانُ} [الفجر : ١٥]، الآية، قال: «كلا» أكذبتهما جميعا ما بالغنى أكرمك، ولا بالفقر أهانك، ثم أخبرهم بما يهين «كَلَّا بَلْ لَا يُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ»، الآية"[٩].

قال مجاهد:" ظن كرامة الله في المال، وهو أنه في قتله، وكذب، إنما يكرم بطاعته، ويهين بمعصيته، من أهان"[١٠].

قال قتادة:" ما أسرع ما كفر ابن آدم، يقول الله جلّ ثناؤه: كلا إني لا أكرم من أكرمت بكثرة الدنيا، ولا أهين من أهنت بقلتها، ولكن إنما أكرم من أكرمت بطاعتي، وأُهينُ من أهنت بمعصيتي"[١١].

قال مقاتل:" يقول: كلا ما أغنيت هذا الغني لكرامته، ولا أفقرت هذا الفقير لهوانه علي، ولكن كذلك أردت أن أحسن إلى هذا الغني في الدنيا، وأهون على هذا الفقير حسابه يوم القيامة"[١٢].

الثاني: أنه الله تعالى أنكر حمد الإنسان ربه على نِعمه دون فقره، وشكواه الفاقة، ومعنى الآية، كلا: أي: لم يكن ينبغي أن يكون هكذا، ولكن كان ينبغي أن يحمده على الأمرين جميعا، على الغنى والفقر. وهذا قول الفراء[١٣].

قال الفراء:"{كلا}: لم يكن ينبغي له أن يكون هكذا، ولكن يحمده على الأمرين: على الغنى والفقر"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٤١٢/٢٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤١٢/٢٤.
(٣) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٧١):ص٣٤٢٨/١٠.
(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٧٢):ص٣٤٢٨/١٠.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤١٣/٢٤.
(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٩٠/٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤١٣/٢٤.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٧١):ص٣٤٢٨/١٠.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٧٢):ص٣٤٢٨/١٠.
(١١) أخرجه الطبري: ٤١٣/٢٤.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٩٠/٤.
(١٣) انظر: معاني القرآن: ٢٦١/٣.

قال الطبري:" وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن قتادة لدلالة قوله: {بَل لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ} والآيات التي بعدها، على أنه إنما أهان من أهان بأنه لا يكرم اليتيم، ولا يَحُضّ على طعام المسكين، وسائر المعاني التي عدّد، وفي إبانته عن السبب الذي من أجله أهان من أهان، الدلالة الواضحة على سبب تكريمه من أكرم، وفي تبيينه ذلك عَقيب قوله: {فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ}، بيان واضح عن الذي أنكر من قوله ما وصفنا"[٢].

قال ابن كثير:" {كَلا}، أي : ليس الأمر كما زعم، لا في هذا ولا في هذا، فإن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ويضيق على من يحب ومن لا يحب، وإنما المدار في ذلك على طاعة الله في كل من الحالين، إذا كان غنيا بأن يشكر الله على ذلك، وإذا كان فقيرًا بأن يصبر"[٣].

قال ابن عطية:" {كَلَّا} ردّا على قولهم ومعتقدهم، أي: ليس إكرام الله تعالى وإهانته، في ذلك، وإنما ذلك ابتلاء فحق من ابتلي بالغنى أن يشكر ويطيع، ومن ابتلي بالفقر أن يشكر ويصبر، وأما إكرام الله تعالى فهو بالتقوى، وإهانته فبالمعصية... ذكر الله تعالى في هذه الآية: ما كانت قريش تقوله تستدل به على إكرام الله تعالى وإهانته لعبده، وذلك أنهم كانوا يرون أن من عنده الغنى والثروة والأولاد فهو المكرم، وبضده المهان، ومن حيث كان هذا المقطع غالبا على كثيرين من الكفار، جاء التوبيخ في هذه الآية لاسم الجنس، إذ يقع بعض المؤمنين في شيء من هذا المنزع، ومن ذلك حديث الأعراب الذين كانوا يقدمون المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم، فمن نال خيرا قال هذا دين حسن، ومن ناله شر قال هذا دين سوء"[٤].

قوله تعالى:{بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ} [الفجر : ١٧]، أي:" وأنتم لا تكرمون اليتيم الذي مات أبوه وهو صغير، ولا تحسنون معاملته"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: بل إنما أهنت من أهَنت من أجل أنه لا يكرم اليتيم، فأخرج الكلام على الخطاب، فقال: بل لستم تكرمون اليتيم، فلذلك أهنتكم"[٦].

قال ابن عطية:" ثم أخبرهم بأعمالهم من أنهم لا يكرمون اليتيم وهو من بني آدم الذي فقد أباه وكان غير بالغ. ومن البهائم ما فقد أمه"[٧].

قال السعدي:" فإن وقوف همة العبد عند مراد نفسه فقط، من ضعف الهمة، ولهذا لامهم الله على عدم اهتمامهم بأحوال الخلق المحتاجين، فقال: {كَلا بَل لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ} الذي فقد أباه وكاسبه، واحتاج إلى جبر خاطره والإحسان إليه. فأنتم لا تكرمونه بل تهينونه، وهذا يدل على عدم الرحمة في قلوبكم، وعدم الرغبة في الخير"[٨].

قال ابن كثير:" فيه أمر بالإكرام له، كما جاء في الحديث الذي رواه عبد الله ابن المبارك، عن سعيد بن أبي أيوب، عن يحيى بن سليمان، عن زيد بن أبي عتاب عن أبي هُريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم : «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه" ثم قال بأصبعه : «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»[٩] "[١].

---

(١) معاني القرآن: ٢٦١/٣.
(٢) تفسير الطبري: ٤١٣/٢٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٩٨/٨.
(٤) المحرر الوجيز: ٤٧٩/٥.
(٥) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(٦) تفسير الطبري: ٤١٣/٢٤-٤١٤.
(٧) المحرر الوجيز: ٤٧٩/٥.
(٨) تفسير السعدي: ٩٢٣.
(٩)الزهد لابن المبارك برقم (٦٥٤) ورواه ابن ماجة في السنن برقم (٣٦٧٩) من طريق ابن المبارك، وقال البوصيري في الزوائد (١٦٥/٣) : "هذا إسناد ضعيف، يحيى بن سليمان - أبو صالح - قال فيه البخاري : منكر، وقال أبو حاتم : مضطرب الحديث، وذكره ابن حبان في الثقات".

عن سهل - يعني ابن سعد - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة". وقرن بين إصبعيه : الوسطى والتي تلي الإبهام"[٢].

قوله تعالى:{وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ} [الفجر : ١٨]، أي:" لا يَحُثُّ بعضكم بعضًا على إطعام المحتاج الذي لا يملك ما يكفيه ويسد حاجته"[٣].

قال ابن كثير:" يعني : لا يأمرون بالإحسان إلى الفقراء والمساكين، ويحث بعضهم على بعض في ذلك"[٤].

قال السعدي:" أي: لا يحض بعضكم بعضًا على إطعام المحاويج من المساكين والفقراء، وذلك لأجل الشح على الدنيا ومحبتها الشديدة المتمكنة من القلوب"[٥].

قال الزمخشري:" قال: بل هناك شرّ من القول ، وهو: أنّ الله يكرمهم بكثرة المال، فلا يؤدّون ما يلزمهم فيه من إكرام اليتيم بالتفقد والمبرّة، وحض أهله على طعام المسكين"[٦].

القراءة العامة: «تَحَاضُّونَ»، بالتاء وفتحها وإثبات الألف فيها، بمعنى: ولا يحضّ بعضكم بعضًا على طعام المسكين، وقرئ «وَلا تَحُضُّون»، بمعنى: ولا تأمرون بإطعام المسكين، وقرئ «يَحُضُّون»، بالياء وحذف الألف بمعنى: ولا يكرم القائلون إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه ربي أكرمني، وإذا قدر عليه رزقه ربي أهانني - اليتيم - [٧].

عن عبد الرحمن بن عوف:" أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ «بل لا يكرمون اليتيم ولا يحضون»، بالياء"[٨].

قوله تعالى:{وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا} [الفجر : ١٩]، أي:" وتأكلون حقوق الآخرين في الميراث أكلا شديدًا"[٩].

عن الحسن، وقتادة: "{وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلا لَمًّا}، أي: الميراث"[١٠].

وفي قوله تعالى:{ لَمًّا} [الفجر : ١٩]، أربعة وجوه :

أحدها : يعني: أكلا شديداً ، قاله ابن عباس[١١]، وقتادة[١٢]، والضحاك[١٣]، والسدي[١٤].

وقال الفراء:" كثيرا"[١٥].

قال الطبري:" وتأكلون أيها الناس الميراث أكلا شديدًا لا تتركون منه شيئا"[١٦].

الثاني : يعني: جمعاً، من قولهم لممت الطعام لمّاً، إذا أكلته جمعاً، قاله الحسن[١٧]، وبكر بن عبد الله[١٨]، وعكرمة[١٩]، وأبو عبيدة[١].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٩٨/٨.
(٢)سنن أبي داود برقم (٥١٥٠) وهو في صحيح البخاري برقم (٦٠٠٥) من طريق ابن أبي حازم به.
(٣) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٩٩/٨.
(٥) تفسير السعدي: ٩٢٣.
(٦) الكشاف: ٧٥٠/٤-٧٥١.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤١٤/٢٤.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٧٤):ص٣٤٢٨/١٠.
(٩) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(١٠) أخرجه الطبري :٤١٤/٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤١٤/٢٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤١٥/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٧٦):ص٣٤٢٨/١٠.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٤١٥/٢٤.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ٢٧٠/٦.
(١٥) معاني القرآن: ٢٦٢/٣.
(١٦) تفسير الطبري: ٤١٤/٢٤.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٤١٤/٢٤-٤١٥.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٤١٥/٢٤.
(١٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٧٥):ص٣٤٢٨/١٠.

عن الحسن: "{وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلا لَمًّا}ـ قال: نصيبه ونصيب صاحبه"[٢].
قال أبو عبيدة:" تقول: لممته أجمع. أي: أتيت على آخره"[٣].
قال بكر بن عبد الله:" اللمّ: الاعتداء في المِيراث، يأكل ميراثه وميراث غيره"[٤].
وروي ابن أبي حاتم عن عكرمة بن عبدالله المزني مثل ذلك[٥].
الثالث : معناه : سفه سفاً ، قاله مجاهد[٦]، ورواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٧].
قال مجاهد:" اللمّ السفّ، لفّ كل شيء"[٨].
عن ابن عباس: "{وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلا لَمًّا}، يقول: سَفًّا"[٩].
الرابع : هو أنه إذا أكل مال نفسه ألمّ بمال غيره فأكله ، ولا يتفكر فيما أكل من خبيث وطيب ، قاله الحسن[١٠]، وابن زيد[١١].
عن الحسن:"{ أَكْلا لَمًّا}، قال: من طيب أو خبيث"[١٢].
قال ابن زيد:" الأكل اللم الذي يلم كل شيء يجده لا يسأل عنه يأكل الذي له والذي لصاحبه، لا يدري أحلالا أم حراما؟"[١٣].
قال ابن زيد:" الأكل اللمّ: الذي يأكل كلّ شيء يجده ولا يسأل، فأكل الذي له والذي لصاحبه، كانوا لا يُورِّثون النساء، ولا يورّثون الصغار، وقرأ: {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللاتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ}، أي: لا تورِّثونهنّ أيضا، {أَكْلا لَمًّا}، يأكل ميراثه، وكلّ شيء لا يسأل عنه، ولا يدري أحلال أو حرام"[١٤].
قال ابن كثير:" {أَكْلا لَمًّا}، أي : من أي جهة حصل لهم، من حلال أو حرام"[١٥].
قال ابن عطية:" قيل: كانوا لا يورّثون النساء ولا الصبيان، ويأكلون تراثهم مع تراثهم"[١٦].
قوله تعالى:{وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا} [الفجر : ٢٠]، أي:" وتحبون المال حبًا مفرطًا"[١٧].
وفي قوله تعالى:{وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا} [الفجر : ٢٠]، وجهان:
أحدهما : يعني: حبا شديدا، قاله ابن عباس[١٨]، وقتادة[١٩]، وابن زيد[١]، و«الجمّ» الكثير ، قال الشاعر[٢]:

---

(١) انظر: مجاز القرآن: ٢٩٧/٢.
(٢) أخرجه الطبري: ٤١٤/٢٤-٤١٥.
(٣) مجاز القرآن: ٢٩٧/٢.
(٤) أخرجه الطبري: ٤١٥/٢٤.
(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٧٥):ص٣٤٢٨/١٠.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤١٥/٢٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤١٥/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٤١٥/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٤١٥/٢٤.
(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٧٨):ص٣٤٢٨/١٠.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤١٥/٢٤.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٧٨):ص٣٤٢٨/١٠.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٧٩):ص٣٤٢٨/١٠.
(١٤) أخرجه الطبري: ٤١٥/٢٤.
(١٥) تفسير ابن كثير: ٣٩٩/٨.
(١٦) المحرر الوجيز: ٧٥١/٤.
(١٧) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٤١٦/٢٤.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٤١٦/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٧٦):ص٣٤٢٨/١٠.

إنْ تَغْفِرْ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا ... وَأيُّ عَبْدٍ لكَ لا أَلَمَّا

وقال أبو عبيدة:" كثيرا شديدا"[٣].

قال الطبري: أي:" وتحبون جمع المال أيها الناس واقتناءه حبا كثيرا شديدا، من قولهم: قد جمّ الماء في الحوض: إذا اجتمع، ومنه قول زُهير بن أبي سلمى[٤]:

فَلَمَّا وردْنَ المَاءَ زُرْقًا جِمامُهُ ... وَضَعْنَ عِصِيَّ الْحاضِرِ المُتَخَيَّمِ"[٥].

عن ابن عباس والضحاك: "{وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا}، فيحبون كثرة المال"[٦].

قال ابن زيد:" الجمّ: الشديد"[٧].

وقال مجاهد:" الجمّ: الكثير"[٨].

الثاني : فاحشاً، تجمعون حلاله إلى حرامه، قاله الحسن[٩].

عن الحسن:"{حُبًّا جَمًّا}، قال: فاحشا"[١٠].

عن سفيان: "أنه قال في قوله: {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا}: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ما منكم من أحد إلا ومال وارثه أحب إليه من ماله. قالوا يا رسول الله: ما منا إلا وماله أحب إليه من مال وارثه. قال: ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو أعطيت فأمضيت»[١١].

فوائد الآيات:[١٥-٢٠]:

١- النظرية المادية لم تكن حديثة عهد إذ عرفها الماديون في مكة من مشركي قريش قبل أربعة عشر قرنا.

٢- وجوب إكرام اليتامى والحض على إطعام الجياع من فقراء ومساكين.

٣- وجوب إعطاء المواريث لمستحقيها ذكورا أو إناثا صغارا أو كبارا.

٤- التنديد بحب المال الذي يحمل على منع الحقوق، ويزن الأمور بميزانه قوة وضعفا.

القرآن

{كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢)} [الفجر : ٢١-٢٢]

التفسير:

ما هكذا ينبغي أن يكون حالكم. فإذا زلزلت الأرض وكَسَّر بعضُها بعضًا، وجاء ربُّك لفصل القضاء بين خلقه، والملائكة صفوفًا صفوفًا.

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤١٦/٢٤.

(٢)البيت لأمية بن أبي الصلت، قاله عند احتضار. والبيت في "تهذيب اللغة" ١٥/ ٣٤٧، و"اللسان" ٣/ ٣٩٧ (لمم)، و"الخزانة" ٢/ ٢٩٥، و"المقتضب" ٤/ ٢٤٢، و"الأغاني" ٣/ ١٨٣، وليس في "ديوانه".

(٣) مجاز القرآن: ٢٩٨/٢.

(٤) انظر: "ديوان زهير" ص ٧٨، "المحرر الوجيز" ١٠/ ٩١، "البحر المحيط" ٦/ ٢٧٩، "شرح القصائد العشر" للتبريزي ص ١٣٣، "شرح المعلقات السبع" للزوزني ص ١٤١، "تهذيب اللغة" (زرق) ٢/ ١٥٢٥، "لسان العرب" (زرق) ٣/ ١٨٠٢٧.

زرقاء: الزرقة: شدة الصفاء، يقال: ما أزرق إذا اشتد صفاؤه.

جِمَامَة: الجمام جمع جم الماء، وجمته وهو: ما اجتمع منه في البئر والحوض وغيرهما. وضع العصي: كناية عن الإقامة. الحاضر المتخيم: الحاضر النازل على الماء والمتخيم المقيم، وأصله من تخيم إذا نصب الخيمة.

(٥) تفسير الطبري: ٥١٦/٢٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٤١٦/٢٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٤١٦/٢٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٤١٦/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٢٧٧):ص٣٤٢٨/١٠.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٧٨):ص٣٤٢٨/١٠.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٧٨):ص٣٤٢٨/١٠.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٨٠):ص٣٤٢٩/١٠.

قوله تعالى:{كَلَّا} [الفجر : ٢١]، أي:" ما هكذا ينبغي أن يكون حالكم"[١].
قال الزمخشري:" {كَلَّا}: ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعلهم"[٢].
قال الطبري: أي:" ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر"[٣].
قال عمر مولى غُفْرة: "إذا سمعت الله يقول: «كلا»، فإنما يقول: كذبت"[٤].
وقال ابن كثير:" يخبر تعالى عما يقع يوم القيامة من الأهوال العظيمة، فقال :{كَلا}، أي : حقا"[٥].
قال السعدي:" {كَلا} أي: ليس كل ما أحببتم من الأموال، وتنافستم فيه من اللذات، بباق لكم، بل أمامكم يوم عظيم، وهول جسيم"[٦].
قوله تعالى:{إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا} [الفجر : ٢١]، أي:" فإذا زلزلت الأرض وكَسَّر بعضُها بعضًا"[٧].
قال الزمخشري: أي:" دكا بعد دك. كقوله: حسبته بابا بابا، أي: كرّر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا"[٨].
قال السمعاني:" أي: فتت ودقت"[٩].
قال السعدي:" تدك فيه الأرض والجبال وما عليها حتى تجعل قاعًا صفصفًا لا عوج فيه ولا أمت"[١٠].
قال الطبري: " يعني: إذا رجت وزُلزلت زلزلة، وحرّكت تحريكا بعد تحريك"[١١].
وقال ابن كثير:" أي : وطئت ومهدت وسويت الأرض والجبال، وقام الخلائق من قبورهم لربهم"[١٢].
قال ابن عطية:" دكّ الأرض: تسويتها بذهاب جبالها، والناقة الدكاء: التي لا سمن لها"[١٣].
عن ابن عباس: "{إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا}، يقول: تحريكها"[١٤].
قال الربيع بن أنس:" تحمل الأرض والجبال فيدك بعضها على بعض"[١٥].
قوله تعالى:{وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} [الفجر : ٢٢]، أي:" وجاء ربُّك لفصل القضاء بين خلقه، والملائكة صفوفًا صفوفًا"[١٦].
قال محمد بن السّائِب الكلبي: "{وجاءَ رَبُّكَ} ينزل"[١٧].
قال الطبري: أي:" وإذا جاء ربك يا محمد وأملاكه صفوفا صفا بعد صفّ"[١٨].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(٢) الكشاف: ٧٥١/٤.
(٣) تفسير الطبري: ٤١٦/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٤١٧/٢٤.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٩٩/٨.
(٦) تفسير السعدي: ٩٢٤.
(٧) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(٨) الكشاف: ٧٥١/٤.
(٩) تفسير السمعاني: ٢٢٢/٦.
(١٠) تفسير السعدي: ٩٢٤.
(١١) تفسير الطبري: ٤١٦/٢٤.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٣٩٩/٨.
(١٣) المحرر الوجيز: ٤٧٩/٥.
(١٤) أخرجه الطبري: ٤١٧/٢٤.
(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٨٢):ص٣٤٢٩/١٠.
(١٦) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(١٧)تفسير البغوي ٨/ ٤٢٢.
(١٨) تفسير الطبري: ٤١٧/٢٤.

قال السعدي:" ويجيء الله تعالى لفصل القضاء بين عباده في ظلل من الغمام، وتجيء الملائكة الكرام، أهل السماوات كلهم صفًا بعد صف، كل سماء يجيء ملائكتها صفا، يحيطون بمن دونهم من الخلق، وهذه الصفوف صفوف خضوع وذل للملك الجبار"(١).

قال ابن كثير:" {وَجَاءَ رَبُّكَ} يعني : لفصل القضاء بين خلقه، وذلك بعد ما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الإطلاق محمد صلى الله عليه وسلم، بعدما يسألون أولي العزم من الرسل واحدًا بعد واحد، فكلهم يقول : لست بصاحب ذاكم، حتى تنتهي النوبة إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيقول : "أنا لها، أنا لها". فيذهب فيشفع عند الله في أن يأتي لفصل القضاء فيشفعه الله في ذلك، وهي أول الشفاعات، وهي المقام المحمود كما تقدم بيانه في سورة "سبحان"(٢) فيجيء الرب تعالى لفصل القضاء كما يشاء، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفا صفوفا"(٣).

عن قتادة: "{وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}، صفوف الملائكة"(٤).

قال عطاء:" يريد: صفوف الملائكة، وأهل كلّ سماء صفٌّ على حِدة"(٥).

قال السدي:" يعني: صفوف الملائكة، كلّ أهل سماء على حِدة"(٦).

قال الضحاك:" جاء أهل السماوات كل سماء صفا"(٧).

قال الضحاك:" إذا كان يوم القيامة، أمر الله السماء الدنيا بأهلها، ونزل من فيها من الملائكة، وأحاطوا بالأرض ومن عليها، ثم الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة، فصَفُّوا صفًا دون صفّ، ثم ينزل الملك الأعلى على مجنبته اليسرى جهنم، فإذا رآها أهل الأرض ندّوا، فلا يأتون قطرا من أقطار الأرض إلا وجدوا سبعة صفوف من الملائكة، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه فذلك قول الله: {إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ}، وذلك قوله: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ}، وقوله: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ}، وذلك قول الله: {وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا}"(٨).

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تُوقفُونَ مَوْقِفا وَاحِدًا يَوْمَ الْقِيامَةِ مِقْدَارَ سَبْعِينَ عاما، لا يُنْظَر إِلَيْكُمْ وَلا يُقْضَى بَيْنَكُمْ، قَدْ حُصِرَ عَلَيْكُمْ، فَتَبْكُونَ حتى يَنْقطِعَ الدَّمْعُ، ثُمَّ تَدْمعُون دما وَتَبْكُون حتى يَبْلُغَ ذلكَ مِنْكُمْ الأذْقَانَ، أوْ يُلْجِمَكُمْ فَتَضجُّونَ، ثُمَّ تَقُولُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَنا إلى رَبِّنا، فَيَقْضِي بَيْنَنا، فَيَقُولُونَ مَنْ أحَقُّ بذلكَ مِنْ أبيكُمْ، جَعَلَ اللهُ تُرْبَتَهُ وَخَلْقَهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وكَلَّمَهُ قُبُلا فَيُؤْتَى آدَمُ صَلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فَيُطْلبُ ذلكَ إلَيْهِ فَيأبَى، ثُمَّ يَسْتَقْرُونَ الأنبياءَ نَبيًّا نَبيًّا، كُلَّما جاءُوا نَبيًّا أبى "قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "حتى يَأتونِي، فإذا جاءُونِي خَرَجْتُ حتى آتِي الفَحْص "، قال أبو هريرة: يا رسول الله، ما الفحصُ؟ قال: "فَأَقَامَ العَرْش، فأخِرُّ ساجِدًا، فَلا أزَالُ ساجِدًا حتى يَبْعَثَ اللهُ إليَّ مَلَكًا، فَيأخُذُ بعَضُدِي، فَيرْفَعَنِي ثُمَّ يَقُولُ اللهُ لِي: مُحَمَّدٌ، وَهُوَ أعْلَمُ، فأقُولُ: نَعْم، فَيَقُولُ: ما شأنُكَ؟ فأقول: يا رَبِّ وَعَدْتَنِي الشَّفاعَةَ، شَفِّعْنِي فِي خَلْقِكَ فاقْضِ بَيْنَهُمْ، فَيَقُولُ: قَدْ شَفَّعْتُكَ، أنا آتِيكُمْ فأقْضِي بَيْنَكُمْ". قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "فأنصَرِفُ حتى أقِفَ مَعَ النَّاس، فَبَيْنا نَحْنُ وَقُوفٌ، سَمِعْنا حِسًّا مِنَ السَّماءِ شَدِيدًا، فَهالَنا، فَنزلَ أهْلُ السَّماءِ الدُّنْيا بِمِثْلَيْ مَنْ فِي الأرْضِ مِنَ الجِنّ والإنس، حتى إذَا

---

(١) تفسير السعدي: ٩٢٤.
(٢) يقصد عند تفسير الآية : ٧٩.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٩٩/٨.
(٤) أخرجه الطبري: ٤١٩/٢٤.
(٥)تفسير البغوي ٨/ ٤٢٢.
(٦)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٢٩ -.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٨٣):ص٣٤٢٩/١٠.
(٨) أخرجه الطبري: ٤١٨/٢٤.

دنوْا مِنَ الأرْضِ، أشْرَقَتِ الأرْضُ، بِنُورِهِمْ، وأخَذُوا مَصَافَّهُمْ، وَقُلْنَا لَهُمْ: أفِيكُمْ رَبُّنا؟ قالوا: لا وَهُوَ آتٍ، ثُمَّ يَنزلُ أهْلُ السَّماءِ الثَّانِيَةِ بِمِثْلَيْ مَنْ نزلَ مِنَ المَلائِكَةِ، وَبِمِثْلَيْ مَنْ فِيها مِنَ الجِنّ وَالإنْسِ، حتى إذَا دَنَوْا مِنَ الأرْضِ أشْرَقَتِ الأرضُ بِنُورِهِمْ، وأخَذُوا مَصَافَّهُمْ، وَقُلْنَا لَهُمْ: أفِيكُمْ رَبُّنا؟ قالوا: لا وَهُوَ آتٍ. ثُمَّ نزلَ أهْلُ السَّمَوَاتِ عَلى قَدْرِ ذلكَ مِنَ الضِّعْفِ حتى نزلَ الجَبَّارُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمامِ وَالمَلائِكَةِ، وَلَهُمْ زَجَلٌ مِنْ تَسْبِيحِهِمْ، يَقُولُونَ: سُبْحانَ ذِي المُلْكِ وَالمَلَكُوتِ، سُبْحانَ رَبِّ العَرْشِ ذِي الجَبَرُوتِ، سُبْحَانَ الحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ سُبْحانَ الَّذِي يميت الخلائق ولا يَمُوتُ، سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المَلائِكَةِ والرُّوحِ، قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ، سُبْحانَ رَبِّنا الأعْلى سُبْحان ذِي الجَبرُوتِ وَالمَلَكُوتِ وَالكِبْرِياءِ والسُّلْطانِ والعَظَمَةِ سُبْحانَهُ أبَدًا أبَدًا، يَحْمِلُ عَرْشَهُ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ، وَهمُ اليَوْمَ أرْبَعَةٌ، أقْدَامُهُم على تُخُومِ الأرْضِ السُّفْلى، والسَّمَوَاتُ إلى حُجَزِهِمْ، وَالعَرْشُ عَلى مَناكِبِهِمْ، فَوَضَعَ الله عَرْشَهُ حَيْثُ شَاء مِنَ الأرْض، ثُمَّ يُنادِي بِنِدَاءٍ يُسْمِعُ الخَلائِقَ فَيَقُولُ يا مَعْشَرَ الجِنِّ والإنْس، إنِّي قَدْ أنْصَتُّ مُنْذُ يَوْمِ خَلَقْتُكُمْ إلى يَوْمِكُمْ هَذَا، أسمَعُ كَلامَكُمْ، وأبْصِرُ أعمالَكُمْ، فَأنْصِتُوا إليَّ، فإنَّمَا هِيَ صُحُفُكُمْ وأعمالُكُمْ تُقْرأُ عليْكُمْ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيرَ ذلكَ فَلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسَهُ، ثُمَّ يأمُرُ اللهُ جَهَنَّمَ فَتُخْرِجُ مِنْها عُنُقًا ساطِعا مُظْلِما، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} إلى قوله: {هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ}، {وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ} فيتميز الناس ويَجْثُونَ، وَهِيَ التي يَقُولُ اللهُ: {وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ ... } الآية، فَيَقْضِي اللهُ بَينَ خَلْقِهِ الجِنِّ والإنْس وَالْبَهائِمِ، فإنَّهُ لَيَقِيدُ يَوْمَئِذٍ لِلْجَمَّاءِ مِنْ ذَاتِ القُرُونِ، حتى إذَا لَمْ يَبْقَ تَبِعَةٌ عِنْدَ وَاحِدةٍ لأخْرَى قال اللهُ: كُونُوا تُرَابًا، فَعِنْدَ ذلكَ يَقُولُ الكافِرُ يا لَيْتَني كُنْتُ تُرَابًا، ثُمَّ يَقْضِي اللهُ سُبْحانَهُ بَينَ الجِنِّ والإنْس"[1].

عن شهر بن حوشب، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "إذا كان يوم القيامة مدّت الأرض مدّ الأديم، وزيد في سعتها كذا وكذا، وجمع الخلائق بصعيد واحد، جنهم وإنسهم، فإذا كان ذلك اليوم قيضت هذه السماء الدنيا عن أهلها على وجه الأرض، وَلأهل السماء وحدهم أكثر من أهل الأرض جنهم وإنسهم بضعف فإذا نثروا على وجه الأرض فزِعوا منهم، فيقولون: أفيكم ربنا: فيفزعون من قولهم ويقولون: سبحان ربنا ليس فينا، وهو آت، ثم تقاض السماء الثانية، وَلأهل السماء الثانية وحدهم أكثر من أهل السماء الدنيا ومن جميع أهل الأرض بضعف جنهم وإنسهم، فإذا نثروا على وجه الأرض فزع إليهم أهل الأرض، فيقولون: أفيكم ربنا؟ فيفزعون من قولهم ويقولون: سبحان ربنا، ليس فينا، وهو آت، ثم تقاضُ السموات سماء سماء، كلما قيضت سماء عن أهلها كانت أكثر من أهل السموات التي تحتها ومن جميع أهل الأرض بضعف، فإذا نثروا على وجه الأرض، فزع إليهم أهل الأرض، فيقولون لهم مثل ذلك، ويرجعون إليهم مثل ذلك، حتى تقاض السماء السابعة، فلأهل السماء السابعة أكثر من أهل ستِّ سموات، ومن جميع أهل الأرض بضعف، فيجيء الله فيهم والأمم جِثِيّ صفوف، وينادي مناد: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، ليقم الحمادون لله على كل حال؛ قال: فيقومون فيسرحون إلى الجنة، ثم ينادي الثانية: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع، يدعون ربهم خوفا وطمعًا، ومما رزقناهم ينفقون؟ فيسرحون إلى الجنة؛ ثم ينادي الثانية: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم: أين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، يخافون يوما تتقلّب فيه القلوب والأبصار فيقومون فيسرحون إلى الجنة؛ فإذا أخذ من هؤلاء ثلاثة خرج عُنُق من النار، فأشرف على الخلائق، له عينان تبصران، ولسان فصيح، فيقول: إني وكلت منكم بثلاثة: بكلّ جبار عنيد، فيلقُطهم من الصفوف لقط الطير حبّ السمسم، فيحبس بهم في جهنم، ثم يخرج ثانية فيقول: إني وكلت منكم بمن آذى الله ورسوله فيلقطهم لقط الطير حبّ السمسم، فيحبس بهم في جهنم، ثم يخرج ثالثة، قال عوف: قال أبو

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٤/٤١٨-٤١٩.

المنهال: حسبت أنه يقول: وكلت بأصحاب التصاوير، فيلتقطهم من الصفوف لقط الطير حبّ السمسم، فيحبس بهم في جهنم، فإذا أخذ من هؤلاء ثلاثة، ومن هؤلاء ثلاثة، نُشرت الصحف، ووُضعت الموازين، ودُعي الخلائق للحساب"[١].

قال السمعاني:" قوله: {وَجَاء رَبك}، هو من المتشابه الذي يؤمن به ولا يفسر، وقد أول بعضهم: وجاء أمر ربك، والصحيح ما ذكرنا"[٢].

قال ابن عطية:" وجاء قدره وسلطانه وقضاؤه"[٣].

قال منذر بن سعيد: "معناه: ظهوره للخلق هنالك ليس مجيء نقلة وكذلك مجيء الصاخة ومجيء الطامة"[٤].

قال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى إسناد المجيء إلى الله، والحركة والانتقال إنما يجوزان على من كان في جهة؟

قلت: هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه: مثلت حاله في ذلك محال الملك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة أبيهم صَفًّا صَفًّا ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والإنس"[٥].

القرآن

{وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤)} [الفجر : ٢٣-٢٤]

التفسير:

وجيء في ذلك اليوم العظيم بجهنم، يومئذ يتعظ الكافر ويتوب، وكيف ينفعه الاتعاظ والتوبة، وقد فرَّط فيهما في الدنيا، وفات أوانهما؟ يقول: يا ليتني قدَّمتُ في الدنيا من الأعمال ما ينفعني لحياتي في الآخرة.

قوله تعالى:{وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ} [الفجر : ٢٣]، أي:" وجيء في ذلك اليوم العظيم بجهنم"[٦].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وجاء الله يومئذ بجهنم"[٧].

قال السعدي:" تقودها الملائكة بالسلاسل"[٨].

عن قتادة: "{وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ}، قال: جيء بها مزمومة"[٩]. وروي عن أبي وائل مثله[١٠].

قال قتادة:" جَنبَتَيْه الجنة والنار، قال: هذا حين ينزل مِن عرشه إلى كرسيه لحساب خَلْقه. وقرأ: {وجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ} "[١١].

قال عبد الله بن مسعود :"جيء بها تُقاد بسبعين ألف زمام، مع كلّ زمام سبعون ألف ملك يقودونها"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٤١٧/٢٤-٤١٨.
(٢) تفسير السمعاني: ٢٢٢/٦.
(٣) المحرر الوجيز: ٤٨٠/٥.
(٤) نقلا عن: المحرر الوجيز: ٤٨٠/٥.
(٥) الكشاف: ٧٥١/٤.
(٦) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(٧) تفسير الطبري: ٤١٩/٢٤.
(٨) تفسير السعدي: ٩٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٤١٩/٢٤.
(١٠) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٦٠٦):ص٤٢٦/٣.
(١١) أخرجه الطبري: ٤١٩/٢٤.

وروى مسلم في أفراده من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرَّونها»[٢].

قال أبو وائل:" يُجاء بها يوم القيامة تُقاد بسبعين ألف زمام، مع كلّ زمام سبعون ألف ملك"[٣].

قال ابن وهب قال: "أخبرني العطاف بن خالد في قول الله: {وجيء يومئذٍ بجهنم}، قال: يقال: يؤتى بجهنم يوم القيامة، يأكل بعضها بعضا يقودها سبعون ألف ملك، فإذا رأت الناس، فذلك قول الله: {إذا رأتهم من مكانٍ بعيدٍ سمعوا لها تغيظا وزفيرا}، قال: فإذا رأيتم زفرت زفرة فلا يبقى نبيٌ ولا صديقٌ إلا برك لركبتيه، يقول: يا رب، نفسي، نفسي، ويقول رسول الله: يا رب، أمتي، أمتي"[٤].

عن الضحاك بن مزاحم أنه قال: "تنزل الملائكة من السموات، فتحيط بأقطار الأرض، ويجاء بجهنم، فإذا رأوها هالتهم، فندوا في الأرض كما تند الإبل، فلا يتوجهون قطرا إلا رأوا ملائكة فيرجعون من حيث جاءوا، وذلك قوله: « {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..} [الرحمن : ٣٣] وذلك قوله: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} [الفجر : ٢٢] ، {وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ} [الفجر : ٢٣]، وذلك قوله: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا} [الفرقان : ٢٥]"[٥].

قال مقاتل: " يجاء بها من مسيرة خمسمائة عام، عليها سبعون ألف زمام على كل زمام سبعون ألف ملك، متعلقون بها يحبسونها عن الخلائق، وجوههم مثل الجمر، وأعينهم مثل البرق، فإذا تكلم أحدهم تناثرت من فيه النار بيد كل ملك منهم مرزبة، عليها ألفان وسبعون رأسا كأمثال الجبال، وهي أخف في يده من الريش، ولها سبعة رءوس كرءوس الأفاعي، وأعينهم زرق، تنظر إلى الخلائق من شدة الغضب تريد أن تنفلت على الخلائق من غضب الله- عز وجل-، ويجاء بها حتى تقام على ساق العرش"[٦].

عن أبي سعيد، قال: "لما نزلت هذه الآية تغيّر رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -، وعُرف في وجهه، حتى اشتدّ على أصحابه ما رأوا من حاله، فسأله عليٌّ، فقال: «جاء جبريل، فأقرأني هذه الآية: {كَلَّا إذا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وجاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ}». فقيل: وكيف يُجاء بها؟ قال: «يجيء بها سبعون ألف مَلَك، يقودونها بسبعين ألف زمام، فتشرد شردة لو تُركتْ لأحرقتْ أهل الجمع»"[٧].

عن زيد بن أسلم، قال: "جاء جبريل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فناجاه، ثم قام النبي - صلى الله عليه وسلم - مُنكسر الطرف، فسأله عليٌّ، فقال: «أتاني جبريل، فقال لي: {كَلَّا إذا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وجاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ}، وجيء بها تُقاد

---

(١) أخرجه الطبري: ٤١٩/٢٤.

(٢)صحيح. أخرجه مسلم ٤/ ٢١٨٤، والترمذي ٢٥٧٣ من حديث ابن مسعود. وانظر «فتح القدير» ٢٧١٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٤١٩/٢٤.

(٤) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٨٤):ص٤٨/٢.

(٥) رواه الفراء في "معاني القرآن": ٧/٣-٨.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٩١/٤.

(٧)أخرجه ابن مردويه -كما في تخريج أحاديث الكشاف ٤/ ٢٠٦ - ٢٠٧ - ، والثعلبي ١٠/ ٢٠١ - ٢٠٢، من طريق يعقوب بن يوسف القزويني، ثنا القاسم بن الحكم، ثنا عبيد الله بن الوليد، ثنا عطية، عن أبي سعيد به.
إسناده ضعيف جدًّا؛ فيه القاسم بن الحكم العُرني، قال عنه ابن حجر في التقريب (٥٤٥٥): «صدوق، فيه لين». وعبيد الله بن الوليد الوصافي، قال عنه ابن حجر في التقريب (٤٣٥٠): «ضعيف». وفيه عطية بن سعد العَوفيّ، قال عنه الذهبي في المغني ٢/ ٤٣٦: «مُجمَعٌ على ضعفه». ثم هو مع ضعفه كان يُدلِّس تدليسًا قبيحًا عن محمد بن السّائِب الكلبي الكذاب! فيروي عنه ويقول: «قال أبو سعيد». ليوهم أنه أبوسعيد الخدري، كما في تهذيب التهذيب لابن حجر ٧/ ٢٠١.

بسبعين ألف زمام، كلّ زمام يقوده سبعون ألف مَلَك، فبينما هم كذلك إذ شردتْ عليهم شردةً انفلتتْ مِن أيديهم، فلولا أنهم أدركوها لأحرقتْ مَن في الجمع، فأخذوها»"[1].

عن أُبيّ بن كعب -من طريق أبي العالية- قال: "يجيء الرّبّ يوم القيامة في ملائكة السماء السابعة -وهم الكروبيون -، لا يعلم عددهم إلا الله، فيؤتى بالجنة مُفتّحة أبوابها، يراها كلُّ بَرٍّ وفاجر، عليها ملائكة الرحمة، حتى تُوضَع عن يمين العرش، فيوجد رِيحُها مِن مسيرة خمسمائة عام. قال: ويؤتى بالنار تُقاد بسبعين ألف زمام، يقود كلُّ زِمام سبعون ألف مَلَك، مُصفّدة أبوابها، عليها ملائكة سُود، معهم السلاسل الطوال، والأنكال الثقال، وسرابيل القَطِران، ومُقطَّعات النيران، لِأعينِهم لمعٌ كالبرْق، ولِوجوههم لهبٌ كالنار، شاخصة أبصارهم، لا ينظرون إلى ذي العرش تعظيمًا له، فإذا أُدنيت النار فكان بينها وبين الخلائق مسيرة خمسمائة عام زَفرتْ زفرة، لم يبقَ أحدٌ إلا جثا على رُكبتيه، وأخذتْه الرعدة، وصار قلبه مُعلّقًا في حنجرته، فلا يخرج ولا يرجع إلى مكانه، وذلك قوله: {إِذِ الْقُلُوبُ لَدى الحَناجِرِ كاظِمِينَ} [غافر: ١٨]. فينادي إبراهيم: ربِّ، لا تهلكني بخطيئتي. وينادي نوح ويونس، وتوضع النار عن يسار العرش، ثم يؤتى بالميزان فيوضع بين يدي الجبّار -تبارك وتعالى-، ثم يدعى الخلائق للحساب"[2].

قوله تعالى:{يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ} [الفجر : ٢٣]، أي:" يومئذ يتعظ الكافر ويتوب"[3].

قال ابن كثير:" أي : عمله وما كان أسلفه في قديم دهره وحديثه"[4].

قال ابن الجوزي: أي: " يوم يجاء بجهنم يتّعظ الكافر ويتوب"[5].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: يومئذ يتذكر الإنسان تفريطه في الدنيا في طاعة الله، وفيما يقرّب إليه من صالح الأعمال"[6].

قال الزجاج:" يومئذ يظهر الإنسان التوبة"[7].

قال الضحاك:" يريد التوبة"[8].

قال مقاتل: " يعني: أمية بن خلف الجمحي إذا عاين النار والملائكة"[9].

قوله تعالى:{وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى} [الفجر : ٢٣]، أي:" وكيف ينفعه الاتعاظ والتوبة، وقد فرَّط فيهما في الدنيا، وفات أوانهما؟"[10].

قال مقاتل: " يعني: ومن أين له التذكرة في الآخرة؟ وقد كفر بها في الدنيا"[11].

قال ابن كثير:" أي : وكيف تنفعه الذكرى؟"[12].

قال الطبري:" يقول: من أيّ وجه له التذكير"[13].

قال ابن الجوزي: " أي: كيف له بالتوبة وهي في القيامة لا تنفع"[14].

عن ابن عباس: "{وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى}، يقول: وكيف له"[1].

---

(١)عزاه السيوطي إلى ابن وهب في كتاب الأهوال.
(٢)أخرجه يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٣١ - ١٣٢ -.
(٣) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(٤) تفسير ابن كثير: ٤٠٠/٨.
(٥) زاد المسير: ٤٤٤/٤.
(٦) تفسير الطبري: ٤١٩/٢٤.
(٧) معاني القرآن: ٣٢٤/٥.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٨٥):ص٣٤٢٩/١٠.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٩١/٤.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٩٢/٤.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٤٠٠/٨.
(١٣) تفسير الطبري: ٤١٩/٢٤.
(١٤) زاد المسير: ٤٤٤/٤.

قوله تعالى:{يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} [الفجر : ٢٤]، أي:" يقول: يا ليتني قدَّمتُ في الدنيا من الأعمال ما ينفعني لحياتي في الآخرة"(٢).

قال ابن كثير:" يعني : يندم على ما كان سلف منه من المعاصي - إن كان عاصيا - ويود لو كان ازداد من الطاعات - إن كان طائعا ــ"(٣).

قال ابن الجوزي: أي:" {قَدَّمْتُ} العمل الصالح في الدنيا لِحَياتِي في الآخرة التي لا موت فيها"(٤).

قال الفراء:" لآخرتي التي فيها الحياة والخلود"(٥).

قال الزجاج:" أي: لدار الآخرة التي لا موت فيها"(٦).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبرا عن تلهُّف ابن آدم يوم القيامة، وتندّمه على تفريطه في الصَّالِحات من الأعمال في الدنيا التي تورثه بقاء الأبد في نعيم لا انقطاع له، يا ليتني قدمت لحياتي في الدنيا من صالح الأعمال لحياتي هذه، التي لا موت بعدها، ما ينجيني من غضب الله، ويوجب لي رضوانه"(٧).

قال ابن عطية:" قال جمهور المتأولين معناه: لِحَياتِي الباقية يريد في الآخرة، وقال قوم من المتأولين: المعنى لِحَياتِي في قبري عند بعثي الذي كنت أكذب به وأعتقد أني لن أعود حيا. وقال آخرون: لِحَياتِي هنا مجاز، أي لَيْتَنِي قَدَّمْتُ عملا صالحا لأنعم به اليوم وأحيا حياة طيبة، فهذا كما يقول الإنسان أحييتني في هذا الأمر، وقال بعض المتأولين لوقت أو لمدة حياتي الماضية في الدنيا، وهذا كما تقول جئت لطلوع الشمس ولتاريخ كذا ونحوه"(٨).

عن مجاهد: "{يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي}، قال: الآخرة"(٩).

قال الضحاك:" عملتُ في الدنيا لحياتي في الآخرة"(١٠).

عن قتادة: "{يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي}، هُناكُم والله الحياة الطويلة"(١١).

عن قتادة :"{يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي}، قال: علم الله أنه صادق، هناك حياة طويلة لا موت فيها آخر ما عليه"(١٢).

عن محمد بن أبي عَمِيرة - وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : لو أن عبدًا خر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت هَرمًا في طاعة الله، لَحَقِرَه يوم القيامة، ولودَّ أنه يُرَدَّ إلى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب"(١٣).

قال السعدي:" وفي الآية دليل على أن الحياة التي ينبغي السعي في أصلها وكمالها، وفي تتميم لذاتها، هي الحياة في دار القرار، فإنها دار الخلد والبقاء"(١٤).

القرآن

---

(١) أخرجه الطبري: ٤٢١/٢٤.
(٢) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٠٠/٨.
(٤) زاد المسير: ٤٤٤/٤.
(٥) معاني القرآن: ٢٦٢/٣.
(٦) معاني القرآن: ٣٢٤/٥.
(٧) تفسير الطبري: ٤٢١/٢٤.
(٨) المحرر الوجيز: ٤٨١/٥.
(٩) أخرجه الطبري: ٤٢١/٢٤.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٨٥):ص٣٤٢٩/١٠.
(١١) أخرجه الطبري: ٤٢١/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٤٢١/٢٤.
(١٣)المسند (١٨٥/٤).
(١٤) تفسير السعدي: ٩٢٤.

{فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (٢٦)} [الفجر : ٢٥-٢٦]

التفسير:

ففي ذلك اليوم العصيب لا يستطيع أحدٌ ولا يقدر أن يُعذِّبَ مثل تعذيب الله من عصاه، ولا يستطيع أحد أن يوثِقَ مثل وثاق الله، ولا يبلغ أحدٌ مبلغه في ذلك.

قوله تعالى:{فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ} [الفجر : ٢٥]، أي:" ففي ذلك اليوم العصيب لا يستطيع أحدٌ ولا يقدر أن يُعذِّبَ مثل تعذيب الله من عصاه"(١).

قال ابن كثير:" أي : ليس أحد أشد عذابًا من تعذيب الله من عصاه"(٢).

قال السعدي:" لمن أهمل ذلك اليوم ونسي العمل له"(٣).

قال مقاتل: " يعني: ليس أعظم من الله- تعالى- سلطانه على قدر عظمته، وعذابه مثل سلطانه"(٤).

قال ابن عباس:" لا يعذب بعذاب الله أحد"(٥).

قال أبو عبيدة:" ويومئذ لا يعذّب عذاب الله أحد في الدنيا"(٦).

عن أبي قِلابة، قال: ثني من أقرأه النبيّ صلى الله عليه وسلم «فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ»(٧).

قوله تعالى:{وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ} [الفجر : ٢٦]، أي:" ولا يستطيع أحد أن يوثِقَ مثل وثاق الله، ولا يبلغ أحدٌ مبلغه في ذلك"(٨).

قال ابن كثير:" أي : وليس أحد أشد قبضا ووثقا من الزبانية لمن كفر بربهم، عز وجل، هذا في حق المجرمين من الخلائق والظالمين"(٩).

قال الثعلبي:" معنى الآية لا يبلغ أحد من الخلق كبلاغ الله في العذاب والوثاق، وهو الإشارة في السلاسل والأغلال"(١٠).

قال السعدي :"فإنهم يقرنون بسلاسل من نار، ويسحبون على وجوههم في الحميم، ثم في النار يسجرون، فهذا جزاء المجرمين"(١١).

قال مقاتل: "يعني: ولا يوثق كوثاق الله- عز وجل- أحد"(١٢).

قال قتادة:" ولا يوثِق كوثاق الله أحد"(١٣).

قال ابن عباس:" ولا يوثق وثاق الله أحد"(١٤).

قال الحسن:"قد علم الله أن في الدنيا عذابا وَوَثاقا، فقال {فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ} [الفجر: ٢٥]: في الدنيا، {وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ} [الفجر: ٢٦]: في الدنيا"(١٥).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(٢) تفسير ابن كثير: ٤٠٠/٨.
(٣) تفسير السعدي: ٩٢٤.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٩٢/٤.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٨٦):ص٣٤٢٩/١٠.
(٦) مجاز القرآن: ٢٩٨/٢.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٢٢/٢٤، وقال:" واهي الإسناد".
(٨) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٤٠٠/٨.
(١٠) الكشف والبيان: ٢٠٢/١٠.
(١١) تفسير السعدي: ٩٢٤.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٩٢/٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٤٢٢/٢٤.
(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٨٦):ص٣٤٢٩/١٠.
(١٥) أخرجه الطبري: ٤٢٢/٢٤، وقال:" واهي الإسناد".

وفي قوله تعالى: {لَا يُعَذِّبُ} [الفجر : ٢٥]، و{وَلَا يُوثِقُ} [الفجر : ٢٦]، وجهان من القراءة:
الوجه الأول: {لَا يُعَذِّبُ}، {وَلَا يُوثِقُ}، بكسر الذال والثاء، وهو يحتمل ثلاثة وجوه من التفسير(١):
أحدها: أن العذاب في الدنيا وإن اشتد من الملوك على الإنسان، فهو لا يبلغ عذاب اللَّه تعالى لأعدائه في الآخرة وإن خف. حكاه الماتريدي(٢).
الثاني: {لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ}، أي: لا ينبغي لأحد في الدنيا أن يعذب أحدا بعذاب اللَّه – تعالى - وهو النار، كما روي عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - أنه قال: «لا يعذب أحد بعذاب اللَّه تعالى»(٣). حكاه الزجاج(٤).
الثالث: المعنى: لا يتولى يوم القيامة عذاب الله أحد، الملك يومئذ لله وحده، والأمر بيده. ذكره الزجاج (٥).
الوجه الثاني من القراءة: {لَا يُعَذَّبُ} [الفجر : ٢٥]، و{وَلَا يُوثَقُ} [الفجر : ٢٦]، على نصب الذال والثاء(٦)، وهو يحتمل وجهين من التفسير(٧):
أحدهما: أن يكون التفسير منصرفا إلى صنف من الكفرة، والمعنى: ولا يعذب عذاب هذا الصنف من الكفار أحد، وكذلك لا يوثق وثاقه أحد. ذكره الزجاج(٨).
قال الزجاج:" «لَا يُعَذَّبُ»: المعنى لَا يُعذَّبَ عَذَابَ هذا الكافِرِ وعذاب هذا الصِّنْفَ مِنَ الكفار أحَد"(٩).
الثاني: ألا يعذب أحد مكان أحد، كما يفعله ملوك الدنيا في أنهم يعذبون الوالد مكان الولد، ويعذبون من يتصل بالذين استوجبوا العذاب. حكاه الماتريدي(١٠).

القرآن
{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)} [الفجر : ٢٧-٣٠]
التفسير:
يا أيتها النفس المطمئنة إلى ذِكر الله والإيمان به، وبما أعدَّه من النعيم للمؤمنين، ارجعي إلى ربك راضية بإكرام الله لك، والله سبحانه قد رضي عنك، فادخلي في عداد عباد الله الصالحين، وادخلي معهم جنتي.
قوله تعالى:{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ} [الفجر : ٢٧]، أي:" يا أيتها النفس المطمئنة إلى ذِكر الله والإيمان به"(١١).
وفي قوله تعالى:{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ} [الفجر : ٢٧]، وجوه من التفسير:

---

(١) انظر: الحجة للقراء السبعة: ٣٧١، ومعاني القرآن للزجاج: ٣٢٤/٥، وتأويلات أهل السنة: ٥٢٧/١٠-٥٢٨.
(٢) انظر: تأويلات أهل السنة: ٥٢٧/١٠-٥٢٨.
(٣) معرفة السنن والآثار للبيهقي(١٦٦٥٤):ص٢٦٨/١٢.
(٤) انظر: معاني القرآن: ٣٢٤/٥.
(٥) معاني القرآن: ٣٢٤/٥.
(٦) وهي قراءة الكسائي، ويعقوب، والمفضل، انظر: زاد المسير: ٤٤٤/٤.
(٧) انظر: الحجة للقراء السبعة: ٣٧١، ومعاني القرآن للزجاج: ٣٢٤/٥، وتأويلات أهل السنة: ٥٢٧/١٠-٥٢٨.
(٨) معاني القرآن: ٣٢٤/٥.
(٩) معاني القرآن: ٣٢٤/٥.
(١٠) انظر: تأويلات أهل السنة: ٥٢٨/١٠.
(١١) التفسير الميسر: ٥٩٤.

أحدها : يعني: المصدّقة، قاله ابن عباس[١].
عن ابن عباس :"{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ}، يقول: المصدّقة"[٢].
وقال مقاتل:" يعني: المطمئنة بالإيمان"[٣].
قال الزجاج:" المطمئنة: التي اطمأنت بالإيمان وأخبتت إلى ربها"[٤].
وقال الفراء: المطمئنة:" بالإيمان والمصدقة بالثواب والبعث"[٥].
قال الماتريدي:" المطمئنة: هي الساكنة التي لا ترتاب، ولا تضطرب؛ فتكون طمأنينتها بوعد الله ووعيده، وأمره ونهيه، وتوحيده"[٦].
قال النحاس:" المعنى: المطمئنة بوعد الله جلّ وعزّ ووعيده"[٧].
الثاني : المؤمنة بما وعد الله ، قاله قتادة[٨].
قال قتادة:" هو المؤمن اطمأنت نفسه إلى ما وعد الله"[٩].
قال الحسن:" المطمئنة إلى ما قال الله، والمصدّقة بما قال"[١٠].
وحكي الثعلبي عن الحسن:" المؤمنة: الموقنة"[١١].
قال سهل:" المطمئنة: المصدقة بثواب الله وعقابه"[١٢].
قال الطبري:" يعني بالمطمئنة: التي اطمأنت إلى وعد الله الذي وعد أهل الإيمان به في الدنيا من الكرامة في الآخرة، فصدّقت بذلك"[١٣].
الثالث : الآمنة، وهو في حرف أُبيّ بن كعب: «يا أَيَّتُها النَّفْسُ الآمِنَةُ المُطْمَئِنَّةُ»[١٤].
قال الكلبي: "إن «الآمنة» -في هذا الموضع- يعني به: «المؤمنة»"[١٥].
الرابع : الراضية بقضاء الله التي قد علمت أنّ ما أصابها لم يكن ليخطئها وأنّ ما أخطأها لم يكن ليصيبها، رواه ابن أبي نجاح عن مجاهد[١٦]، وعطية[١٧].
الخامس : الموقِنة بأن الله ربها، المسلمة لأمره فيما هو فاعل بها. قاله مجاهد[١٨].
قال ابن عطية:" معناه: الموقنة غاية اليقين، ألا ترى أن إبراهيم عليه السلام قال: {وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} [البقرة: ٢٦٠] ، فهي درجة زائدة على الإيمان، وهي أن لا يبقى على النفس في يقينها مطلب يحركها إلى تحصيله"[١٩].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٣/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٤٢٣/٢٤.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٩٢/٤.
(٤) معاني القرآن: ٣٢٤/٥.
(٥) معاني القرآن: ٢٦٢/٣.
(٦) تأويلات أهل السنة: ٥٢٨/١٠.
(٧) إعراب القرآن: ١٤٠/٥.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٣/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٩٦):ص٣٤٣١/١٠.
(٩) أخرجه الطبري: ٤٢٣/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٤٢٣/٢٤.
(١١) الكشف والبيان: ٢٠٢/١٠.
(١٢) تفسير التستري: ١٩٤.
(١٣) تفسير الطبري: ٤٢٢/٢٤.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٤/٢٤.
(١٥) تفسير الطبري: ٤٢٤/٢٤.
(١٦) انظر: الكشف والبيان: ٢٠٣/١٠، وزاد المسير: ٤٤٤/٤.
(١٧) انظر: الكشف والبيان: ٢٠٢/١٠.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٣/٢٤.
(١٩) المحرر الوجيز: ٤٨١/٥.

قال صاحب النظم:" المطمئنة الموقنة اعتبارا بقوله: {وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} [البقرة: ٢٦٠]، والطمأنينة: حقيقة الإيمان، فإذا لم تكن طمأنينة كانت وسوسة، وهذه الصفة ثابتة لنفس المؤمن في الدنيا؛ لأنه صَدَّق الله، واطمأن إلى ما ذكر في كتابه"(١).

قال مجاهد:" المنيبة المخبتة التي قد أيقنت أن الله ربها، وضربت لأمره جأشا"(٢).

قال مجاهد:" النفس التي أيقنت أن الله ربها، وضربت جأشا لأمره وطاعته"(٣).

قال مجاهد:" أيقنت بأن الله ربها، وضربت لأمره جأشا"(٤).

قال مجاهد:" المخبتة"(٥).

قال مجاهد:" المُخبتة والمطمئنة إلى الله"(٦).

السادس: المطمئنة إلى الدنيا، ارجعي إلى ربك في تركها. حكاه الثعلبي(٧).

السابع : المخلصة. قاله ابن كيسان(٨).

الثامن : أنها العارفة بالله سبحانه التي لا تصبر عنه طرفة عين. قاله ابن عطاء(٩).

التاسع : المطمئنة بذكر الله. وبيانه: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد : ٢٨]. حكاه الثعلبي(١٠).

قال السعدي : "{الْمُطْمَئِنَّةُ} إلى ذكر الله، الساكنة إلى حبه، التي قرت عينها بالله"(١١).

العاشر: أنها المتوكّلة على الله تعالى الواثقة بما ضمن لها من الرزق. حكاه الثعلبي(١٢).

الحادي عشر : أنها التي يبيّض الله وجهها ويعطيها كتابها بيمينها فعند ذلك تطمئن. حكاه المسيّب عن الكلبي وأبي روق(١٣).

الثاني عشر : أن الله تعالى إذا أراد أن يقبض روح عبده المؤمن اطمأنت النفس إلى الله عز وجل، واطمأن الله إليها . وهذا قول الحسن(١٤).

قوله تعالى:{ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً} [الفجر : ٢٨]، أي:" ارجعي إلى ربك راضية بإكرام الله لك، والله سبحانه قد رضي عنك"(١٥).

واختلفوا في أيّ حين يقال لها ذلك، على ثلاثة أقوال:

أحدها: عند خروجها من الدنيا، قاله أبو صالح(١٦)، وحكاه ابن الجوزي عن الأكثرين(١).

---

(١) نقلا عن: التفسير البسيط للواحدي: ٥٢٧/٢٣.

ويجدر القول بأن "نظم القرآن" لأبي علي الجرجاني كتاب مفقود، وهو يقع في مجلدين -كما ذكر السهمي- والظاهر أنه كان معروفًا لدى العلماء كالعلم، وقد قام مكي بتأليف كتاب للرد عليه -في أربعة أجزاء- سماه: "انتخاب نظم القرآن للجرجاني وإصلاح غلطه"، وقد ذكر خبر كتاب مكي هذا القفطي في ترجمة مكي، وذكره الزركشي في "البرهان" ونقل عنه بعض النصوص. انظر: "تاريخ جرجان" للسهمي ص ١٨٧، "إنباه الرواة" ٣/ ٣١٦، "البرهان" ٢/ ٩٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٢٣/٢٤.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٢٣/٢٤.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٢٣/٢٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٢٣/٢٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٢٣/٢٤.

(٧) انظر: الكشف والبيان: ٢٠٤/١٠.

(٨) انظر: الكشف والبيان: ٢٠٣/١٠.

(٩) انظر: الكشف والبيان: ٢٠٣/١٠.

(١٠) انظر: الكشف والبيان: ٢٠٣/١٠.

(١١) تفسير السعدي: ٩٢٤.

(١٢) انظر: الكشف والبيان: ٢٠٣/١٠.

(١٣) انظر: الكشف والبيان: ٢٠٢/١٠.

(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٩٤):ص٣٤٣٠/١٠، والنكت والعيون: ٢٧٢/٦.

(١٥) التفسير الميسر: ٥٩٤.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/ ، ٤٢٥٤٢٤.

عن أبي صالح: "{ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً}، قال: هذا عند الموت. {فَادْخُلِي فِي عِبَادِي}، قال: هذا يوم القيامة"[٢].

قال زيد بن أسلم:" بُشِّرت بالجنة عند الموت، ويوم الجمع، وعند البعث"[٣].

قال ابن كثير:" وهذا يقال لها عند الاحتضار، وفي يوم القيامة أيضا، كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره، وكذلك –هاهنا-"[٤].

قال السعدي : {ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ} الذي رباك بنعمته، وأسدى عليك من إحسانه ما صرت به من أوليائه وأحبابه"[٥].

الثاني: عند البعث يقال لها: ارجعي إلى صاحبك، وإلى جسدك، فيأمر الله الأرواح أن تعود إلى الأجساد، رواه العوفي عن ابن عباس[٦]، وبه قال سعيد بن جبير[٧]، وعكرمة[٨]، والضحّاك[٩]، وعطاء[١٠].

عن عكرمة:" في هذه الآية: {ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً}، إلى الجسد"[١١].

قال ابن عباس:" تردّ الأرواح المطمئنة يوم القيامة في الأجساد"[١٢].

قال الضحاك:" يأمر الله الأرواح يوم القيامة أن ترجع إلى الأجساد، فيأتون الله كما خلقهم أول مرّة"[١٣].

قال سعيد بن جبير: "يسيل واد من أصل العرش فتنبت فيه كل دابة على وجه الأرض، ثم تطير الأرواح، فتؤمر أن تدخل الأجساد، فهو قوله: {ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً}"[١٤].

الثالث: تقول لهم الملائكة إذا أعطوا كتبهم بأيمانهم: {ارجعي إلى ربك}، أي: إلى ما أعد الله لك من الثواب. وهذا قول الفراء[١٥].

قال الطبري:" الصواب عندي القول الذي ذكرناه عن ابن عباس والضحاك، أن ذلك إنما يقال لهم عند ردّ الأرواح في الأجساد يوم البعث لدلالة قوله: {فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي}"[١٦].

وفي قوله تعالى:{ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً} [الفجر : ٢٨]، أقوال:

أحدها: ارجعي إلى صاحبك الذي كنتِ في جسده، وهذا المعنى في رواية العوفي عن ابن عباس[١٧]، وبه قال سعيد بن جبير[١٨]، وعكرمة[١٩]، والضحّاك[١]. ودليل هذا القول القراءة « فادخلي في عبدي»[٢] على التوحيد.

---

(١) انظر: زاد المسير: ٤٤٤/٤.
(٢) اخرجه الطبري: ٤٢٥/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٤٢٤/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٢٩٨):ص٣٤٣١/١٠.
(٤) تفسير ابن كثير: ٤٠٠/٨.
(٥) تفسير السعدي: ٩٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٤/٢٤.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٩٢):ص٣٤٣٠/١٠.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٥/٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٥/٢٤.
(١٠) انظر: زاد المسير: ٤٤٤/٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٤٢٥/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٤٢٤/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٤٢٥/٢٤.
(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٩٢):ص٣٤٣٠/١٠.
(١٥) انظر: معاني القرآن: ٢٦٢/٣.
(١٦) تفسير الطبري: ٤٢٥/٢٤.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٤/٢٤.
(١٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٩٢):ص٣٤٣٠/١٠.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٥/٢٤.

الثاني: ارْجِعِي إلى رَبِّكِ بعد الموت في الدنيا، قاله أبو صالح عن ابن عباس[٣].
قال ابن كثير:" أي : إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده في جنته"[٤].
الثالث: ارجعي إلى ثواب ربك وكرامته، قاله الحسن[٥].
قال الفراء:" إلى ما أعد الله لك من الثواب"[٦].
الرابع: إلى أمثالك من عباد ربك الصالحين. قاله ابن كيسان[٧].
الخامس: يا أيتها النفس المطمئنة إلى الدنيا ارجعي إلى الله تعالى بتركها، والرجوع إلى الله هو سلوك سبيل الآخرة. حكاه الثعلبي[٨]، والماوردي[٩].
وفي قوله تعالى:{رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً} [الفجر : ٢٨]، وجهان:
أحدهما : رضيت عن الله ورضي عنها ، قاله الحسن[١٠].
قال الحسن: "{راضِيَةً} عن الله بما أعدّ لك، {مَرْضِيَّةً} رضي عنكِ ربّكِ"[١١].
عن محمد بن كعب القُرَظيّ، في الآية، قال: "{راضِيَةً} ما رأيتِ من ثوابي، مرضيًّا عنكِ؛ حتى يسألكِ منكر ونكير"[١٢].
قال السعدي : أي: راضية عن الله، وعن ما أكرمها به من الثواب، والله قد رضي عنها"[١٣].
الثاني : رضيت بما أعطيت من الثواب، مرضية عنها بعملها، قاله ابن عباس[١٤].
قال الزجاج:" أصل «مرضية»: مرضوة، أي: راضية بما أتاها، قد رضيت وزكيت"[١٥].
قال ابن كثير:" {رَاضِيَةً}، أي : في نفسها {مَرْضِيَّةً}، أي : قد رضيت عن الله ورضي عنها وأرضاها"[١٦].
قوله تعالى:{فَادْخُلِي فِي عِبَادِي} [الفجر : ٢٩]، أي:" فادخلي في عداد عباد الله الصالحين"[١٧].
وفي قوله تعالى:{فَادْخُلِي فِي عِبَادِي} [الفجر : ٢٩]، وجوه:
أحدها : في عبدي.
قرأ سعد بن أبي وقاص، وأُبيّ بن كعب، وابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وأبو العالية، وأبو عمران، وأبو جعفر، وأبو صالح والكلبي: «فادخلي في عبدي»[١٨].
قال الطبري:" يعني: الروح ترجع في الجسد"[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٥/٢٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٦/٢٤، والبحر المحيط: ٨/ ٤٧٢، وزاد المسير: ٤٤٥/٤.
(٣) انظر: زاد المسير: ٤٤٥/٤.
(٤) تفسير ابن كثير: ٤٠٠/٨.
(٥) انظر: تفسير الثعلبي:٣١١/٢٩. [ط. دار التفسير]، وزاد المسير: ٤٤٥/٤.
(٦) معاني القرآن: ٢٦٣/٣.
(٧) انظر: تفسير الثعلبي:٣١١/٢٩. [ط. دار التفسير].
(٨) انظر: الكشف والبيان: ٢٠٤/١٠.
(٩) انظر: النكت والعيون: ٢٧٢/٦.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٢٧٢/٦.
(١١)تفسير البغوي ٨/ ٤٢٤.
(١٢)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(١٣) تفسير السعدي: ٩٢٤.
(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٩٣):ص٣٤٣٠/١٠.
(١٥) معاني القرآن: ٣٢٥/٥.
(١٦) تفسير ابن كثير: ٤٠٠/٨.
(١٧) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٦/٢٤، والبحر المحيط: ٨/ ٤٧٢، وزاد المسير: ٤٤٥/٤.

قال الزجاج: " فعلى هذه القراءة - والله أعلم -: ادخلي إلى صاحبك الذي خرجت منه فادخلي فيه. والأكثر في القراءة والتفسير: {فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي} [الفجر: ٢٩-٣٠]"[٢].

وقرأ ابن مسعود: «في جسد عبدى»[٣].

الثاني : في طاعتي ، قاله الضحاك[٤].

الثالث : ادخلي مع عبادي. قاله السدي[٥]، ويحيى بن سلام[٦].

الرابع: معناه: ادخلي في عبادي الصالحين. قاله قتادة[٧].

قال ابن عطية:" العباد –هنا- الصالحون المنعمون"[٨].

قال الزجاج: أي:" في جملة عبادي المصطفَيْن"[٩].

قال ابن كثير:" أي : في جملتهم"[١٠].

قال الثعلبي:" يعني: مع أنبيائنا في الجنّة"[١١].

عن أبي صالح: "{ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً}، قال هذا عند الموت. {فَادْخُلِي فِي عِبَادِي}، قال: هذا يوم القيامة"[١٢].

قال السعدي : وهذا تخاطب به الروح يوم القيامة، وتخاطب به حال الموت"[١٣].

الخامس: يعني: في رحمتي، كقوله تعالى: {وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} [النمل : ١٩]. قاله مقاتل[١٤].

السادس: فادخلي في حزبي. قاله الأخفش[١٥].

قوله تعالى:{وَادْخُلِي جَنَّتِي} [الفجر : ٣٠]، أي:" وادخلي معهم جنتي"[١٦].

أحدهما : في رحمتي ، قاله الضحاك[١٧].

الثاني : الجنة التي هي دار الخلود ومسكن الأبرار، قاله قتادة[١٨]، وحكاه الماوردي عن الجمهور[١٩].

واختلف فيمن نزلت فيه هذه الآية، على خمسة أقوال:

أحدها : أنها نزلت في أبي بكر الصديق-رضي الله عنه-.

---

(١) تفسير الطبري: ٤٢٦/٢٤.
(٢) معاني القرآن: ٣٢٥/٥. ونقله ابن الجوزي بتمامه في "زاد المسير": ٤٤٥/٤.
(٣) انظر: الكشاف: ٧٥٣/٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٥/٢٤.
(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٩٧):ص٣٤٣١/١٠.
(٦) انظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٢٦.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٥/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٩٦):ص٣٤٣١/١٠.
(٨) المحرر الوجيز: ٤٨١/٥.
(٩) معاني القرآن: ٣٢٥/٥. ونقله ابن الجوزي بتمامه في "زاد المسير": ٤٤٥/٤.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٠٠/٨.
(١١) الكشف والبيان: ٢٠٤/١٠.
(١٢) أخرجه الطبري: ٤٢٤/٢٤.
(١٣) تفسير السعدي: ٩٢٤.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٩٢/٤.
(١٥) انظر: الكشف والبيان: ٢٠٤/١٠، وتفسير الطبري: ٤٢٥/٢٤.
(١٦) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٥/٢٤.
(١٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٩٦):ص٣٤٣١/١٠.
(١٩) انظر: النكت والعيون: ٢٧٢/٦.

أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: "{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً}، قال: نزلت وأبو بكر جالس، فقال: يا رسول الله ما أحسن هذا. فقال: أما أنه سيقال لك هذا»[١].

وفي رواية الطبري عن ابن عباس:" أنها نزلت وأبو بكر جالس فقال : يا رسول الله ما أحسن هذا ، فقال -صلى الله عليه وسلم- : «أما أنه سيقال لك هذا»[٢].

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: "قرأت عند النبي -صلى الله عليه وسلم-:"{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً}، فقال أبو بكر -رضي الله عنه-: إن هذا حسن، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أما إن الملك سيقول لك هذا عند الموت»"[٣].

الثاني : أنها نزلت في عثمان حين أوقف بئر رومة ، قاله الضحاك[٤].

عن الضحاك عن ابن عباس :" إن النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال: «من يشتري بئر رومة نستعذب بها غفر الله له»، فاشتراها عثمان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هل لك أن تجعلها سقاية للناس؟» قال: نعم. فأنزل الله في عثمان:"{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ}، الآية"[٥].

الثالث : أنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب، لما استشهد يوم أُحد، قاله أبو هريرة[٦]، وبريدة الأسلمي[٧].

قال بريدة: "يعني: نفس حمزة"[٨].

عن ابن بريدة في هذه الآية يا: {أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ}، قال: نفس حمزة بن عبد المطّلب نزلت فيه يوم استشهد يوم أحد، بل نزلت نفسه عند ربّ العالمين، مكرمة مشرفة على من عنده حتّى يردها الله سبحانه إلى حمزة في دعة، وسكون وكرامة"[٩].

الرابع : أنها نزلت في خبيب بن عدي لما صلبه أهل مكة، قاله مقاتل[١٠].

قال مقاتل:" نزلت هذه الآية في حبيب بن عدي الذي صلبه أهل مكة، وجعلوا وجهه نحو المدينة، فقال: اللهم إن كان لي عندك خير فحول وجهي نحو قبلتها فحول الله- عز وجل- وجهه نحو هذه القبلة من غير أن يحوله أحد، فلم يستطع أن يحوله عنها أحد"[١١].

الخامس : أنها عامة في كل المؤمنين، قاله عكرمة[١٢]، والثعلبي[١٣].

قال سعيد بن جبير: "مات ابن عباس بالطائف، فشهدت جنازته، فجاء طير أبيض لم ير على خلته حتى دخل في نعشه، ثم لم ير خارجا منه، فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر، لم ندر من تلاها : {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)} [الفجر : ٢٧ - ٣٠]"[١٤].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٨٧):ص١٠/٣٤٢٩-٣٤٣٠.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٤/٤٢٤.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٨٨):ص١٠/٣٤٣٠.
(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٨٨):ص١٠/٣٤٣٠، والنكت والعيون: ٦/٢٧٣، وزاد المسير: ٤/٤٤٤.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٨٩):ص١٠/٣٤٣٠.
(٦) انظر: زاد المسير: ٤/٤٤٤.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٩٠):ص١٠/٣٤٣٠.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٩٠):ص١٠/٣٤٣٠.
(٩) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٠/٢٠٥.
(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤/٦٩٢.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤/٦٩٢.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٦/٢٧٣، وزاد المسير: ٤/٤٤٤.
(١٣) انظر: الكشف والبيان: ١٠/٢٠٥.
(١٤) المعجم الكبير للطبراني (١٠٥٨١):ص١٠/٢٣٦، وقال الهيثمي في المجمع (٩/٢٨٥) : "رجاله رجال الصحيح".

وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذر الهروي - المعروف بشكّر - في كتاب "العجائب" بسنده عن قُبَاث بن رزين أبي هاشم قال : أسرتُ في بلاد الروم، فجمعنا الملك وعَرَض علينا دينه، على أن من امتنع ضربت عنقه. فارتد ثلاثة، وجاء الرابع فامتنع، فضربت عنقه، وألقي رأسه في نهر هناك، فرسب في الماء ثم طفا على وجه الماء، ونظر إلى أولئك الثلاثة فقال : يا فلان، ويا فلان، ويا فلان - يناديهم بأسمائهم - قال الله تعالى في كتابه :{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي} ثم غاص في الماء، قال فكادت النصارى أن يسلموا، ووقع سرير الملك، ورجع أولئك الثلاثة إلى الإسلام. قال : وجاء الفداء من عند الخليفة أبي جعفر المنصور فخلصنا"[1].

عن أبي أمامة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل : «اللهم إني أسألك نفسا بك مطمئنة، تؤمن بلقائك، وترضى بقضائك، وتقنع بعطائك»[2].

فوائد الآيات:[٢١-٣٠]:

١- تقرير المعاد بعرض شبه تفصيلي ليوم القيامة.

٢- بيان اشتداد حسرة المفرطين اليوم في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله يوم القيامة.

٣- بشرى النفس المطمئنة بالإيمان وذكر الله ووعده ووعيده, عند الموت وعند القيام من القبر وعند تطاير الصحف.

«آخر تفسير سورة (الفجر)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

و أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٩٩):ص٣٤٣١/١٠، بلفظ:" مات ابن عباس بالطائف، فجاء طير لم ير على خلقه، فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه، فلما دفن تليت هذه الآية عن شفير القبر -ما يدرى من تلاها-:{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)} [الفجر : ٢٧ - ٣٠]".

(١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٠١/٨.

(٢) المعجم الكبير للطبراني(٧٤٩٠):ص٩٩/٨، ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٨١/٣٥، (طبعة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «البلد»

«سورة البلد»: هي السورة التسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة ق»، وقبل «سورة الطارق» وآياتها عشرون. وكلماتها اثنتان وثمانون. وحروفها ثلاثمائة وإحدى وخمسون. فواصل آياتها «هدنا»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-أسمها التوقيفي: «سورة البلد»:**

اشتهرت تسميتها بـ«سورة البلد» في المصاحف وكتب التفاسير[٢]، وعلوم القرآن[٣]، ووجه تسميتها بذلك إما على حكاية اللفظ الواقع في أولها: {لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ} [البلد : ١]، وإما لإرادة البلد المعروف وهو مكة[٤].

- **ثانيا:-اسمها الاجتهادي: «سورة لا أقسم بهذا البلد»:**

ثبتت هذه التسمية عند الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-[٥]، وبذلك عنون لها في بعض كتب التفسير[٦]، وعلوم القرآن[٧]، وقد ترجمها في «صحيح البخاري» : بـ«سورة لا أقسم»[٨]. وهي تسمية للسورة بأول جملة افتتحت بها، قال تعالى: {لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١)} [البلد : ١].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس، قال: "نزلت سُورَة {لَا أقسم بِهَذَا الْبَلَد} بِمَكَّة"[٩]. وروي عن ابن الزبير مثله[١٠].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[١١].

قال القرطبي:" سورة البلد مكية باتفاق"[١٢].

قال الزمخشري:" هي مكية"[١٣].

قال ابن عطية:" هي مكية في قول جمهور المفسرين، وقال قوم هي مدنية "[١٤].

قال الألوسي:" مكية في قوله الجمهور بتمامها، وقيل مدنية بتمامها، وقيل مدنية إلّا أربع آيات من أولها. واعترض كلا القولين بأنه يأباهما قوله تعالى: {بِهذَا الْبَلَدِ} [البلد: ١، ٢]، قيل -ولقوة الاعتراض- ادعى الزمخشري الإجماع على مكيتها، وسيأتي إن شاء الله تعالى أن في بعض الأخبار ما هو ظاهر في نزول صدرها بمكة بعد الفتح"[١٥].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٠/١.

(٢) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٤٢٧/٢٤، وبحر العلوم للسمرقندي: ٥٨٢/٣، وتفسير ابن فورك: ٢١٩/٣، والكشف والبيان: ٢٠٦/١٠، والنكت والعيون: ٢٧٤/٦، وتفسير القرطبي: ٢٠/ ٥٩، وغيرها.

(٣) انظر: مثلا: غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٥٤.

(٤) انظر: التحرير والتنوير: ٣٤٥/٣٠.

(٥) كما سيأتي في مكان نزول السورة.

(٦) انظر مثلا: تأويلات أهل السنة: ٥٢٩/١٠، .وتفسير ابن أبي زمنين: ١٣٣/٥.

(٧) انظر: مثلا: الناسخ والمنسوخ للزهري: ٣٨، .

(٨) انظر: صحيح البخاري: ١٦٩/٦. وكذلك ترجمها غلام ثعلبي في "ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن" : ٥٧٧، وذكرها الشوكاني في "فتح القدير": ٥٣٨/٥، والألوسي في "روح المعاني": ١٥٠/١٥.

(٩) انظر: الدر المنثور: ٥١٦/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(١٠) انظر: الدر المنثور: ٥١٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١١) زاد المسير: ٤٤٦/٤.

(١٢) تفسير القرطبي: ٥٩/٢٠.

(١٣) الكشاف: ٧٥٣/٤.

(١٤) المحرر الوجيز: ٤٨٣/٥.

(١٥) روح المعاني: ٣٤٩/١٥.

قال ابن عاشور:" هي مكية، وحكى الزمخشري والقرطبي[١] الاتفاق عليه واقتصر عليه معظم المفسرين، وحكى ابن عطية عن قوم: أنها مدنية[٢]. ولعل هذا قول من فسر قوله: {وَأَنْتَ حِلٌّ بِهذَا الْبَلَدِ} [البلد: ٢] أن الحل الإذن له في القتال يوم الفتح وحمل وأنت حل على معنى: وأنت الآن حل، وهو يرجع إلى ما روى القرطبي عن السدي وأبي صالح وعزي لابن عباس. وقد أشار في «الكشاف» إلى إبطاله بأن السورة نزلت بمكة بالاتفاق[٣]، وفي رده بذلك مصادرة، فالوجه أن يرد بأن في قوله: أيحسب أن لن يقدر عليه أحد إلى قوله: {فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ} [البلد: ٥- ١١] ضمائر غيبة يتعين عودها إلى الإنسان في قوله: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي كَبَدٍ} [البلد: ٤]، وإلا لخلت الضمائر عن معاد"[٤].

قال السيوطي:" حكى ابن الفرس فيها أيضا قولين، وقوله: {بهذا البلد} يرد القول بأنها مدنية"[٥].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها:

١- أنه ذم في الأولى من أحب المال وأكل التراث ولم يحض على طعام المسكين، وذكر هنا الخصال التي تطلب من صاحب المال من فك الرقبة، والإطعام في يوم المسبغة.

٢- ذكر هناك حال النفس المطمئنة، وذكر هنا ما يكون به الاطمئنان[٦].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من مقاصد سورة البلد:

١- تكريم النبي-صلى الله عليه وسلم- بالقسم بمكة، إذ تبدأ السورة بالقسم بمكة حيث أنها نالت شرفًا عظيمًا لأنها موطن النبي صلى الله عليه وسلم مع الإشارة أيضًا إلى أنها كانت مسكن بعض الأنبياء السابقين والقبائل العربية التي اعتنقت الحنيفية.

٢- قصد الله تعالى بالقسم بمكة إنذار المشركين لأن ما يقومون به من تكذيب النبي وإيذائه يعتبر من أكبر الكبائر.

٣- ويحتمل القسم بمكة المكرمة التي كانت من قبل وادٍ غير ذي زرع ولا ماء حتى بث الله في هذا البلد الحياة لدعاء نبيه إبراهيم أن يكون ذلك تنبيه على قدرة الله تعالى أن يبعث الخلق بعد الموت؛ فيجب على المكذبين أخذ العبرة من المكان الذي يعيشون فيه.

٤- عدم اقتصار التذكير بقدرة الله تعالى على البلاد فقط، بل ضرب الله المثل بتتابع الأجيال حيث يراد من قوله: {وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ} [البلد : ٣] آدم وذريته، ولا شك أن القادر على الخلق قادر على البعث.

٥- ومن الفوائد أن الحياة الدنيا دار امتحان للإنسان إذ يجب على الإنسان أن يعلم أنه خُلق متحركًا في حياته الدنيا وبالتالي يواجه العديد من العقبات ويكابد المشاق ويتقي شرور الناس ويُسيطر على شهواته لكي يحظى بالنجاة في الآخرة.

٦- رغم أن الإنسان يعلم مشقة الطريق ويتكبد المعاناة في حياته، إلا أنه يبخل عن مساعدة غيره، ولذلك تأتي هذه الآية كتوجيه على ضرورة أن يتعاون البشر سويًا لمواجهة مشاكل الحياة.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ٥٩/٢٠.
(٢) انظر: المحرر الوجيز: ٤٨٣/٥.
(٣) انظر: الكشاف: ٧٥٤/٤.
(٤)التحرير والتنوير: ٣٤٥/٣٠.
(٥) الإتقان في علوم القرآن: ٥٢/١.
(٦) انظر: تفسير المراغي: ١٤٠/٣٠.

٧- ومن الفوائد تذكير الإنسان بقدرة الله تعالى، فبعدما أوضح الله تعالى ضعف الإنسان أثناء مكابدته لحوادث الدهر، يُذكره الله بقدرة الله عليه حتى لا يغتر الإنسان بقدرته ونجاحه في الحياة الدنيا عندما يجمع الأموال يُعينه الله على تخطي الصعاب.
٨- الرد على زعم المشركين في مكة بأن أموالهم التي جمعوها في حياتهم الدنيا سوف تكون لهم عونًا يوم القيامة وستدفع عنهم العذاب، إذ تضمنت هذه السورة الكريمة، للرد على هذا الهراء، حيث أن المال لا ينفع في الآخرة، ولكن ما يُفيد حقًا في هذا اليوم التقوى والعمل الصالح.
٩- يُنبه الله تعالى الإنسان باطلاعه على جميع ما يصنع الإنسان، وبالتالي يستطيع الله أن يُحاسبه على أفعاله وأقواله دون أن يفلت الإنسان من الجزاء.

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: تشريف مكة بحكم القسم بها، وشدة حال الأدنى، والخبر من سره وعلانيته، والمنة عليه بالنعم المختلفة، وتهويل عقبة الصراط وبيان النجاة منها، ومدح المؤمنين وصبرهم على البلاء، ورحمة بعضهم بعضا، وخلود الكفار في النار في قوله: {عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ} [البلد : ٢٠]"[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة[٢].

- **فضائل السورة:**
  - عن عمرو بن ميمون قال: «صليت مع عمر في العام الذي قتل فيه بمكة صلاة الصبح، فقرأ «لا أقسم بهذا البلد»، و«والتين والزيتون»[٣].
  - عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ {لا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ}، أعطاه الله الأمن من غضبه يوم القيامة» [٤].[موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٨/١.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٠/١.
(٣) مصنف عبدالرزاق الصنعاني(٢٧٣٦):ص١١٩/٢.
(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٠٦/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٣٥٧/١٠. [والحديث موضوع].

القرآن

{لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤)} [البلد : ١-٤]

التفسير:

أقسم الله بهذا البلد الحرام، وهو «مكة»، وأنت -أيها النبي- حلال في هذا «البلد الحرام» تصنع فيه ما شئت، ولم يحل له إلا ساعة من نهار. وفي الآية بشارة للنبي - صلى الله عليه وسلم - بفتح «مكة» على يده، وحلِّها له في القتال. وأقسم بوالد البشرية -وهو آدم عليه السلام- وما تناسل منه من ولد، لقد خلقنا الإنسان في شدة وعناء من مكابدة الدنيا.

قوله تعالى:{لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ} [البلد : ١]، أي:" أقسم بهذا البلد الحرام، وهو «مكة»"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: أقسم يا محمد بهذا البلد الحرام، وهو مكة"[٢].

وفي {لَا}، أقوال:

أحدها: أن «لا» زائدة، والتقدير: أقسم بهذا البلد. وهذا قول ابن عباس[٣]، وابن جبير[٤]، والأخفش[٥]. وأبو عبيدة[٦]، وابن قتيبة[٧]، ومنه قول الشاعر[٨]:

تَذكّرْت ليلى فاعْتَرْتني صَبابةٌ ... وكاد ضمير القلْبِ لا يتَقطّع

أي: يتقطع، ودخل حرف «لا» صلة[٩].

قال الشوكاني:" ذهب جمهور المفسرين إلا أن «لا» مزيدة للتوكيد، والمعنى: فأقسم"[١٠].

قال الزجاج:" المعنى: أقسم بهذا البلد. و«لا» أدخلت توكيداً كما قال عزَّ وجلَّ: {لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ}"[١١].

قال النحاس:" «لا» زائدة للتوكيد، أي: فأقسم.."[١٢].

قال ابن عطية:" «لا» زائدة، والتقدير فأقسم.. وقسم الله تعالى بمخلوقاته هو على جهة التشريف لها، وتعريضها للعبرة، إذ القسم بها منبه منها"[١٣].

قال ابن عاشور:" صيغة «لا أقسم» صيغة قسم، أدخل حرف النفي على فعل أقسم لقصد المبالغة في تحقيق حرمة المقسم به بحيث يوهم للسامع أن المتكلم يهم أن يقسم به ثم يترك القسم مخافة الحنث بالمقسم به فيقول: لا أقسم به، أي: ولا أقسم بأعز منه عندي، وذلك كناية عن تأكيد القسم"[١٤].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(٢) تفسير الطبري: ٤٢٩/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٨/٢٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٧/٢٤.
(٥) انظر: معاني القرآن: ٥٠٨/٢، وإعراب القرآن للنحاس: ١٤١/٥.
(٦) انظر: مجاز القرآن: ٢٧٧/٢.
(٧) انظر: غريب القرآن: ٤٩٩.
(٨)بلا نسبة في الجنى الداني : ٣٠٢؛ ورصف المباني : ٢٧٤.
(٩) انظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٣٩٤/٤.
(١٠) فتح القدير: ١٩٢/٥.
(١١) معاني القرآن: ٣٢٧/٥.
(١٢) إعراب القرآن: ١٠٠/٥.
(١٣) المحرر الوجيز: ٤٥٨/٥.
(١٤) المحرر الوجيز: ٣٣٨/٢٩.

قال ابن قتيبة:" وكان بعض النحويين يجعلها صلة[١]، ولو جاز هذا لم يكن بين خبر فيه الجحد، وخبر فيه الإقرار- فرق"[٢].

الثاني : إنها للنفي، وإن المنفي بها محذوف، وهو كلام الكفار الجاحدين، كأنه قال: ليس الأمر كما ذكرتم أقسم بهذا البلد، وهذا قول مجاهد[٣]، والفراء[٤]، وكثير من النحويين[٥]، كقول القائل: لا، والله، فـ«لا»: رد لكلام قد تقدمها، ومنه قول امرىء القيس[٦]:

فَلَا وَأَبِيكِ ابْنَةَ الْعَامِرِيِّ ... لَا يَدَّعِي الْقَوْمُ أَنِّي أَفِرْ

عن مجاهد في قوله: لا أقسم قال: «لا» ردا عليهم، {أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ}"[٧].

قال الفراء: "وهو على مذهب كلام العرب يقولون: لا والله لا أفعل كذا. أي: والله"[٨].

قال هشام الرفاعي: "سمعت أبا بكر بن عياش يقول: قوله: {لا أُقْسِمُ} توكيد للقسم كقوله: لا والله"[٩].

قال ابن قتيبة:" فإنها زيدت في الكلام على نية الرّد على المكذبين، كما تقول في الكلام: لا والله ما ذاك كما تقول. لو قلت: والله ما ذاك كما تقول، لكان جائزا، غير أن إدخالك «لا» في الكلام أوّلا، أبلغ في الرّدّ"[١٠].

قال الطبري: "«لا» رد لكلام قد كان تقدّمه من قوم، وجوابا لهم، لأن المعروف من كلام الناس في محاوراتهم إذا قال أحدهم: لا والله، لا فعلت كذا، أنه يقصد بلا ردّ الكلام، وبقوله: والله، ابتداء يمين، وكذلك قولهم: لا أقسم بالله لا فعلت كذا; فإذا كان المعروف من معنى ذلك ما وصفنا، فالواجب أن يكون سائر ما جاء من نظائره جاريا مجراه، ما لم يخرج شيء من ذلك عن المعروف بما يجب التسليم له"[١١].

قال الشوكاني:" وضعف هذا بأن حذف اسم لا وخبرها غير جائز، كما قال أبو حيان وغيره"[١٢].

قال أبو حيان:" ولا يجوز، لأن في ذلك حذف اسم لا وخبرها، وليس جوابا لسائل سأل، فيحتمل ذلك، نحو قوله لا لمن قال: هل من رجل في الدار؟"[١٣].

الثالث: أنها لام الابتداء، والأصل: فلأقسم. فأشبعت الفتحة فتولد منها ألف، كقول الشاعر:

أعوذ بالله من العقراب

وقد قرأ هكذا: «فلأقسم» بدون ألف الحسن وحميد وعيسى بن عمر[١٤]، وعلى هذا القول، وهذه القراءة يقدر مبتدأ محذوف، والتقدير: فلأنا أقسم بذلك.

---

(١)أي: حرف زائد، والقول بأن (لا) صلة من اصطلاح الكوفيين. انظر. "نحو القراء الكوفيين" ٣٤١.

(٢) تأويل مشكل القرآن: ١٥٥.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٠١):ص٣٤٣٢/١٠.

(٤) انظر: معاني القرآن: ٢٠٧/٣.

(٥) حكاه عنهم الشوكاني في "فتح القدير": ٤٠٢/٥.

(٦)انظر: الديوان: ١٥٤، والخزانة: ٤/ ٤٨٩. وفيه: «لَا وَأَبِيكِ».

وابنة العامري: اسمها هو، وقد ذكر اسمها في هذه القصيدة. والعامري: من بني عمرو بن عامر من الأزد، اسمه سلامة بن عبد الله، وقيل غير ذلك.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٠١):ص٣٤٣٢/١٠.

(٨) انظر: معاني القرآن: ٢٠٧/٣.[بتصرف]

(٩) أخرجه الطبري: ٤٨/٢٤.

(١٠) تأويل مشكل القرآن: ١٥٥.

(١١) تفسير الطبري: ٤٨/٢٤-٤٩.

(١٢) فتح القدير: ١٩٢/٥.

(١٣) البحر المحيط: ٩١/١٠.

(١٤) البحر المحيط: ٩١/١٠.

وقال الزجاج:" وقرئت: «لأقْسِمُ بهذا البلد»، فتكون اللام لامَ القسَم والتوكيد، وهذه القراءة قليلة"[١].

الرابع : أن «لا» هنا بمعنى: «ألا» التي للتنبيه، ذكره الأخفش[٢].

قال الشوكاني:" وهو بعيد"[٣].

وفي قوله تعالى:{بِهَذَا الْبَلَدِ} [البلد : ١]، قولان :

أحدهما : مكة ، قاله ابن عباس[٤]، ومجاهد[٥]، وقتادة[٦]، وعطاء[٧]، وابن زيد[٨].

عن ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، وابن زيد: "{لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ}، يعني: مكة"[٩].

قال قتادة:" البلد: مكة"[١٠].

الثاني : الحرم كله ، قاله مجاهد-أيضا-[١١].

عن مجاهد: "{لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ}، قال: الحرام"[١٢].

قال السمعاني:" هو مكة في قول الجميع"[١٣].

قال الواحدي:" أجمع المفسرون على أن هذا قسم بالبلد الحرام، والسورة نازلة بها"[١٤].

قوله تعالى:{وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ} [البلد : ٢]، أي:" وأنت -أيها النبي- حلال في هذا «البلد الحرام» تصنع فيه ما شئت"[١٥].

وفي قوله تعالى:{وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ} [البلد : ٢]، ثلاثة وجوه:

أحدها : حل لك ما صنعته في هذا البلد من قتال أو غيره ، قاله ابن عباس[١٦]، ومجاهد[١٧]، وقتادة[١٨]، والضحاك[١٩]، ومنصور[٢٠]، وابن زيد[٢١].

قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وأنت يا محمد حِلٌّ بهذا البلد، يعني بمكة؛ يقول: أنت به حلال تصنع فيه من قَتْل من أردت قتلَه، وأسْرِ من أردت أسره، مُطْلَقٌ ذلك لك"[٢٢].

عن منصور :"{وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ}، قال: أُحِلَّت للنبي صلى الله عليه وسلم، قال: اصنع فيها ما شئت"[١].

---

(١) معاني القرآن: ٣٢٧/٥.
(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٤١/٥.
(٣) فتح القدير: ١٩٢/٥.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٩/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٩/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٩/٢٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٩/٢٤-٤٣٠.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٠/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٤٢٩/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٤٢٩/٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٩/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٤٢٩/٢٤.
(١٣) تفسير السمعاني: ٢٢٥/٦.
(١٤) التفسير البسيط: ٧/٢٤.
(١٥) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٠/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٠٠):ص٣٤٣٢/١٠.
(١٧)انظر: تفسير الطبري: ٤٣٠/٢٤.
(١٨)انظر: تفسير الطبري: ٤٣١/٢٤.
(١٩)انظر: تفسير الطبري: ٤٣١/٢٤.
(٢٠)انظر: تفسير الطبري: ٤٣٠/٢٤.
(٢١) انظر: تفسير الطبري: ٤٣١/٢٤.
(٢٢) تفسير الطبري: ٤٣٠/٢٤.

عن الضحاك: "{وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ}، يعني: محمدا، يقول: أنت حلّ بالحرم، فاقتل إن شئت، أو دع"[٢].

عن قتادة: "{وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ}، يقول: بريء عن الحرج والإثم"[٣].

قال قتادة:" أنت به حلّ لست بآثم"[٤].

عن مجاهد: "{وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ}، قال: ما صنعت فأنت في حلّ من أمر القتال"[٥].

قال مجاهد:" يعنى: رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: أنت في حل مما صنعت فيه"[٦].

قال مجاهد:" أحل له أن يصنع فيه ما شاء"[٧].

قال مجاهد:" أنت حِلّ مما صنعت فيه"[٨].

قال مجاهد:" أحلّ الله لك يا محمد ما صنعت في هذا البلد من شيء، يعني: مكة"[٩].

قال مجاهد:" لا تؤاخَذ بما عملت فيه، وليس عليك فيه ما على الناس"[١٠].

عن ابن عباس:" "{وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ}، قال: أنت يا محمد يحل لك أن تقاتل به، وأما غيرك فلا"[١١].

قال ابن عباس:" يعني بذلك: نبيّ الله صلى الله عليه وسلم، أحلّ الله له يوم دخل مكة أن يقتل من شاء، ويستحْيي من شاء؛ فقتل يومئذ ابن خَطَل صَبْرا وهو آخذ بأستار الكعبة، فلم تحِل لأحد من الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتل فيها حراما حرّمه الله، فأحلّ الله له ما صنع بأهل مكة، ألم تسمع أن الله قال في تحريم الحرم: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا}، يعني: بالناس أهل القبلة"[١٢].

قال ابن زيد:" لم يكن بها أحد حلا غير النبيّ صلى الله عليه وسلم، كلّ من كان بها حراما، لم يحلّ لهم أن يقاتلوا فيها، ولا يستحلوا حرمه، فأحله الله لرسوله، فقاتل المشركين فيه"[١٣].

الثاني : أنت مُحِل في هذا البد غير مُحْرِم في دخولك عام الفتح ، قاله الحسن[١٤]، ومجاهد-أيضا-[١٥]، وعطاء[١٦]، ومقاتل[١٧].

قال الحسن:" أحلها الله لمحمد صلى الله عليه وسلم ساعة من نهار يوم الفتح"[١٨].

قال عطاء:" إن الله حرّم مكة، لم تحلّ لنبيّ إلا نبيكم ساعة من نهار"[١٩].

---

(١) أخرجه الطبري: ٤٣٠/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٤٣١/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٤٣١/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٤٣١/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٤٣٠/٢٤.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٠٢):ص٣٤٣٢/١٠.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٣٠/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٤٣١/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٤٣١/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٤٣١/٢٤.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٠٠):ص٣٤٣٢/١٠.
(١٢) أخرجه الطبري: ٤٣٠/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٤٣١/٢٤.
(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٠٤):ص٣٤٣٢/١٠.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٠/٢٤.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٣١/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٠٦):ص٣٤٣٢/١٠.
(١٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٠١/٤.
(١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٠٤):ص٣٤٣٢/١٠.
(١٩) أخرجه الطبري: ٤٣١/٢٤.

قال مجاهد:" أحلّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع فيه ساعة"[١].

قال عطاء:" إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، فهي حرام إلى أن تقوم الساعة، لم تحل لبشر إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة من نهار، ولا يختلي خلاها، ولا يعضد عضاها، ولا ينفر صيدها، ولا تحل لقطتها إلا لمعرف"[٢].

قال مقاتل:" يعني لم أحلها لأحد من قبلك ولا من بعدك وإنما أحللتها لك ساعة من النهار، وذلك أن الله- عز وجل- لم يفتح مكة على أحد غيره، ولم يحل بها القتل لأحد، غير ما قتل النبي- صلى الله عليه وسلم- مقيس بن ضبابة الكناني وغيره، حين فتح مكة"[٣].

الثالث : أن يستحل المشركون فيه حرمتك وحرمة من اتبعك توبيخاً للمشركين. حكاه الماوردي[٤].

قوله تعالى:{وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ} [البلد : ٣]، أي:" وأقسم بوالد البشرية -وهو آدم عليه السلام- وما تناسل منه من ولد"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فأقسم بوالد وبولده الذي وَلَد"[٦].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ} [البلد : ٣]، أقوال:

أحدها : الوالد: آدم، وما ولد: ولده، قاله مجاهد[٧]، وقتادة[٨]، والحسن والضحاك[٩]، وأبو صالح[١٠]، وسفيان[١١].

عن أبي صالح في قول الله (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) قال: آدم وما ولد"[١٢].

عن قتادة: "{وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ}، قال: آدم وما ولد"[١٣].

قال الضحاك:" الوالد: آدم، وما ولد: ولده"[١٤].

عن مجاهد: "{وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ}، قال: ولده"[١٥].

قال مجاهد:" الوالد: آدم، وما ولد: ولده"[١٦].

الثاني : أن الوالد إبراهيم وما ولد ، قاله أبو عمران الجَوْنِيّ[١٧].

الثالث : أن الوالد هو الذي يلد ، وما ولد: هو العاقر الذي لا يلد ، قاله ابن عباس[١٨].

قال ابن عباس:" الوالد: الذي يلد، وما ولد: العاقر الذي لا يولد له"[١٩].

الرابع : أن الوالد: العاقر ، وما ولد: التي تلد ، قاله ابن عباس-أيضا-[٢٠]، وعكرمة[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٤٣٠/٢٤.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٠٦):ص٣٤٣٢/١٠.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٠١/٤.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٢٧٤/٦.
(٥) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(٦) تفسير الطبري: ٤٣١/٢٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٢/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٢/٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٢/٢٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٢/٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٢/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٤٣٢/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٤٣٢/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٤٣٢/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٤٣٢/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ٤٣٢/٢٤.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٣/٢٤.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٣١/٢٤-٤٣٢.
(١٩)أخرجه الطبري: ٤٣١/٢٤-٤٣٢.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٢/٢٤.

عن ابن عباس، وعكرمة: "{وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ}، قال: العاقر، والتي تلد"[٢].

الخامس: أنه الوالد وولده على العموم. قاله ابن عباس-أيضا-[٣]، وبه قال الطبري[٤].

عن ابن عباس: "{وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ}، قال: هو الوالد وولده"[٥].

قال الطبري:" الصواب من القول في ذلك: ما قاله الذي قالوا: إن الله أقسم بكلّ والد وولده، لأن الله عم كلّ والد وما ولد. وغير جائز أن يخصّ ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر، أو عقل، ولا خبر بخصوص ذلك، ولا برهان يجب التسليم له بخصوصه، فهو على عمومه كما عمه"[٦].

قوله تعالى:{لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ} [البلد : ٤]، أي:" لقد خلقنا الإنسان في شدة وعناء من مكابدة الدنيا"[٧].

قال الطبري:" وهذا هو جواب القسم"[٨].

قال قتادة: "وقع -ها هنا- القسم: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}"[٩].

وفي قوله تعالى:{فِي كَبَدٍ} [البلد : ٤]، أقوال :

أحدها : أن المعنى: خلق منتصباً يمشي على رجلين، وسائر الحيوان غير منتصب، قاله ابن عباس[١٠]، وعكرمة[١١]، والضحاك[١٢]، وإبراهيم[١٣]، وبه قال الفراء[١٤].

وعلى هذا التفسير، يكون معنى «الكبد»: الاستواء والاستقامة[١٥].

عن الحكم بن عتيبة، عن ابن عباس: "{لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}، قال: خلقنا مستويا وخلق كل دابة على أربع"[١٦].

قال ابن عباس:" منتصبا في بطن أمه، وقد وكل به ملك، إذا نامت الأم أو اضطجعت رفع رأسه، لولا ذلك لغرق في الدم"[١٧].

قال عكرمة:" في انتصاب، يعني: القامة"[١٨].

عن أبي صالح: "{خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}، قال: قائما"[١٩].

قال الضحاك:" خُلِق منتصبا على رجلين، لم تخلق دابة على خلقه"[٢٠].

عن مجاهد: "{لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}، قال: في صَعَد"[٢١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٢/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٤٣٢/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٢/٢٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٣/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٤٣٢/٢٤.
(٦) تفسير الطبري: ٤٣٣/٢٤.
(٧) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(٨) تفسير الطبري: ٤٣٣/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٤٣٣/٢٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٤/٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٤/٢٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٥/٢٤.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٤/٢٤.
(١٤) انظر: معاني القرآن: ٢٦٤/٣.
(١٥) انظر: زاد المسير: ٤٤٧/٤.
(١٦) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١١):ص٨/١.
(١٧) العظمة لأبي الشيخ: ١٦٣٥/٥ ، وعزاه لابن مندويه.
(١٨) أخرجه الطبري: ٤٣٤/٢٤.
(١٩) أخرجه الطبري: ٤٣٥/٢٤.
(٢٠) أخرجه الطبري: ٤٣٥/٢٤.
(٢١) أخرجه الطبري: ٤٣٥/٢٤.

وعن عبد الله بن شَدَّاد، في قوله: "{لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}، قال: معتدلا بالقامة، قال أبو صالح: معتدلا في القامة"[١].

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن إبراهيم: -أحسبه عن عبد الله- {فِي كَبَدٍ}، قال منتصبا"[٢].

قال مقاتل:" منتصبا قائما، وذلك أن الله- تبارك وتعالى- خلق كل شيء على أربع قوائم- غير ابن آدم يمشي على رجلين-"[٣].

وقال سهل:" الكبد: الانتصاب، أي: لقد خلقناه في بطن أنه منتصباً. كما قال مجاهد: إن الولد يكون في بطن أمه منتصباً كانتصاب الأم، وملك موكل به، إذا اضجعت الأم رفع رأسه، ولولا ذلك لغرق في الدم"[٤].

عن عبد الحميد بن جعفر:" سمعت محمد بن علي أبا جعفر الباقر سأل رجلا من الأنصار عن قول الله: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}، قال: في قيامه واعتداله. فلم ينكر عليه أبو جعفر"[٥].

قال الزجاج:" وقيل {فِي كَبَدٍ}: خَلْقُ الإنسان في بَطْنِ أمَهِ ورأسه قِبَلَ رأسِها، فإذا أرادت الولادة انقلب الرأس إلى أسفل"[٦].

الثاني: خلق في شدّة، يعني: مولده ونبات أسنانه وغير ذلك، وهو مأخوذ من: المكابدة، ومنه قول لبيد[٧]:

عَيْنِ هَلا بَكَيْتِ أرْبَدَ إذْ ... قُمْنا وَقَامَ الخُصُومِ فِي كَبَد

قاله ابن عباس-أيضا-[٨]، والحسن[٩]، وعكرمة[١٠]، ورواه ابن أبي نجيح عن مجاهد[١١]، وبه قال أبو عبيدة[١٢]، والزجاج[١٣].

قال القاسم بن سلام:" أي: في شدة -بلغة قريش-"[١٤].

قال ابن كيسان: "المكابدة: مقاساة الأمر وركوب معظمه، وأصله: الشدّة، وهو من الكبد"[١٥].

عن ابن عباس: "{لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}، يقول: في نَصَب"[١٦].

عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة: "{لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}، قال: في شدّة"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٤٣٥/٢٤.
(٢) تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣١٣):ص٣٤٣٣/١٠.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٠١/٤.
(٤) تفسير التستري: ١٩٤.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣١٦):ص٣٤٣٣/١٠.
(٦) معاني القرآن: ٣٢٨/٥.
(٧)ورد البيت في: "ديوانه" ص ٥٠ ط. دار صادر. وانظر (كبد) في: "تهذيب اللغة" ١٠/ ١٢٧، و"لسان العرب" ٣/ ٣٧٦، وفي "جامع البيان" ٣٠/ ١٩٨، و"الكشف والبيان" ١٣/ ٩٦ أ، و"النكت والعيون" ٨/ ٢٧٦، و"المحرر الوجيز" ٥/ ٤٨٤، "الكشاف" ٤/ ٢١٣، و"الجامع لأحكام القرآن" ٢٠/ ٦٢، و"روح المعاني" ٣٠/ ١٣٥، و"الكامل" ٣/ ١٣٩٤، و"الخصائص" ٢/ ٢٠٥، ٣/ ٣١٨، "الدر المنثور" ٨/ ٥٢٠، و"الإتقان" ٢/ ٥٧، و"جمهرة أشعار العرب" لأبي زيد القرشي، تح: البجاوي ص ٢١.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٣/٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٣/٢٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٤/٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٤/٢٤، وتفسير مجاهد: ٧٢٩.
(١٢) انظر: مجاز القرآن: ٢٩٩/٢.
(١٣) انظر: معاني القرآن: ٣٢٨/٥.
(١٤)لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم: ١٢.[مرقم آليا غير موافق للمطبوع]
(١٥) نقلا عن: الكشف والبيان:.
(١٦) أخرجه الطبري: ٤٣٣/٢٤.

قال ابن عباس:" في شدّة معيشته، وحمله وحياته، ونبات أسنانه"[٢].
قال ابن عباس:" في شدة خلق في ولادته ونبت أسنانه وسوره ومعيشته وختانه"[٣].
عن الحسن:" أنه قال في هذه الآية: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}، يقول: في شدّة"[٤].
عن مجاهد: "{الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}، قال: شدة خروج أسنانه"[٥].
الثالث : لأنه يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة ، قاله الحسن[٦]، سعيد بن أبي الحسن[٧]، وقتادة[٨]، وعطاء[٩].
قال السعدي: يحتمل أن المراد بذلك ما يكابده ويقاسيه من الشدائد في الدنيا، وفي البرزخ، ويوم يقوم الأشهاد، وأنه ينبغي له أن يسعى في عمل يريحه من هذه الشدائد، ويوجب له الفرح والسرور الدائم، وإن لم يفعل، فإنه لا يزال يكابد العذاب الشديد أبد الآباد"[١٠].
عن الحسن:"{لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}، قال: يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة"[١١].
قال الحسن:" يكابد أمور الدنيا وأمور الآخرة"[١٢].
قال الحسن: "يكابد السرّاء والضرّاء، وليس أحد يكابد الأمور ما يكابد ابن آدم"[١٣].
عن الحسن:" أنه قرأ هذه الآية: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}، قال: "لا أعلم خليقة يكابد من الأمر ما يكابد هذا الإنسان"[١٤].
قال الحسن:" لم يخلق الله خلقا يكابد ما يُكابد ابن آدم"[١٥].
قال قتادة:" يكابد أمر الدنيا والآخرة"[١٦].
قال قتادة:" حين خُلِق في مشقة لا يُلقى ابن آدم إلا مكابد أمر الدنيا والآخرة"[١٧].
عن سعيد بن أبي الحسن يقول: "{لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}، قال: يكابد مصائب الدنيا، وشدائد الآخرة"[١٨].
قال النحاس:" من أبين ما قيل في معناه قول عطاء قال: «{فِي كَبَدٍ}: في مكابدة للأمور"[١٩].
الرابع : أن الإنسان آدم-عليه السلام-، خلق في وسط السماء، قاله ابن زيد[٢٠].

---

(١) أخرجه الطبري: ٤٣٤/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٤٣٤/٢٤.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣١١):ص٣٤٣٣/١٠، والحاكم في المستدرك(٣٩٣٣):ص٥٧٠/٣، وقال:" ذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". ووافقه الذهبي.
(٤) أخرجه الطبري: ٤٣٣/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٤٣٤/٢٤.
(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣١٤):ص٣٤٣٣/١٠، وتفسير الطبري: ٤٣٣/٢٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٤/٢٤، ومسند أبن الجعد(٣٢٨١):ص٤٧٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٣/٢٤.
(٩) انظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٤٢/٥.
(١٠) تفسير السعدي: ٩٢٤.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣١٤):ص٣٤٣٣/١٠.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣١٥):ص٣٤٣٣/١٠.
(١٣) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ١٤٢/٥.
(١٤) الزهد والرقائق لابن المبارك(٢٣٠):ص٧٨. وانظر: مسند ابن الجعد(٣٢٨٠):ص٤٧٢، بلفظ:" لا أعلم خليقة تكابد من الأمر ما يكابد الإنسان".
(١٥) أخرجه الطبري: ٤٣٤/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ٤٣٣/٢٤.
(١٧) أخرجه الطبري: ٤٣٣/٢٤.
(١٨) أخرجه الطبري: ٤٣٤/٢٤.
(١٩) إعراب القرآن للنحاس: ١٤٢/٥.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٥/٢٤.

عن ابن زيد:" {لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}، قال: في السماء، يسمى ذلك الكَبَد[١]"[٢].
الخامس : في اعتدال، لما بيّنه بعد من قوله: {أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ} [البلد : ٨]، الآيات ، حكاه ابن شجرة[٣].
السادس : يعني: من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ، يتكبد في الخلق، مأخوذ من: تكبد الدم. وهو غلظه ، ومنه أخذ أسم: الكبد، لأنه دم قد غلظ ، وهو معنى قول مجاهد[٤].
قال مجاهد: " يكون نطفة وعلقة ولا يزال في مكابدة"[٥].
السابع : لأنه يكابد الشكر على السّراء والصبر على الضّراء، لأنه لا يخلو من أحدهما، قال الماوردي رواه ابن عمر [٦].
التاسع : أن المعنى: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، وأقوم خلقة، يقدر على التصرف والأعمال الشديدة. ذكره السعدي[٧].
قال النحاس-بعد أن ذكر طرفا من هذه الأقوال-:" فهذه الأقوال ترجع إلى معنى واحد، وهو أبين ما قيل فيها أي يكابد الأمور ويعالجها. فهذا الظاهر من كلام العرب في معنى كبد.
قال ذو الإصبع العدواني[٨]:
لي ابن عمّ لو أنّ النّاس في كبد ... لظلّ محتجرا بالنّبل يرميني
وقال لبيد[٩]:
قمنا وقام الخصوم في كبدي"[١٠].
قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: معنى ذلك أنه خلق يُكابد الأمور ويُعالجها، فقوله: {فِي كَبَدٍ}، معناه: في شدّة، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب من معاني الكَبَد.."[١١].
وفيمن أريد بالإنسان -ها هنا- قولان[١٢] :
أحدهما : جميع الناس .
الثاني : الكافر يكابد شبهات .

القرآن
{أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥)} [البلد : ٥]
التفسير:
أيظنُّ بما جمعه من مال أن الله لن يقدر عليه؟
قال ابن الجوزي:" أي: أيحسب أن لن نقدر على بعثه، ومعاقبته؟!"[١].

---

(١) كبد السماء: وسطها. يقال: كبد النجم السماء، أي توسطها. وتكبدت الشمس، أي صارت في كبد السماء. أفاده الجوهري في الصحاح.
(٢) أخرجه الطبري: ٤٣٥/٢٤.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٢٧٦/٦.
(٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٤٢/٥، والنكت والعيون: ٢٧٦/٦.
(٥) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ١٤٢/٥.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٢٧٦/٦.
(٧) انظر: تفسير السعدي: ٩٢٤.
(٨)الشاهد في ديوان المفضليات ٣٢٦، والمقاصد النحوية ٣/ ٢٨٨.
(٩)الشاهد للبيد في ديوانه ١٦٠، وتذكرة النحاة ص ١١٨، والخصائص ٣/ ٣١٨، ولسان العرب (كبد) ، وبلا نسبة في الخصائص ٢/ ٢٠٥ ولسان العرب (عدل) ، وصدره:
«يا عين هلّا بكيت أربد إذ.
(١٠) إعراب القرآن: ١٤٢/٥.
(١١) تفسير الطبري: ٤٣٥/٢٤. ثم استشهد بقول لبيد السابق.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٢٧٦/٦.

قال القرطبي:" أي: أيظن ابن آدم أن لن يعاقبه الله عز وجل"[٢].
قال أبو الليث السمرقندي:" يعني: أيحسب الكافر، أن لن يقدر عليه الله تعالى، يعني: على أخذه وعقوبته"[٣].
قال ابن أبي زمنين:" يعني: ألا يقدر الله عليه، وهذا المشرك يحسب أن لن يبعثه الله بعد الموت"[٤].
قال الزمخشري:" الضمير في {أَيَحْسَبُ}، لبعض صناديد قريش الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكابد منهم ما يكابد. والمعنى: أيظن هذا الصنديد القوى في قومه المتضعف للمؤمنين: أن لن تقوم قيامة، ولن يقدر على الانتقام منه وعلى مكافأته بما هو عليه"[٥].
قال مقاتل:" يعني: بـ«الأحد»: الله- عز وجل، يعني: نفسه، أيحسب هذا الإنسان أن لن يقدر الله- عز وجل- على أن يذهب بماله، وإن أحرزه"[٦].
قال الحسن البصري : "يعني: أيحسب أن لن يقدر عليه أحد يأخذ ماله"[٧].
عن مجاهد:" {أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ}:، قال: لم يقدر عليه أحد"[٨].
قال الضحاك:" الأحد: الله - عز وجل-"[٩].
عن السدي:" {أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ} الآية، قال: الكافر يحسب أن لن يقدر الله عليه، ولم يره"[١٠].
قال الزجاج: أي: " أيحسب لشدته أن لن يقدر عليه أحد وأنه لا يبعث، وقيل: أن لن يقدر عليه الله عز وجل لأنه كان لا يؤمن بالبعث"[١١].
قال المراغي:" أي: أيظن ذلك المغتر بقوته، المفتون بما أنعمنا به عليه- أنه مهما عظمت حاله، وقوى سلطانه، يبلغ منزلة لا يقدر عليه فيها أحد؟ ما أجهله إذا ظن ذلك، فإن فى الوجود قوة جميع القوى هي المهيمنة على كل قوة، والمسيطرة على كل قدرة، وهى القوة التي أبدعته، والقدرة التي أنشأته"[١٢].
وقال قتادة :{أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ} قال : ابن آدم يظن أن لن يُسأل عن هذا المال: من أين اكتسبه ؟ وأين أنفقه ؟"[١٣].
واختلف أهل التفسير فيمن نزلت قوله تعالى: {أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ} [البلد : ٨] وما بعدها، على أقوال:
أحدها: أنها نزلته في رجل من قريش شديد القوة، اسمه أسيد بن كلدة الجمحي، كان يحسب أن أحدا لا يقدر عليه. قاله الفراء[١٤].

---

(١) زاد المسير: ٤٤٧/٤.
(٢) تفسير القرطبي: ٦٤/٢٠.
(٣) بحر العلوم: ٥٨٣/٣.
(٤) تفسير ابن أبي زمنين: ١٣٣/٥.
(٥) الكشاف: ٧٥٥/٤.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٠٢/٤.
(٧) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٠٤/٨.
(٨)أخرجه الفريابي -كما في تغليق التعليق ٤/ ٣٦٨ - . وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم.
(٩)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٧٣.
(١٠)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(١١) معاني القرآن: ٣٢٨/٥.
(١٢) تفسير المراغي: ١٥٨/٣٠.
(١٣) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٠٤/٨.
(١٤) انظر: معاني القرآن: ٢٦٤/٣.

قال الفراء:" نزلت في رجل من بني جمح كان يكنى: أبا الأشدين، وكان يجعل تحت قدميه الأديم العكاظي، ثم يأمر العشرة فيجتذبونه من تحت قدميه فيتمزق الأديم. ولم تزل قدماه. فقال الله تبارك وتعالى: {أَيَحْسَبُ} [البلد : ٥] لشدته {أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ} [البلد : ٥]، والله قادر عليه"[١].

قال الطبري:" كان رجلا من بني جمح من أقوى قريش وأشدهم، وكان يبسط له الأديم العكاظي، فيقوم عليه، ويجتمع القوم على الأديم، فيجذبونه من تحت قدمه فينقطع ولا تزول قدمه، وكان شديدا في عداوة النبي، فأنزل الله تعالى هذه الآية فيه"[٢].

قال البغوي:" نزلت في أبي الأشدين واسمه أسيد بن كلدة الجمحي وكان شديدا قويا يضع الأديم العكاظي تحت قدميه فيقول: من أزالني عنه فله كذا وكذا، فلا يطاق أن ينزع من تحت قدميه إلا قطعا ويبقى موضع قدميه"[٣].

قال الطبري:" ذُكر أن ذلك نزل في رجل بعينه من بني جُمح، كان يُدعى أبا الأشدّ، وكان شديدًا، فقال جلّ ثناؤه: أيحسب هذا القويّ بجَلَده وقوّته، أن لن يقهره أحد ويغلبه، فالله غالبه وقاهره"[٤].

الثاني: أنها نزلت في الوليد بن المغيرة. حكاه الثعلبي-أيضا-[٥]، والبغوي[٦].

الثالث: أنها نزلت في الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وذلك أنّه أذنب ذنبا فاستفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره أن يكفّر وقال: لقد ذهب مالي في الكفّارات والنفقات منذ دخلت في دين محمّد. قاله مقاتل[٧].

الرابع: أنها نزلت في عمرو بن ود، وهو الذي اقتحم الخندق بالمدينة وقتله علي بن أبي طالب خلف الخندق، حكاه الزمخشري عن النقاش[٨].

قال الزمخشري-بعد أن ذكر الأقوال السابقة-:" وكان كل واحد منهم قد ادعى أنه أنفق مالا كثيرا على إفساد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أو في الكفارات على ما تقدم، فوقف القرآن على جهة التوبيخ للمذكور، وعلى جهة التوبيخ لاسم الجنس كله"[٩].

قال المراغي:" وسواء أكانت هذه الآيات نزلت في هؤلاء أم في غيرهم فإن معناها عام كما علمت"[١٠].

القرآن

---

(١) معاني القرآن: ٢٦٤/٣.
(٢) الكشف والبيان: ٢٠٨/١٠.
(٣) تفسير البغوي: ٤٣٠/٨.
(٤) تفسير الطبري: ٤٣٥/٢٤.
(٥) انظر: الكشف والبيان: ٢٠٨/١٠.
(٦) انظر: تفسير البغوي: ٤٣٠/٨.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٠١/٤-٧٠٢. قال مقاتل: " نزلت في الحارث بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف القرشي، وذلك أنه أصاب ذنبا وهو بالمدينة، فأتى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقال: ما كفارته؟ فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: اذهب فاعتق رقبة، أو أطعم ستين مسكينا. قال: ليس غير هذا؟ قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- هو الذي أخبرتك. فرجع من عند رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وهو مهموم مغموم حتى أتى أصحابه فقال: والله، ما أعلم إلا أني لئن دخلت في دين محمد إن مالي لفي نقصان من الكفارات والنفقة في سبيل الله، ما يظن محمد إلا أنا وجدنا هذا المال في الطريق لقد أنفقت مالا لبدا، يعني: مالا كثيرا فأنزل الله- عز وجل- {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥)} [البلد : ٤ - ٥]... {يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا} [البلد : ٦]، ثم قال الله- تعالى- وهو يعده الخير: {أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ} [البلد : ٧]، أو يحسب هذا الإنسان أن الله- تعالى- ليس يرى ما ينفق وليس يحصيه؟ وهو يخلفه عليه".
(٨) انظر: الكشاف: ٤٨٤/٥.
(٩) الكشاف: ٤٨٤/٥.
(١٠) تفسير المراغي: ١٥٨/٣٠.

{يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا (٦) أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧)} [البلد : ٦-٧]

التفسير:

يقول -متباهيًا-: أنفقت مالا كثيرًا. أيظنُّ في فعله هذا أن الله عز وجل لا يراه، ولا يحاسبه على الصغير والكبير؟

قوله تعالى:{يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا} [البلد : ٧]، أي:" يقول -متباهيًا-: أنفقت مالا كثيرًا"(١).

قال المراغي:" أي: إنهم إذا طلب إليهم أن يعملوا عملا من أعمال البر قالوا: إننا ننفق الكثير من أموالنا في المفاخر والمكارم، ولم يعلموا أن المكرمة ما عده الله مكرمة، والبر ما اعتبره الله برا، فليس من البر إنفاقهم المال في مشاقة الله ورسوله، ولا إنفاقهم طائل الأموال فى الصد عن سبيل الله، والكيد للذين آمنوا بالله ورسوله"(٢).

قال أبو الليث السمرقندي:" يعني: أبا جهل بن هشام يقول: أنفقت مالا كثيرا في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم، فلم ينفعني ذلك، وهو أنه ضمن مالا لمن يقتل محمدا صلى الله عليه وسلم، ويقال: أنفق مالا يوم بدر"(٣).

قال النحاس:" قيل: يدافع بهذا عن فعل الخيرات، وقيل: قال هذا تندّما، ويدلّ على هذا الجواب ما بعده"(٤).

قال السعدي: " وسمى الله تعالى الإنفاق في الشهوات والمعاصي إهلاكًا، لأنه لا ينتفع المنفق بما أنفق، ولا يعود عليه من إنفاقه إلا الندم والخسار والتعب والقلة، لا كمن أنفق في مرضاة الله في سبيل الخير، فإن هذا قد تاجر مع الله، وربح أضعاف أضعاف ما أنفق"(٥).

عن ابن جريج في قوله{يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا}، قال: أيمن علينا فما فضلناه أفضل، {أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ} [البلد : ٨]، وكذا وكذا"(٦).

وفي قوله تعالى:{يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا} [البلد : ٧]، وجوه:

أحدها : يعني: مالا كثيراً . قاله ابن عباس(٧)، ومجاهد(٨)، وقتادة(٩)، وشرحبيل بن سعد(١٠)، وابن زيد(١١). ونحوه عن والضحاك(١٢).

عن مجاهد: "{مَالا لُبَدًا}، قال: كثيرا"(١٣).

قال ابن عباس:" يعني باللبد: المال الكثير"(١٤).

قال ابن زيد:" اللبد: الكثير"(١٥).

عن شرحبيل بن سعد :" {أهلكت مالا لبدا}، قال: كثير"(١٦).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(٢) تفسير المراغي: ١٥٩/٣٠.
(٣) تأويلات أهل السنة: ٥٨٣/٣.
(٤) إعراب القرآن: ١٤٢/٥.
(٥) تفسير السعدي: ٩٢٤.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣١٨):ص٣٤٣٤/١٠.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٦/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٦/٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٦/٢٤.
(١٠)أخرجه سعيد بن منصور في سننه -التفسير ٨/ ٣٤٧ (٢٤٦٦).
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٦/٢٤.
(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣١٧):ص٣٤٣٤/١٠.
(١٣) أخرجه الطبري: ٤٣٦/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٤٣٦/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٤٣٦/٢٤.
(١٦)أخرجه سعيد بن منصور في سننه -التفسير ٨/ ٣٤٧ (٢٤٦٦).

وروي عن الضحاك:"{أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا}، قال: أنفقت مالا في الصد عن سبيل الله"[١].
قال الزمخشري:" يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم، ويدعونها معالى ومفاخر"[٢].
قال الفراء: أي:" أنفقت مالا كثيرا في عداوة محمد صلى الله عليه وهو كاذب"[٣].
وقال الفراء:" اللبد: الكثير. قال بعضهم واحدته: لبدة، و«لبد»: جماع. وجعله بعضهم على جهة: قثم، وحطم واحدا، وهو في الوجهين جميعا الكثير"[٤].
الثاني : أي: مالا كثيرا مجتمعاً بعضه على بعض، ومنه سمي: اللُبْد، لاجتماعه وتلبيد بعضه على بعض. وهذا قول أبي عبيدة[٥]، وابن قتيبة[٦]، والزجاج[٧]، والطبري[٨].
قال أبو عبيدة:" من «التلبّد»، وهو: المال الكثير بعضه على بعض"[٩].
قال ابن قتيبة:" أي: كثيرًا. وهو من «التلبُّد»: كأن بعضَه على بعض"[١٠].
قال الزجاج:" معنى «لُبَد»، كثير، بعضه قَدْ لُبِّدَ بِبَعْض، و«فُعَل» للكثرةِ، يقال: رجل حُطَم: إذا كان كثير الحطم"[١١].
قال الطبري: أي: "يقول هذا الجليد الشديد: أهلكت مالا كثيرا، في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم، فأنفقت ذلك فيه، وهو كاذب في قوله ذلك، وهو فعل من: التلبُّد، وهو الكثير، بعضه على بعض، يقال منه: لبد بالأرض يَلْبُد: إذا لصق بها"[١٢].
الثالث: يعني مالاً قديماً، لاشتقاقه من: الأبد، أو للمبالغة في قدمه من عهد لبد ، لأن العرب تضرب المثل في القدم بلبد ، وذكر قدمه لطول بقائه وشدة ضَنِّه به. أفاده الماوردي[١٣].
ويُقْرأ: «لُبَّداً»، بالتشديد، جمع: لابِد[١٤].
قوله تعالى:{أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ} [البلد : ٨]، أي:" أيظنُّ في فعله هذا أن الله عز وجل لا يراه، ولا يحاسبه على الصغير والكبير؟"[١٥].
قال الفراء: أي:" في إنفاقه"[١٦].
قال الزمخشري: أي:" حين كان ينفق ما ينفق رئاء الناس وافتخارا بينهم، يعنى: أن الله كان يراه وكان عليه رقيبا"[١٧].
قال أبو الليث السمرقندي:" يعني: إن لم ير الله تعالى صنيعه فلا يعاقبه بما فعل"[١٨].
قال المراغي:" أي: أيظن ذلك المغتر بماله، المدعى أنه أنفقه في سبيل الخير- أن الله لم يطلع على أفعاله ولم يعلم ما دعاه إلى الإنفاق؟ إنه لا ينبغى له أن يظن ذلك، فإن البارئ له

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣١٧):ص٣٤٣٤/١٠.
(٢) الكشاف: ٧٥٥/٤.
(٣) معاني القرآن: ٢٦٤/٣.
(٤) معاني القرآن: ٢٦٣/٣.
(٥) انظر: مجاز القرآن: ٢٩٩/٢.
(٦) انظر: غريب القرآن: ٥٢٨.
(٧) انظر: معاني القرآن: ٣٢٨/٥.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٦/٢٤.
(٩) مجاز القرآن: ٢٩٩/٢.
(١٠) غريب القرآن: ٥٢٨.
(١١) معاني القرآن: ٣٢٨/٥.
(١٢) تفسير الطبري: ٤٣٦/٢٤.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٢٧٧/٦.
(١٤) انظر: المبسوط في القراءات العشر: ٤٧٣، ومعاني القرآن للزجاج: ٣٢٨/٥.
(١٥) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(١٦) معاني القرآن: ٢٦٤/٣.
(١٧) الكشاف: ٧٥٥/٤.
(١٨) تأويلات أهل السنة: ٥٨٣/٣.

مطلع على قرارة نفسه، عالم بخبيئات قلبه، لا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السماء، عليم بأنه لم ينفق شيئا من ماله في سبيل الخير المشروع والبر المحمود، وإنما أنفق ما أنفق للرياء والسمعة، أو لمشاقة الله ورسوله، أو في وجوه أخرى يظنها خيرا وهى خسران وضلال مبين"[١].

قال السعدي: " هذا توعد لهذا الذي يفتخر بما أنفق في الشهوات، أي: أيحسب في فعله هذا، أن الله لا يراه ويحاسبه على الصغير والكبير؟ بل قد رآه الله، وحفظ عليه أعماله، ووكل به الكرام الكاتبين، لكل ما عمله من خير وشر"[٢].

عن قتادة:" {أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ}، قال: ابن آدم، إنك مسؤول عن هذا المال؛ من أين اكتسبتَه، وأين أنفقتَه"[٣].

القرآن

{أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠)} [البلد : ٨-١٠]

التفسير:

ألم نجعل له عينين يبصر بهما، ولسانًا وشفتين ينطق بها، وبينَّا له سبيلي الخير والشر؟

قوله تعالى:{أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ} [البلد : ٨]، أي:" ألم نجعل له عينين يبصر بهما"[٤].

قال ابن كثير:" أي : يبصر بهما"[٥].

قال الزمخشري:" {عَيْنَيْنِ}: يبصر بهما المرئيات"[٦].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ألم نجعل لهذا القائل {أَهْلَكْتُ مَالا لُبَدًا}، عينين يبصر بهما حجج الله عليه، ولسانا يعبر به عن نفسه ما أراد، وشفتين، نعمة منا بذلك عليه"[٧].

قال أبو الليث السمرقندي:" ذكر ما أنعم عليه ليعتبر به ويوحد فقال: ألم نخلق له عينين. يبصر بهما"[٨].

قال المراغي:" فهو إذا أبصر شيئا فإنما يكون ذلك بما خلقنا له من العينين، فهذه النعمة التي يعتز بها إنما هي من عملنا"[٩].

قوله تعالى:{وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ} [البلد : ٩]، أي:" ، ولسانًا وشفتين ينطق بها"[١٠].

قال الزمخشري:" {وَلِساناً}: يترجم به عن ضمائره، {وَشَفَتَيْنِ}، يطبقهما على فيه ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ وغير ذلك"[١١].

قال ابن كثير:" {وَلِسَانًا}، أي : ينطق به، فيُعبر عما في ضميره، {وَشَفَتَيْنِ} يستعين بهما على الكلام وأكل الطعام، وجمالا لوجهه وفمه"[١٢].

قال أبو الليث السمرقندي:" ولسانا ينطق به وشفتين فيضمهما"[١٣].

قال القشيري:" أي: ألم نخلقه سميعا بصيرا متكلما"[١].

---

(١) تفسير المراغي: ١٥٩/٣٠.
(٢) تفسير السعدي: ٩٢٤.
(٣)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٧٣.
(٤) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(٥) تفسير ابن كثير: ٤٠٤/٨.
(٦) الكشاف: ٧٥٥/٤.
(٧) تفسير الطبري: ٤٣٧/٢٤.
(٨) تأويلات أهل السنة: ٥٨٣/٣.
(٩) تفسير المراغي: ١٥٩/٣٠.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(١١) الكشاف: ٧٥٥/٤.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٤٠٤/٨.
(١٣) تأويلات أهل السنة: ٥٨٣/٣.

قال الزجاج:" أي: ألم نَفعل به ما يُستَدلُّ به على أن اللَّه قَادرٌ على أن يبعثه وأن يحصِيَ عليه ما يعمله"[٢].

قال ابن أبي زمنين:" فالذي جعل ذلك قادر على أن يبعثه فيحاسبه"[٣].

عن قتادة: "{أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ}: نِعَم من الله متظاهرة، يقررك بها كيما تشكره"[٤].

قال المراغي:" فإذا أبان عما في نفسه، فإنما يبين بما وهبنا له من لدنا من تلك الجارحة التي يتكلم بها، فإذا غره حديثه، أو قوة حجته، فليس فضل ذلك راجعا إليه، وإنما الفضل لمن وهبه ذلك"[٥].

قوله تعالى:{وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} [البلد : ١٠]، أي:" وبيَّنا له سبيلَي الخير والشر"[٦].

أحدها : سبيل الخير والشر ، قاله علي -رضي الله عنه-[٧]، وابن مسعود[٨]، والحسن[٩]، ومجاهد[١٠]، وعكرمة[١١]، والضحاك[١٢]، وعطاء الخراساني[١٣]، وابن زيد[١٤] . وهو المشهور عن ابن عباس[١٥].

قال القشيري:" ألهمناه طريق الخير والشّر"[١٦].

قال الفراء: " النجدان: سبيل الخير، وسبيل الشر"[١٧].

قال ابن قتيبة:" «النَّجْد»: الطريق في ارتفاع. يريد: طريق الخير والشر" [١٨].

قال الزجاج:" الطريقين الواضحين، النجد المرتفع من الأرض، فالمعنى: ألم نعرفه طريق الخير وطريق الشر بينين كبيان الطريقين العاليين"[١٩].

عن أبي عمارة، عن علي –رضي الله عنه- في قوله جل وعز: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}، قال: الخير والشر"[٢٠].

قال ابن مسعود-رضي الله عنه-:" نجد الخير، ونجد الشرّ"[٢١].

قال ابن عباس:" هديناه السبيلين: سبيل الخير، وسبيل الشر، يقول: عرفناه سبيل الخير، وسبيل الشر"[١].

---

(١) لطائف الإشارات: ٧٣٠/٣.
(٢) معاني القرآن: ٣٢٨/٥.
(٣) تفسير ابن أبي زمنين: ١٣٤/٥.
(٤) أخرجه الطبري: ٤٣٧/٢٤.
(٥) تفسير المراغي: ١٥٩/٣٠.
(٦) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(٧) رواه الفراء في "معاني القرآن": ٢٦٤/٣، وانظر: إعراب القرآن للنحاس: ٢٥٦/٦.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٧/٢٤، والمستدر للحكاكم(٣٩٣٤):ص٥٧٠/٢.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٨/٢٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٨/٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٨/٢٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٨/٢٤.
(١٣) انظر: الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٣١٣):ص١٠٩.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٨/٢٤.
(١٥) انظر: تفسير مجاهد: ٧٣٠. وراه عنه عكرمة.
(١٦) لطائف الإشارات: ٧٣٠/٣.
(١٧) معاني القرآن: ٢٦٤/٣.
(١٨) غريب القرآن: ٥٢٨.
(١٩) معاني القرآن: ٣٢٨/٥.
(٢٠) رواه الفراء في "معاني القرآن": ٢٦٤/٣.
(٢١) أخرجه الطبري: ٤٣٧/٢٤.

قال مجاهد:" سبيل الخير والشرّ"[٢].

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هما نجدان، فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير»[٣].

عن الحسن، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هُمَا نَجْدَانِ: نَجْدُ خَيْرٍ، وَنَجْدُ شَرّ، فَمَا جَعَلَ نَجْدَ الشَّرّ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الخَيْرِ"[٤].

قال قتادة:" ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "أَيُّها النَّاسُ إِنَّمَا هُمَا النَجْدَانِ: نَجْدُ الخَيْرِ، وَنَجْدُ الشَّرّ، فَمَا جَعَلَ نَجْدَ الشَّرّ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الخَيْرِ"[٥].

قال سهل:" بيّنّا له طريق الخير ليتبعه، وطريق الشر ليجتنبه، كما قال: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً} [الإنسان: ٣] . وقيل: يعني التدبير"[٦].

قال ابن كثير:" ونظير هذه الآية قوله :{إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [سورة الإنسان : ٢، ٣]"[٧].

قال الجصاص:" يعني -والله أعلم-: بينا سبيل الخير والشر ليجتبي الخير ويجتنب الشر وكما قيل لعمر ابن الخطاب:« فلان لا يعرف الشر. قال: أجدر أن يقع فيه»"[٨].

الثاني : سبيل الهدى والضلالة ، قاله ابن عباس[٩].

قال ابن أبي زمنين:" أي: بصرناه السبيلين: سبيل الهدى، وسبيل الضلالة"[١٠].

الثالث : سبيل الشقاء والسعادة ، قاله مجاهد[١١].

الرابع : الثديين ليتغذى بهما، قاله ابن عباس- في رواية عنه-[١٢]، وابن المسيب[١٣]، والضحاك[١٤]، وقتادة[١٥]، والربيع بن خثيم[١٦].

عن ابن عباس :"{وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}، قال: هما الثديان"[١٧].

عن محمد بن كعب القرظي:" أن ابن عباس , قال في قوله تعالى: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}، قال: «الثديين»[١٨].

---

(١) تفسير مجاهد: ٧٣٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٣٨/٢٤.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٢٢):ص٣٤٣٤/١٠، وورواه ابن عدي في الكامل (٣٥٦/٣) من طريق ابن وهب.

قال ابن كثير:٤٠٥/٨:" سنان بن سعد - ويقال : سعد بن سنان - وقد وثقه ابن معين. وقال الإمام أحمد والنسائي والجوزجاني : منكر الحديث. وقال أحمد : تركت حديثه لاضطرابه. وروى خمسة عشر حديثا منكرة كلها، ما أعرف منها حديثا واحدا. يشبه حديثه حديثَ الحسن - يعني البصري - لا يشبه حديثَ أنس".

(٤) أخرجه الطبري: ٤٣٨/٢٤.[مرسل]و عبدالرزاق في "التفسير"(٣٦١٨):ص٤٢٨/٣

(٥) أخرجه الطبري: ٤٣٨/٢٤.

(٦) تفسير التستري: ١٩٤.

(٧) تفسير ابن كثير: ٤٠٥/٨.

(٨) أحكام القرآن: ٧٠/١.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٨/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٢١):ص٣٤٣٤/١٠.

(١٠) تفسير ابن أبي زمنين: ١٣٤/٥.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٢٧٧/٦، وزاد المسير: ٤٤٨/٤.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٩/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٢٣):ص٣٤٣٤/١٠، من طريق عيسى بن عقال، عن أبيه.

(١٣) انظر: زاد المسير: ٤٤٨/٤.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٩/٢٤.

(١٥) انظر: النكت والعيون: ٢٧٧/٦، وتفسير ابن كثير: ٤٠٥/٨.

(١٦) انظر: النكت والعيون: ٢٧٧/٦، وتفسير ابن كثير: ٤٠٥/٨.

(١٧) أخرجه الطبري: ٤٣٩/٢٤.

(١٨) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير"(٣٦١٩):ص٤٢٨/٣

عن الضحاك، قال: "الثديان"[١].

وروي عن أبي بُردة، قال: "مرّ بنا الربيع بن خثيم، فسألناه عن هذه الآية: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}، فقال: أما إنهما ليسا بالثديين"[٢].

قال الطبري:" الصواب في ذلك عندنا: قول من قال: عُنِي بذلك طريق الخير والشرّ، وذلك أنه لا قول في ذلك نعلمه غير القولين اللذين ذكرنا، والثديان وإن كانا سبيلي اللبن، فإن الله تعالى ذكره إذ عدّد على العبد نِعَمه بقوله: {إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ}، إنما عدّد عليه هدايته إياه إلى سبيل الخير من نعمه، فكذلك قوله: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}"[٣].

قال المراغي:" أي: وأودعنا في فطرة الإنسان التمييز بين الخير والشر، وجعلنا له من العقل والفكر ما يكون مذكرا ومنبها، ونصبنا له الدلائل على حسن الخير وأرشدناه إلى ما في الشر من هنوات وعيوب، ثم أقدرناه على أن يسلك أيّ الطريقين شاء، بعد أن آتيناه قوة التمييز، والقدرة على الاختيار والترجيح، ليسلك الطريق التي أراد منهما، فليكن نجد الخير أحب إلى أحدكم من نجد الشر فمن نازعته نفسه واتجهت إلى نجد الشر فليقمعها بالنظر في آيات الله، والتدبر في دلائله، ليعلم أن ذلك الطريق مظلم معوج يهوى بصاحبه إلى طريق الردى، ويوقعه في المهالك. وإنما سماهما الله نجدين، للإشارة إلى أنهما واضحان كطريقين عاليين يراهما ذوو الأبصار، وإلى أن في كل منهما وعورة يشق معها السلوك، ولا يصبر عليها إلا من جاهد نفسه وراضها. وفى ذلك إيماء إلى أن طريق الشر ليست بأهون من طريق الخير، بل الغالب أن طريق الشر أصعب وأشق وأحوج إلى بذل الجهد حتى تقطع إلى النهاية وتوصل إلى الغاية"[٤].

فوائد الآيات: [١-١٠]:

١- شرف مكة وحرمتها وعلو شأن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسمو مقامه وهو فيها وقد أحلها الله تعالى له ولم يحلها لأحد سواه.

٢- شرف آدم وذريته الصالحين منهم.

٣- إعلان حقيقة وهي أن الإنسان لا يبرح يعاني من أتعاب الحياة حتى الممات ثم يستقبل شدائد الآخرة إلى أن يقرر قراره وينتهي تطوافه باستقراره في الجنة حيث يستريح نهائيا، أو في النار فيعذب ويتعب أبدا.

القرآن

{فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١)} [البلد : ١١]

التفسير:

فهلا تجاوز مشقة الآخرة بإنفاق ماله، فيأمن.

قال ابن قتيبة:" أي: فلا هو اقتحم العقبة"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فلم يركب العقبة فيقطعها ويحوزها"[٦].

قال أبو عبيدة:" فلم يقتحم العقبة في الدنيا"[٧].

قال السعدي: " أي: لم يقتحمها ويعبر عليها، لأنه متبع لشهواته"[٨].

---

(١) أخرجه الطبري: ٤٣٩/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٤٣٧/٢٤.
(٣) تفسير الطبري: ٤٣٩/٢٤.
(٤) تفسير المراغي: ١٦٠/٣٠.
(٥) غريب القرآن: ٥٢٨.
(٦) تفسير الطبري: ٤٣٩/٢٤.
(٧) مجاز القرآن: ٢٩٩/٢.
(٨) تفسير السعدي: ٩٢٤.

قال ابن أبي زمنين:" أي: لم يقتحم العقبة، وهذا خبر، أي: أنه لم يفعل. العرب تقول: لا فعل بمعنى لم يفعل"[١].

قال الزمخشري: " يعنى: فلم يشكر تلك الأيادى والنعم بالأعمال الصالحة: من فك الرقاب وإطعام اليتامى والمساكين، ثم بالإيمان الذي هو أصل كل طاعة، وأساس كل خير، بل غمط النعم [٢] وكفر بالمنعم. والمعنى: أن الإنفاق على هذا الوجه هو الإنفاق المرضى النافع عند الله، لا أن يهلك مالا لبدا في الرياء والفخار، فيكون مثله: {مَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ أَصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ...}، الآية"[٣].

وفي تفسير الآية، أقوال:

أحدها : أنها طريق النجاة ، قاله ابن زيد[٤].

قال ابن زيد :"{اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ}، أي : أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير"[٥].

الثاني : أنها جبل في جهنم ، قاله ابن عمر[٦].

الثالث : أنها عقبة شديدة في النار دون الجسر، قاله الحسن[٧]، وقتادة[٨].

قال قتادة:" للنار عقبة دون الجسر"[٩].

قال قتادة:" إنها قحمة شديدة، فاقتحموها بطاعة الله"[١٠].

قال قتادة:" النار عقبة دون الجنة"[١١].

قال قتادة:" للناس عقبة دون الجنة واقتحامها {فَكُّ رَقَبَةٍ} [البلد : ١٣]، الآية"[١٢].

عن الحسن، في قوله: "{فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ}، قال: جهنم"[١٣].

وقال الحسن:" عَقَبةٌ في جهنم"[١٤].

الرابع : أن «العقبة»: النار. قاله ابن عباس[١٥].

الخامس: سبعون دركة في جهنم، قاله كعب[١٦].

قال كعب:" العقبة: سبعون درجة في جهنم"[١٧].

عن أبي رجاء رضي الله عنه قال: "بلغني أن «العقبة»، التي ذكر الله في كتابه، مطلعها سبعة آلالف سنة، ومهبطها سبعة آلاف سنة"[١٨].

السادس: أنها الصراط يضرب على جهنم كحد السيف، قاله مجاهد[١]، والضّحّاك[٢]، والكلبي[٣].

والكلبي[٣].

---

(١) تفسير ابن أبي زمنين: ١٣٤/٥.

(٢)أي: استحقرها. أفاده المحقق.

(٣) الكشاف: ٧٥٥/٤.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٢٧٨/٦، و تفسير ابن كثير: ٤٠٦/٨.

(٥) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٠٦/٨.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٠/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٢٤):ص٣٤٣٤/١٠.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٠/٢٤، وزاد المسير: ٤٤٨/٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٠/٢٤. وفي النكت والعيون: ٢٧٨/٦: النار عقبة دون الحشر". وهو تصحيف، والصواب ما رواه عنه الطبري. «الجسر»

(٩) أخرجه الطبري: ٤٤٠/٢٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٤٠/٢٤.

(١١) تفسير عبدالرزاق(٣٦٢٢):ص٤٢٩/٣.

(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٢٥):ص٣٤٣٤/١٠.

(١٣) أخرجه الطبري: ٤٤٠/٢٤.

(١٤) أخرجه الطبري: ٤٤٠/٢٤.

(١٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٢٥):ص٣٤٣٤/١٠.

(١٦) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٦٢٢):ص٤٢٩/٣، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٢٨):ص٣٤٣٥/١٠.

(١٧) تفسير عبدالرزاق(٣٦٢٢):ص٤٢٩/٣، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٢٨):ص٣٤٣٥/١٠.

(١٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٢٧):ص٣٤٣٥/١٠.

حكي عنهم الثعلبي، قالوا: " هي الصراط يضرب على جهنّم كحدّ السيف مسيرة ثلاثة آلاف سهلا وصعودا وهبوطا، وأنّ لجنبتيه كلاليب وخطاطيف كأنّها شوك السعدان، فناج مسلم وناج مخدوس ومكردس في النار منكوس، فمن الناس من يمرّ عليه كالبرق الخاطف، ومنهم من يمرّ عليه كالريح العاصف، ومنهم من يمرّ عليه كالفارس، ومنهم من يمرّ عليه كالرجل يسير، ومنهم من يزحف زحفا، ومنهم الزالّون والزالّات، ومنهم من يكردس في النار، واقتحامه على المؤمن كما بين صلاة العصر إلى العشاء"[٤].

السابع : أن ذكر «العقبة» -هاهنا- مَثَلٌ ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البرِّ، فجعله كالذي يتكلّف صعود العقبة. يقول: لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة، والإطعام، وهذا قول قتادة[٥]، والحسن[٦]، وذكره علي بن أحمد النيسابوري في آخرين[٧].

قال قتادة:" هذا مَثَل ضربه الله سبحانه، يقول: إنّ المعتق والمطعم يقاحم نفسه وشيطانه مثل مَن يتكلّف صعود العقبة"[٨].

قال الزمخشري: " الاقتحام: الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة. والقحمة: الشدة، وجعل الصالحة: عقبة، وعملها: اقتحاما لها، لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس. وعن الحسن: عقبة والله شديدة. مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوّه الشيطان"[٩].

قال القشيري:" «العقبة» التي يجب على الإنسان اقتحامها: نفسه وهواه، وما لم يجز تلك العقبة لا يفلح"[١٠].

قال الثعلبي:" يقال: إنّه شبّه عظم الذنب وثقلها على مرتكبها بعقبة، فإذا أعتق رقبة وعمل صالحا كان مثله مثل من اقتحم تلك العقبة، وهي الذنوب حتّى تذهب وتذوب، كمن يقتحم عقبة فيستوي عليها ونحوها"[١١].

قال الحسن : "عقبة والله شديدة"[١٢].

القرآن

{وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢)} [البلد : ١٢]

التفسير:

وأيُّ شيء أعلمك: ما مشقة الآخرة، وما يعين على تجاوزها؟

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وأيّ شيء أشعرك يا محمد ما العقبة"[١٣].

قال السمعاني:" أي: فما أدراك ما تجاوز بها العقبة"[١٤].

حكي عن سفيان بن عيينة أنه قال:" كلّ ما قال جلّ وعزّ: «وما أدراك»، فقد بيّنه، وما قال فيه: «وما يدريك»، فلم يبيّنه"[١].

---

(١) انظر: الكشف والبيان: ٢١٠/١٠، وزاد المسير: ٤٤٨/٤.
(٢) انظر: الكشف والبيان: ٢١٠/١٠، والنكت والعيون: ٢٧٨/٦.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٢٧٨/٦، وزاد المسير: ٤٤٨/٤.
(٤) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢١٠/١٠.
(٥)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢١٠.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٢٧٨/٦، والكشاف: ٧٥٦/٤.
(٧) انظر: زاد المسير: ٤٤٨/٤.
(٨)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢١٠.
(٩) الكشاف: ٧٥٥/٤.
(١٠) لطائف الإشارات: ٧٣١/٣.
(١١) الكشف والبيان: ٢١٠/١٠.
(١٢) نقلا عن: النكت والعيون: ٢٧٨/٦.
(١٣) تفسير الطبري: ٤٤١/٢٤.
(١٤) تفسير السمعاني: ٢٢٩/٦.

قال النحاس:" فهذا غلط قد قال الله عزّ وجلّ: {وَما أدْراكَ مَا الْقارِعَةُ} [القارعة: ٣]، وقال تعالى ذكره: {ما أدْراكَ مَا الْحَاقَّةُ} [الحاقة: ٣]، وليس بعد هذا يتبين"[٢].

القرآن

{فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣)} [البلد : ١٣]

التفسير:

إنه عتق رقبة مؤمنة من أسر الرِّق.

قال الأخفش:" أي: "«العقبةُ»: فكُّ رقبةٍ {أوْ إطْعَامٌ}"[٣].

عن قتادة :"{وَمَا أدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ}، ثم أخبر عن اقتحامها، فقال: {فَكُّ رَقَبَةٍ أوْ إطْعَامٌ}"[٤].

قال الراغب:" الفَكّ: التّفريج، وفَكُّ الرّهن: تخليصه، وفَكُّ الرّقبة: عتقها"[٥].

وفي تفسير قوله تعالى:{فَكُّ رَقَبَةٍ} [البلد : ١٣]، أقوال:

أحدها : يعني: فك رقبة من الذنوب بالتوبة. قاله عكرمة[٦].

قال الماوردي:" يحتمل أنه أرد فك رقبته وخلاص نفسه باجتناب المعاصي وفعل الطاعات، لا يمنع الخبر من هذا التأويل، وهو أشبه الصواب"[٧].

وقال القشيري:" «فَكُّ رَقَبَةٍ» هو إعتاق نفسه من رقّ الأغراض والأشخاص"[٨].

الثاني : أنه أراد عتق الإنسان نفسه من عذاب الله بالكلم الطيّب والعمل الصّالح، وفكّ غيره بما يفيده من ذلك. حكاه الراغب[٩].

قال الراغب:" والثاني يحصل للإنسان بعد حصول الأوّل، فإنّ من لم يهتد فليس في قوّته أن يهدي"[١٠].

الثالث: يعني: إخلاصها من الأسر. حكاه الماوردي[١١].

قال السعدي: " ومن باب أولى فكاك الأسير المسلم عند الكفار"[١٢].

قال ابن عطية:" وكذلك فك الأسير إن شاء الله، وفداؤه أن ينفرد الفادي به"[١٣].

الرابع : يعني: عتقها من الرق، وسمي المرقوق رقبة، لأنه بالرق كالأسير المربوط من رقبته، وسمي: عتقاً فكها، لأنه كفك الأسير من الأسر ، قال حسان بن ثابت [١٤]:

كَمْ مِنْ أسِيرٍ فَكَكْنَاهُ بِلاَ ثَمَنٍ ... وجَرِّ نَاصِيةٍ كُنَّا مَوَاليهَا

قال ابن قتيبة:" أي: عِتقُها وفكُّها من الرِّق"[١٥].

---

(١) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ١٤٤/٥، زاد المسير: ٤٤٨/٤.

(٢) إعراب القرآن: ١٤٤/٥.

(٣) معاني القرآن: ٥٧٩/٢.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٤١/٢٤.

(٥) المفردات في غريب القرآن: ٦٤٣.

(٦) انظر: تفسير البغوي: ٤٣٣/٨.

(٧) النكت والعيون: ٢٧٩/٦.

(٨) لطائف الإشارات: ٧٣١/٣.

(٩) المفردات في غريب القرآن: ٦٤٣.

(١٠) المفردات في غريب القرآن: ٦٤٣.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٢٧٩/٦.

(١٢) تفسير السعدي: ٩٢٤.

(١٣) المحرر الوجيز: ٤٨٥/٥.

(١٤) الشاهد في النكت والعيون: ٢٧٩/٦، وأحكام القرآن لابن العربي: ٤٠١/٤، وتفسير القرطبي: ٦٨/٢٠، واللباب في علوم الكتاب: ٣٤٩/٢٠.

(١٥) غريب القرآن: ٥٢٨.

قال مكي بن أبي طالب:" أي: اقتحامها والنجاة منها هو فك رقبة من الرق وأسر العبودية"[١].

وروى عقبة بن عامر الجهني : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "من أعتق رقبة مسلمة فهو فداؤه من النار"[٢].

قال الحسن:" ذُكر لنا أنه ليس مسلم يعتق رقبة مسلمة، إلا كانت فداءه من النار"[٣].

قال قتادة : ذُكِر أن قيسا الجذامي حَدّث عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "من أعتق رقبة مؤمنة فهي فكاكه من النار"[٤].

قال قتادة : "ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن الرقاب أيها أعظم أجرا؟ قال: " أكثرها ثمنا"[٥].

عن أبي نجيح، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " أَيُّمَا مُسْلِمٍ أَعْتَقَ رَجُلا مُسْلِمًا، فإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ وَفَاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ، عَظْما مِنْ عِظامِ مُحَرّرِهِ مِنْ النَّار؛ وأَيُّمَا امْرأةٍ مُسْلِمَةٍ أَعْتَقَتِ امْرَأَةً مُسْلِمَةً، فإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ وَفَاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنَ عِظَامِهَا، عَظْما مِنَ عِظامِ مُحَرّرِها مِنَ النَّار"[٦].

عن سُليم بن عامر : "أن شرحبيل بن السمط قال لعمرو بن عَبسة حَدِّثنا حديثًا ليس فيه تَزَيّد ولا نسيان. قال عمرو : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "من أعتق رقبة مسلمة كانت فكاكه من النار، عُضْوا بعضو. ومن شاب شيبة في سبيل الله، كانت له نورا يوم القيامة، ومن رمى بسهم فبلغ فأصاب أو أخطأ، كان كمعتق رقبة من بني إسماعيل"[٧].

عن أبي أمامة، عن عمرو بن عَبسَة، قال السلمي، قلت له : حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيه انتقاص ولا وَهم. قال : سمعته يقول : "من وُلد له ثلاثة أولاد في الإسلام فماتوا قبل أن يبلغوا الحِنْثَ، أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم، ومن شاب شيبة في سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة، ومن رَمى بسهم في سبيل الله، بلغ به العدو، أصاب أو أخطأ، كان له عتق رقبة. ومن أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار، ومن أنفق زوجين في سبيل الله، فإن للجنة ثمانية أبواب، يدخله الله من أي باب شاء منها"[٨].

عن الغريف بن الديلمي، قال : أتينا واثلة بن الأسقع فقلنا له : حدثنا حَديثا ليس فيه زيادة ولا نقصان. فغضب وقال : إن أحدكم ليقرأ ومصحفه معلق في بيته، فيزيد وينقص. قلنا : إنما أردنا حديثًا سمعتَه من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال : أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا قد أوجب - يعني النار - بالقتل، فقال : "أعتقوا عنه يُعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار"[٩].

عن سعيد بن مرجانة : "أنه سمع أبا هُرَيرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرْب منها إربا منه من النار، حتى إنه ليعتق باليد اليد، وبالرجل الرجل، وبالفرج الفرج". فقال علي بن الحسين : أنتَ سَمعتَ هذا من أبي هُرَيرة ؟

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٢٨١/١٢.
(٢)المسند (١٥٠/٤)، وتفسير الطبري: ٤٤١/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٤٤١/٢٤.
(٤)المسند (١٤٧/٤).
(٥) أخرجه الطبري: ٤٤١/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٤٤١/٢٤.
(٧)المسند (١١٣/٤)، وسنن أبي داود برقم (٣٩٦٦)، وسنن النسائي الكبرى برقم (٤٨٨٥، ٤٨٨٦).
(٨) المسند (٣٨٦/٤)، قال ابن كثير: ٤٠٧/٨:" وهذه أسانيد جيدة قوية".
(٩)سنن أبي داود برقم (٣٩٦٤) وسنن النسائي الكبرى برقم (٤٨٩٠، ٤٨٩١).

فقال سعيد : نعم. فقال علي بن الحسين لغلام له - أقْرَهَ غلمانه - : ادعُ مطْرَفًا. فلما قام بين يديه قال : اذهب فأنت حُر لوجه الله"[١].

عن البراء بن عازب قال : جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله، علمني عملا يدخلني الجنة. فقال : "لئن كنت أقصرتَ الخطبة لقد أعرضت المسألة. أعتق النسمة، وفك الرقبة". فقال : يا رسول الله، أوليستا بواحدة ؟ قال : "لا إن عتق النسمة أن تنفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في عتقها. والمنحة الوكوف، والفيء على ذي الرحم الظالم ؛ فإن لم تُطِق ذلك فأطعم الجائعَ، واسْقِ الظمآن، وأمر بالمعروف، وانه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من الخير"[٢].

قال ابن عادل الحنبلي:" قال أبو حنيفة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْه -: العِتْقُ أفضل من الصدقة، وعند صاحبيه الصدقة أفضل، والآية أدلّ على قول أبي حنيفة، لتقديم العتق على الصدقة"[٣].

قرئ :{فَكُّ رَقَبَةٍ} بالإضافة، وقُرئ على أنه فعل، وفيه ضمير الفاعل و«الرقبة» مفعوله، وكلتا القراءتين معناهما متقارب[٤].

القرآن

{أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦)} [البلد : ١٤-١٦]

التفسير:

أو إطعام في يوم ذي مجاعة شديدة، يتيمًا -مات أبوه وهو صغير- من ذوي القرابة يجتمع فيه فضل الصدقة وصلة الرحم، أو فقيرًا معدمًا لا شيء عنده.

قوله تعالى:{أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ} [البلد : ١٤]، أي:" أو إطعام في يوم ذي مجاعة شديدة"[٥].

قال الطبري:" يقول: أو أطعم في يوم ذي مجاعة، والساغب: الجائع"[٦].

قال أبو عبيدة:" أي: مجاعة"[٧].

قال الزجاج:" المسغبة: المجاعة"[٨].

قال ابن عطية:" «المسغبة» : الجوع العام"[٩].

قال السعدي: " أي: مجاعة شديدة، بأن يطعم وقت الحاجة أشد الناس حاجة"[١٠].

عن مجاهد: "{فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ}، قال: الجوع"[١١].

عن ابن عباس: "{أَوْ أَطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ}، يوم مجاعة"[١٢].

عن ابن عباس، والضحاك: "{فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ}: مجاعة"[١٣].

---

(١)المسند (٤٢٢/٢) وصحيح البخاري برقم (٢٥١٧، ٦٧١٥) وصحيح مسلم برقم (١٥٠٩) وسنن الترمذي برقم (١٥٤١) وسنن النسائي الكبرى برقم (٤٨٧٥).

(٢)المسند (٢٩٩/٤).

(٣) اللباب في علوم الكتاب: ٣٤٩/٢٠.

(٤) انظر: السبعة في القراءات: ٦٨٦، وتفسير ابن كثير: ٤٠٦/٨.

(٥) التفسير الميسر: ٥٩٤.

(٦) تفسير الطبري: ٤٤٢/٢٤.

(٧) مجاز القرآن: ٢٩٩/٢.

(٨) معاني القرآن: ٣٢٩/٥.

(٩) المحرر الوجيز: ٤٨٥/٥.

(١٠) تفسير السعدي: ٩٢٤.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٤.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٤٢/٢٤.

(١٣) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٤.

قال عكرمة:" ذي مجاعة"[1].

قال الحسن:" في يوم، الطعام فيه عزيز"[2]. وروي عن إبراهيم مثله[3].

وقال قتادة:" يوم يُشْتَهَى فيه الطعام"[4].

قوله تعالى:{يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ} [البلد : ١٥]، أي:" يتيمًا -مات أبوه وهو صغير- من ذوي القرابة يجتمع فيه فضل الصدقة وصلة الرحم"[5].

قال الطبري:" يقول: أو أطعم في يوم مجاعة صغيرًا لا أب له من قرابته، وهو اليتيم ذو المقرَبة؛ وعُنِي بذي المقربة: ذا القرابة"[6].

قال البغوي:" يريد يتيما بينك وبينه قرابة"[7].

قال ابن عباس:" أي: ذا قرابة"[8]. وروي عن ابن زيد مثله[9].

قال عكرمة والحسن والضحاك والسدي :"أي: ذا قرابة منه"[10].

قال ابن عطية:" معناه: ذا مقربة لتجتمع الصدقة والصلة، وهذا نحو ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزينب امرأة عبد الله بن مسعود: «تصدقي على زوجك فهي صدقة لك وصلة»[11]"[12].

عن الشعبي:" أن زينب امرأة عبد الله سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقة على الأقارب، فقال: «الصدقة على الأقارب تضاعف على غير الأقارب مرتين»[13].

عن سليمان بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان، صدقة وصلة"[14].

قوله تعالى:{أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ} [البلد : ١٦]، أي:" أو فقيرًا معدمًا لا شيء عنده"[15].

قال ابن عطية:" و{أَوْ} في قوله {أَوْ مِسْكِيناً ذا مَتْرَبَةٍ}، فيها معنى الإباحة ومعنى التخيير، لأن الكلام يتضمن معنى الحض والأمر فيها أيضا معنى التفضيل المجرد، لأن الكلام

---

(١) أخرجه الطبري: ٤٤٢/٢٤.

(٢) تفسير مجاهد: ٧٣١.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٣٠):ص٣٤٣٥/١٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٤.

(٥) التفسير الميسر: ٥٩٤.

(٦) تفسير الطبري: ٤٤٣/٢٤.

(٧) تفسير البغوي: ٤٣٣/٨.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٣١):ص٣٤٣٥/١٠.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٣/٢٤.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٩٧/٨.

(١١) روي عن عمرو بن الحارث، عن زينب الثقفية، امرأة عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنساء: «تصدقن ولو من حليكن» فقالت زينب لعبد الله: أيجزئ عني أن أضع صدقتي فيك وفي بني أخي أو أختي أيتام؟ وكان عبد الله خفيف ذات اليد، فقال: سلي عن ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت زينب: فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا امرأة من الأنصار يقال لها: زينب، جاءت تسأل عما جئت أسأل عنه، فخرج إلينا بلال، فقلنا له: سل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تخبره من نحن: أيجزئ عني أن أضع صدقتي في بني أخي أيتام أو بني أختي أيتام في حجري؟ فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر ذلك له، فقال: «أي الزيانب هي؟» فقال: زينب امرأة عبد الله بن مسعود، وزينب امرأة من الأنصار، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أخبرهما أن لهما أجرين أجر [ص:٢٢٧] القرابة وأجر الصدقة». [مسند أبي داود(١٧٥٨):ص٢٢٦/٣،]

(١٢) المحرر الوجيز: ٤٨٦/٥.

(١٣) مسند إسحاق بن راهويه(٢٤٠١):ص٢٤٨/٥.

(١٤)المسند (٢١٤/٤) وسنن الترمذي برقم (٦٥٨) وسنن النسائي (٩٢/٥) وقال الترمذي : "حديث سلمان بن عامر حديث حسن".

(١٥) التفسير الميسر: ٥٩٤.

يجري مجرى الخبر الذي لا تكون أوْ فيه إلا منفصلة، وأما معنى الشك أو الإبهام فلا مدخل لها في هذه الآية"[1].

وفي تفسير قوله تعالى:{أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ} [البلد : ١٦]، أقوال:

أحدها : أن «ذا المتربة»: هو المطروح على الطريق لا بيت له، قاله ابن عباس[2]، ومجاهد[3].

قال ابن عباس:" المُلقى في الطريق الذي ليس له بيت إلا التراب"[4].

قال ابن عباس:" هو المطروح الذي ليس له بيت"[5].

قال ابن عباس:" المسكين؛ المطروح في التراب"[6].

قال ابن عباس:" هو المسكين الملقى بالطريق بالتراب"[7].

قال ابن عباس، ومجاهد:" الذي ليس له مأوى إلا التراب"[8].

وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر عن النبي - -صلى الله عليه وسلم- في قوله: {مِسْكينا ذَا مَتْرَبَة}، قال: «الذي مأواه المزابل»[9].

الثاني : الذي قد ألصقه الفقر بالتراب، فلا يقيه من التراب لباس ولا غيره، قاله ابن عباس- أيضا[10]، والحسن[11]، ومجاهد-أيضا-[12]، وعكرمة[13]، وأبو الرجاء[14]، وعطاء الخراساني[15]، وأبو عبيدة[16].

عن مجاهد: "{ذَا مَتْرَبَةٍ}، قال: ساقط في التراب"[17].

قال مجاهد:" المطروح في الأرض، الذي لا يقيه شيء دون التراب"[18].

قال مجاهد:" الذي لا يقيه من التراب شيء""[19].

قال مجاهد:" الذي لا يُواريه إلا التراب"[20].

قال ابن عباس:" الذي ليس له شيء يقيه من التراب"[21].

قال ابن عباس:" هو المُلزق بالأرض، لا يقيه شيء من التراب"[22].

---

(١) المحرر الوجيز: ٤٨٦/٥.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٥/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٣/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٤٤٥/٢٤.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٣٢):ص٣٤٣٥/١٠.
(٦) أخرجه الطبري: ٤٤٤/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٤.
(٩) الدر المنثور: ٥٢٦/٨.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٤/٢٤.
(١١) رواه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢١٠/١٠-٢١١، وحكاه عنه ابن أبي زمنين في تفسيره:: ١٣٤/٥.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٤/٢٤.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٥/٢٤.
(١٤) رواه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢١٠/١٠-٢١١.
(١٥) انظر: الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٣١٤):ص١٠٩.
(١٦) انظر: مجاز القرآن: ٢٩٩/٢.
(١٧) أخرجه الطبري: ٤٤٤/٢٤.
(١٨) أخرجه الطبري: ٤٤٤/٢٤.
(١٩) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٤.
(٢٠) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٤.
(٢١) أخرجه الطبري: ٤٤٤/٢٤.
(٢٢) أخرجه الطبري: ٤٤٤/٢٤.

قال ابن عباس:" التراب: الملقى على الطريق على الكُناسة"[١].
قال ابن عباس:" هو اللازق بالتراب من شدّة الفقر"[٢].
قال عكرمة:" الملتزق بالأرض من الحاجة"[٣]. وفي لفظ :" المترب: اللازق بالأرض من الجهد"[٤].
قال عكرمة:" التراب: اللاصق بالأرض"[٥].
قال عكرمة:" ليس بينه وبين التراب شيء قد لزق به"[٦].
عن أبي صالح، عن ابن عباس: أنه مر بمسكين لاصق بالتراب حاجة، فقال: هذا الذي قال الله تبارك وتعالى: {أو مسكينا ذا متربة}"[٧].
قال أبو عبيدة:" قد لزق بالتراب"[٨].
قال ابن قتيبة:" أي: ذا فقرٍ، كأنه لَصِق بالتراب من الفقر"[٩].
قال الزجاج:" يعنى: أنه من فقره قد لصق بالتُّرَاب"[١٠].
قال مقاتل:" يعني: فقيرا قد التصق ظهره بالتراب من العري، وشدة الحاجة، فيستحي أن يخرج فيسأل الناس"[١١].
قال ابن عطية:" معناه: مذقعا قد لصق بالتراب وهذا مما ينحو إلى أن المسكين أشد فاقة من الفقير"[١٢].
الثالث : أنه ذو العيال ، قاله سعيد بن جبير[١٣]، وقتادة[١٤]، والضحاك[١٥].
قال قتادة:" مسكين ذو بنين وعيال، ليس بينك وبينه قرابة"[١٦].
قال قتادة:" كنا نحدّث أن الترب هو ذو العيال الذي لا شيء له"[١٧].
قال الضحاك:" ذا عيال لاصقين بالأرض، من المسكنة والجهد"[١٨].
الرابع : أنه المديون، قاله عكرمة[١٩].
الخامس : أنه ذو زمانة ، قاله أبو سنان[٢٠].
السادس : أنه الذي ليس له أحد ، قاله ابن جبير[٢١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٣٣٢):ص٣٤٣٥/١٠.
(٣) أخرجه الطبري: ٤٤٥/٢٤.
(٤) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير"(٣٦٢٤)ص: ٤٢٩/٣.
(٥) أخرجه الطبري: ٤٤٥/٢٤.
(٦) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير"(٣٦٢١)ص: ٤٢٩/٣.
(٧) رواه الفراء في "معاني القرآن": ٢٦٦/٣.
(٨) مجاز القرآن: ٢٩٩/٢.
(٩) غريب القرآن: ٥٢٨.
(١٠) معاني القرآن: ٣٣٠/٥.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٠٣/٤.
(١٢) المحرر الوجيز: ٤٨٦/٥.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٥/٢٤.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٥/٢٤.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٥/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ٤٤٥/٢٤.
(١٧) أخرجه الطبري: ٤٤٥/٢٤.
(١٨) أخرجه الطبري: ٤٤٥/٢٤.
(١٩) انظر: النكت والعيون: ٢٧٩/٦.
(٢٠) انظر: النكت والعيون: ٢٧٩/٦.
(٢١) انظر: النكت والعيون: ٢٧٩/٦.

السابع : أن ذا المتربة : البعيد التربة، يعني: الغريب البعيد عن وطنه، رواه عكرمة عن ابن عباس[١].

قال ابن عباس:" يعني: بعيد التربة، أي: غريبا من وطنه"[٢].

الثامن: أن «المتربة»: شدة الحاجة، من قولهم: ترب الرجل إذا افتقر[٣]. قاله ابن عباس[٤]، وابن زيد[٥].

قال ابن زيد:" ذا حاجة، الترب: المحتاج"[٦].

وقال عكرمة:" هو المحارَف الذي لا مال له"[٧].

قال الثعلبي:" سمعت أبا القاسم الحلبي، يقول: سمعت أبا حامد الخازرجي، يقول: المتربة -هاهنا-: من التربة، وهي: شدّة الحال، وأنشد الهذلي[٨]:

وكُنَّا إذا مَا الضيفُ حَلَّ بأرضِنا، ... سَفَكْنا دِماءَ البُدْن فِي تُرْبَة الحَال"[٩].

التاسع: أن «المسكين ذو المتربة»: هو الرجل الذي يخرج من بيته إلى حاجة، ثم يرد وجهه منقلبا إلى بيته يستيقن ليس له فيه إلا التراب. وهذا قول أبو سعيد الخدري[١٠].

عن حنش بن عبد الله:" أن أبا سعيد الخدري قال له: سل لي عبد الله بن عباس عن: {مسكينا ذا متربة}، قال: فلقيت ابن عباس فقلت له: ما «المسكين ذا متربة»، فقال: المسكين ذو المتربة الرجل الذي يخرج من بيته إلى حاجة، ثم يرد وجهه منقلبا إلى بيته يستيقن ليس له فيه إلا التراب"[١١].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال: عُنِيَ به: أو مسكينا قد لصق بالتراب من الفقر والحاجة؛ لأن ذلك هو الظاهر من معانيه. وأن قوله: {مَتْرَبَةٍ} إنما هي «مَفْعَلَةٍ»، من ترب الرجل: إذا أصابه التراب"[١٢].

القرآن

{ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧)} [البلد : ١٧]

التفسير:

ثم كان مع فِعْل ما دُكر من أعمال الخير من الذين أخلصوا الإيمان لله، وأوصى بعضهم بعضًا بالصبر على طاعة الله وعن معاصيه، وتواصوا بالرحمة بالخلق.

قوله تعالى:{ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا} [البلد : ١٥]، أي:" ثم كان مع فِعْل ما دُكر من أعمال الخير من الذين أخلصوا الإيمان لله"[١٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ثم كان هذا الذي قال: {أَهْلَكْتُ مَالا لُبَدًا} من الذين آمنوا بالله ورسوله، فيؤمن معهم كما آمنوا"[١٤].

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٣١):ص٣٤٣٥/١٠.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٣١):ص٣٤٣٥/١٠.
(٣) انظر: أحكام القرآن للجصاص: ٦٣٧/٣.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٥/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٥/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٤٤٥/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٤٥/٢٤.
(٨) وانظر: البيت في اللسان مادة(حول):ص١٩١/١.
(٩) الكشف والبيان: ٢١١/١٠.
(١٠) انظر: تفسير القرآن لمن الجامع لابن وهب(٣٦٣):ص١٧١/٢.
(١١) تفسير القرآن لمن الجامع لابن وهب(٣٦٣):ص١٧١/٢.
(١٢) تفسير الطبري: ٤٤٦/٢٤.
(١٣) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(١٤) تفسير الطبري: ٤٤٦/٢٤.

قال السمعاني:" يعني: يقتحم العقبة من فعل هذه الأشياء، فكان من الذين آمنوا"[١].
قال مقاتل:" آمنوا بالله- تعالى- وملائكته وكتبه ورسله وجنته وناره"[٢].
قال السعدي: "أي: آمنوا بقلوبهم بما يجب الإيمان به، وعملوا الصالحات بجوارحهم. من كل قول وفعل واجب أو مستحب"[٣].
قال النحاس:" ثم كان من الذين آمنوا، أي: ثبت على الإيمان، وقيل: ثم للإخبار"[٤].
قال الزجاج:" معناه: إذا فعل ذلك وكان عقد الإيمان ثم أقام على إيمانه"[٥].
قال ابن كثير:" أي : ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة مؤمنٌ بقلبه، محتسب ثواب ذلك عند الله عز وجل. كما قال تعالى :{وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا} [الإسراء : ١٩] وقال {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ} الآية [النحل : ٩٧]"[٦].
فإن قيل: كلمة «ثم» للتراخي باتفاق أهل اللغة، فكيف وجه المعنى في الآية، وقد ذكر الإيمان متراخيا عن هذه الأشياء؟
والجواب: قال النحاس: هو مشكل، وأحسن ما قيل فيه أن معناه: ثم أخبركم أنه كان من الذين آمنوا حين فعل هذه الأشياء[٧].
وقال ابن العربي والجصاص:" «ثم» بمعنى: «الواو»"[٨]. أي: "وكان من الذين آمنوا"[٩].
قال النحاس: " وهذا لا يصح ولا يجوز"[١٠].
قال ابن عطية:" معنى قوله {ثُمَّ كانَ}، أي: كان وقت اقتحامه العقبة، {مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا}، وليس المعنى أنه يقتحم، ثم يكون بعد ذلك، لأن الاقتحام كان يقع من غير مؤمن وذلك غير نافع"[١١].
قال الزمخشري:" جاء بـ«ثم»، لتراخى الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة، لا في الوقت، لأنّ الإيمان هو السابق المقدّم على غيره، ولا يثبت عمل صالح إلا به"[١٢].
قوله تعالى:{وَتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ} [البلد : ١٦]، أي:" وأوصى بعضهم بعضًا بالصبر على طاعة الله وعن معاصيه"[١٣].
قال الطبري:" يقول: وممن أوصى بعضهم بعضا بالصبر على ما نابهم في ذات الله"[١٤].
قال الزجاج:" أي: على طاعة الله، والصبر عن الدخول في معاصيه"[١٥].

---

(١) تفسير السمعاني: ٢٣١/٦.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٠٣/٤.
(٣) تفسير السعدي: ٩٢٤.
(٤) إعراب القرآن: ١٤٤/٥.
(٥) معاني القرآن: ٣٣٠/٥.
(٦) تفسير ابن كثير: ٤٠٨/٨-٤٠٩.
(٧) انظر: تفسير السمعاني: ٢٢٣١/٦.
(٨) أحكام القرآن: : ١٩٦/١.
(٩) أحكام القرآن: ٣٨٨/١.
(١٠) معاني القرآن: ٢٤٩/٦، ورده أيضا السمعاني في "التفسير": ٢٢٣١/٦.
(١١) المحرر الوجيز: ٤٨٦/٥.
(١٢) الكشاف: ٧٥٧/٤.
(١٣) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(١٤) تفسير الطبري: ٤٤٦/٢٤.
(١٥) معاني القرآن: ٣٣٠/٥.

قال ابن عطية:" معناه: على طاعة الله وبلائه وقضائه وعن الشهوات والمعاصي"[١].
قال ابن كثير:" أي : المتواصين بالصبر على أذى الناس"[٢].
قال سهل:" يعني: بالصبر على أمر الله"[٣].
قال مقاتل:" يعني: على فرائض الله- تعالى- ما افترض عليهم في القرآن، فإنهم إن لم يؤمنوا بالله، ولم يعملوا الصالحات، ولم يصبروا على الفرائض، لم أقبل منهم كفاراتهم وصدقاتهم"[٤].
قال السمعاني:" أي: بالصبر عن معاصي الله، وقيل: بالصبر على طاعة الله، وقيل: بالصبر عن لذات الدنيا وشهواتها"[٥].
قال الزمخشري:" أي: أوصى بعضهم بعضا بالصبر على الإيمان والثبات عليه. أو بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى بها المؤمن"[٦].
قال السعدي: أي: " على طاعة الله وعن معصيته، وعلى أقدار الله المؤلمة بأن يحث بعضهم بعضًا على الانقياد لذلك، والإتيان به كاملا منشرحًا به الصدر، مطمئنة به النفس"[٧].
عن كعب:" {وتواصوا بالصبر} [البلد: ١٧] : «على فرائض الله وحكمه»"[٨].
عن هشام بن حسّان، في قوله:" {وتَواصَوْا بِالصَّبْرِ}، قال: على ما افترض الله"[٩].
قوله تعالى:{وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ} [البلد : ١٧]، أي:" وتواصوا بالرحمة بالخلق"[١٠].
قال الزجاج:" ثم كان مع ذلك من الذين يتواصون {بِالْمَرْحَمَةِ}"[١١].
قال الزمخشري:" المرحمة: الرحمة، أي وأوصوا بأن يكونوا متراحمين متعاطفين. أو بما يؤدى إلى رحمة الله "[١٢].
قال السمعاني:" أي: مرحمة بعضهم على بعض، :{وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ}: هو وصية البعض البعض"[١٣].
قال الثعلبي: أي:" برحمة الناس"[١٤].
قال ابن كثير:" والمتواصين على الرحمة بهم"[١٥].
قال سهل:" والتراحم بين الخلق. وقد سئل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما الإسلام؟ فقال: «الصبر والسماح. فقيل: ما الإيمان؟ فقال: طيب الكلام وإطعام الطعام»[١٦]. قال سهل: وأطيب الكلام ذكر الله تعالى"[١٧].
قال مقاتل:" يعني: بالرحم، فلا يقطعونها"[١].

---

(١) المحرر الوجيز: ٤٨٦/٥.
(٢) تفسير ابن كثير: ٤٠٩/٨.
(٣) تفسير التستري: ١٩٥.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٠٣/٤.
(٥) تفسير السمعاني: ٢٣١/٦.
(٦) الكشاف: ٧٥٧/٤.
(٧) تفسير السعدي: ٩٢٤.
(٨) تفسير مجاهد: ٧٤٧.
(٩)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(١١) معاني القرآن: ٣٣٠/٥.
(١٢) الكشاف: ٧٥٧/٤.
(١٣) تفسير السمعاني: ٢٣١/٦.
(١٤) الكشف والبيان: ٢١١/١٠.
(١٥) تفسير ابن كثير: ٤٠٩/٨.
(١٦)) في اعتقاد أهل السنة ٤/ ٨٤٦: «٤قيل للحسن: ما الإيمان؟ قال: الصبر والسماح. قال: الصبر عن محارم الله، بفرائض الله».
(١٧) تفسير التستري: ١٩٥.

قال ابن عطية:" قيل: هو التراحم وعطف بعض من الناس على بعض، وفي ذلك قوام الناس ولو لم يتراحموا جملة هلكوا"[٢].

قال السعدي: " من إعطاء محتاجهم، وتعليم جاهلهم، والقيام بما يحتاجون إليه من جميع الوجوه، ومساعدتهم على المصالح الدينية والدنيوية، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه"[٣].

قال ابن عباس:" مَرْحَمة الناس"[٤].

قال ابن عباس:" يعني: بذلك رحمة الناس كلهم"[٥].

وجاء في الحديث : «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[٦].

وفي حديث آخر : «لا يَرْحَم اللهُ من لا يَرْحَم الناس»[٧]"[٨].

عن ابن عامر عن عبد الله بن عَمْرو - يرويه - قال : "من لم يَرْحم صغيرنا ويَعْرِف حَقَّ كبيرنا، فليس منا"[٩].

القرآن

{أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨)} [البلد : ١٨]

التفسير:

الذين فعلوا هذه الأفعال، هم أصحاب اليمين، الذين يؤخذ بهم يوم القيامة ذات اليمين إلى الجنة.

قال الطبري:" يقول: الذين فعلوا هذه الأفعال التي ذكرتها، من فكّ الرقاب، وإطعام اليتيم، وغير ذلك، أصحاب اليمين، الذين يؤخذ بهم يوم القيامة ذات اليمين إلى الجنة"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين"[١١].

قال السعدي: " لأنهم أدوا ما أمر الله به من حقوقه وحقوق عباده، وتركوا ما نهوا عنه، وهذا عنوان السعادة وعلامتها"[١٢].

وفي تسميتهم «أصحاب الميمنة»، سبعة وجوه:

أحدها : لأنهم أُخذوا من شق آدم الأيمن، قاله زيد بن أسلم[١٣].

الثاني : لأنهم أوتوا كتابهم بأيمانهم. قاله عطاء[١٤]، ومحمد بن كعب[١٥].

الثالث : لأنهم أهل الحسنات. قاله ابن جريج[١٦].

الرابع : لأنهم ميامين على أنفسهم. قاله الحسن[١]، والربيع[٢]، ويحيى بن سلام[٣].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٠٣/٤.
(٢) المحرر الوجيز: ٤٨٦/٥.
(٣) تفسير السعدي: ٩٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٤٤٦/٢٤.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٣٣):ص٣٤٣٥/١٠.
(٦)رواه الإمام أحمد في المسند (١٦٠/٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
(٧)رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٣١٩) من حديث جرير رضي الله عنه.
(٨) تفسير ابن كثير: ٤٠٩/٨.
(٩)سنن أبي داود برقم (٤٩٤٣).
(١٠) تفسير الطبري: ٤٤٦/٢٤.
(١١) تفسير ابن كثير: ٤٠٩/٨.
(١٢) تفسير السعدي: ٩٢٤.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٥، وتفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.
(١٤)تفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.
(١٥) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٥، وتفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.
(١٦) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٥، وتفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.

قال الزجاج:" أولئك أصحاب اليمن على أنفسهم، أي: كانوا ميامين على أنفسهم غير مشائيم"[٤].

الخامس : لأنهم أهل الجنة. قاله السدي[٥].

قال النحاس:" يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة"[٦].

قال ابن عطية:" «الْمَيْمَنَةِ»: هي فيما روي عن يمين العرش، وهو موضع الجنة ومكان المرحومين من الناس"[٧].

السادس : لأنهم أصحاب التقدم، والعرب تقول: اجعلني في يمينك ولا تجعلني في شمالك، أي: اجعلني من المتقدمين ولا تجعلنا من المتأخرين. قاله المبرد[٨].

السابع : لأنه منزلهم على اليمين ، قاله ميمون[٩].

عن الحسن، عن معاذ بن جبل: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية: {أَصْحَابُ الْيَمِينِ} [الواقعة: ٢٧] ، {وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ} [الواقعة: ٤١]- فقبض بيديه قبضتين فقال: «هذه في الجنة ولا أبالي وهذه في النار ولا أبالي»"[١٠].

عن أنس بن مالك، قال: «كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل صلى الله عليه وسلم، ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي، فعرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا، قال جبريل: لخازن السماء افتح، قال: من هذا؟ قال هذا جبريل، قال: هل معك أحد؟ قال: نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم، فقال: أرسل إليه؟ قال: نعم، فلما فتح علونا السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة، وعلى يساره أسودة، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى، فقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى حتى عرج بي إلى السماء الثانية، فقال لخازنها: افتح، فقال له خازنها مثل ما قال الأول: ففتح، - قال أنس: فذكر أنه وجد في السموات آدم، وإدريس، وموسى، وعيسى، وإبراهيم صلوات الله عليهم، ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة، قال أنس - فلما مر جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم بإدريس قال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح، فقلت من هذا؟ قال: هذا إدريس، ثم مررت بموسى فقال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا موسى، ثم مررت بعيسى فقال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا عيسى، ثم مررت بإبراهيم، فقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا إبراهيم صلى الله عليه وسلم "، قال ابن شهاب: فأخبرني ابن حزم، أن ابن عباس، وأبا حبة الأنصاري، كانا يقولان: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام»، قال ابن حزم، وأنس بن مالك: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ففرض الله

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٥، وتفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.

(٢)تفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٢٨٠/٦.

(٤) معاني القرآن: ٣٣٠/٥.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٥.

(٦) إعراب القرآن: ١٤٤/٥.

(٧) المحرر الوجيز: ٤٨٦/٥.

(٨) نقلا عن: تفسير القرطبي: ١٩٩/١٧.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٢٨٠/٦.

(١٠)المسند (٢٢٠٧٧):ص٣٩٥/٣٦، والحسن لم يسمع من معاذ.

عز وجل على أمتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك، حتى مررت على موسى، فقال: ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة، قال: فارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعت، فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى، قلت: وضع شطرها، فقال: راجع ربك، فإن أمتك لا تطيق، فراجعت فوضع شطرها، فرجعت إليه، فقال: ارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعته، فقال: هي خمس، وهي خمسون، لا يبدل القول لدي، فرجعت إلى موسى، فقال: راجع ربك، فقلت: استحييت من ربي، ثم انطلق بي، حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى، وغشيها ألوان لا أدري ما هي؟ ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها حبايل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك"»[1].

القرآن

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩)} [البلد : ١٩]

التفسير:

والذين كفروا بالقرآن هم الذين يؤخذ بهم يوم القيامة ذات الشمال إلى النار.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا} [البلد : ١٩]، أي:" والذين كفروا بالقرآن"[2].

عن سعيد بن جبير: "{آياتنا}، يعني: القرآن"[3].

عن سعيد بن جبير، في قوله: "{آيات الله}، يعني: القرآن"[4].

قال الطبري:" يقول: والذين كفروا بأدلتنا وأعلامنا وحججنا من الكتب والرُّسل وغير ذلك"[5].

قال السعدي: " بأن نبذوا هذه الأمور وراء ظهورهم، فلم يصدقوا بالله، ولا آمنوا به، ولا عملوا صالحًا، ولا رحموا عباد الله"[6].

قوله تعالى:{هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ} [البلد : ١٩]، أي:" هم الذين يؤخذ بهم يوم القيامة ذات الشمال إلى النار"[7].

قال الطبري:" يقول: هم أصحاب الشمال يوم القيامة الذين يؤخذ بهم ذات الشمال"[8].

قال ابن كثير:" أي : أصحاب الشمال"[9].

قال الزجاج:" «أصحاب الشمال»: هم أصحاب المنزلة الدنيئة الخسيسة"[10].

قال ابن قتيبة:" والعرب تسمِّي اليدَ اليسرى: الشُّؤمَى؛ والجانبَ الأيسر: الجانبَ الأشْأَمَ. ومنه قيل: اليُمْن والشُّؤم. فاليُمن: كأنه ما جاء عن اليمين؛ والشُّؤم: ما جاء عن الشمال. ومنه سميت: اليَمَنُ، والشَّأم"[11].

وفي تسميتهم بذلك، سبعة وجوه:

أحدها : لأنهم أخذوا من شق آدم الأيسر، قاله زيد بن أسلم[12].

---

(١) صحيح البخاري(٣٤٩):ص٧٨/١.

(٢) التفسير الميسر: ٥٩٥.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٩٤٣):ص٢٩٨٣/٩، في تفسير قوله تعالى: {نَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} [القصص : ٤٥]، وانظر: (١٠٥٧٧):ص١٩٨٥/٦. في تفسير قوله تعالى: {وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ} [يونس : ٩٢].

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٥٤٤):ص٤٨١/٢.

(٥) تفسير الطبري: ٤٤٦/٢٤.

(٦) تفسير السعدي: ٩٢٤.

(٧) التفسير الميسر: ٥٩٥.

(٨) تفسير الطبري: ٤٤٦/٢٤.

(٩) تفسير ابن كثير: ٤٠٩/٨.

(١٠) معاني القرآن: ١٠٩/٥.

(١١) غريب القرآن: ٤٤٦.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٥، وتفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.

الثاني : لأنهم أوتوا كتابهم بشمالهم ، قاله عطاء[١]، ومحمد بن كعب[٢].
الثالث : لأنهم أهل السيئات ، قاله ابن جريج[٣].
الرابع : لأنهم مشائيم على أنفسهم، قاله الحسن[٤]، والربيع[٥]، ويحيى بن سلام[٦].
قال الزجاج:" أي: هم المشائيم على أنفسهم، نعوذ بالله من النار"[٧].
الخامس : لأنهم أهل النار ، قاله السدي[٨].
قال النحاس:" يؤخذ بأهل النار ذات الشمال إلى النار"[٩].
السادس : لأنهم أصحاب التأخر. والعرب تقول: اجعلني في يمينك ولا تجعلني في شمالك، أي: اجعلني من المتقدمين ولا تجعلنا من المتأخرين. قاله المبرد[١٠].
السابع: لأن منزلهم عن اليسار ، وهو مقتضى قول ميمون[١١].
قال ابن عطية:" «المَشْأَمَةِ»: الجانب الأشأم وهو الأيسر، وفيه جهنم، وهو طريق المعذبين يؤخذ بهم ذات الشمال، وهذا مأخوذ من اليمن والشام للواقف بباب الكعبة متوجها إلى مطلع الشمس، واليد الشؤمى هي اليسرى"[١٢].

القرآن
{عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ (٢٠)} [البلد : ٢٠]
التفسير:
جزاؤهم جهنم مطبَقةٌ مغلقة عليهم.
قال الطبري: يقول: "عليهم نار جهنم يوم القيامة مُطْبَقة؛ يقال منه: أوصدت وآصدت"[١٣].
قال ابن كثير:" أي : مطبقة عليهم، فلا محيد لهم عنها، ولا خروج لهم منها "[١٤].
قال السعدي: "أي: مغلقة، في عمد ممددة، قد مدت من ورائها، لئلا تنفتح أبوابها، حتى يكونوا في ضيق وهم وشدة"[١٥].
قال أبو عبيدة:" مطبقة، آصدت وأوصدت، وهو أطبقت"[١٦].
عن أبي هريرة:" {مُؤْصَدَةٌ}، قال: مؤصدة مطبقة"[١٧].
عن ابن عباس: "{عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ}، قال: مُطْبَقة"[١٨].
قال ابن عباس:" مغلقة الأبواب"[١].

---

(١)تفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٥، وتفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٥، وتفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٥، وتفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.
(٥)تفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٢٨٠/٦.
(٧) معاني القرآن: ٣٣٠/٥.
(٨) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٥.
(٩) إعراب القرآن: ١٤٤/٥.
(١٠) نقلا عن: تفسير القرطبي: ١٩٩/١٧.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٢٨٠/٦.
(١٢) المحرر الوجيز: ٤٨٦/٥.
(١٣) تفسير الطبري: ٤٤٦/٢٤.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٤٠٩/٨.
(١٥) تفسير السعدي: ٩٢٤.
(١٦) مجاز القرآن: ٢٩٩/٢.
(١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٣٣):ص٣٤٣٥/١٠.
(١٨) أخرجه الطبري: ٤٤٦/٢٤-٤٤٧.

قال الضحاك:" مغلقة عليهم"[٢].

عن الحسن، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وعطية العوفي:" {عَلَيْهِمْ نارٌ مُؤْصَدَةٌ}، قال: مُطبَقة"[٣].

قال قتادة:" أي: مُطْبَقة، أطبقها الله عليهم، فلا ضوء فيها ولا فرج، ولا خروج منها آخر الأبد"[٤].

وقال أبو عمران الجوني : " إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان، وكل من كان يخاف الناس في الدنيا شره، فأوثقوا في الحديد، ثم أمر بهم إلى جهنم، ثم أو صدوها عليهم، أي: أطبقوها قال: فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبدا، ولا والله لا ينظرون فيها إلى أديم سماء أبدا، ولا والله لا تلتقي جفون أعينهم على غمض نوم أبدا، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبدا"[٥].

فوائد الآيات: [١١-٢٠]:

١- التنديد بمن ينفق ماله في معصية الله ورسوله، والنصح له بالإتفاق في الخير فإنه أجدى له، وأنجى من عذاب الله.

٢- بيان أن عقبة عذاب الله يوم القيامة تقتحم وتجتاز بالإتفاق في سبيل الله وبالإيمان والعمل الصالح والتواصي به.

٣- التنديد بالكفر والوعيد الشديد لأهله.

«آخر تفسير سورة (البلد)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٣٣):ص٣٤٣٥/١٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٤٧/٢٤.

(٣)تفسير مجاهد ص ٧٣١. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد. وأخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٧٥.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٤٧/٢٤.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٢٦):ص٣٤٣٥/١٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الشمس»

«سورة الشمس»: هي السورة الحادية والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة القدر»، وقبل «سورة البروج»، وآياتها خمس عشرة عند القراء. وعند المكي ست عشرة. وكلماتها أربع وخمسون. وحروفها مائتان وأربعون. المختلف فيها آية:{فَعَقَرُوهَا} [الشمس : ١٤]. فواصل آياتها على «الألف»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أسماؤها التوقيفية:**
- **أولا:-«سورة الشمس»:**

سميت هذه السورة في المصاحف وفي معظم كتب التفسير[٢] «سورة الشمس» بدون واو، وكذلك عنونها النسائي في سننه[٣].

وقد وردت في بعض المصادر «سورة والشمس»، مع الواو[٤].

ووجه تسميتها بذلك إما على حكاية اللفظ الواقع في أولها، قال تعالى: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا} [الشمس : ١].

- **ثانيا:- «سورة والشمس وضحاها»:**

عنونها البخاري[٥]، والترمذي[٦]، سورة «والشمس وضحاها»، بحكاية لفظ الآية، وكذلك سميت في بعض التفاسير[٧]، وهو أولى أسمائها لئلا تلتبس على القارئ بسورة إذا الشمس كورت المسماة سورة التكوير[٨].

وأما الحاكم فقد عنونها سورة «الشمس وضحاها» بدون واو[٩].

وهي تسمية للسورة بأول جملة افتتحت بها، قال تعالى: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا} [الشمس : ١].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس، قال: " نزلت سُورَة: {وَالشَّمْس وَضُحَاهَا} بِمَكَّة"[١٠]. وروي عن ابن الزبير مثله[١١].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[١٢].

قال القرطبي:" مكية باتفاق"[١٣].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٢/١.

(٢) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٤٤٩/٢٤، وبحر العلوم للسمرقندي: ٥٨٥/٣، والكشف والبيان: ٢١٢/١٠، والنكت والعيون: ٢٨١/٦، وتفسير البغوي: ٤٣٥/٨، والكشاف: ٧٥٨/٤، وتفسير القرطبي: ٧٢/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٤٨٤/١٠، وغيرها.

(٣) انظر: سنن النسائي: ٣٣٦/١٠.

(٤) انظر مثلا: تفسير السمعاني: ٢٣٢/٦.

(٥) انظر: صحيح البخاري: ١٦٩/٦.

(٦) انظر: سنن الترمذي: ٢٩٧/٥.

(٧) انظر مثلا: تأويلات أهل السنة: ٥٣٩/١٠، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٣٧/٥، وتفسير ابن فورك: ٢٢٥/٣، .

(٨) انظر: التحرير والتنزير: ٣٦٥/٣٠.

(٩) انظر: المستدرك على الصحيحين: ٥٧١/٢. وكذلك عنونها مكي بن أبي طالب في "الهداية إلى بلوغ النهايى": ٨٢٨٩/١٢

(١٠) انظر: الدر المنثور: ٥٢٧/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(١١) انظر: الدر المنثور: ٥٢٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٢) زاد المسير: ٤٥٠/٤.

(١٣) تفسير القرطبي: ٧٢/٢٠.

قال ابن عطية:" هي مكية"[1].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها:

أنه لما ختم -سبحانه- السورة التي قبلها «البلد» بذكر أصحاب الميمنة وأصحاب الشأمة أعاد ذكرهما هنا ولكن بصورة أخرى وأسلوب آخر فقال: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)} [الشمس : ٩ - ١٠]، ثم كان قوله تعالى في السورة: {فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨)} [الشمس : ٨]، كالبيان والتوضيح لقوله تعالى في سورة البلد: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} [البلد : ١٠]، على أنهما طريقًا الخير والشر[2].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من مقاصد السورة الكريمة:

١- يُشير القسم في بداية سورة الشمس إلى مظاهر قدرة الله تعالى في الكون حيث أنه أبدع الخلق وسيّره وفقًا لتدبيره، وفي ذلك القسم دليل على أنه لا يعجزه شيئًا.

٢- أقسم الله بالشمس حيث أنها أم المجموعة الشمسية وهي النجم المُسيطر على تسعة كواكب والكثير من الكويكبات التي لا يمكن حصرها، وتتميز الشمس بشدة ضوئها في النهار، واختص الله تعالى وقت الضحى حيث يمكن للإنسان أن ينعم بسطوع الشمس في ذلك الوقت دون أن يتأذى من حرارتها.

٣- يتلو الشمس في الوضوح القمر، حيث يتجلى ضوئه بعد مغيب الشمس، وهذه الحركة الكونية مثيرة للتساؤل عن نظام هذا الكون الفسيح الذي لا يمكن أن يختل إلا أن يشاء الله.

٤- يضرب الله المثل في التتابع بالنهار والليل، حيث أن النهار يأتي فيجعل الشمس جلية واضحة للعيان، بينما يتبع الليل النهار لكي يُغشي الليل ويُغطيها.

٥- يأتي القسم الخامس في سورة الشمس بالسماء وما بناها، حيث يسأل الله تعالى الكفار من الذي بنى هذه السماء ليعلموا أنه لا خالق إلا الله، وبالتالي فهو القادر على إعادتهم وبعثهم بعد الموت، وربما يكون المقصود بقوله "وما بناها" أي انظروا إلى عظمة بنائها وكيفية ارتفاعها بغير عمد.

٦- تتعدد الآراء في قوله والأرض وما طحاها، حيث يمكن أن يكون المراد وما خلق فيها من أنفسٍ، بالإضافة إلى إمكانية أن يكون المقصود القسم بالأرض المسطحة لكي تسمح بخروج النباتات من الشقوق حتى يسعى الإنسان بحثًا عن الرزق.

٧- أقسم الله بالنفس البشرية حيث أنها سر كبير حيّر العلماء، وكانت سببًا في اختلافهم ما بين القول أنها مجبولة على الخير والرأي الآخر بأنها طُبعت على البشر.

٨- يُوكد الله تعالى في سورة الشمس أنه سوّى النفس البشرية على الفطرة المستقيمة وعدّل خلقها وأرشد الإنسان إلى التقوى والفجور حتى يسلك الإنسان أي الطريقين وفقًا لإرادته.

٩- جاء جواب القسم بعد هذه الأقسام السبعة في قوله: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨)} [الشمس : ٧ - ٨]، ليعلم الإنسان أنه إذا زكى نفسه بالطاعة وقاوم شهواتها فإن مصيره هو الفلاح، بينما إذا تغاضى وتكاسل عن تقويمها وتركها لارتكاب الشهوات فإن مصير هذا الإنسان هو الخيبة يوم القيامة.

---

(١) المحرر الوجيز: ٤٨٧/٥.

(٢) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ١٩٢٣/١٠.

قال الفيروزآبادي:" مقصود السورة: أنواع القسم المترادفة، على إلهام الخلق فى الطاعة والمعصية، والفلاح والخيبة، والخبر من إهلاك ثمود، وتخويف لأهل مكة فى قوله: {وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا} [الشمس : ١٥]"[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة[٢].

- **فضائل السورة:**

- عن جابر، قال: مر رجل من الأنصار بناضحين على معاذ، وهو يصلي المغرب، فافتتح سورة البقرة، فصلى الرجل ثم ذهب، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «أفتان يا معاذ، أفتان يا معاذ، ألا قرأت بـ{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}، و{ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، ونحوها»[٣].
- عن بريدة:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة العشاء بـ{الشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، وأشباهها من السور"[٤].
- عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يقرأ في صلاة الصبح بـ {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى}، و{الشَّمْسِ وَضُحَاهَا}"[٥].
- عن عقبة بن عامر قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلي ركعتي الضحى بسورتيهما بـ {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، و{الضحى}"[٦].
- عن النعمان بن بشير قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيدين: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}، {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}"[٧].
- عن نافع، عن ابن عمر قال: " كان يقرأ في ركعتي الاستسقاء: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى}"[٨].
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ««من قرأ سورة وَالشَّمْسِ فكأنّما تصدّق بكلّ شيء طلعت عليه الشمس والقمر» [٩].[موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٢/١.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٢/١.
(٣) السنن الكبرى للنسائي(١٠٥٨):ص١٥/٢. [قال الألباني]: صحيح.
(٤) الدر المنثور: ٥٢٧/٨، وعزاه إلى أحمد والترمذي وحسنه والنسائي.
(٥) الدر المنثور: ٥٢٧/٨، وعزاه إلى الطبراني.
(٦) الدر المنثور: ٥٢٧/٨، وعزاه إلى البيهقي في شعب الإيمان.
(٧) الدر المنثور: ٥٢٧/٨، وعزاه إلى الطبراني.
(٨) مصنف عبدالرزاق(٤٩٠٠):ص٨٦/٣.
(٩) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢١٢/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٣٦٧/١٠. [والحديث موضوع].

القرآن

{وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)} [الشمس : ١-١٠]

التفسير:

أقسم الله بالشمس ونهارها وإشراقها ضحى، وبالقمر إذا تبعها في الطلوع والأفول، وبالنهار إذا جلَّى الظلمة وكشفها، وبالليل عندما يغطي الأرض فيكون ما عليها مظلمًا، وبالسماء وبنائها المحكم، وبالأرض وبَسْطها، وبكل نفس وإكمال الله خلقها لأداء مهمتها، فبيَّن لها طريق الشر وطريق الخير، قد فاز مَن طهَّرها ونمَّاها بالخير، وقد خسر مَن أخفى نفسه في المعاصي.

قوله تعالى:{وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا} [الشمس : ١]، أي:" أقسم بالشمس ونهارها وإشراقها ضحى"(١).

قال الطبري:" معنى الكلام: أقسم بالشمس، وبضحى الشمس"(٢).

واختلف في تفسير قوله تعالى:{وَضُحَاهَا} [الشمس : ١]، على وجهين:

أحدهما : أن الضحى: هو النهار كله. قاله قتادة(٣). وبه قال ابن قتيبة(٤).

عن قتادة: "{وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، قال: هذا النهار"(٥).

الثاني : أن الضحى ضيائها. قاله مجاهد(٦)، وبه قال الزجاج(٧).

عن مجاهد: "{وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، قال: ضوئها"(٨).

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك أن يقال: أقسم جلّ ثناؤه بالشمس ونهارها؛ لأن ضوء الشمس الظاهرة هو النهار"(٩).

قرأ الأعمش وأصحابه «ضحاها» و«تلاها» و«طحاها» بالفتح، وقرأوا باقي السورة بالكسر. وقرأ الكسائي السورة كلها بالإمالة. وقرأها أبو عمرو بن العلاء بين اللفظين(١٠).

قوله تعالى:{وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا} [الشمس : ٢]، أي:" وأقسم بالقمر إذا تبعها في الطلوع والأفول"(١١).

قال الطبري: يقول:" والقمر إذا تبع الشمس"(١٢).

قال ابن قتيبة:" أي: تَبع الشمس"(١٣).

قال الزجاج:" معناه : حين تلاها، وقيل حين - استدار فكان يتلو الشمس في الضياء والنور"(١٤).

عن مجاهد: "{وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا}، قال: تبعها"(١٥).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩٥.[بتصرف]
(٢) تفسير الطبري: ٤٥١/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٥١/٢٤.
(٤) انظر: غريب القرآن: ٥٢٩.
(٥) أخرجه الطبري: ٤٥١/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٥١/٢٤.
(٧) انظر: معاني القرآن: ٣٣١/٥.
(٨) أخرجه الطبري: ٤٥١/٢٤، وانظر: تفسير مجاهد: ٧٣٢.
(٩) تفسير الطبري: ٤٥١/٢٤.
(١٠) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٣٣١/٥.
(١١) التفسير الميسر: ٥٩٥.[بتصرف]
(١٢) تفسير الطبري: ٤٥٢/٢٤.
(١٣) غريب القرآن: ٥٢٩.
(١٤) معاني القرآن: ٣٣١/٥.
(١٥) أخرجه الطبري: ٤٥٢/٢٤.

عن ابن عباس (وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا}، قال: يتلو النهار"[1].
قال مجاهد:" يعني: الشمس إذا تبعها القمر"[2].
وفي اتباع القمر للشمس، أربعة وجوه :
أحدها : أول ليلة من الشهر، إذا سقطت الشمس يرى القمر عند سقوطها ، قاله قتادة[3].
قال قتادة:" يتلوها صبيحة الهلال فإذا سقطت الشمس رُؤي الهلال"[4].
قال قتادة:" إذا تلاها ليلة الهلال"[5].
الثاني : الخامس عشر من الشهر يطلع القمر مع غروب الشمس، قاله الطبري[6].
قال الطبري: "وذلك في النصف الأوّل من الشهر، إذا غُربت الشمس، تلاها القمر طالعا"[7].
الثالث : في الشهر كله فهو في النصف الأول يتلوها ، وتكون أمامه وهو وراءها ، وإذا كان في النصف الأخير كان هو أمامها وهي وراءه ، قاله ابن زيد[8].
قال ابن زيد:" هذا قسم، والقمر يتلو الشمس نصف الشهر الأوّل، وتتلوه النصف الآخر، فأما النصف الأوّل فهو يتلوها، وتكون أمامه وهو وراءها، فإذا كان النصف الآخر كان هو أمامها يقدمها، وتليه هي"[9].
الرابع : أنه خلفها في الليل ، فكان له مثل ما لها في النهار لأن تأثير كل واحد منهما في زمانه ، فللشمس النهار . وللقمر الليل. أفاده الماوردي[10].
قوله تعالى:{وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا} [الشمس : ٣]، أي:" وأقسم بالنهار إذا جلّى الظلمة وكشفها"[11].
قال الطبري:" يقول: والنهار إذا أضاء"[12].
عن قتادة :"{وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا}، قال: إذا غشيها النهار"[13].
وفي عود الضمير في قوله تعالى:{وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا} [الشمس : ٣]، قولان:
أحدهما : أنها تعود إلى «الشمس»، وذلك أن الشمس عند انبساط النهار تنجلي تمام الانجلاء، فكأنه جلاها مع أنها التي تبسطه ، وهذا قول مجاهد[14]، ومنه قول قيس بن الخطيم[15]:
تبدَّتْ لنا كالشَّمسِ تحتَ غمامةٍ ... بدَا حاجبٌ منها وضنَّتْ بحاجبِ
قال مجاهد:" يعني: إذا أضاء"[16].

---

(١) أخرجه الطبري: ٤٥٢/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٤٥٢/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٤٥٢/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٤٥٢/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٤٥٢/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٢/٢٤.
(٧) تفسير الطبري: ٤٥٢/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٢/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٤٥٢/٢٤.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٢٨٢/٦.
(١١) التفسير الميسر: ٥٩٥.[بتصرف]
(١٢) تفسير الطبري: ٤٥٢/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٤٥٢/٢٤.
(١٤) انظر: تفسير مجاهد: ٧٣٢.
(١٥)ديوانه ص ٧٩، وجمهرة أشعار العرب ص ٦٤٦؛ وديوان المعاني (١) ١/ ٢٢٩؛ وهو بلا نسبة في لسان العرب ١/ ٢٩٩ (حجب)؛ وأساس البلاغة ص ٧٤ (حجب)؛ وجمهرة اللغة ص ٢٦٣؛ والاشتقاق ص ٢٣٥؛ وتاج العروس ٢/ ٢٤١ (حجب).
ولهذه الأبيات قصة في شعر النمر, وجمرة: زوجته.
(١٦) تفسير مجاهد: ٧٣٢.

الثاني: أن الضمير عائد إلى «الظلمة»، أي: جلى الظلمة، وإن لم يجر للظلمة ذكر، لأن المعنى معروف ، كما تقول: أصبحت باردة، وهبت شمالاً، وهذا قول الفرّاء[١]، وذكره الزجاج[٢]، وحكاه ابن الجوزي عن اللغويين[٣].

قال الزجاج:" قالوا معناه: إذا جلى الظلمة، وإن لم يكن في الكلام ذكر الظلمة فالمعنى يدل عليها، كما تقول: أصبحت باردة، تريد: أصبحت غداتنا باردة"[٤].

قال ابن قتيبة:" يعني: جَلَّى الظُّلمة، أو الدنيا"[٥].

قال الشوكاني:" القول الأول أولى، وقيل: المعنى: جلى ما في الأرض من الحيوانات وغيرها بعد أن كانت مستترة في الليل، وقيل: جلى الدنيا، وقيل: جلى الأرض والليل"[٦].

عن يزيد بن ذي حمامة، قال : "إذا جاء الليل قال الرب جل جلاله : غشي عبادي خلقي العظيم، فالليل يهابه، والذي خلقه أحق أن يهاب"[٧].

قوله تعالى:{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا} [الشمس : ٤]، أي:" وأقسم بالليل عندما يغطي الأرض فيكون ما عليها مظلمًا"[٨].

قال مقاتل:" يعني: تغشى ظلمته ضوء النهار"[٩].

قال الطبري:" يقول :" والليل إذا يغشي الشمس، حتى تغيب فَتُظْلِمُ الآفَاقُ"[١٠].

عن قتادة: "{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا}: إذا غَشَّاها الليل"[١١].

قال مجاهد:" يغشاها الليل"[١٢].

قال الأخفش:" {يَغْشَاهَا} من : الغشاوة"[١٣].

قال السعدي:" فتعاقب الظلمة والضياء، والشمس والقمر، على هذا العالم، بانتظام وإتقان، وقيام لمصالح العباد، أكبر دليل على أن الله بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه المعبود وحده، الذي كل معبود سواه فباطل"[١٤].

قوله تعالى:{وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا} [الشمس : ٥]، أي:" وأقسم بالسماء وبنائها المحكم"[١٥].

قال الطبري:" يقول:"والسماء ومَنْ خَلقها، وبناؤه إياها: تصييره إياها للأرض سقفا"[١٦].

وفي «ما»، قولان[١٧]:

أحدهما: بمعنى «مَن» تقديره «والسماء وبانيها»، قاله الحسن[١٨]، ومجاهد[١٩]، وأبو عبيدة[١].

---

(١) انظر: معاني القرآن: ٢٦٦/٣.
(٢) انظر: معاني القرآن: ٣٣٢/٥.
(٣) انظر: زاد المسير: ٤٥٠/٤.
(٤) معاني القرآن: ٣٣٢/٥.
(٥) غريب القرآن: ٥٢٩.
(٦) فتح القدير: ٥٤٦/٥.
(٧) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير" : ٤١١/٨.
(٨) التفسير الميسر: ٥٩٥.[بتصرف]
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١١/٤.
(١٠) تفسير الطبري: ٤٥٣/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٤٥٣/٢٤.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٤٠):ص٣٤٣٧/١٠.
(١٣) معاني القرآن: ٤٢/١.
(١٤) تفسير السعدي: ٩٢٦.
(١٥) التفسير الميسر: ٥٩٥.[بتصرف]
(١٦) تفسير الطبري: ٤٥٣/٢٤.
(١٧)وكذلك القول في: {وَمَا طَحَاهَا} [الشمس : ٦]، {وَمَا سَوَّاهَا} [الشمس : ٧].
(١٨) انظر: زاد المسير: ٤٥٠/٤.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٣/٢٤.

عن مجاهد: "{وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا}، قال: الله بنى السماء"[٢].
وقال أبو عبيدة:" أي: والّذى بناها، قال الشاعر[٣]:
دعينى إنما خطأى وصوبى ... علىّ وإن ما أهلكت مال
أي: وإنّ الذي أهلكت مال"[٤].
الثاني: أنها بمعنى المصدر، تقديره: والسماء وبنائها ، وهذا مذهب قتادة[٥]، والزجاج[٦].
عن قتادة: "{وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا}، وبناؤها: خَلْقُها"[٧].
قال ابن كثير:" وكلاهما متلازم، والبناء هو الرفع، كقوله :{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ}، أي : بقوة {وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ} [الذاريات : ٤٧، ٤٨]"[٨].
قوله تعالى:{وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا} [الشمس : ٦]، أي:" وأقسم بالأرض وبَسْطها"[٩].
قال الطبري:" والأرض ومَنْ بسطها يمينا وشمالا ومن كلّ جانب"[١٠].
وفي قوله تعالى:{وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا} [الشمس : ٦]، وجوه من التفسير:
أحدها : والأرض وما خلق فيها. قاله عطية العوفي عن ابن عباس[١١]. ويكون «طحاها»، بمعنى: خلقها ، قال الشاعر[١٢]:
وما تَدري جذيمةُ مَنْ طحاها ... لا من ساكنُ العَرْشِ الرّفيع
الثاني: يعني: وما بسطها. قاله مجاهد[١٣]، وابن زيد[١٤]، وأبو عبيدة[١٥]، وابن قتيبة[١٦].
قال أبو عبيدة:" بسطها يمينا وشمالا ومن كل جانب"[١٧].
قال ابن قتيبة:" يقال: حيٌّ طاحٍ؛ أي: كثيرٌ متسعٌ"[١٨].
عن مجاهد:"{وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا}، قال: دحاها"[١٩].
عن ابن زيد: "{وَمَا طَحَاهَا}، قال: بَسَطها"[٢٠].
قال ابن كثير:" وهذا أشهر الأقوال، وعليه الأكثر من المفسرين، وهو المعروف عند أهل اللغة"[٢١].

---

(١) انظر: مجاز القرآن: ٢٤١/١.
(٢) أخرجه الطبري: ٤٥٣/٢٤.
(٣)من كلمة لأوس بن غلفاء في نوادر أبى زيد: ٤٦ والشعراء: ٤٠٤، والعيني: ٤/ ٢٤٩، وهو فى الصحاح واللسان والتاج (صوب)، وتفسير القرطبي: ١٠/ ٢٥٢.
(٤) مجاز القرآن: ٢٤١/١.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٣/٢٤.
(٦) انظر: معاني القرآن: ٣٣٢/٥.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٥٣/٢٤.
(٨) تفسير ابن كثير: ٤١١/٨.
(٩) التفسير الميسر: ٥٩٥.[بتصرف]
(١٠) تفسير الطبري: ٤٥٣/٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٣/٢٤-٤٥٤.
(١٢) الشاهد بلا نسبة في النكت والعيون: ٢٨٣/٦، وتفسير القرطبي: ٧٥/٢٠، واللباب في علوم الكتاب: ٣٦١/٢٠.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٤/٢٤.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٤/٢٤.
(١٥) انظر: مجاز القرآن: ٣٠٠/٢.
(١٦) انظر: غريب القرآن: ٥٢٩.
(١٧) مجاز القرآن: ٣٠٠/٢.
(١٨) غريب القرآن: ٥٢٩.
(١٩) أخرجه الطبري: ٤٥٤/٢٤.
(٢٠) أخرجه الطبري: ٤٥٤/٢٤.
(٢١) تفسير ابن كثير: ٤١١/٨.

قال الجوهري : "طحوته مثل دحوته، أي : بسطته"[١].
الثالث: يعني: وما قسمها. قاله ابن عباس-أيضا-[٢].
الرابع : أنه ما خرج منها من نبات وعيون وكنوز، لأنه حياة لما خلق عليها . أفاده الماوردي[٣].
قوله تعالى:{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا} [الشمس : ٧]، أي:" وأقسم بكل نفس وإكمال الله خلقها لأداء مهمتها"[٤].
قال مقاتل:" يعني: وبالذي خلقها، يعني: نفسه، فسوى اليدين والرجلين والعينين والأذنين"[٥].
قال الطبري: أي:" ونفس وتسويَتها، والقسم بالنفس وبتسويتها"[٦].
قال ابن كثير:" أي : خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة، كما قال تعالى :{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} [الروم : ٣٠] "[٧].
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدانه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجِّسانه، كما تولد البهيمة بهيمة جَمْعَاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟»[٨]
وعن عياض بن حمار المجاشعي، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "يقول الله عز وجل : إني خلقت عبادي حُنَفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم"[٩].
وفي معنى {سَوَّاهَا} [الشمس : ٧] ، على هذا القول وجهان :
أحدهما : سوى بينهم في الصحة ، وسوى بينهم في العذاب جميعاً ، قاله ابن جريج[١٠].
الثاني : سوى خلقها وعدل خلقها، قاله مجاهد[١١].
قال مجاهد:" سوى خلقها ولم ينقص منه شيئا"[١٢].
قال الزجاج:" فأقسم الله - عز وجل - بهذه الأشياء العظام من خلقه لأنها تدل على أنه واحد والذي ليس كمثله شيء"[١٣].
قال السعدي:" يحتمل أن المراد: نفس سائر المخلوقات الحيوانية، كما يؤيد هذا العموم، ويحتمل أن المراد بالإقسام بنفس الإنسان المكلف، بدليل ما يأتي بعده. وعلى كل، فالنفس آية كبيرة من آياته التي حقيقة بالإقسام بها فإنها في غاية اللطف والخفة، سريعة التنقل والحركة والتغير والتأثر والانفعالات النفسية، من الهم، والإرادة، والقصد، والحب، والبغض، وهي التي لولاها لكان البدن مجرد تمثال لا فائدة فيه، وتسويتها على هذا الوجه آية من آيات الله العظيمة"[١٤].

---

(١) الصحاح، مادة«طحا»:ص٢٤١١/٦.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٤/٢٤.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٢٨٣/٦.
(٤) التفسير الميسر: ٥٩٥.[بتصرف]
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١١/٤.
(٦) تفسير الطبري: ٤٥٤/٢٤.
(٧) تفسير ابن كثير: ٤١١/٨.
(٨)صحيح البخاري برقم (١٣٨٥) وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٨).
(٩)صحيح مسلم برقم (٢٨٦٥).
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٢٨٣/٦.
(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٤١):ص٣٤٣٧/١٠.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٤١):ص٣٤٣٧/١٠.
(١٣) معاني القرآن: ٣٣٢/٥.
(١٤) تفسير السعدي: ٩٢٦.

قوله تعالى:{فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} [الشمس : ٨]، أي:" فبيَّن لها طريق الشر وطريق الخير"[١].

قال الطبري:" فبين لها ما ينبغي لها أن تأتي أو تذر من خير، أو شرّ أو طاعة، أو معصية"[٢].

قال ابن كثير:" أي : فأرشدها إلى فجورها وتقواها، أي : بين لها ذلك، وهداها إلى ما قدر لها"[٣].

قال ابن قتيبة:" أي: عرَّفها في الفطرة"[٤].

عن مجاهد :"{فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}، قال: عَرَّفَها"[٥].

قال مجاهد:" عرفها الشقاء والسعادة"[٦].

قال قتادة:" فبَيَّن لها فجورها وتقواها"[٧].

قال سعيد بن جبير:" ألزمها الفجور والتقوى"[٨].

قال ابن عباس:" بَيَّنَ الخيرَ والشرَّ"[٩].

قال ابن عباس:" علَّمها الطاعة والمعصية"[١٠].

قال الضحاك:" بين لها الطاعة والمعصية"[١١].

قال سفيان:" أعلمها المعصية والطاعة"[١٢].

وقال ابن زيد:" جعل فيها فجورَها وتقواها"[١٣].

عن أبي الأسود الدّيلي، قال: "قال لي عمران بن حُصين: أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون فيه أشيء قُضِيَ عليهم، ومضى عليهم من قَدَرٍ قد سبق، أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم عليه الصلاة والسلام، وأكدت عليهم الحجة؟ قلت: بل شيء قُضِيَ عليهم، قال: فهل يكون ذلك ظلما؟ قال: ففزعت منه فزعا شديدا، قال: قلت له: ليس شيء إلا وهو خَلْقُه، ومِلْكُ يده، {لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}، قال: سددّك الله، إنما سألتك "أظنه أنا" لأخْبُرَ عقلك. إن رجلا من مُزَينة أو جهينة، أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون أشيء قضي عليهم، ومضى عليهم من قدر سبق، أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم عليه السلام وأكّدت به عليهم الحجة؟ قال: "فِي شَيء قَدْ قُضِيَ عَلَيْهِمْ"؛ قال: ففيم نعملُ؟ قال: "مَنْ كانَ اللهُ خَلَقَهُ لإحْدَى المَنزلتَين يُهَيِّئُهُ لَهَا، وَتَصْدِيقُ ذَلكَ فِي كِتَابِ اللهِ: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}"[١٤].

قوله تعالى:{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} [الشمس : ٩]، أي:" قد فاز مَن طهَّرها ونمَّاها بالخير"[١٥].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩٥.
(٢) تفسير الطبري: ٤٥٤/٢٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤١١/٨.
(٤) غريب القرآن: ٥٢٩.
(٥) أخرجه الطبري: ٤٥٥/٢٤.
(٦) تفسير مجاهد: ٧٣٢.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٥٥/٢٤.
(٨) تفسير مجاهد: ٧٣٢.
(٩) أخرجه الطبري: ٤٥٤/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٤٥٤/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٤٥٥/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٤٥٥/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٤٥٥/٢٤.
(١٤) تفسير الطبري: ٤٥٥/٢٤-٤٥٦، والمسند (٤٣٨/٤) وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٠).
(١٥) التفسير الميسر: ٥٩٥.

قال الفراء:" يقول: قد أفلحت نفس زكاها الله"[١].

قال الطبري:" يقول: قد أفلح من زكّى الله نفسه، فكثّر تطهيرها من الكفر والمعاصي، وأصلحها بالصالحات من الأعمال"[٢].

قال ابن الجوزي:" معنى {زَكَّاها}: أصلحها وطهّرها من الذنوب"[٣].

قال ابن قتيبة:" أي: من زكّى نفسه بعمل البر، واصطناع المعروف"[٤].

قال السعدي:" أي: طهر نفسه من الذنوب، ونقاها من العيوب، ورقاها بطاعة الله، وعلاها بالعلم النافع والعمل الصالح"[٥].

قال ابن قتيبة:" أصل التزكية: الزّيادة، ومنه يقال: زكا الزرع يزكوا: إذا كثر ريعه، وزكت النّفقة: إذا بورك فيها، ومنه زكاة الرّجل عن ماله، لأنها تثمّر ماله وتنمّيه. وتزكية القاضي للشّاهد منه، لأنه يرفعه بالتّعديل والذّكر الجميل"[٦].

قال قتادة:" قد وقع القسم -ها هنا- :{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا}"[٧].

عن ابن عباس :"{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا}، يقول: قد أفلح من زكّى اللهُ نفسه"[٨].

عن مجاهد، وسعيد بن جُبير، وعكرِمة: "{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا}، قالوا: من أصلحها"[٩].

قال قتادة:" قد أفلح من زكّى نفسَه بعمل صالح[١٠].

قال قتادة:" من عمل خيرا زكّاها بطاعة الله"[١١].

قال ابن زيد:" قد أفلح من زكى اللهُ نفسَه"[١٢].

عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قول الله :{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} قال النبي صلى الله عليه وسلم : "أفلحت نفس زكاها الله"[١٣].

قال سهل:" أفلح من رزق النظر في أمر معاده"[١٤].

عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر بهذه الآية :{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} وقف، ثم قال : "اللهم آت نفسي تقواها، أنت وليها ومولاها، وخير من زكاها"[١٥].

عن أبي هريرة قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ :{فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} قال : "اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها"[١٦].

---

(١) معاني القرآن: ٢٦٧/٣.
(٢) تفسير الطبري: ٤٥٦/٢٤.
(٣) زاد المسير: ٤٥١/٤.
(٤) غريب القرآن: ٥٣٠.
(٥) تفسير السعدي: ٩٢٦.
(٦) تأويل مشكل القرآن: ٢٠٥.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٥٧/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٤٥٦/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٤٥٦/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٤٥٦/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٤٥٦/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٤٥٦/٢٤.
(١٣) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٤١٢/٨، ورواه الديلمي في مسند الفردوس برقم (٤٦٠٠) من طريق جويبر به.
قال ابن كثير:" ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي مالك، به. وجويبر هذا هو ابن سعيد، متروك الحديث، والضحاك لم يلق ابن عباس".
(١٤) تفسير التستري: ١٩٥.
(١٥)المعجم الكبير (١٠٦/١١) وزاد : "عن عمرو بن دينار وعطاء بن أبي رباح" وقال الهيثمي في المجمع (١٣٨/٧) : "إسناد حسن".
(١٦) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير: ٤١٣/٨، ورواه ابن أبي عاصم في السنة برقم (٣١٨) عن

عن صالح بن سُعَيد، عن عائشة : أنها فَقَدت النبي صلى الله عليه وسلم من مضجعه، فلمسته بيدها، فوقعت عليه وهو ساجد، وهو يقول : "رب، أعط نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها"[١].

عن زيد بن أرقم قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "اللهم، إني أعوذ بك من العجز والكَسَل والهرم، والجُبن والبخل وعذاب القبر. اللهم، آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها. اللهم، إني أعوذ بك من قَلْب لا يخشع، ومن نَفْس لا تشبع، وعِلْم لا ينفع، ودعوة لا يستجاب لها". قال زيد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمناهن ونحن نعلمكوهن"[٢].

قوله تعالى:{وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس : ١٠]، أي:" وقد خسر مَن أخفى نفسه في المعاصي"[٣].

وفي قوله تعالى:{دَسَّاهَا} [الشمس : ١٠]، وجوه من التفسير:

أحدها : أغواها وأضلها، قاله مجاهد[٤]، وسعيد بن جبير[٥]، لأنه دسّى نفسه في المعاصي ، ومنه قول الشاعر[٦]:

فأنتَ الذي دَسَّيْتَ عَمْراً فأصبحتْ ... حلائلُه منه أراملَ ضُيَّعاً

قال سهل:" خسرت نفس أغواها الله عزَّ وجلَّ، فلم تنظر في أمر معاده"[٧].

عن خصيف، عن مجاهد وسعيد بن جُبير :"{وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}، قال أحدهما: أغواها، وقال الآخر: أضلَّها"[٨].

عن مجاهد :"{وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}، قال: أضلَّها، وقال سعيد: مَنْ أغواها"[٩].

عن مجاهد: "{مَنْ دَسَّاهَا}، قال: أغواها"[١٠].

قال مجاهد:" خاب من أغواه الله عز وجل"[١١].

عن ابن عباس: "{وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}، يقول: وقد خاب من دَسَّى اللهُ نَفسَه فأضلَّه"[١٢].

وقال ابن عباس:" يعني: مكر بها"[١٣].

وقال ابن زيد:" وقد خاب من دَسَّى اللهُ نفسَه"[١٤].

وقال مقاتل:" وقد هلك من أشقاه الله- عز وجل-"[١٥].

يعقوب بن حميد به.

(١)المسند (٢٠٩/٦).

(٢)المسند (٣٧١/٤) وصحيح مسلم برقم (٢٧٢٢).

(٣) التفسير الميسر: ٥٩٥.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٧/٢٤.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٧/٢٤.

(٦)البيت في اللسان «دسا»، وقد جعل «عمرا»، قبيلة من القبائل، وأنشده:

وأنت الذي دَسَّيت عَمْراً فأصبحت ... نِساؤُهُمُ منهم أراملُ ضُيَّعُ

أنشده ابن الأعرابي لرجل من طيئ، وهو في مقاييس اللغة ٢/ ٢٧٧ بالرواية التي أثبتناها.

(٧) تفسير التستري: ١٩٥.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٥٧/٢٤.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٥٧/٢٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٥٧/٢٤.

(١١) تفسير مجاهد: ٧٣٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٥٧/٢٤.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٤٩):ص٣٤٣٨/١٠.

(١٤) أخرجه الطبري: ٤٥٨/٢٤.

(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١١/٤.

قال الطبري: يقول:" وقد خاب في طِلبته، فلم يُدرك ما طلب والتمس لنفسه مِن الصلاح مَنْ دساها يعني: من دَسَّس الله نفسه فأخْمَلها، ووضع منها، بخُذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصيَ، وترك طاعة الله"[١].

الثاني : أثمها وأفجرها، قاله قتادة[٢].

الثالث : كذبها ، قاله ابن عباس[٣].

قال ابن عباس:" يعني: تكذيبها"[٤].

الرابع: أي: نقصها بالفجور والمعصية، فجعلها خسيسة حقيرة. قاله ابن قتيبة[٥]، والزجاج[٦].

قال ابن قتيبة:" أي: نقصها وأخفاها بترك عمل البرّ، وبركوب المعاصي. والفاجر أبدا خفيّ المكان، زمر المروءة، غامض الشّخص، ناكس الرأس"[٧].

قال الزجاج:" خابت نفس دساها الله. ومعنى: {دساها}: جعلها قليلة خسيسة، والأصل: دسسها، ولكن الحروف إذا اجتمعت من لفظ واحد أبدل من أحدها ياء"[٨].

قال الفراء:" يقال: قد خاب من دسى نفسه، فأخملها بترك الصدقة والطاعة، ونرى- والله أعلم- أن {دساها}، من: دسست"[٩].

قال السعدي:" أي: أخفى نفسه الكريمة، التي ليست حقيقة بقمعها وإخفائها، بالتدنس بالرذائل، والدنو من العيوب، والاقتراف للذنوب، وترك ما يكملها وينميها، واستعمال ما يشينها ويدسيها"[١٠].

فوائد الآيات:[١-١٠]:

١-بيان مظاهر القدرة الإلهية في الآيات التي أقسم بها ارب تعالى.

٢-بيان ما يكون به الفلاح, وما يكون به الخسران.

٣-الترغيب في الإيمان والعمل الصالح والترهيب من الشرك والمعاصي.

٤-أن كل إنسان مسئول عن تهذيب نفسه وإصلاحها, حتى تصل إلى كمالها المقدر لها, فإن إصلاحها وتزكيتها وتنميتها بالعلم النافع والعمل الصالح, هو سبيل فلاحها وفوزها برضا الله, والقرب من مشاهدة جلاله وجماله, كما أن إهمالها هو السبيل إلى خيبتها وخسرانها، قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)} [الشمس : ٩ - ١٠]، وقال تعالى: {بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ} [القيامة : ١٤]، {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ} [المدثر : ٣٨]، {كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ} [الطور : ٢١].

قال الشيخ - رحمه الله -: " مذهب أهل السنة أن أفعال العباد الاختيارية مخلوقة لله مكسوبة للعبد، فخلقه إياها لا ينافي كسب العبد لها"[١١].

ورد الشيخ على من قال في أفعال العبادة أنها كسب لهم على معنى تعلق قدرتهم بمباشرتهم التي هي أكسابهم، ووقوع هذه الأفعال أو بعضها على وجوه تخالف قصد مكتسبها يدل على موقع

---

(١) تفسير الطبري: ٤٥٧/٢٤.
(٢) انظر: تفسيرا لطبري: ٤٥٨/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٧/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٤٥٧/٢٤.
(٥) انظر: غريب القرآن: ٥٣٠.
(٦) انظر: معاني القرآن: ٣٣٢/٥.
(٧) تأويل مشكل القرآن: ٢٠٥.
(٨) معاني القرآن: ٣٣٢/٥.
(٩) معاني القرآن: ٢٦٧/٣.
(١٠) تفسير السعدي: ٩٢٦.
(١١)الإحكام في أصول الأحكام (٢/ ٣٤).

أوقعها كما أراد غير مكتسبها والله ربنا، خلقنا وخلق أفعالنا .. ، فقال: " وهذا إلى القول بالجبر أقرب منه إلى القول بإثبات الاختيار للعبد في أفعاله"[١].
قال الشيخ - رحمه الله -: " لا يريد الله كوناً ولا شرعاً أن يظلم عباده لقوله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} النساء: ٤٠، ولقوله في الحديث: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي»[٢]، وإن كان يريد كوناً لا شرعاً أن يظلم بعض العباد بعضاً لوقوعه منهم، ولو لم يرده لم يقع"[٣].
أفعال العباد قسمان: ١- اضطراريّة. ٢-واختياريّة.

- **فالاضطراريّة**: كحركات المرتعش ونبضات العروق ونحو ذلك، وهذه لا خلاف بين النّاس في كونها خارجة عن قدرة العبد.
- **والاختياريّة**: ما سوى ذلك [٤] -وهي محلّ البحث هنا- وقد اختلف الناس فيها، وتعدّدت مذاهبهم تجاهها، وحاصل الكلام عليها ما يلي:

أفعال العباد الاختيارية لها متعلقان:
الأول: تعلّقها بالله - عز وجل - من حيث خلقه لها وعدمه.
والثاني: تعلّقها بالعباد من حيث قدرتهم عليها وعدمها.
فأهل السنة والجماعة قالوا: بأنّ أفعال العباد كلّها من طاعة ومعصية، وخير وشرّ، مخلوقة لله تعالى، وأنّ العباد لهم قدرة على أفعالهم، وهم فاعلون لها على الحقيقة، وهي قائمة بهم، ومنسوبة إليهم، ومن ثم فإنهم يستحقّون عليها المدح والذّمّ والثواب والعقاب. فجمعوا في قولهم بين المتعلقين، وقالوا بكلا الجهتين، لدلالة نصوص الوحيين.
فمن الأدلة على خلق الله لأفعال العباد:

- قوله تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦)} [الصافات: ٩٦]
- وقوله سبحانه: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)} [القمر: ٤٩]

ومن الأدلة على قدرة العباد على أفعالهم ونسبتها لهم حقيقة.

- قوله تعالى: {وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (٦٣)} [المؤمنون: ٦٣]
- وقوله سبحانه: {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧)} [السجدة: ١٧]

وجمع الله بين الأمرين في قوله - عز وجل -: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)} [الشمس: ٧ – ١٠][٥].
وقد خالف أهل السنة والجماعة في ذلك أهل الطّوائف والفرق:

- فالجهمية الجبرية ومن وافقهم قالوا بالمتعلق الأول دون الثاني فأثبتوا خلق الله لأفعال العباد ونفوا قدرة العباد عليها، وسووا بين أفعالهم الاختيارية وأفعالهم الاضطرارية[٦].
- والمعتزلة القدرية ومن وافقهم، قالوا بالمتعلق الثاني دون الأول فنفوا خلق الله لأفعال العباد، وقالوا بأن العباد هم الذين خلقوا أفعالهم، وأثبتوا قدرة العباد المطلقة على أفعالهم[٧].

---

(١)مجموعة ملفات الشيخ (ص ١٧٨).
(٢)أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٧٧).
(٣)تعليق الشيخ على الجلالين (ص ١٢).
(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٤٠٥).
(٥)خلق أفعال العباد (ص ١٨٨)، شرح السنة للبغوي (١/ ١٤٢ - ١٤٤)، مجموع الفتاوى (٣/ ٣٧٣ - ٣٧٤، ٨/ ١١٧ - ١١٨، ٤٨٦ - ٤٨٨)، شفاء العليل (١/ ٣٣٣، ٣٦٣)، شرح الطحاوية (١/ ٣٢١، ٢/ ٦٤٠)، لوامع الأنوار البهية (١/ ٢٩١)، أفعال العباد بين أهل السنة ومخالفيهم للدكتور عبد العزيز الحميدي (ص ١٣ - ٩٠).
(٦) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٣٨)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٧)، الفرق بين الفرق (ص ٢١١).
(٧) انظر: المغني في أبواب العدل والتوحيد للقاضي عبد الجبار (٨/ ٨، ١٦، ٤٣) (٩/ ٩٥)، شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص ٣٣٦) وما بعدها، إنقاذ البشر من الجبر والقدر لعلي بن الحسين الكاظم

- ورامت الأشعرية التوسط بين الجبرية والقدرية فأحدثت نظرية الكسب، وحارت أفهامهم في تصورها، واضطربت أقوالهم في التعبير عنها[١].

وحاصلها أن الكسب هو الاقتران العادي بين قدرة العبد الحادثة وفعله الواقع بقدرة الله وحدها[٢].

وبناء على ذلك قالوا: إنّ أفعال العباد خلق لله وكسب للعباد، وليس لقدرة العبد المخلوقة فيه أثر في فعله، ولكن الفعل يحدث عندها لا بها[٣].

الرد على الكسب الأشعري، وبيان بطلانه يطول، فأكتفي بطرف منه:

١ - أن النصوص الشرعية قد دلت على خلق الله لأفعال العباد وإثبات القدرة لهم عليها، ونسبتها لهم حقيقة، واستحقاقهم المدح والذم والثواب والعقاب وفقاً لها، وقد تقدم ذكر بعضها.

٢ - أن القول بالكسب بهذا المعنى قول حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة المفضلة فلم يعرف القول به إلا في زمن الأشعري.

٣ - أن القول بالكسب بهذا المعنى قول متناقض؛ إذ القائل به لا يستطيع أن يوجد فرقاً بين الفعل الذي نفاه عن العبد، والكسب الذي أثبته له، ولهذا فإن حقيقته القول بالجبر [٤] وهذا ما قاله الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله -.

٤ - أن القول بالكسب بهذا المعنى قول غير معقول؛ إذ لا حقيقة له ولا حاصل تحته، ولذا شنع أعداء الأشاعرة به عليهم، وعده بعض الأشاعرة عقدة تورّط فيها أصحاب الأشعري[٥].

٥ - أن القول بالكسب بهذا المعنى مبني على أصلين باطلين، قال بهما الأشعري وجمهور أصحابه والتزموا ما يراد عليهما، وهما: القول بأنّ الفعل هو المفعول والخلق هو المخلوق، وأن قدرة العبد لا يكون مقدورها إلا مقارناً للفعل لا خارجاً عنه [٦].

٦ - أن كبار أعلام الأشاعرة اضطربت أقوالهم في الكسب، وذهب كلّ منهم إلى رأي، وفرّ إلى قول، فمنهم من نحا إلى التّصريح بحقيقة المذهب وهو الجبر، ومنهم من اقترب إلى القول بمذهب أهل السنة والجماعة في ذلك، ومنهم من سعى إلى النهوض بالمذهب الأشعري من عثرته وتوجيه قول إمامه بما لا يوافقه عليه أصحابه الأشاعرة فضلاً عن غيرهم[٧].

القرآن

{كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥)}
[الشمس : ١١-١٥]

المرتضي ضمن رسائل العدل (١/ ٢٥٦ - ٣٠٥).

(١) انظر: أصول الدين للبغدادي (ص ١٣٣)، الإرشاد للجويني (ص ١٨٨)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٩٧)، القضاء والقدر للرازي (ص ٧٧)، غاية المرام للآمدي (ص ٢٢٣)، شرح المقاصد لمسعود التفتازاني (٤/ ٢٦٣).

(٢)نقله ابن القيم - رحمه الله - في شفاء العليل (١/ ٣٦٨) عن بعض متأخري الأشاعرة دون تعيينه، واستحسنه في بيان قولهم وتلخيص اختلافهم.

(٣) انظر: أصول الدين للبغدادي (ص ١٣٣)، الإرشاد (ص ١٨٨)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٩٧)، القضاء والقدر للرازي (ص ٧٧)، غاية المرام (ص ٢٢٣)، شرح المقاصد (٤/ ٢٦٣).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ١١٩، ٣٧٨، ٤٠٣ - ٤٠٧)، منهاج السنة (٣/ ٢٠٩).

(٥) انظر: منهاج السنة (٣/ ٢٠٩)، شفاء العليل (١/ ٣٧٠).

(٦) انظر: جموع الفتاوى (٨/ ١١٩ - ١٢٠).

(٧) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ١٢٨ - ١٢٩)، شفاء العليل (١/ ٣٦٩)، وانظر: منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين، أحمد بن علي الزاملي عسيري(رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية- عام النشر: ١٤٣١ هـ): ٥١٢-٥١٤.

التفسير:
كذَّبت ثمود نبيها ببلوغها الغاية في العصيان، إذ نهض أكثر القبيلة شقاوة لعقر الناقة، فقال لهم رسول الله صالح عليه السلام: احذروا أن تمسوا الناقة بسوء؛ فإنها آية أرسلها الله إليكم، تدل على صدق نبيكم، واحذروا أن تعتدوا على سقيها، فإن لها شِرْب يوم ولكم شِرْب يوم معلوم. فشق عليهم ذلك، فكذبوه فيما توعَّدهم به فنحروها، فأطبق عليهم ربهم العقوبة بجرمهم، فجعلها عليهم على السواء فلم يُفْلِت منهم أحد. ولا يخاف -جلت قدرته- تبعة ما أنزله بهم من شديد العقاب.

قوله تعالى:{كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا} [الشمس : ١١]، أي:" كذَّبت ثمود نبيها ببلوغها الغاية في العصيان"(١).

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم، بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي"(٢).

قال الطبري:" يقول: كذَّبت ثمود بطغيانها، يعني: بعذابها الذي وعدهموه صالح عليه السلام، فكان ذلك العذاب طاغيا طغى عليهم، كما قال جلّ ثناؤه: {فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ}"(٣).

وفي قوله تعالى:{كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا} [الشمس : ١١]، وجوه من التفسير:

أحدها : كذّبت ثمود بطغيانها ومعصيتها، قاله مجاهد(٤)، وقتادة(٥)، وابن زيد(٦)، واختاره ابن كثير(٧).

عن قتادة :"{كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا}، أي: الطغيان"(٨).

قال ابن زيد:" بغيانهم وبمعصيتهم"(٩).

قال مجاهد:" بمعصيتها"(١٠).

قال ابن كثير:" فأعقبهم ذلك تكذيبًا في قلوبهم بما جاءهم به"(١١).

قال الفراء:" أراد: بطغيانها، إلا أن الطغوى أشكل برؤوس الآيات، فاختير لذلك"(١٢).

الثاني : بأجمعها ، قاله محمد بن كعب(١٣).

عن محمد بن كعب:"{كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا}، قال: بأجمعها"(١٤).

الثالث : بعذابها ، قاله ابن عباس(١٥).

قال ابن عباس:" اسم العذاب الذي جاءها، الطَّغْوَى، فقال: كذّبت ثمود بعذابها"(١٦).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩٥.
(٢) تفسير ابن كثير: ٤١٣/٨.
(٣) تفسير الطبري: ٤٥٨/٢٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٨/٢٤-٤٥٩.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٨/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٩/٢٤.
(٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٤١٣/٨.
(٨) أخرجه الطبري: ٤٥٨/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٤٥٩/٢٤.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٤٠):ص٣٤٣٧/١٠. والطبري٤٥٨/٢٤-٤٥٩، بلفظ: "معصيتها".
(١١) تفسير ابن كثير: ٤١٣/٨-٤١٤.
(١٢) معاني القرآن: ٢٦٧/٣.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٩/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٤٥٩/٢٤.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٨/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ٤٥٨/٢٤.

قوله تعالى:{إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا} [الشمس : ١٢]، أي:" إذ نهض أكثر القبيلة شقاوة لعقر الناقة"[١].

قال الطبري:" يقول: إذ ثار أشقى ثمود، وهو قُدَار بن سالف"[٢].

عن قتادة :"{إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا}، يعني: أُحَيْمِرَ ثَمود"[٣].

قال ابن كثير:" أي : أشقى القبيلة، هو قُدَار بن سالف عاقرُ الناقة، وهو أحيمر ثمود، وهو الذي قال تعالى :{فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ} [القمر : ٢٩]. وكان هذا الرجل عزيزًا فيهم، شريفًا في قومه، نسيبًا رئيسًا مطاعًا "[٤].

قال الفراء:" يقال: إنهما كانا اثنين فلان ابن دهر، والآخر قدار، ولم يقل: أشقياها، وذلك جائز في اللغة"[٥].

عن عبد الله بن زَمْعة، قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر في خطبته الناقة، والذي عَقَرها، فقال: {إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا}، انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عارِمٌ، مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ، مِثْلُ أبي زَمْعَة"[٦].

عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: "ألا أحدثك بأشقى الناس؟» قال: بلى قال «رجلان: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذا- يعني قرنه- حتى تبتل منه هذه» -يعني: لحيته-"[٧].

قوله تعالى:{فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا} [الشمس : ١٣]، أي:" فقال لهم رسول الله صالح عليه السلام: احذروا أن تمسوا الناقة بسوء؛ فإنها آية أرسلها الله إليكم، تدل على صدق نبيكم، واحذروا أن تعتدوا على سقيها، فإن لها شِرْب يوم ولكم شِرْب يوم معلوم"[٨].

قال ابن قتيبة:" أي: احذّروا ناقة الله وشِرْبها"[٩].

قال ابن كثير:" أي : احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء، {وَسُقْيَاهَا}، أي : لا تعتدوا عليها في سقياها، فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم"[١٠].

قال السعدي:" أي: احذروا عقر ناقة الله، التي جعلها لكم آية عظيمة، ولا تقابلوا نعمة الله عليكم بسقي لبنها أن تعقروها"[١١].

قال الطبري:" فقال لثمود صالح: احذروا ناقة الله وسُقياها، وإنما حذّرهم سُقيا الناقة، لأنه كان تقدّم إليهم عن أمر الله، أن للناقة شِربَ يوم، ولهم شِرْب يومٍ آخر، غير يوم الناقة"[١٢].

قال الفراء:" نصبت «الناقة»، على التحذير حذرهم إياها، وكل تحذير فهو نصب"[١٣].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩٥.
(٢) تفسير الطبري: ٤٥٩/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٤٥٩/٢٤.
(٤) تفسير ابن كثير: ٤١٤/٨.
(٥) معاني القرآن: ٢٦٨/٣.
(٦)المسند (١٧/٤) وصحيح البخاري برقم (٤٩٤٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٥٥)، وسنن الترمذي برقم (٣٣٤٣)، وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٦٧٥)، وتفسير الطبري: ٤٥٩/٢٤.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٥٢):ص٣٤٣٨/١٠، ورواه البخاري في التاريخ الكبير (٧١/١) عن إبراهيم بن موسى به، ورواه أبو نعيم في الدلائل (ص ٤٨٥) من طريق محمد بن سلمة، عن ابن إسحاق به، وقال البخاري : "هذا إسناد لا يعرف سماع يزيد من محمد ولا محمد بن كعب من ابن خثيم ولا ابن خثيم من عمار".
(٨) التفسير الميسر: ٥٩٥.
(٩) غريب القرآن: ٥٢٩.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٤١٤/٨.
(١١) تفسير السعدي: ٩٢٦.
(١٢) تفسير الطبري: ٤٥٩/٢٤.
(١٣) معاني القرآن: ٢٦٨/٣.

عن قتادة:"{فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا}، قسْم الله الذي قسم لها من هذا الماء"[١].

قال محمد بن إسحاق:" فمكثت الناقة التي أخرج الله لهم معها سقبها في أرض ثمود ترعى الشجر، وتشرب الماء، فقال لهم صالح: هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم"[٢].

قوله تعالى:{فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا} [الشمس : ١٣]، أي:" فكذبوا نبيه صالحاً وقتلوا الناقة، ولم يتلفتوا إلى تحذيره"[٣].

قال الطبري:" يقول: فكذّبوا صالحا في خبره الذي أخبرهم به، من أن الله الذي جعل شِرْبَ الناقة يوما، ولهم شِرْبُ يوم معلوم، وأن الله يُحِلّ بهم نقمته، إن هم عقروها، كما وصفهم جلّ ثناؤه فقال: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ}.. قيل: جاء الخبر أنهم بعد تسليمهم ذلك أجمعوا على منعها الشرب، ورضوا بقتلها، وعن رضا جميعهم قَتَلها قاتِلُها، وعقَرَها من عقرها ولذلك نُسب التكذيب والعقر إلى جميعهم، فقال جلّ ثناؤه: {فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا}"[٤].

قال ابن كثير:" أي : كذبوه فيما جاءهم به فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم"[٥].

قال الزجاج: " أي: فلم يوقنوا أنهم يعذبون حين قال لهم : {وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الأعراف : ٧٣]"[٦].

قوله تعالى:{فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا} [الشمس : ١٤]، أي:" فأطبق عليهم ربهم العقوبة بجرمهم، فجعلها عليهم على السواء فلم يُفْلِت منهم أحد"[٧].

قال الطبري:" فدمَّر عليهم ربهم بذنبهم ذلك، وكفرهم به، وتكذيبهم رسوله صالحا، وعقرهم ناقته، فسوّى الدمدمة عليهم جميعهم، فلم يُفْلِت منهم أحد"[٨].

قال ابن كثير:" أي : غضب عليهم، فدمر عليهم، فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء"[٩].

قال الزجاج: معناه:" أطبق عليهم العذاب، يقال: دمدمت على الشيء إذا أطبقت عليه، وكذلك دممت عليه القبر وما أشبهه، وكذلك ناقة مدمومة، أي قد ألبسها الشحم، فإذا كررت الإطباق قلت دمدمت عليه"[١٠].

قال القشيري:" أي: أهلكهم بجرمهم، {فَسَوَّاها}: أي أطبق عليهم العذاب، ويقال: سوّى بينهم ربّهم في العذاب لأنهم كلهم رضوا بعقر الناقة"[١١].

قال السمعاني:" يقال: دمدم، أي: غضب عليهم ربهم، يقال: فلان يدمدم إذا كان يتكلم بغضب. والقول المعروف أن معنى قوله: {فدمدم عليهم}، أي: أطبق عليهم بالعذاب، يعني: عمهم ولم يبق منهم أحدا، ويقال: «الدمدمة»: هو الهلاك باستئصال، فسواهم بالأرض، فلم يبق منهم أحدا صغيرا ولا كبيرا، يقال: سوى بينهم بالعذاب"[١٢].

---

(١) أخرجه الطبري: ٤٦٠/٢٤.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٦٩):ص١٥١٣/٥.
(٣) صفوة التفاسير: ٥٣٩/٣.
(٤) تفسير الطبري: ٤٦٠/٢٤.
(٥) تفسير ابن كثير: ٤١٤/٨.
(٦) معاني القرآن: ٣٣٣/٥.
(٧) التفسير الميسر: ٥٩٥.
(٨) تفسير الطبري: ٤٦٠/٢٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٤١٤/٨.
(١٠) معاني القرآن: ٣٣٣/٥.
(١١) لطائف الإشارات: ٧٣٤/٣.
(١٢) تفسير السمعاني: ٢٣٥/٦.

قال الزمخشري:" فأطلق عليهم العذاب، وهو من تكرير قولهم: ناقة مدمومة: إذا ألبسها الشحم {بِذَنْبِهِمْ} بسبب ذنبهم. وفيه إنذار عظيم بعاقبة الذنب، فعلى كل مذنب أن يعتبر ويحذر، فسوّاها ببنهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم"(١).

قال الفراء:" أرجف بهم فسواها عليهم، ويقال: {فَسَوَّاهَا}: سوى الأمة، أنزل العذاب بصغيرها وكبيرها بمعنى سوى بينهم"(٢).

قال الراغب:" {فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم}، أي: أهلكهم، وأزعجهم، وقيل: الدّمدمة حكاية صوت الهرّة، ومنه: دَمْدَمَ فلان في كلامه، ودَمَمْتُ الثوب: طليته بصبغ مّا، والدِّمَام: يطلى به، وبعير مَدْمُوم بالشّحم، والدَّامَّاء، والدُّمَمَة: جحر اليربوع، والدَّامَاء بالتخفيف، والدَّيْمُومَة: المفازة"(٣).

قال النحاس:" سألت علي بن سليمان عن هذا الضمير[{فَسَوَّاهَا}]، فقال: يعود على «الدمدمة» التي دل عليها: دمدم، وقال غيره: أي: سوى بينهم في العقوبة فأهلكهم جميعا"(٤).

قال قتادة:" ذُكر لنا أن أحيمر ثمود أبى أن يعقرها، حتى بايعه صغيرُهم وكبيرُهم، وذكرهم وأنثاهم، فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنبهم فسوّاها"(٥).

قال الحسن:" لما عقروا الناقة طلبوا فصيلها، فصار في قارة الجبل، فقطع الله قلوبهم"(٦).

قال مقاتل:" لما عقروا الناقة ابتعد الفصيل حتى صعد على جبل فصاح ثلاث مرات: يا صالح، قتلت أيم، وفزع أهل المدينة كلهم إلى صالح، فقالوا: ما حيلتنا؟ قال: حيلتكم أن تأخذوا الفصيل فعسى الله أن يكف عنكم العذاب في شأن الفصيل، فلما صعدوا الجبل ليأخذوه فر من بين أيديهم وتوارى فلم ير، وغاب، قالوا: يا صالح، ما يفعل الله بنا؟ قال: كم من صيحة» صاح الفصيل؟ قالوا: ثلاث مرات، قال: { تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ} [هود : ٦٥]، الذي صاح الفصيل {وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ} [هود : ٦٥]، يقول إنه لا يكذب فيه، قالوا: وما علامة ذلك يا صالح؟ قال: إنكم تصفر وجوهكم يوم الثاني وتسود وجوهكم يوم الثالث، قال: ثم يأتيكم العذاب يوم الرابع، فلما أن كان اليوم الأول اصفرت وجوه القوم فلم يصدقوا وقالوا: إنما هذه الصفرة من الخوف والفرق، فلما كان اليوم الثاني احمرت وجوههم واستيقنوا بالعذاب، ثم إنهم عمدوا فحفروا لأنفسهم قبورا وتحنطوا بالمر والصبر وتكفتوا بالأنطاع، فلما أن كان اليوم الثالث اسودت وجوههم حتى لم يعرف بعضهم بعضا من شدة السواد، والتغير، فلما أن كان اليوم الرابع أصبحوا فدخلوا حفرهم، فلما أشرقت الشمس، وارتفع النهار لم يأتهم العذاب، فظنوا أن الله يرحمهم، وخرجوا من قبورهم، ودعوا بعضهم بعضا، إذ نزل جبريل- عليه السلام- فسد ضوء الشمس حتى دخلوا في قبورهم، فصاح بهم جبريل عليه السلام- فلما عاينوا جبريل- عليه السلام- ونظروا إلى ضوء الشمس شدوا حتى دخلوا في قبورهم فناموا فصاح بهم جبريل صيحة أن قوموا عليكم لعنة الله، فسالت أرواحهم من أجسادهم وزلزلت بيوتهم حتى وقعت على قبورهم إلى يوم القيامة، فأصبحوا كأن لم يكن بمدينتهم شيء، فذلك قوله: {كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا} [هود : ٦٨] ، وذلك قوله: {فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا} [الشمس : ١٤]، يعني: فسوى بيوتهم على قبورهم"(٧).

---

(١) الكشاف: ٧٦١/٤.
(٢) معاني القرآن: ٢٦٩/٣.
(٣) المفردات في غريب القرآن: ٣١٨.
(٤) إعراب القرآن: ١٤٨/٥.
(٥) أخرجه الطبري: ٤٦٠/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٤٦٠/٢٤.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١٢/٤-٧١٤.

قوله تعالى:{وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا} [الشمس : ١٥]، أي:" ولا يخاف -جلت قدرته- تبعة ما أنزله بهم من شديد العقاب"[١].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا} [الشمس : ١٥]، ثلاثة وجوه:

أحدها : ولا يخاف الله عقبى ما صنع بهم من الهلاك، قاله ابن عباس[٢]، والحسن[٣]، وقتادة[٤]، وبكر بن عبد الله المزنيّ[٥].

عن بكر بن عبد الله المزنيّ :"{وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا}، قال: لا يخاف الله التبعة"[٦].

قال ابن عباس:" لا يخاف الله من أحد تبعة"[٧].

قال الحسن:" لا يخاف تبعتهم"[٨].

قال الحسن:" ذاك ربنا تبارك وتعالى، لا يخاف تبعة مما صنع بهم"[٩].

قال الحسن:" ذلك الربّ صنع ذلك بهم، ولم يخف تبعة"[١٠].

قال قتادة:" لا يخاف أن يتبع بشيء مما صنع بهم"[١١].

قال الزجاج: " أكثر ما جاء في التفسير لا يخاف الله تعالى تبعة ما أنزل بهم"[١٢].

قال الزمخشري:" أي: عاقبتها وتبعتها، كما يخاف كل معاقب من الملوك فيبقى بعض الإبقاء"[١٣].

قال السعدي:" وكيف يخاف من هو قاهر، لا يخرج عن قهره وتصرفه مخلوق، الحكيم في كل ما قضاه وشرعه؟"[١٤].

الثاني : لا يخاف الذي عقرها عقبى ما صنع من عقرها ، قاله الضحاك[١٥]، والسدي[١٦].

قال الضحاك والسدي:" لم يخف الذي عقرها عقباها"[١٧].

قال السدي:" لم يخف الذي عقرها عاقبة ما صنع"[١٨]. وفي لفظ:" الذي لا يخاف الذي صنع، عُقْبَى ما صنع"[١٩].

الثالث: لا يخاف رسول الله صالح -عليه السلام- الذي أرسل إليهم عقباها. حكاه الزجاج[٢٠].

قال ابن كثير:" القول الأول أولى ؛ لدلالة السياق عليه، -والله أعلم-"[٢١].

وقرئ: «فَلا يَخافُ عُقْبَاهَا»، بالفاء[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩٥.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٦١/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٤٦١/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٤٦١/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٦١/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٤٦١/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٦١/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٤٦١/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٤٦١/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٤٦١/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٤٦١/٢٤.
(١٢) معاني القرآن: ٣٣٣/٥.
(١٣) الكشاف: ٧٦١/٤.
(١٤) تفسير السعدي: ٩٢٦.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٦١/٢٤.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٦١/٢٤-٤٦٢.
(١٧) أخرجه الطبري: ٤٦١/٢٤.
(١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٥٤):ص٣٤٣٨/١٠.
(١٩) أخرجه الطبري: ٤٦٢/٢٤.
(٢٠) انظر: معاني القرآن: ٣٣٣/٥.
(٢١) تفسير ابن كثير: ٤١٥/٨.

قال النحاس:" سمعت إبراهيم بن محمد نفطويه يقول: من قرأ بالفاء فالمعنى لله لا غير، وهذا كما قال، وعليه أهل التأويل وهو صحيح عن ابن عباس قال إبراهيم بن محمد: ومن قرأ بالواو ذهب إلى أن المعنى للعاقر، أي: انبعث أشقاها ولا يخاف عقباها، أي: وهذه حاله. والذي قال حسن، غير أنه لا يجوز أن يكون بالواو لله جل وعز الذي قاله بين. والله أعلم بما أراد"[٢].

فوائد الآيات:[١١-١٥]:

١- بيان أن نجاة العبد من النار ودخوله الجنة متوقف على زكاة نفسه وتطهيرها من أوضار الذنوب والمعاصي, وأن شقاء العبد وخسرانه سببه تدنيسه نفسه بالشرك والمعاصي وكل هذا من سنن الله تعالى في الأسباب والمسببات.

٢- التحذير من الطغيان وهو الإسراف في الشر والفساد فإنه مهلك ومدمر وموجب للهلاك والدمار في الدنيا والعذاب في الآخرة.

٣- تسلية الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتخفيف عنه إذ كذبت قبل قريش ثمود وغيرها من الأمم كأصحاب مدين وقم لوط وفرعون.

٤- أخبر الله تعالى عن ثمود أنهم عقروا الناقة، وإنما كان الذي عقرها واحدًا منهم والباقون أقرُّوه ورضوا بفعله فصاروا شركاءه في الإثم والعقوبة؛ قال الله - تعالى -: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا} [الشمس: ١١ - ١٥].

قال عبدالواحد بن زيد:" قلت للحسن: يا أبا سعيد، أخبرني عن رجل لم يشهد فتنة ابن المهلب إلا أنه رضي بقلبه، قال: يا ابن أخي، كم يد عقرت الناقة؟ قال: قلت: يد واحدة، قال: أليس قد هلك القوم جميعًا برضاهم وتمالئهم؟ رواه الإمام أحمد في "الزهد".

عن أم سلمة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنه يستعمل عليكم أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع»، قالوا: يا رسول الله، ألا نقاتلهم؟ قال: «لا، ما صلوا»[٣].

وفي هذا الحديث دليل على أن الراضي بالذنب كفاعله.

وقد رُوِي عن عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله تعالى -:" أنه رُفِع إليه قوم شربوا خمرًا فأمر بجلدهم فقيل له: إن فيهم صائمًا، فقال ابدؤوا به، أما سمعتم الله - تعالى - يقول: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ} [النساء: ١٤٠]"[٤].

فاستدلَّ عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - بهذه الآية الكريمة على أن الراضي بالذنب كفاعله، واعتبر الجلوس مع العصاة رضًا بأعمالهم.

وروي عن إبراهيم، قال: إن الرجل ليجلس في المجلس، فيتكلم بالكلمة، فيرضى الله عز وجل بها، فتصيبه الرحمة، فتعم من حوله. وإن الرجل ليجلس في المجلس، فيتكلم بالكلمة، فيسخط الله بها، فيصيبه السخط، فيعم من حوله"[٥].

وقد ذكر عبدالله بن الإمام أحمد في «زوائد الزهد»، عن عبدالله بن شميط، عن أبيه، كان يقول: مَن رضي بالفسق فهو من أهله"[٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤٦١/٢٤.
(٢) إعراب القرآن: ١٤٨/٥.
(٣) صحيح مسلم(١٨٥٤):ص١٤٨١/٣.
(٤) نقلا عن: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية: ٢٢١/٢٨.
(٥) التفسير من سنن سعيد بن منصور(٧٤):ص١٤٠٦/٤-١٤٠٧.
(٦) .

وفي رواية عبيد الله بن شميط، عن أبيه قال: " كان يقال: من رضي بالفسق فهو من أهله، ومن رضي أن يعصي الله عز وجل لم يرفع له عمل "[1].

قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: " المنكر كفاعله ولهذا قال العلماء: إذا دعي إلى وليمة فيها منكر كالخمر والزمر لم يجز حضورها وذلك أن الله تعالى قد أمرنا بإنكار المنكر بحسب الإمكان فمن حضر باختياره ولم ينكره فقد عصى الله ورسوله بترك ما أمره به من بغض إنكاره والنهي عنه. وإذا كان كذلك فهذا الذي يحضر مجالس الخمر باختياره من غير ضرورة ولا ينكر المنكر كما أمره الله هو شريك الفساق في فسقهم فيلحق بهم"[2].

٥- إنذار كفار قريش عاقبة الشرك والتكذيب والمعاصي من الظلم والاعتداء.

٦- ما حارب الله تعالى أحد فأفلح وأنجح، بل ما حارب الله تعالى أحد إلا وأهلكه الله تعالى في أي واد ولا يبالي سبحانه وتعالى؛ لأنه لا يخشى عاقبة الأمور، كما قال: {وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا} [الشمس:١٥]، {لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء:٢٣].

٧- إن الله تعالى منزهٌ عن الخوف، فلا يخاف من أحد وهو فعالٌ لما يريد، يميت من يشاء، فلو شاء أن يميت العالم كله؛ فإنه لا يخاف، فليس فوقه أحد؛ بل هو تعالى المالك لكل شيء[3].

ولعل مما يستشهد به في هذا المعنى قوله تعالى: {فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا} [الشمس: ١٤ - ١٥].

«آخر تفسير سورة (الشمس)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية: ١٣٠/٣.

(٢) مجموع الفتاوى: ٢٢٢/٢٨.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية للبراك: ٥٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الليل»

«سورة الليل»: هي السورة الثانية والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الأعلى»، وقبل «سورة الفجر» وآياتها إحدى وعشرون بلا خلاف. وكلماتها إحدى وسبعون. وحروفها ثلاثمائة وعشر. فواصل آياتها على «الألف»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أسماؤها التوقيفية:**
- **أولا:-«سورة الشمس»:**

سميت هذه السورة في معظم المصاحف وبعض كتب التفسير[٢]، «سورة الليل» بدون واو، وسميت في معظم كتب التفسير[٣] «سورة والليل» بإثبات الواو.

ووجه تسميتها «سورة الليل»، لافتتاحها بالقسم الإلهي، وذلك في قوله تعالى: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى} [الليل : ١].

- **ثانيا:- «سورة والليل إذا يغشى»:**

وهذا الاسم مأثور عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، كما في حديث معاذ بن جبل-رضي الله عنه-[٤]، كما وردت هذه التسمية عند الصحابة الكرام-رضوان الله عليهم أجمعين[٥]، وبهذه التسمية عنون لها بعض المفسرين[٦]، كما عنون لها البخاري[٧]، والترمذي[٨]، والحاكم[٩] في كتبهم.

وهي تسمية للسورة بأول جملة افتتحت بها، قال تعالى: وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى} [الليل : ١].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس، قال: " نزلت سورة {والليل إذا يغشى} بمَكَّة"[١٠]. وروي عن ابن الزبير مثله[١١].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[١٢].

قال القرطبي:" سورة «والليل» مكية. وقيل: مدنية"[١٣].

قال ابن عطية:" هي مكية في قول الجمهور، وقال المهدوي وقيل هي مدنية وقيل فيها مدني"[١٤].

قال أبو حيان:" هذه السورة مكية. وقال علي بن أبي طلحة: مدنية. وقيل: فيها مدني"[١].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٣/١.

(٢) انظر: مثلا: بحر العلوم للسمرقندي: ٥٨٨/٣، وتفسير البغوي: ٤٤٢/٨، والكشاف: ٧٦١/٤، والمحرر الوجيز: ٤٩٠/٥، وزاد المسير: ٤٥٣/٤، ومفاتيح الغيب: ١٨١/٣١، وغيرها.

(٣) كما في: تفسير ابن فورك: ٢٣٠/٣، والكشف والبيان: ٢١٦/١٠، والنكت والعيون: ٢٨٦/٦، والوسيط للواحدي: ٥٠١/٤، وتفسير السمعاني: ٢٣٦/٦، وتفسير القرطبي: ٨٠/٢٠، وغيرها.

(٤) انظر الحديث في فضائل السورة.

(٥) انظر: الآثار في فضائل السورة.

(٦) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٤٦٣/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٥٤٨/١٠، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٣٩/٥، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٣٠٧/١٢، وغيرها.

(٧) انظر: صحيح البخاري: ١٧٠/٦.

(٨) انظر: سنن الترمذي: ٢٩٨/٥.

(٩) انظر: المستدرك على الصحيحين: ٥٧١/٢. وكذلك عنونها مكي بن أبي طالب في "الهداية إلى بلوغ النهايى": ٨٢٨٩/١٢

(١٠) انظر: الدر المنثور: ٥٣٢/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(١١) انظر: الدر المنثور: ٥٣٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٢) زاد المسير: ٤٥٣/٤.

(١٣) تفسير القرطبي: ٧٢/٢٠.

(١٤) المحرر الوجيز: ٤٩٠/٥.

وكذلك ذكر الأقوال في «الإتقان»[٢]، وأشار إلى أن ذلك لما روي من سبب نزول قوله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى} [الليل : ٥]، إذ روي: «أنها نزلت في أبي الدحداح الأنصاري[٣]، في نخلة كان يأكل أيتام من ثمرها وكانت لرجل من المنافقين فمنعهم من ثمرها فاشتراها أبو الدحداح بنخيل وجعلها لهم»[٤]. وسيأتي تفصيل ذلك-إن شاء الله-.

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أنه ذكر هناك فلاح المطهرين لأنفسهم وخيبة المدسين لها وهنا ذكر ما يحصل به الفلاح وما تحصل فيه الخيبة، فهي كالتفصيل لسابقتها[٥].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من مقاصد السورة الكريمة:

١- أن التغيُّر طبيعة الكون، إذ بدأت السورة بالقسم بالليل الذي يغشي كافة المخلوقات وتُضيف غشاوة الليل على الكون السكون لكي ينال الإنسان قسطًا من الراحة، وبعدها ذلك يأتي النهار ليُجلي الكون من أجل الحركة والسعي لتحصيل الرزق.

٢- يُشير ذكر الليل والنهار في بداية السورة إلى مرور عمر الإنسان يومًا بعد يوم، ويجب عليه أن يفقه رسالته في الحياة التي وُجد من أجلها حتى لا يضيع عمره سُدى.

٣- يوجد ترابط وثيق بين تغير الإنسان من حالة إلى حالة أخرى وبين تتابع الليل والنهار بالإضافة إلى أنه يدل على إمكانية بعثه إلى الحياة بعد الموت.

٤- ذكر الله خلق الذكر والأنثى في سورة الليل حيث أنه كناية عن مقصد الإنسان من السعي في حياته، فالإنسان يسعى من أجل إنجاب الذرية، وبمجرد رؤية ذريته تكبر يدخل الوقار إلى قلبه ويشعر باكتمال سعيه.

٥- بيان اختلاف سعي الإنسان في الدنيا، إذ تختلف طريقة عيش الإنسان في الدنيا ويتباين العمل من شخص لآخر، وبينما يبحث الجميع عن الرزق إلا أن هناك ضوابط عديدة تحكم كل إنسان في تحصيل رزقه.

٦- يتأرجح الإنسان طول حياته بين التسيير والتخيير، حيث أنه لا يختار نوعه، فيمكن أن يولد ذكرًا أو أنثى كما لا يختار زمانه ومكانه الذي يُولد فيه، لكنه مع ذلك مكلف بالاختيار، فيمكنه طاعة الله أو معصيته.

٧- رغم تشتت سعي الإنسان في حياته إلا أنه ينتهي إلى طريقين إما إلى الإيمان بالله أو الكفر والتكذيب.

---

(١) البحر المحيط في التفسير: ٤٩١/١٠.

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن: ٥٢/١، قال السيوطي:" الأشهر أنها مكية وقيل: مدنية لما ورد في سبب نزولها من قصة النخلة كما أخرجناه في أسباب النزول وقيل فيها مكي ومدني".

(٣)أبو الدحداح: ثابت بن الدحداح البلوي، حليف الأنصار، صحابي جليل، قتل في واقعة أحد، وقيل: مات بعدها من جرح كان به حين رجع النبيء صلى الله عليه وسلم من الحديبية، وصلى عليه النبيء صلى الله عليه وسلم في المدينة وهو الذي صاح يوم أحد لما أرجف المشركون بموت النبيء صلى الله عليه وسلم: يا معشر الأنصار إلي إلي أنا ثابت بن الدحداح إن كان محمد قد قتل فإن الله حي لا يموت، فقاتلوا عن دينكم فإن الله مظهركم وناصركم.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٥٥):ص٣٤٣٩/١٠-٣٤٤٠ ، وانظر: أسباب النزول للواحدي: ٤٧٧، والدر المنثور: ٢٣٢/٨-٢٣٣. في إسناده: حفص بن عمر بن ميمون العدني.
قال الحافظ في التقريب: ضعيف [تقريب ١/ ١٨٨] ، وقال ابن حبان: "يروي عن مالك وأهل المدينة كان ممن يقلب الأسانيد لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد".

(٥) انظر: تفسير المراغي: ١٧٣/٣٠.

٨- بيان أوصاف طريق السعادة، فإن الذي يختار طريق السعادة يجب عليه أن يتصدق بأمواله ويُصدق بقلبه وعندها يُيسره الله تعالى للُيسرى.

٩- نزلت الآيات التي تصف طريق السعادة في الصحابي الجليل أبي بكر الصديق عندما تصدق بماله من أجل عتق بلال بن رباح لتخليصه من تعذيب المشركين له.

١٠- بيان أوصاف طريق الشقاء، فإن الذي يختار طريق الشقاء يبخل بماله ويُفضل أن يكون معزولًا عن الناس حتى لا يُطالبوه بأنه يُعطيهم شيئًا.

١١- عندما يُكذب الإنسان بالحسنى فإنه بذلك يستغني عن العشرة الطيبة ويسعى إلى الشقاء بأخلاقه السيئة، فلا يكون من الله تعالى إلا أن يُييسره إلى العُسرى التي اختارها بنفسه.

١٢- لا ينفع الإنسان ما اكتسبه من مال عندما يأتي يوم القيامة، حيث أن المال لن يدفع عنه العذاب بخلاف كان يعتقد مشركو مكة.

قال الفيروزآبادي:" مقصود السورة: القسم على تفاوت حال الخلق في الإساءة والإحسان، وهدايتهم إلى شأن القرآن، وترهيب بعض بالنار، وترغيب بعض بالجنان والبدار إلى الصدقة كفارة للذنوب والعصيان، ووعد برضى الرحمن المنان، في قوله: {وَلَسَوْفَ يَرْضَى} [الليل : ٢١]"[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة[٢].

- **فضائل السورة:**

- عن جابر، قال : "صلى معاذ صلاةً، فجاء رجل فصلى معه فطول، فصلى في ناحية المسجد ثم انصرف، فبلغ ذلك معاذا فقال : منافق. فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل الفتى، فقال : يا رسول الله، جئت أصلي معه فَطوّل عَلَيّ، فانصرفت وصليتُ في ناحية المسجد، فعلقت ناضحي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أفَتَّان يا معاذ ؟ أين أنت مِن {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعْلَى}، {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، {وَالْفَجْرِ}، {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى}»"[٣].
- عن جابر بن سمرة قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الظهر والعصر بـ {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى} ونحوها"[٤].
- عن نافع، عن ابن عمر قال: " كان يقرأ في ركعتي الاستسقاء: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى}"[٥].
- أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: "إني لأقول هذه السورة نزلت في السماحة والبخل: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى}"[٦].
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة وَاللَّيْلِ أعطاه الله حتى يرضى، وعافاه الله سبحانه من العسر ويسّر له اليسر» [٧].[موضوع]

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٢/١.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٣/١.
(٣)سنن النسائي الكبرى برقم (١١٦٧٣)، وانظر: الدر المنثور: ٤٩٧/٨.
(٤) الدر المنثور: ٥٣٢/٨، وعزاه إلى البيهقي في سننه.
(٥) مصنف عبدالرزاق(٤٩٠٠):ص٨٦/٣.
(٦) الدر المنثور: ٥٣٣/٨.
(٧) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢١٦/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٣٧٣/١٠. [والحديث موضوع].

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

القرآن

{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤)} [الليل : ١-٤]

التفسير:

أقسم الله سبحانه بالليل عندما يغطي بظلامه الأرض وما عليها، وبالنهار إذا انكشف عن ظلام الليل بضيائه، وبخلق الزوجين: الذكر والأنثى. إن عملكم لمختلف بين عامل للدنيا وعامل للآخرة.

في سبب نزول السورة، قولان:

أحدهما: عن ابن مسعود:" أن أبا بكر الصديق اشترى بلالا من أمية بن خلف، ببردة، وعشر أواق، فأعتقه، لله فأنزل الله: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى} [الليل : ١]، إلى قوله: {إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى} [الليل : ٤]، سعي أبي بكر، وأمية وأبيّ إلى قوله: {وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى} [الليل : ٩]، قال: لا إله إلا الله إلى قوله: {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل : ١٠]، قال: النار"[(١)].

الثاني: عن عكرمة عن ابن عباس: "أن رجلا كان له نخل ومنها نخلة فرعها إلى دار رجل صالح فقير ذي عيال، فإذا جاء الرجل فدخل داره وأخذ الثمر من نخلته فتسقط الثمرة، فيأخذها صبيان الفقير، فنزل من نخلته فنزع الثمرة من يديه، وإن أدخل أحدهم الثمرة في فمه أدخل إصبعه في حلق الغلام ونزع الثمرة من حلقه، فشكا ذلك الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأخبره بما هو فيه من صاحب النخلة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «اذهب» ولقي النبي صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم، فتبعه رجل كان يسمع الكلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صاحب النخلة، فقال الرجل: يا رسول الله إن أنا أخذت النخلة فصارت لي النخلة فأعطيتها أتعطيني بها ما عطيته بها نخلة في الجنة؟ قال: نعم، ثم إن الرجل لقي صاحب النخلة ولكلاهما نخل فقال له: أخبرك أن محمدا أعطاني بنخلتي المائلة في دار فلان نخلة في الجنة، فقلت له: قد أعطيت، ولكني يعجبني ثمرها فسكت عنه الرجل فقال له: أتراك إذا بعتها؟ قال: لا إلا أن أعطى بها شيئا، ولا أظنني أعطاه قال: وما مناك بها؟ قال: أنا أعطيتك أربعين نخلة فقال: أشهد لي إن كنت صادقا، فأمر بأناس فدعاهم فقال: اشهدوا أني قد أعطيته من نخلي أربعين نخلة بنخلته التي فرعها في دار فلان بن فلان، ثم قال: ما تقول؟ فقال صاحب النخلة: قد رضيت ثم قال بعد: ليس بيني وبينك بيع لم تفترق، قال له: قد أقالكم الله ولست بأحمق حين أعطيتك أربعين نخلة بنخلتك المائلة، فقال صاحب النخلة: قد رضيت على أن تعطيني الأربعين على ما أريد قال: تعطينيها على ساق ثم مكث ساعة ثم قال: هي لك على ساق وأوقف له شهودا وعد له أربعين نخلة على ساق، فتفرقا، فذهب الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن النخلة المائلة في دار فلان قد صارت لي فهي لك فذهب رسولا لله صلى الله عليه وسلم إلى الرجل صاحب الدار فقال له: «النخلة لك ولعيالك»، قال عكرمة: قال ابن عباس: فأنزل الله عز وجل: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى} [الليل : ١]، إلى قوله: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠)} [الليل : ٥ - ١٠]، إلى آخر السورة"[(٢)]. [ضعيف]

---

(١) أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٨٥٣ عن عبد الله بن مسعود به، وإسناده ضعيف، فيه انقطاع بين أبي إسحاق السبيعي وابن مسعود، وأخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٥٩):ص١٠/٣٤٤٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٥٥):ص١٠/٣٤٣٩-٣٤٤٠ ، والواحدي في أسباب النزول ٤٧٧، وفي «الوسيط» ٤/ ٥٠٢ وذكره السيوطي في الدر المنثور: ٨/٢٣٢-٢٣٣. سنده ضعيف.

قال الحافظ ابن كثير٨/٤٢٠: " وهو حديث غريب جدًا "

وإسناده واه لأجل حفص بن عمر بن ميمون، ضعفه الحافظ في «التقريب».

قال الحافظ في التقريب: ضعيف، [تقريب ١/ ١٨٨] ، وقال ابن حبان: "يروي عن مالك وأهل المدينة كان ممن يقلب الأسانيد لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد".

قلت: الجمهور على أن السورة نزلت في أبي بكر-رضي الله عنه-، ثم إن السورة مكية، وذاك أنصاري؟!- والله أعلم بالصواب-.

قوله تعالى:{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى} [الليل : ١]، أي: "أقسم بالليل عندما يغطي بظلامه الأرض وما عليها"[١].

وفي قوله تعالى:{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى} [الليل : ١]، وجوه:

أحدها : إذا أظلم، قاله مجاهد[٢].

قال السمرقندي:" أقسم الله تعالى بالليل، إذا غشيت ظلمته ضوء النهار"[٣].

قال ابن أبي زمنين:" إذا غشي النهار، فأذهب ضوءه"[٤].

الثاني : إذا غشى الخلائق فعّمهم وملأهم، قاله قتادة[٥].

قال ابن كثير:" أي : إذا غَشيَ الخليقة بظلامه"[٦].

الثالث : إذا أقبل فغطى كل شيء، قاله ابن جبير[٧].

قال ابن فورك:" قيل الغشي: إلباس الشيء ما يعمه ويستر جملته"[٨].

قال النحاس:" قيل: المعنى والليل إذا يغشى كل شيء بظلمته فيصير له كالغشاء، وليس كذا النهار، وعلى هذا قول الذبياني[٩]:

فإنك كالليل الذي هو مدركي ... وإن خلت أن المنتأى عنك واسع"[١٠].

قال الزجاج:" معنى: «إذا يغشى الليل الأرض»: توارى الأفق وجميع ما بين السماء والأرض"[١١].

قال الطبري: "أقسم الله تعالى بالليل إذا غشَّى النهار بظلمته، فأذهب ضوءه"[١٢].

قوله تعالى:{وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى} [الليل : ٢]، أي:" وأقسم بالنهار إذا انكشف عن ظلام الليل بضيائه"[١٣].

وفي قوله تعالى:{وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى} [الليل : ٢]، وجهان:

أحدهما : إذا أضاء، قاله مجاهد[١٤].

قال السمرقندي:" يعني: أقسم بالنهار إذا استنار، وتجلى عن الظلمة"[١٥].

قال ابن كثير:" {وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى}، أي : بضيائه وإشراقه"[١٦].

الثاني : إذا ظهر، وهو مقتضى قول ابن جبير[١٧]. وبه قال الزجاج[١٨].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩٥.[بتصرف]

(٢) انظر: النكت والعيون: ٢٨٦/٦.

(٣) بحر العلوم: ٥٨٨/٣.

(٤) تفسير ابن أبي زمنين: ١٣٩/٥.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٢٨٦/٦.

(٦) تفسير ابن كثير: ٤١٧/٨.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٥٦):ص٣٤٤٠/١٠.

(٨) تفسير ابن فورك: ٢٣٢/٣.

(٩)الشاهد للنابغة الذبياني في ديوانه ٣٨، ولسان العرب (طور) و (نأى) ، وكتاب العين ٨/ ٣٩٣، وتاج العروس (نأى) ، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٥/ ٣٧٨، ومجمل اللغة ٤/ ٣٦٨.

(١٠) إعراب القرآن: ١٤٩/٥.

(١١) معاني القرآن: ٢٣٥/٥.

(١٢) تفسير الطبري: ٤٦٥/٢٤.

(١٣) التفسير الميسر: ٥٩٥.[بتصرف]

(١٤) انظر: النكت والعيون: ٢٨٦/٦.

(١٥) بحر العلوم: ٥٨٨/٣.

(١٦) تفسير ابن كثير: ٤١٧/٨.

(١٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٥٦):ص٣٤٤٠/١٠.

(١٨) انظر: معاني القرآن: ٢٣٥/٥.

قال الزجاج:" معنى: {وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى}: إذا بان وظهر"[1].

قال الطبري:" أقسم بالنهار إذا هو أضاء فأنار، وظهر للأبصار. ما كانت ظلمة الليل قد حالت بينها وبين رؤيته وإتيانه إياها عِيانا"[2].

عن قتادة، قوله :"{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى}، قال: آيتان عظيمتان يكوّرهما الله على الخلائق"[3].

قوله تعالى:{وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى} [الليل : ٣]، أي:" وأقسم بخلق الزوجين: الذكر والأنثى"[4].

قال السمرقندي:" يعني: آدم وحواء"[5].

قال ابن فورك:" عني بـ«الذكر والأنثى»: آدم وحواء"[6].

وقال ابن عباس والكلبي والحسن: "هما آدم وحواء"[7].

قال أبو وحيان:" الظاهر عموم الذكر والأنثى. وقيل: من بني آدم فقط لاختصاصهم بولاية الله تعالى وطاعته"[8].

قال ابن كثير:" هو كقوله :{وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا} [النبأ : ٨]، وكقوله :{وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ} [الذاريات : ٤٩]"[9].

وفي «ما»، قولان:

أحدهما: أنها بمعنى المصدر، تقديره: وخلق الذكر والأنثى ، وهذا مذهب قتادة[10]، والزجاج[11].

الثاني: أنها بمعنى: «مَن»، تقديره: «ومن خلق الذكر والأنثى»، وهذا مذهب الحسن[12]، ومجاهد[13]، وأبي عبيدة[14].

عن الحسن:" أنه كان يقرؤها: {وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى}، يقول: والذي خلق الذكر والأنثى"[15].

عن الحسن:" أنه كان يقرأها: {وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى}، يقول: والذي خلق الذكر والأنثى؛ قال هارون قال أبو عمرو: وأهل مكة يقولون للرعد: «سبحان ما سبَّحْتَ له»"[16].

قال أبو عبيدة: المعنى:" ومن خلق الذكر والأنثى"[17].

---

(١) معاني القرآن: ٢٣٥/٥.
(٢) تفسير الطبري: ٤٦٥/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٤٦٥/٢٤.
(٤) التفسير الميسر: ٥٩٥.[بتصرف]
(٥) بحر العلوم: ٥٨٨/٣.
(٦) تفسير ابن فورك: ٢٣٢/٣.
(٧) نقلا عن: البحر المحيط في التفسير: ٤٩٢/١٠.
(٨) البحر المحيط في التفسير: ٤٩٢/١٠.
(٩) تفسير ابن كثير: ٤١٧/٨.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٣/٢٤.
(١١) انظر: معاني القرآن: ٣٣٢/٥.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٧/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٥٧):ص٣٤٤٠/١٠.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٣/٢٤.
(١٤) انظر: مجاز القرآن: ٣٠١/٢.
(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٥٧):ص٣٤٤٠/١٠.
(١٦) أخرجه الطبري: ٤٦٧/٢٤.
(١٧) مجاز القرآن: ٣٠١/٢.

قال الطبري:" يحتمل أن تجعل «ما» بمعنى «مَنْ»، فيكون ذلك قسما من الله جلّ ثناؤه بخالق الذّكر والأنثى، وهو ذلك الخالق، وأن تجعل «ما» مع ما بعدها بمعنى المصدر، ويكون قسما بخلقه الذكر والأنثى"(١).

قال أبو وحيان:" الثابت في مصاحف الأمصار والمتواتر: {وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى}، وما ثبت في الحديث من قراءة: «والذَّكَرِ والأُنْثَى»: نقل آحاد مخالف للسواد، فلا يعد قرآنا"(٢).

عن عبد الله بن مسعود وأبي الدرداء: أنهما كانا يقرآن ذلك :«والذَّكَرِ والأُنْثَى»، ويأثُرُه أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم(٣).

عن قتادة: "{وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى}، قال: في بعض الحروف «والذَّكَرِ والأُنْثَى»"(٤).

عن أبي إسحاق قال: "في قراءة عبد الله: «وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى والنَّهارِ إِذَا تَجَلَّى والذَّكَرِ والأُنْثَى»(٥).

عن المُغيرة، قال: سمعت إبراهيم يقول: "أتى علقمة الشام، فقعد إلى أبي الدرداء، فقال: ممن أنت؟ فقلت: من أهل الكوفة، فقال: كيف كان عبد الله يقرأ هذه الآية: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى}، فقلت: «وَالذَّكَرِ والأُنْثَى» قال: فما زال هؤلاء حتى كادوا يستضلُّونني، وقد سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم"(٦).

عن علقمة قال: "أتينا الشام، فدخلت على أبي الدرداء، فسألني فقال: كيف سمعت ابن مسعود يقرأ هذه الآية: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى}، قال: قلت: «وَالذَّكَرِ والأُنْثَى» قال: كفاك، سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها"(٧).

عن علقمة، قال: "قَدِمت الشام، فلقيت أبا الدرداء، فقال: من أين أنت؟ فقلت من أهل العراق؟ قال: من أيَّها؟ قلت: من أهل الكوفة، قال: هل تقرأه قراءة ابن أمّ عبد؟ قلت: نعم، قال: اقرأ: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى}، قال: فقرأت: «وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى والنَّهارِ إِذَا تَجَلَّى والذَّكَرِ والأُنْثَى»، قال: فضحك، ثم قال: هكذا سمعت مِنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم"(٨).

عن علقمة، قال: "قدمت الشام، فأتى أبو الدرداء، فقال: فيكم أحد يقرأ علي قراءة عبد الله؟ قال: فأشاروا إليّ، قال: قلت أنا، قال: فكيف سمعت عبد الله يقرأ هذه الآية: «وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى والنَّهارِ إِذَا تَجَلَّى والذَّكَرِ والأُنْثَى» قال: وأنا هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: فهؤلاء يريدوني على أن اقرأ: {وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى}، فلا أنا أتابعهم"(٩).

عن علقمة بن قيس أبي شبل: "أنه أتى الشام، فدخل المسجد فصَّلى فيه، ثم قام إلى حَلْقة فجلس فيها؛ قال: فجاء رجل إليّ، فعرفت فيه تحوّش، القوم وهيبتهم له، فجلس إلى جنبي، فقلت: الحمد لله إني لأرجو أن يكون الله قد استجاب دعوتي، فإذا ذلك الرجل أبو الدرداء، قال: وما ذاك؟ فقال علقمة: دعوت الله أن يرزقني جليسا صالحا، فأرجو أن يكون أنت، قال: مِنْ أين أنت؟ قلت: من الكوفة، أو من أهل العراق من الكوفة. قال أبو الدرداء: ألم يكن فيكم صاحب النعلين والوساد والمِطْهَرة، يعني ابن مسعود، أو لم يكن فيكم من أُجير على لسان النبيّ صلى الله عليه وسلم من الشيطان الرجيم، يعني عَمَّار بن ياسر، أو لم يكن فيكم صاحب السرّ الذي لا يعلمه غيره، أو أحد غيره، يعني حُذَيفة بن اليمان، ثم قال: أيكم يحفظ كما كان عبد الله يقرأ؟

---

(١) تفسير الطبري: ٤٦٥/٢٤.
(٢) البحر المحيط في التفسير: ٤٩٢/١٠.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٦/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٤٦٧/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٤٦٦/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٤٦٦/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٦٦/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٤٦٦/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٤٦٥/٢٤-٤٦٦.

قال: فقلت: أنا، قال: اقرأ: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى}، قال علقمة: فقرأت: «والذكر والأنثى»، فقال أبو الدرداء: والذي لا إله إلا هو، كذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوه إلى فيّ، فما زال هؤلاء حتى كادوا يردّونني عنها"[١].

وذكر ثعلب أن من السلف من قرأ: «وما خلق الذكر»، بجر «الذكر»، وذكرها الزمخشري عن الكسائي، وقد خرجوه على البدل من على تقدير: والذي خلق الله، وقد يخرج على توهم المصدر، أي وخلق الذكر والأنثى[٢].

قوله تعالى:{إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى} [الليل : ٤]، أي:" إن عملكم لمختلف بين عامل للدنيا وعامل للآخرة"[٣].

قال الطبري:" يقول: إن عَمَلَكُمْ لمختلف أيها الناس، لأن منكم الكافر بربه، والعاصي له في أمره ونهيه، والمؤمن به، والمطيع له في أمره ونهيه، وقوله:{إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى}: جواب القسم، والكلام: والليل إذا يغشى إن سعيكم لشتى، وكذا قال أهل العلم"[٤].

قال عكرمة:" السعي: العمل"[٥].

قال الفراء:" {لَشَتَّى}: لمختلف"[٦].

قال ابن قتيبة:" أي: إن عملكم لمختلفٌ"[٧].

قال أبو حيان:" أي: مساعيكم لمتفرقة مختلفة"[٨].

قال الزجاج:" أي: إن سعي المؤمن والكافر لمختلف، بينهما بعد"[٩].

قال ابن كثير:" ولما كان القسم بهذه الأشياء المتضادة كان القسم عليه أيضا متضادا؛ ولهذا قال :{إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى}، أي : أعمال العباد التي اكتسبوها متضادة أيضًا ومتخالفة، فمن فاعل خيرا ومن فاعل شرا"[١٠].

عن قتادة:"{إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى}، يقول: لمختلف"[١١].

قال قتادة:" وقع القسم -ها هنا-: {إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى}"[١٢].

قال الفراء:" نزلت في أبي بكر بن أبي قحافة رحمه الله، وفي أبي سفيان، وذلك أن أبابكر الصديق رضي الله عنه اشترى تسعة رجال كانوا في أيدي المشركين من ماله يريد به الله تبارك وتعالى فانزل الله جل وعز فيه ذلك: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦)} [الليل : ٥ - ٦]، أبو بكر {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧)} [الليل : ٧] للعود إلى العمل الصالح"[١٣].

عن زيد بن أسلم -من طريق إبراهيم بن سويد- في هذه الآية: "{يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله} [الجمعة: ٩]، قال: النداء حين يخرج الإمام.

---

(١) أخرجه الطبري: ٤٦٧/٢٤.
(٢) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٤٩٢/١٠.
(٣) التفسير الميسر: ٥٩٥.[بتصرف]
(٤) تفسير الطبري: ٤٦٧/٢٤.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٥٨):ص٣٤٤٠/١٠.
(٦) معاني القرآن: ٢٧٠/٣.
(٧) غريب القرآن: ٥٣١.
(٨) البحر المحيط في التفسير: ٤٩٢/١٠.
(٩) معاني القرآن: ٢٣٥/٥.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٤١٧/٨.
(١١) أخرجه الطبري: ٤٦٧/٢٤-٤٦٨.
(١٢) أخرجه الطبري: ٤٦٨/٢٤.
(١٣) معاني القرآن: ٢٧٠/٣. وانظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٥٩):ص٣٤٤٠/١٠. ولقد أشرنا إلى الحديث في سبب نزول السورة، والله الموفق.

وكان يقول السعي: العمل؛ إنّ الله يقول: {إن سعيكم لشتي}، وقال: {ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها} [الإسراء: ١٩]"[١].

قال مالك بن أنس: "وإنما السعي في كتاب الله العمل والفعل، يقول الله -تبارك وتعالى-: {وإذا تَوَلّى سَعى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها} [البقرة: ٢٠٥]، وقال تعالى: {وأمّا مَن جاءَكَ يَسْعى وهُوَ يَخْشى} [عبس: ٨ - ٩]، وقال: {ثم أدبر يسعى} [النازعات: ٢٢]، وقال: {إنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتّى}. قال مالك: فليس السعي الذي ذكر الله في كتابه بالسعي على الأقدام، ولا الاشتداد، وإنما عنى: العمل والفعل"[٢].

فوائد الآيات: [١-٤]:

١- بيان عظمة الله وقدرته وعلمه الموجبة لربوبيته المقتضية لعبادته وحده دون سواه.

٢- إثبات الجزاء على الأعمال يوم القيامة، فإن يوم القيامة هو اليوم الفاصل بين هذه الحياة الدنيا، وبين الحياة الآخرة، ولأن من مقاصد البعث بعد الموت هو أن يجازي كل عامل وفق عمله في دنياه، ولأن أعمال الخلائق تختلف اختلافاً كثيراً من إنسان لآخر ومن أمة لأخرى ولذلك قال ـ جل جلاله ـ {إنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى} [الليل : ٤]، فالله - جل وعلا - سيظهر أعمال كل إنسان نصب عينيه فاقتضى الحال أنه لا بد أن يكون جزاء كل إنسان من جنس عمله[٣].

وفي الحديث القدسي:«يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا، فليحمد الله ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه»[٤].

٣- بيان فضيلة الصحابي الجليل أبي بكر الصديق-رضي الله عنه-.

انتهى الجزء الثامن والثلاثون من التفسير، ويليه الجزء التاسع والثلاثون بإذن الله، وبدايته تفسير الآية (٥) من سورة «الليل».

---

(١)أخرجه أبو إسحاق المالكي في أحكام القرآن ص ٢٠٠.

(٢)الموطأ (ت: د. بشار عواد) ١/ ١٦٣ (٢٨٦).

(٣) انظر: مباحث العقيدة في سورة «الزمر»، ناصر بن علي عايض حسن الشيخ: ٦٠٦.

(٤)رواه مسلم(٢٥٧٧):ص١٩٩٤/٤، من حديث أبي ذر -رضي الله عنه-.